عبد الكريم الفيلالي

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

الجزء الثامن

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها تتمزق في حاضرها
وتعرف الذل والتحقير والبخس والإهانة في مستقبلها
المؤلف

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

عبد الكريم الفيلالي

الطبعة الأولى

20 اغسطس 2006

الجزء الثامن

رقم الإيداع القانوني

2006/1287

5 يونيو 2006

الترقيم الدولي

(ردمك) 2-0-8702-9954

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة

شركة ناس للطباعة

23 ش مرشدي - عابدين - القاهرة

هاتف: 002023925376

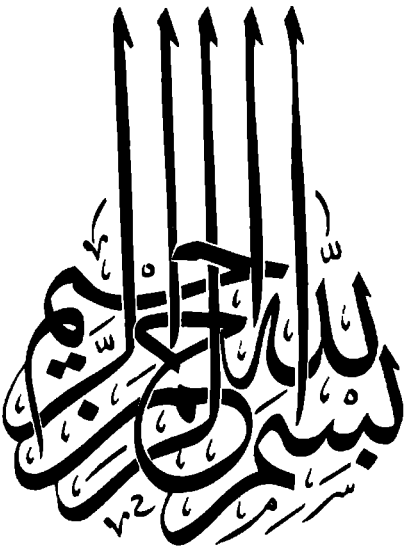
بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة الباب الثالث والعشرون

الفصل الثامن والعشرون بعد المائتين

قتل التزونوني وقيام بن ابى القاسم النگادي خادم أبي حمارة

لقد بلغ الطغيان والغرور وسوء التدبير بالتزونوني المدعى إلى درجة أنه أصبح يعتقد جازما أنه بحق "مولاي محمد بن الحسن" بل مما زاد في غروره، أن صدى معركة البطحاء التي أبيدت فيها فرقة كاملة 1200 جندي وذلت فيها فرنسا وتمرغ شرفها في الوحل، وفي كل ذلك كان يذكر في الطليعة اسم "السملالي تارة ـ والشريف السملالي آخرى ـ(136) وبين قبائل الأطلس "مولاي محمد" ونسي المجرم المدعى أنه إن كان ثمة شرف الجهاد والمقاومة، فهو للعطاويين الأشداء الشجعان بما عرف لهم من حماس رغم السذاجة وما اندفعوا له من شر ضد إخرانهم في المنطقة، بل ولعرب الصباح وللفيلاليين من أهل أبو عام، والسفالة، وكذا أهل المعاضيد، والسيفة، وبني محمد، بل وإلى أولئك الرجال الذين كان ابن أبى القاسم لا يزال يقاتلهم لأنهم رفضوا معاملة المدعى المجرم، مثل أهل قصر الشقارنة "وشرفت بحاج" كما يطلق الفيلاليون على الأشراف الأدارسة من آل الحاج يوسف، فقد كان بن بلقاسم وهو قائد جيوش المدعى في جولة حربية ضد الشقارنة ولما عاد ومعه جماعة من غير المسلحين بالبنادق وإنما بالسيوف والهراوات، ولما وصلوا أمام قصر الريصاني وكان التزونوني بالمدخل، فلما رآهم على تلك الحال وفيهم الحفات وذوي الأسمال صاح فيه قائلا: يقول من حضر وهو حارسه "عمرو العطاوي" أبعد عني هؤلاء، أطردهم ولا تعد تقبل غير ذوي البنادق" وحتى ذلك العهد وكان بلقاسم قد انتهى إلى قرار في نفسه يقول صاحبه أنه يجب التخلص من الرجل مهما كانت الظروف، وذلك قبل أن يتخلص منه هو، خصوصا وأن النگادي كان موضع وشوشة من ولد اجميعية الذي كان أصدقاء بن بلقاسم ينقلون إليه ما كان يقال فيه من خصومه، ناهيك وأنه القائد العام للمقاتلين ورغم أن التزونوني قسى عليه وعلى غير المسلحين فإنه

سكت ولم يرد على صاحبه وفي الصباح توجه بالمسلحين وغير المسلحين إلى محاربة أهل قصر الشقارنة في بني محمد، وكان يعلم أنه يتبعه لتحقيق هل نفذت أوامره وامتثلها ابن بلقاسم أم لا، وفعلا أرسل من يراقب هل لا يزال غير المسلحين مع ابن بلقاسم، فكان الجواب نعم، وقتها ركب التزونوني حصانه ومعه جماعة من العطاويين الذين كانوا هم كذلك قد ملوا من بخله وظلمه، وما كاد يقف أمام ابن بلقاسم وهو يزبد ويرعد، حتى لكمه في صدره بمؤخر بندقية انتشلها من يد علي بن امعنى العطاوي من آيت ايعزا، وكانت فارغة فلم يكن من بلقاسم إلا أن أخرج مسدسه ثم أفرغ رصاصة منه في صدر امبارك التزونوني، وأخرى في رأسه، ووقتها صعد المسمى «لهداد الحاج» لأعلى نخلة ثم نادى بأعلى صوته: «مات مولاي محمد، الله ينصر سيدي محمد بن بلقاسم» ثم أخذ يكررها يقول عمرو أبا سو المذكور، وصححه أكثر من واحد، لكن عمرو أباسو العطاوي يقول إن المنادي هو المدني وباب وهو خلط بين الرجلين، ولقد كان ذلك بتاريخ يوم السبت آخر المحرم من عام 1338هـ1919م كما نقله صاحب المعسول "ج16/292".

لما قتل التزونوني التف المقاتلون حول بن بلقاسم إلا ماكان من بعض الذين كانوا أكثر عداء ضده مثل هدام القصور وهو محمد بن الحاج علال ولد اجميعية المذكور قبل، والذي كان السبب في قتل الكثيرين من الأبرياء، لكن ولد اجميعية سرعان ما لقي حتفه بنفس الطريقة التي كان يدبرها لغيره، كما قرّ قاضيه عمر لحديدوي والد صديقنا محمد بن عمر صاحب قصة معسكر بورنازيل زمن المقاومة، لمدة شهر ثم رجع، وكان هذا هو قاضي التزونوني لكنه عوض بمحمد بن الصالح البعصامي الذي روينا عنه الكثير، إذ لم يتوفى إلا في الثمانينيات رحمه الله، وكم تمنيت أن لو كتب هذا الرجل مذكراته، وقد كان في الإمكان لأن من أبنائه من أصبح من رجال التربية والتعليم.

ومهما يكن فإن بن بلقاسم رغم التشكك الذي ساورنا ولم نجد توضيحا شافيا لحقيقة بن بلقاسم الذي مؤكدا أنه كان مع أبي حمارة باعتراف قومه والذي أفاد مما رأى وعاش معه، حتى إنه بالفعل وضع لنفسه طابعين كبير، وصغير، على غرار الطابع السلطاني وقتها، لكنه احتفظ فيهما بوضع اسمه الحقيقي كما أرخ لسنة تنصيبه بحيث كتب على الطابع الصغير في الوسط "محمد بن أبي القاسم الله وليه ومولاه وتحتها 1338

وعلى دائرته لا إله إلا الله محمد رسول الله، حسبنا الله ونعم الوكيل».

وكتب على الطابع الكبير نفس الإسم والتاريخ وعلى دائرته" أعلى: لا إله إلا الله محمد رسول الله وبقية الدائرة.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل منتقم

ما كاد ابن بلقاسم النكادي يستريح من مطاردة بعض آيت عطا الذين حاولوا أن يكونوا أوفياء لصاحبهم امبارك بن الحسين التزونوني ثم يعود إلى قصر الريصاني، حتى نصبوا له «غياطا وطبالا» والأول هو عبد الرحمن ابن "لكبير" من قصر أمسيفي بالغرفة، والثاني لم أتعرف عليه من خلال ما كتبت، كما كان له حرسا خاصا.

حاول كل الذين كانوا قوة في جانب التزونوني إلا قليل منهم أن يكونوا كذلك مع بن بلقاسم، لكنه رغم مرونته لم يفعل مما مكن لأبناء عمومته الذين بلغ عددهم أكثر من خمسة وعشرين، ومنهم ابن أخيه محمد النكادي وأخوه الطاهر النكادي الذي قتل ابن عرفة من القصر الجديد بالغرفة، وصهر القتيل التزونوني ثم صنو السابقين، وهو محمد بن العادل وعلى الجاري النكادي، الذي قتل المكي بن التهامي من قصر أصرغين بالغرفة، كما قتل هؤلاء جماعة من أهل أصرغين هم: عبد الرحمن بن الجيلالي، وعبد السلام بن المدني، وأحمد لگيغلاني، وأحمد بن الموذن، وأحمد بن البشير، ولحبيب بن حمزة، مما أدى إلى أن ينقلب علي بن بلقاسم ولد الحاج عمر، بسبب قتلهم لصهره بأخته ابن المبارك، وهكذا فإن بن بلقاسم بدأ سلطنته بقتل هؤلاء وغيرهم، كما سلط بلديه أحمد الزربا على أهل السيفة، وأولاد يوسف، وأب علي التزاريني على ناحية تدغة والجرف وفركلة، من أجل النهب والابتزاز، وحتى يدفع المتهافتين إلى التنافس من أجل التقرب إليه بدأ يكون حاشية من بعض السابقين مثل على الترمون المرغادي من عمرو وگاحي.

أب يشو أزواوي من آيت ايعزا.

وعلى وشعو من ركاگة.

وعلى ومحا.

وحدو امغيط.
وعبد الحفيظ من الجديد بالغرفة.
ولحبيب بن عمر من زاوية سيدي ابراهيم.
ولحبيب بن أحمد..إلخ.

وحتى يعم الخوف منه ويكون له الاعتبار الذي كان لسلفه وأكثر، اختار أن يقتل حاخام اليهود ظلما وهو داود أبو حصيرة(136) البوعصامي وكان رجلا مسنا لا يخرج من منزله، منقطعا عن الناس ثم هو من أسرة مقدسة عند اليهود لأنه ينتمي إلى دفين طنطا بمصر، والذي له شأن عظيم عند اليهود، ظن بلقاسم أنه يتوفر على ثروة، ومن أجل ذلك أمر بالاتيان به وعبثا حاول جماعة اليهود، ولم يتعودوا ظلما من أهل البلد منذ أكثر من اثني عشر قرنا على وجودهم بسجلماسة من أجل تجارتها ورواج الذهب فيها مع غانة والسودان، بل حاولوا شراء الحزان من بن بلقاسم بأي ثمن حتى لا يقتله، وقد خرجوا جميعا من بيوتهم نساء ورجالا وأطفالا يتصايحون، لكن بن بلقاسم وقد ورث كراهية اليهود من أعمال سلفه الإسلامي، لم يقبل أية شفاعة ولا فداء، ثم أمر به فوضع أمام فوهة المدفع الذي ما كاد يكوى حتى تطايرت أشلاء الرجل في السماء فانطلق قومه لجمعها، واثرها أرسل بن بلقاسم إلى منزله ليصادر ما فيه من مال بيد أنه لم يجد غير عشرين دينارا من ذهب وحتى يكون منسجما مع نفسه فيما قصد كان الشيخ علي بن الهواري هو الآخر لما علم بقتل المدعى وقيام بن بلقاسم، وحتى يبرهن على أنه يريد الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين والدفاع ضد الغزاة الغاصبين، قدم على بن بلقاسم لكن هذا الآخير لم يغفر له تحيزه للمخزن لأن الشيخ علي بن الهواري كان مخدوعا في الرجل ولم يعرف عنه أنه من مخلفات "أبو حمارة" فكانت نهاية هذا الشيخ التقي النقي الوقور، الذي غرر به خداع بعض المرغاديين أن وضع هو الآخر على فوهة المدفع ثم قتل ومعه عشرون رجلا من خيرة الرجال، وكان الذي جرهم لذلك المصير هو ابراهيم بن محمد الحطوشي، العطاوي نسبة إلى أحواطيش، والذي أصبح خليفة لابن بلقاسم في

(136) يقول عمرو وباسو إن الذي قتله إنما هو التزونوني وأبو حصيرة هذا أصله من قصر تابع صامت كما سبق.

غريس ومركزه قصر "ماخفامان" وعن طريقه امتد سلطان النكادي إلى قصور آيت عطا، تلوان، وامطر واكليم واقدار، بل وتاوريرت، الذي هو موطن أب علي في تازارين، بل ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض الأبطال من قدماء المجاهدين انخدعوا وانضموا إلى بن بلقاسم النكادي منهم الحسن العيساوي رفيق المولي أحمد بن الحسن السبعي.

كان بن بلقاسم وكما رأينا قد تعرف على كثير من المظاهر التي افتعلها أبو حمارة تقليدا للمخزن، ولذلك وقد رأينا هو الآخر وضع لنفسه طابعا على هيأة طابع السلطان كذلك، ولرحلاته صنع ما يسمى بـ"أفراگ" عند المخزن، حيث صنع اثنين وثلاثين خيمة من القماش الأبيض المقوى والمزركش بأقواس وتوريقات سود، ويحيط بالجميع سور دائر من القماش ومعه باستمرار مجموعة من المقاتلين الأشداء، لا يقل عددهم عن سبعمائة مع المتطوعين الذين كثيرا ما يكونون من أبناء الجهة المقصودة لقتال الفرنسيين فيها، كما كان يحمل معه صناديق المال والزاد، وأحيانا حتى الماء، بذلك أصبح الرجل شكلا ومظهرا يختلف عن سلفه، مما سيجعله يتمكن ثم يستمر حتى عام 1932م أي مدة ثلاثة عشر عاما وهو سلطان عاصمته قصر الريصاني.

مهما يكن فإن محمد بن بلقاسم النكادي رغم بدايته التي تدعو إلى الريبة والشك فهو له كثير من المواقف الإيجابية التي تعتبر بحق من مواقف المقاومة رغم ما عرف له من وسائل لو لم تكن لكانت مقاومة المنطقة ضد الاستعمار أقوى وأشد، وتلك هي إطلاق أيدي المجرمين أمثال آحمد الزربا والقويع الزموري، وكبيرهم الفاسق المسمى أب علي التزاريني،(137) وكذا بعض قرابة النكادي.

كان الفرنسيون رغم أنهم تأخروا حتى عن مدينة أرفود إلى حيث قواتهم المتمركزة في بوذنيب يرقبون المنطقة مراقبة فاحصة بواسطة عملائهم، وإذا هم كانوا يتخوفون من التحام القبائل التي كانت لا تزال تحمل السلاح في الجنوب والشمال، فإنهم في هذه المرحلة ما بين 1914م حتى 1921م اعتمدوا في محاربة المقاومة المغربية أكثر ما اعتمدوا على المغاربة ضد اخوانهم المغاربة، وقد كان في طليعة هؤلاء شرقا وغربا شمالا، وجنوبا

(137) لقد تشردت أسرته حيث انتهت إلى آيت يحيى وعلا، قرب أزورو. وفيها توفيت والدته المسكينة مشردة، ثم راجع جريدة السعادة 29-1-1920م.

من أسموهم قواد المخزن(138) أولئك الذين ترجم لهم الفرنسيون أنفسهم بواسطة بعض الصحفيين وذوي الرحلات، فضلا عن تقارير رؤساء النواحي من العسكريين والمدنيين، حتى إننا لا نجد قط عسكريا فرنسيا إلا وبجانبه قائدا أو قوادا من المغاربة، وعلى سبيل المثال سنتعرض بعد اتمامنا لموضوع المقاومة المسلحة في المغرب الأقصى بالأخص إلى أسماء القواد الذين كانوا أشد حدة وعنفا من الفرنسيين على إخوانهم المغاربة، وفي مقدمتهم عدو المغرب والمغاربة العبد الآبق التهامي الجلاوي وأخويه المدني وحمو وغيرهم.

مهما يكن فإن عهد محمد بن بلقاسم النكادي في تافيلالت بعد أخذ له اتجاها خاصا محددا، وأهدافا معينة تتجمع كلها في محاربة الفرنسيين، وذلك حسب رغبة وإلحاح المواطنين العطاويين، لكننا نجده في كل الحالات يقدم لتلك المعارك صناديد الرجال الذين كان يتخوف منهم، وهو الآخر استهواه جمع المال إلى درجة أنه جمع منه ثلاث صناديق أيضا وربما هي التي خلفها التزونوني كان يحملها في حله وترحاله، وفي إحدى الرحلات التي قام بها شمالا من تافيلالت إلى الريش عن طريق فزنة توروك - كلميمة - آيت يحيى وعثمان - ماگامان - رأس الواد- تاديغوست، سيدي بويعقوب، ثم إلى زاوية سيدي بوكيل، وذلك في رحلة دامت مدة أربعة أشهر، ورغم أنه ترك ولد أخيه خليفة له في الريصاني فإنه لم يترك المال في مقره الذي ترك فيه زوجاته الخمس؟ إلى أن هرب ثم تركه وترك معه أفراك، وأحد عشر صندوقا من الذخيرة.

ورغم أن الرواية تقول إن بن بلقاسم كان شجاعا في خوض المعارك، إلا أننا نجد له طريقة جد بارعة في التخلص من المقاومين ذوي العصبيات الذين كان يرتاب فيهم، خصوصا من أهل أبو عام وبعض آيت عطا الذين بقي ميلهم مع التزونوني، فقد كان بن بلقاسم ينظم حملات إلى جهات بعيدة، خصوصا عندما عاد الفرنسيون إلى أرفود بصفة أقوى بتاريخ 22-2-1919م واستقروا فيه، وقتها وجه حملة مكونة من مائتي فارس ضاعوا جميعا ولم يرجع منهم غير عشرة، منهم عمرو باسو العطاوي المشار إليه قبل، كما صمم على أن تذهب فرقة من قصر أبو عام في نفس التاريخ المشار إليه قبل، وكان عددهم نحو

(138) راجع جريدة السعادة من 1319م إلى 20-3- 1932م وفيها كان يطلق على التزونيني الإسلامي "اسم السملالي" خطأ.

اثنين وأربعين استشهدوا كلهم ونذكرأسماء بعض الذين تعرفنا على أسمائهم بواسطة ذويهم وهم:

أحمد ولد محمد بن الصديق وأخوه محمد، عبد الرحمن ولد طاطا، دحمان ولد سيدي باب، محمد بن الحسن، عبد الرحمن ولد أب خويا، محمد السيد، أب عجوج، المختار ايادان، علي بن البشير، محمد بن اعبيد، حمو علي ولد علي بن البشير، مولاي الحبيب، بگا بالكاف المعطشة المشددة، لمرابط، باعمرو، أحمد لهبيل، حدا بن البشير، مولاي عبد الواحد من قصيبة لحدب ومحا ولد الحاج المكي إلخ.

وهكذا فإن بن بلقاسم النكادي، رغم كل ذلك نشط(139) المقاومة التي استمرت واستمر معها سلطانه في تافيلالت إلى عام 1932م حيث كانت فرنسا قد انتهت إلى تخطيط العودة لفتحها بعدما انتهت من عمليات الغزو هنا. وهناك ولنترك بن بلقاسم في تافيلالت وما حولها غربا وجنوبا، ونرحل من الجنوب إلى الشمال وثورة قبائل الجبل والريف بقيادة الريسوني ومحمد بن عبد الكريم ببني ورياغل ثم قبائل الشمال والشمال الشرقي للمغرب وذلك حتى لا نخل بالترتيب الزمني لتاريخ المقاومة.

القايد المدني الكلاوي..
الذي بدأت خيانته أيام فتنة أبي
حمارة حيث ارتمى في أحضان
الاستعمار الفرنسي

(139) هناك أسماء كثيرة تركتها بسبب ما حصل حولها عن خلاف.

التقسيم المحلي لقصور تافيلالت

(140) يلاحظ هنا أنه كان قصر تبع صامت عبارة عن تجمع كبير لكثير من القصور وانقرضت وهي: أولاد افرو، أولاد طلحة أولاد عطية، أولاد المعيدان، أولاد اخيار، أولاد بلال، وجنان الدار، باعلا وجبور قطائع السوق، أمرهان، القصر الجديد، قصر أب احبيب لقصيبة.

وقد كان السبب في زوال هذه القصور هو أنها كانت تمثل المعارضة الدائمة للمخزن مما دفع إلى مضايقة أهلها والتضييق عليهم حيث ادى ذلك إلى هجرتهم أو إلتحاقهم بقصور أخرى.

الطابع المخزني باسم أبي القاسم النكادي ايام ادعائه بتافيلالت مع النصاب امبارك بن الحسن التزونيني الاسلامي

هذا محمد بلقاسم النكادي الذي كان مع الجيلالي إبن إدريس اليوسفي الزرهوني "أبو حمارة الأول" الذي قيل أنه إختفى وسوف يظهر رغم أنه طوف به وهو في قفص في عهد المولى عبد الحفيظ، ولما ظهر في تافيلالت لحسن ابن مبارك التزونوني اليهودي الأصل والذي أطلق عليه أنه سملالي ولما التحق به المجرم بلقاسم النكادي ورأه مباشرة صاح قائلا "إنه مولى محمد" وبعدها قتله ونادى بنفسه سلطانا الخ راجع كتاب المعسول للمرحوم محمد المختار السوسي جـ/20 ثم راجع ماكتبه زروالي جاهل شرق فيه وغرب عن جهل فاحش ساقط.

صاحب أبي حمارة أبو القاسم النجادي الزروالي
يوم اسره الرقيب بورنازيل والصورة بقصر
الريصاني 28 يناير 1932

قوافل الغزو الفرنسي عند مدخل ارفود المعروف «بردى»

دار الزياني أبو القاسم جوار الريصاني قصر المولى سليمان وقد هدمتهما قنابل الفرنسيين يوم 32/1/15
لوستراستون 1932/2/6

منزل المؤرخ أبو القاسم الزياني جوار القصر السلطاني بالريصاني تافيلالت وقد هدمته القنابل الفرنسية في حمله يناير 1932 لوليستراسيون 6 فبراير 1932 عدد 4640ص1

إنه مركز أرفود الذي ذكره البكري في كتابه المسالك وقت زيارته لسجلماسة قبل أكثر من ألف سنة وما يشاهد من البناء كان في القرن الماضي 19 وإذا ماحارب رجالها الاستعمار الفرنسي حتى عام 1932 فإنهم بعدها حكموا بقوة الحديد والنار... وها قد عرف المغرب الاستقلال قبل أكثر من أربعين سنة ما عرف القوم منه وما تحقق من آمالهم؟؟ لقد عرفوا التزوير في الانتخابات منذ كانت الانتخابات فكان من النواب الذين فرضوا عليهم وزير الدولة الذي هو محمد ولد أحمد بن عبد القادر لفريسي الذي التجأ القوم متظلمين منه ومن غيره إلى الله.

انها بصمات قرنسا على ديار الفيلالين الجنرالين هوري وجيرو أمام قصر الريصاني من احتلال عميلهم بلقاسم النقادي صاحب أبي حمارة إلى احتلال الفرنسيين لوايتسراسيون /1932/2 6ع 4640ص 162 والمعركة بتاريخ /1932/1 15

إحراق سلاح المجاهدين بتافيلالت

المجاهدون الفيلاليون وأيت عطا داخل الثكنات لتقديم أسلحتهم تحت القهر حتى تحرق وهم ينظرون لولستراسيون 1932/2/6عدد 4640ص 1

سرب من الضباط والجنود الفرنسيين أمام سرب من الدبابات على أبواب قصر الريصاني وقد هدمته قنابل الاستعمار الفرنسي مجلة لوليستراسيون 1932/2/6

مجموعة من جنرالات فرنسا عددهم6 ضمنهم الجنرال هوري قائد القوات الفرنسية بالمغرب يشرف على غزو تافيلالت لوليستراسيون 1932/2/6 عدد4670 ص169 أما تاريخ الغزو فهو يوم 32/1/15 كما أورد هنري بوردو في كتابه عن بورنازيل وفي التاريخ وذاكرة المواطنين والمواطنات يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان من عام 1351هـ

انها بصمات فرنسا وما جاءت به من حضارة قصر الريصاني وهو من بناء المولى سليمان وقد هدمته قنابل الفرنسيين يوم 1932/1/15 في معركة دامت أكثر من أسبوعين الغزاة الفرنسيون في تافيلالت قصر الريصاني بين التدمير والتشفي

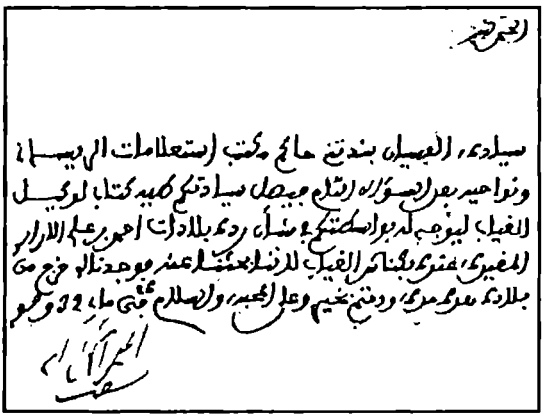

المدني الجلاوي يراسل الحاكم الفرنسي للريصاني بتافيلالت من أجل رد املاك بعض الذين استولى الفرنسيون على ممتلكاتهم

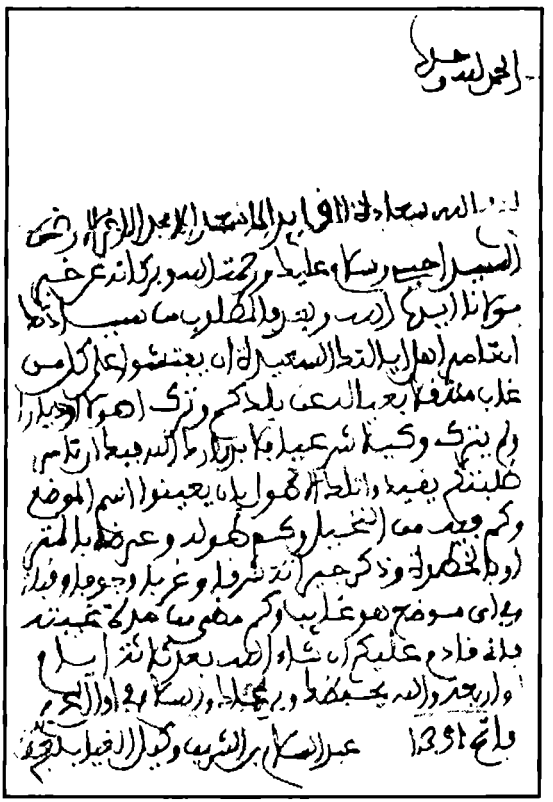

مراسلة من وكيل الغياب باسم الإدارة قصد احصاء ممتلكات الذين غادروا البلاد فرارا من ظلم الفرنسيين بتافيلالت

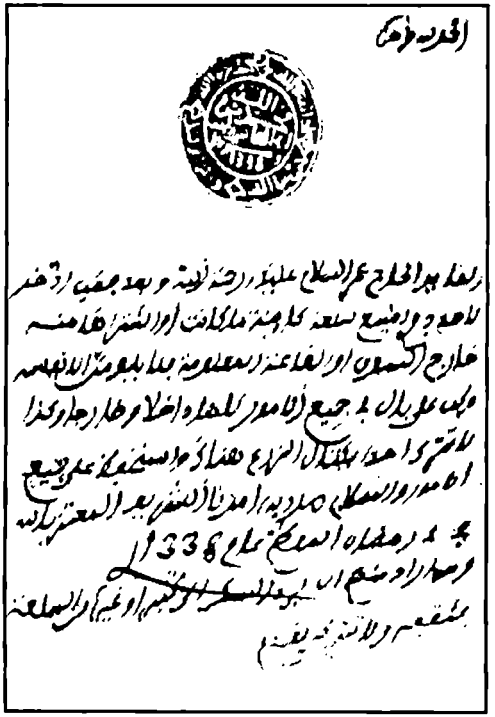

إنها أوامر الدجال النصاب المرتزق ابن أبي القاسم النجادي الزروالي الذي فر إلى تافيلالت بعد ما انهزم قائده الجلالي بن إدريس الزرهوني أبو حمارة الذي قتله المولى عبد الحفيظ بيد أن قومه كانوا يعتقدون عودته كما كان الفرنسيون يشيعون

إنها خسة ودناءة الفرنسيين التي لم يمثلها إلا الالمان يوم أخذوا يرقصون على وجوه الفرنسيين بأحذيتهم فلم يخلصهم الا المغاربة والصورة تمثل نساء الفتان المجرم خادم أبي حمارة بلقاسم النجادي وخلفهن بورنازيل القبطان وتيابو وضباط آخرين جبناء لولستراسيون 1932/2/6 4640 وهؤلاء النسوة كما سجله التاريخ في عقول الاحياء بتافيلالت وعلى ألسنة المعاصرين الذي كانوا ضمن حاشية المساعدين لابن بلقاسم النگادي حسب الاسماء دون التعرف على كل واحدة باسمها حسب الصورة

1) ابنة محمد بن الصديق في القصر البراني بمدغرة
2) بنت بن قاسم من حوش تاورير بمدغرة
3) بنت ابن عرفة من الغرفة بتافيلالت
4) أخت أب باري من قصر أمسيفي بالغرفة تافيلالت
5) عيشة بنت إدريس أبو عام تافيلالت
6) عزة بنت محمد بن الحسن أبو عام تافيلالت

الفصل التاسع والعشرون بعد المائتين

الحقائق الضائعة من تاريخ ثورات قبائل الشمال في المغرب

من ثورة اجبالة إلى ثورة الريف

إن الذين ينسبون الثورة التي تزعمها من أسميه أبو حمارة الثالث بعد الجلالي بن إدريس وأحمد الهيبة وهو محمد بن عبد الكريم إلى الريف يخطئون خطأ فاحشا إذهى ثورة قبائل الشمال، وشرق المغرب، كما لقحها بعض رجالات الأطلس. إن كتابتي هنا عن المقاومة الوطنية في الشمال لتختلف عما سبق، ذلك أنني لم أعرف من كتب حول هذه الثورة التي قال زعيمها إنها حرب وليست كما روى عنه علال الفاسي وهو الأصح ـ ذلك أنني ما عرفت من كتب عنها ولم يكتب بدون تكلف ولا تصنع، مع الجهل الكبير جدا لكثير من أسبابها ودوافعها، بل حتى بعض من تعرف على شيء من ذلك كيفه ثم أخضعه للعاطفة والهوى، أو العصبية القبلية الضيقة التي سادت زمنا، وأفسدت كل شيء في منطقة الشمال، وعند بعضهم لا تزال حتى اليوم تعاني من أثر الماضي.

إن تاريخ المقاومة في أي ركن وأية جهة من جهات المغرب هو قاسم مشترك بين المغاربة ـ غير الخونة ولا العملاء طبعا، بل هو تاريخ يجب أن يكتب بكل نزاهة وتجرد، ولا بأس بنوع من الحقد والنقمة على الاستعماريين والخونة، حتى لا يفقد هذا الجانب المهم من التاريخ السياسي حرارته، وهذا ما أجد ني غير قادر على التخلي عنه في أسلوب كتابتي حول مقاومة المغاربة للاستعمار الفرنسي الاسباني، وإذا نحن تعمقنا في دراسة أحوال قبائل الشمال وواقع الريف وقبائله قبل الثورة نجد جل الذين كتبوا حول موضوع ثورة قبائل الشمال ضد الاستعمار، قد غابت عنهم كثير من الحقائق لأنهم لم يتوصلوا إلى الوثائق التي تعرفهم على قبائل الشمال والعلاقة فيما بينها ثم علاقتها مع المخزن وما كانت عليه كذلك قبل الغزو الاستعماري.

تعرفنا على موطن جبالة والزعيم أحمد بن محمد الريسوني من جنوب طنجة إلى الشاون، ثم بني مسارة ووازان، وصنهاجة، وبني وليد، ثم أرض غمارة والأخماس إلخ، ونتعرف على الريف منطلق ثورة القبائل التي سطى عليها محمد بن عبد الكريم الخطابي الورياغلي رحمه الله: والذي كان وراءه الألمانيون كما كانوا قبل يعملون من أجل الوصول إلى معدن الحديد ازغنغن ولا أريد هنا التوسع في الكشف عن الرج الذي يكفي أن يتمعن المرء فيما انتهى إليه مما سمي بالجمهورية والدستور إلخ. في الوقت الذي حتى بعد التطور الذي حصل وانتهى به المطاف إلى اللجوء لمصر 1947 لم يكن يعرف معنى الجمهورية ولا معنى الدستور وإنما الذي كان وراء كل ذلك هم الألمان وأشياعهم بما فيهم أمير البيان شكيب أرسلان صديق الألمان وغيره من الذين كانوا ناقمين على الفرنسيين من الألمان الذين يكفي أن يقول المرء أنهم جهزوا كل المنطقة التي أصبحت تحت نفوذ محمد بن عبد الكريم بشبكة من خطوط الاتصال الهاتفي التي لم تكن تتوفر عليها المناطق الممتدة من تونس إلى الجزائر والمغرب كما كانت هناك فئة من الأتراك جماعة الجهاد الإسلامي الناقمين على عدو الإسلام المرتد مصطفى كمال أتا ترك الذي جاهر بعدائه للإسلام حيث كانوا كرد فعل يشيدون بجهاد المغاربة بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ثم ينسبون له إنشاء جمهورية إسلامية إلخ.

ومهما يكن فإن الريف لغة يطلق على ما عدا المدن من القرى "والكفور" بلغة الشرق التي هي المداشير بلغة أهل المغرب، كما يطلق الريف على السعة في المأكل والمشرب، والجمع أرياف وريوف، وجغرافيا في المغرب الأقصى تعرف بالمنطقة الوعرة الممتدة عبر ساحل الأبيض المتوسط وحدوده تقريبا من قبيلة بقيوة وبني افرح إلى مدينة مليلية(141)

(141) راجع الروض المعطار للحميري ج 2ص545 تحقيق د.إحسان عباس ط1975م وقد وقع في خلط بين مليلية ووليلي بدءا من الفقرة الثانية، مع العلم أن المحقق أشار إلى أنه رجع أثناء تحقيقه إلى المصادر التالية البكري88 ـ الاستبصار 135 والإدريسي (د) 171 وابن حوقل 97..؟ ومدينة مليلية ميناء على شاطئ الأبيض المتوسط في رأس داخل في البحر بحوالي 40 ك م يرجع تاريخها إلى العصور القديمة بحيث عرفها الفنيقيون، والقرطاجيون، والرومان، والقوط، وفي القرن اهـ استقر بها أمراء بني يفرن، وبذلك نسبت إلى الأمير "مليل" ثم جدد بناءها موسى ابن أبي العافية واحتلها أمويو الأندلس ثم أنشأ بها الموحدون والمرينيون عدة منشآت إلى أن احتلها الاسبانيون عام 902هـ/1497م ولكن حاصرها المغاربة ولمدة قرون إلى عهد ملوك الدولة العلوية فلم يحرروها ثم راجع كتاب سبتة ومليلية لمحمد المعزوزي وجعفر بن اعجيبة ط الرباط 1986م ص 91.

عبر الساحل، وجنوبا إلى الحدود الفاصلة بين قبيلة اجزناية وقبيلة البرانس، وأرض الريف المكونة أساسا وفي الأغلب من مجموع سلاسل الجبال الالتوائية والوعرة، قليلة التربة الصالحة للزراعة إلى حد كبير، وأهل الريف يعتمدون أكثر في زراعتهم على شجر اللوز، والزيتون، وتربية المواشي، كما أن جبال الريف المنحدرة نحو الأبيض المتوسط، وظروف البيئة القاسية طبعت بعض سكان المنطقة الذين تمرسوا على شظف العيش وما عرفوا من شدة وبأس زادهم حدة على ما عرفوا به من صراع مستمر مع سكان الضفة المقابلة الذين هم الأسبان، والذين لم يحصل السلم بينهم قط، منذ كان التاريخ السياسي الذي عرف لهذه المنطقة منذ أقدم العصور.

وأما القبائل التي تسكن هذه المنطقة والتي سنتعرف عليها بعد بالتفصيل فهي خليط واسع جدا، يتكون من عناصر بعضها من أصل بربري، وأخرى من أصل عربي، وغيرها يرجع إلى غيرهما، وبالنسبة لتاريخ المنطقة السياسي، لا نرجع إلى العهود الضاربة في القدم، أي عهود ما قبل العنصر البربري وما بعده، مما مضى لنا حول المغرب والمغاربة عموما وبتفصيل في المجلد الأول،بل ولا نشير إلى ما تخبط فيه آخرون من الذين انساقوا وراء ما كتبه بعض الغربيين الهادفين حول تاريخ المنطقة وسكانها قبل وبعد مرور قبائل التوتون وزعيمهم الغازي "أتلا" الذي مر بالبلاد ثم ملك بلاد الاسبان عام 433م وما عرفته منطقة الريف من مد وجزر، من الرومان، والوندال، وكذا في عهد ما قبل الإسلام ونشير فقط ولو بإيجاز إلى أنها وكما سبق التفصيل في عهد الإسلام عرفت المنطقة صراعا حادا بين العرب الفاتحين والبربر، أيام الثورة على عبد الله ابن الحبحاب بعد فتوحات طارق بن زياد النفزي، وكذا في زمن الأدارسة ثم عهد البراغواطية وأمويو الأندلس إلى عهد يوسف بن تاشفين وبعد عهد الموحدين وعبد المومن ثم بني مرين والصراع الذي اشتد في عهد الوطاسيين، ثم كان ما كان في عهد السعدين من معركة وادي المخازن(142) المفترى عليها، ثم عهد العلويين وجولات كل من المولى الرشيد وصنوه اسماعيل، وما كان له مع آل النقسيس، ولِخضر غيلان، وآل ابن عبد الصادق الريفي من

(142) راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ط 1969م.

جولات عنيفة ومزعجة، دامت إلى عهد عبد الله بن اسماعيل أدت أحيانا إلى الغدر والقتل الفظيع للعشرات بعد الأمان، ومثله ما حصل في عهد اليزيد بن محمد بن عبد الله، إلى غير ذلك مما سبق تفصيله حسب التاريخ، وذلك ما جعل قصبة سلوان التي شيدها السلطان إسماعيل تبقى عامرة بالجنود، وباستمرار إلى عهد أحمد بن موسى زمن المولى عبد العزيز، حيث كان من عوامل استمرار القوات المرابطة فيها ما كانت عليه قبائل الريف من صراع مصدره الشر الذي طبعت عليه النفوس بسبب تسلط بعض القواد خلف تلك القوات التي كانت ظروف عيشها وفساد التسيير تدفعها لذلك.

كل ذلك مر بتفصيل حسب الزمان، والمكان وهو ما يعطينا فكرة عن طبيعة أهل المنطقة لكن الذي يعنينا هنا هو التمهيد حتى نتعرف على أصول الذين كانوا القوة الفعالة في الثورة سواء من أهل الريف أو الجبليين، ولسنا هنا بصدد التعريف بقبائل الريف واجبالة وما كان لها من رجال في مجال العلوم والمعارف، ولا في مجال التصوف، فمن أراد شيئا من ذلك عليه بكتب التراجم، خصوصا محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني صاحب "دوحة الناشر" و"معيار الونشريسي" وفهرس ابن غازي و"فهرس المنجور" وجذوة الاقتباس لابن القاضي و"الروض المعطار للحميري" و"مرآة المحاسن للعربي الفاسي" ونشر المثاني ج لـ 2 للقادري، وصفوة من انتشر "للافراني والحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها د/ عبد القادر العافية إلخ إلخ فمنطقة الشمال لها ماضي عريق ومجتمع تعددت جوانب دراساته لمن أراد، والذي نحن بصدده هنا هو الثورة التي قامت عام 1920م بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي الورياغلي رحمه الله.

كانت ثورة الريف التي فجرها محمد بن عبد الكريم شيءلا بد منه، وربما جزئيا وبشكل أضعف حتى ولو لم يظهر الرائد، ذلك أن المنطقة في أخريات عهد المولى الحسن وخلفه إلى نهاية حياة أحمد بن موسى 1318هـ/ 1900م عرفت نوعا من الاستقرار الذي اعتمد على القهر واستعمال القوة أكثر مما اعتمد وكما كان سابقا على التوجيه الديني وعاطفة الحب المتبادل بين القبائل، ومسيريها من رجالها الذين كانوا يكنون الحب لسلطان المخزن فيها، وفي الفترة التي اختفى فيها أحمد بن موسى، وكان خبيرا في المستوى بطبائع مختلف جهات المغرب، وقتها عرفت البلاد كلها كما رأينا من الفتن ما

عرفت ولعل الناحية الشرقية وقبائل الريف أكثر، بدءا من بني يزناتن إلى بني وياغل وبني بوياحي إلى التسول، والبرانس، ثم شمالا إلى بني بوفراح، وتلك هي المناطق التي عرفت فتنة أبو حمارة الذي استهوى كل المتذمرين والمتظلمين، من سوء تصرف قواد المخزن وجيوشه التي طالما أبيح لها العبث نقمة، تارة بقيادة بوشتى بن البغدادي، وتارة أخرى بقيادة عبد السلام المراني، وغيرها بإشراف ادريس بن يعيش الذي هو آخر من رابط بجيوشه في قصبة سلوان من أجل استخلاص الجبايات قبل عهد الفتن والثورات التي تلاها عهد الحماية، بل الضيق الذي دفع بعض القبائل كرها واختيارا إلى نصرة أبي حمارة(143) رغم أنه لم يكن مجهول الشخص والأصل لدى كثير من رجالات المنطقة وكبار القبائل الذين تستروا عليه منذ أن ظهر وتلبس أيام إقامته في "أبو عراقية" بطنجة، كما علمت من معاصر هو الحاج عبد القادر الرغيوي الطنجي(144) ثم الورياغلي الأصل، حتى إذا مامزق أبو حمارة المنطقة وأضعفها وأقبل عهد الحجر والحماية وترامي الفرنسيون على أطراف البلاد شرقا واقتدى بهم الألمان سياسيا والأسبان عمليا حيث بدأوا غزوهم للبلاد مطمئنين إلى ما دبروه مع الفرنسيين في الاتفاقية السرية التي أبرموها بتاريخ 27 جوان 1900/2-3-10-1904م والتي بموجبها سمح الفرنسيون لأنفسهم بتمزيق المغرب واقتسام الغنيمة مع الأسبانيين، وحين احتلت فرنسا وجدة مارس 1907م ثم الدار البيضاء بعد خمسة أشهر 5 غشت قام الاسبان كذلك باحتلال ما حول مليلية مركز بوعرق "بتاريخ 14-2-1908م ورأس سيدي البشير 3/12 من نفس السنة، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة الشريف محمد أمزيان التي عرفنا قبل أنها استمرت أكثر من أربع سنوات والتي كان محمد بن عبد الكريم من خصومها والكتابة ضد زعيمها ولصالح الاسبان في جريدة تلغراف الريف ثم بعد احتلال العرائش6-8-1911م بعد محاولة الفرنسيين احتلال القصر الكبير، وقيام الشريف أحمد الريسوني الذي بحكم مركزه

(143) مثل قبائل لمطالسة وبني بويحيى، وبني توزين.

(144) كان هو المقدم بمنطقة السوق الداخل بطنجة، وقد أكد لي صدق روايته السيد عبد الله جنون، بل زادني هذا الأخير أن الرغيوي بحكم روحه الاجتماعية كان له اتصال واسع حتى شمل المولى عبد العزيز الذي كان يسكن الجبل الكبير بطنجة.

ومكانته أطر جل القبائل التي كانت تحت نفوذه، للمقاومة ضد الاسبانيين، وهذه القبائل هي قبيلة بني عروس، ثم بني كرفط، وبني يسف العربية، والبدور، والبداوة وامزورة، وسماتة، وبني مصور، وأهل جبل الحبيب، وأدراس، والأنجرة، وبني حزمر، وبني يدر، وبني ليث، وبني سعيد، ثم الخلط، وأهل سريف، حيث استمرت ثورته أكثر من عشر سنوات كما سبق، وفي هذه المرحلة وبعد معركة الديوانة التي خاضها الشريف أمزيان وعرفت المنطقة جولات ساخنة في الحرب ضد الاسبانيين، إلا أن الحامية منها كانت في منطقة اجبالة، أما قبائل الريف فقد اختارت الساحلية منها الانتقام عن طريق القرصنة.

كانت قبائل منطقة الريف بصفة عامة وقبائل المواجهة بصفة خاصة، كثيرا ما تلجأ بدافع ظروفها القاسية وموقعها المستهدف وأحيانا دفاعا عن النفس إلى ممارسة القرصنة، كما كان التجار الذين يريدون الربح الكثير في المنطقة، يلجؤون إلى تهريب المواد الممنوع تصديرها، ومقابلها يستوردون السلاح الذي كانت المنطقة مصدر توزيعه والاتجار فيه مع مختلف القبائل، وقد اتسعت دائرة التهريب حتى احترفه المسؤولون السياسيون من قناصل بعض الدول، مثل قنصل اسبانيا الذي كان يهرب قطع العملة الذهبية في الصناديق والذي انتهى به الزيغ والاستخفاف إلى عدم احترام قوانين الدولة، بقبول فتح تلك الصناديق حسب أوامر الأمناء الذين كانوا يكتبون بذلك إلى الإدارة المركزية وقد دأبوا على ذلك هم وبعض الأنجليز أيام صولة سفيرهم "هاي" كما سجلت ذلك مصادرهم المشار إليهاقبل، وغيرها من الوثائق المخزنية(145) الأمر الذي كلف الدولة وخصوصا بعد حرب تطوان إلى عهد عبد العزيز أن ترسل فرقا من الجيش للحراسة في المنطقة التي أمكنها أن تفعل فيها، وعلى طول الشاطئين من تمسمان وبقيوة والأنجرة، خصوصا منها بني يدر الذين أعلنوا عصيانهم صراحة، فلم يعودوا يلتزمون باحترام سلطة المخزن، كما أن مركز التهريب الذي لم يستطع المخزن التحكم في مهربيه هو قرية ڤادة التي كانت تنطلق منها وإليها قوافل مهربي السلاح بشكل أزعج المسؤولين دون أن يتمكنوا من القضاء عليه رغم كل الجهود، وأخيرا أسند المخزن أمر الحراسة من أجل المنع وبطريقة مغرية، إلى قبائل المنطقة نفسها، مما حقق بعض الضبط، لكنه

(145) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية.

انتهى أخيرا إلى اتفاق ضد المخزن نفسه، ذلك أن هذا الأخير أصدر تنظيما خصص بموجبه ربع الشيء المضبوط لمن يضبطه، ما عدا السلاح الذي إذا ضبط كان يقوم ثمنه فيحوزه المخزن، ثم يعطى ربع الثمن لمن ضبطه، وهنا أصبح دور الأمناء الذين كانوا يقدرون أخطر على المخزن من المهربين، فبالأمس كانوا يستقلون بالفريسة، أما اليوم فقد امتنعت عنهم ولذلك أصبحوا غير متحمسين، وأحيانا غير مكترثين، بل منهم من أصبح يتواطأ ثم يحتاج إلى رقابة وتفتيش ترسلهما الإدارة المركزية التي كانت تتلقى الإشعار بممارسة بعض الأمناء اللامشروعة، بواسطة مراسلات العمال أحيانا والمواطنين المتذمرين أخرى، وإذا ما عرفت المنطقة من الفتن ما لم تعرفه غيرها، فإنها منذ قيام فتنة أبو حمارة وبعدها، لم يعد الأمناء ولا غير الأمناء يضبطون شيئا مما كان يهرب، خصوصا السلاح، وذلك حسب تقارير أمناء مليلية وطنجة والعرائش، خصوصا في الفترة ما بعد 1298هـ/1880م(146) وأحيانا كانت التقارير تلح على المراكز التي يتكاثر فيها المهربون، لعل الإدارة المركزية تعمل على الحد من تحركات ونشاط المهربين فيها، لكن ما آلت إليه الأمور في العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري الأول من العشرين الميلادي وهو زمن الغزو مكن للذين استمرأوا حرفة التهريب التي أغدقت عليهم بقدر ما أغدقوا على المنطقة من السلاح "الرومي" الذي أصبح المواطنون في الجنوب الشرقي، والجنوب ثم الأطلس المتوسط يعرفون من بنادقه "لخماسية" و"اتساعية" أي ذات الطلقات الخمس والتسع، بل والسطاشية 16 طلقة ما أفقد المنطقة استقرارها، ثم نشر فيها التذمر من المخزن الضعيف العاجز، حتى عن انصاف المتظلمين، بل افتقد الناس الأمن والأمان على النفس والمال والولد، حتى أصبح الناس وكأنهم في عهد الفروسية، وهذا هو الجو الذي أوجد الريسوني ثم دفع به لذلك النوع من المقاومة الذي عرفته سواحل الريف، وبشكل آخر كان يعتمد على مطاردة البواخر وجر الآخرين بواسطة الإغراء بالأرباح الطائلة، حتى يقتربوا أو ينزلوا في الساحل، ووقتها يكون مصيرهم حسب إرادة رجال القبيلة التي انتهوا إليها، وكان هذا نوع من المقاومة الوطنية والغيرة الإسلامية يندفع نحوه المواطنون من أبناء تلك المناطق ما داموا يرون العدو الكافر

(146) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية، ومديرية الوثائق الملكية.

يتربص بهم ولا أحد يصده أو يحميهم من تدبيره ومكره، بل قواد المخزن الذين كانوا في مختلف القبائل أصبحوا عاجزين عن أي تحرك. وأحيانا وكما نرى من خلال الوثائق لم يعد بعضهم قادرا على حماية نفسه فضلاً عن تطبيق أوامر الإدارة المركزية، التي لم يكن يعنيها في الغالب من تلك المناطق المتاخمة للشاطئ وما فيها من المراسي غير الجبايات ورسوم الجمارك، وحتى إذا ما أرسل المخزن من الجنود ما يشد به أزر قواد المنطقة من أجل ذلك، فإن أولئك الجنود أنفسهم كثيرا ما يزيدون من حرارة التذمر وإذكاء نار الفتن بسبب تصرفاتهم اللامسؤولة والتي كان قوادهم لايستطيعون ردعها، بل يكتفون فقط بإخبار المخزن بها وبسوء منقلبها وفاسد أثرها، ذلك لأن المخزن لم يكن له من التنظيم العسكري ما يعتمد عليه في تموين أولئك الجنود بل كان يعتمد في تموينهم على ما يفرضه على تلك القبائل الضعيفة الموارد، التي كانت بدافع ظروفها كثيرا ما تلجأ إلى المماطلة، وأحيانا إلى إعلان عدم قبول ما يفرض عليها، مما كان يؤدي إلى تذمر الجنود وفرارهم من الخدمة، بعد معانات الجوع وألم القر في فصل الشتاء الذي لا يطاق في تلك المناطق، وأما الذين لم يفروا فإنهم كانوا يلجؤون إلى استعمال القوة ومصادرة ما في البيوت من طعام، وهذا ما استغله المخططون لأبي حمارة في المنطقة من الفرنسيين الذين دفعوا به حتى يتركز إلى قصبة سلوان التي كان السلطان إسماعيل قد أسسها وسط قبائل الريف، وليس هذا فقط بل انتهت العلاقة بالمخزن إلى أن بعض قبائل اجبالة والريف التي عمل القائد فيها على التمكين لسلطان المخزن دون مراعاة ما لمعاناتها، أن اتفقت ضده بشكل عرض كيانه للخطر بل بعضها مثل فرقة بني بوگافر بالكاف المعطشة، وهي فرقة من گلعية قتلوا عاملهم الحاج الدريوش، وهدموا داره، أما غيره من القواد الذين تعرضوا للتهديد أو الذين نهبت دورهم، فكثيرون كما نلاحظ من خلال الوثائق المخزنية(147) بل إن الفوضى والسيبة والنزاعات الفردية القبلية تمثلت في الريف أكثر من غيره في المغرب(148).

---

(147) رسالة البشير بن سناح الشركي بتاريخ 6 شعبان 1318هـ/1900م مخطوط خاص.

(148) راجع المنهال للعربي اللوه البقيوي الذي قص علينا مما عاشته قبائل الريف بل وهو نفسه الذي كان لزاما عليه حمل السلاح حتى وقت ذهابه لمكتب قراءة القرآن ولما يتجاوز15 سنة هو وأخوه أحمد ولذلك ارجعهما أعمامهما إلى القرية بعدما كانت أمهما قد رحلتهما خوفا عليهما إلى عمهما في تطوان 65ـ84 ط 1982م تطوان؟ وإن كان لم يؤرخ لنا العهد الذي أرخ له.

وهكذا استمرت المنطقة إلى أن تعرضت لغزو الأسبان الذين تسلطوا عليها باسم الحماية التي أنعم عليهم بها الفرنسيون كما سبق، وبذلك أصبح الناس فوضى لاسرات لهم غير من يتفقون على احترامه من الرجال إما لدينه وخلقه وعلمه، ونسبه، وإما لعصبيته وإما لدهائه ومداهنته وكبير مراوغته، وكثير من هؤلاء وأولئك عرفوا بين مختلف القبائل هنا وهناك، وهم الذين كانوا يعتمدون في بعض ما تعرف قبائلهم من استقرار وتوفيق بين الناس في المعاملات، ولئن طال هذا العهد قبل أن تتمكن إدارة الاسبانيين في منطقة اجبالة بقوة الحديد والنار أحيانا وأسلوب المكر والخداع أخرى، فإنها في الريف وبين قبائله ذات المناطق الوعرة لم تحقق أكثر من كسب بعض الأفراد ذوي المصالح ومن لهم بعض الشفوف عن طريق الشراء، ومنها قبيلة بني وريا غل ذات البطون المتعددة ومنها آيت الخطاب وامغارها عبد الكريم الذي ولى فيها وفي غيرها الجر لفائدة الاسبان والخضوع لهم بواسطة المال الذي كانوا يزودون به الفقيه عبد الكريم كما أخبرنا صاحب "أسد الريف" الذي سنتعرض له بعد.

لكن قبل أن نترك هذا الواقع الذي كانت تتخبط فيه قبائل الشمال عموما، وكثير من رجالاتها هنا وهناك، وجب أن نتعرف على ما تميزت به تلك القبائل عبر التاريخ وما يغلب على طبعها غير الذي تنتحله أقلية هادفة فيها.

لقد سجل التاريخ في حقها ما بين جبلية وريفية التعلق بالإسلام والتمسك به، وفيها كثير من التي فرت بدينها من الأندلس مضحية بكل ما كانت تمتلكه من متاع كبير ومال كثير، وقد بقيت وحتى اليوم تحتفظ بالاسم الذي كانت تعرف به في تلك الديار التي كانت تمثل جزءا من المغرب الذي يمتد إليه نفوذ الدول التي تعاقبت على الحكم فيه، كما سجل التاريخ وفي حق اجبالة أكثر، التعلق والتمسك بالتربية الإسلامية والشعور الطيب المنطوي على روحانية ساذجة يسهل معها استعمالهم ممن يستطيع التمكن فيهم حسب الاتجاه الذي قصد من خير أو شر، ولذا وكما سجل التاريخ ظهر فيهم الثوار، والمشعوذون، وحتى المتنبؤون الذين استهووا من بينهم من كانوا حطب نيرانهم، والفتن التي أشعلوها منذ عهد البرغواطية وزعيمهم حاميهم إلى عهد الفتان زيطان الخمسي زمن المولى سليمان ثم أبو حمارة من الأشرار، وغير هؤلاء من ذوي الغيرة الإسلامية

كالشريف محمد أمزيان، وأحمد الريسوني، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، وحميد والسكان، وأحمد الوهابي، في بني يسف والشريف محمد السليطن الخمليشي بتارجيست، وغيرهم من المقاومين الأخيار والأشرار أيضا.

إن قبائل الشمال عموما مهما بلغت من التمزيق والتفريق فإنه من السهولة العودة بها إلى التجمع والتوجيه نحو الخير إن هي وجدت القيادة المومنة الصادقة، وإلى الفتنة والشر إن هي وجدت المشعوذ الحاذق الذي يعرف كيف يزعم أنه يريد خيرها ويتزعم ثم يستولى على النفوس ويثير الدافع من الضغائن، ويستغل سذاجة القوم وبساطتهم عن طريق الدين، والتاريخ أكبر شاهد على أن قبائل الشمال تعرضت لذلك أكثر من غيرها من قبائل المغرب حتى إن فرانكو لم يحقق مطامحه في شعبه إلا عن طريقهم وبواسطة إثارة تلك الغرائز في نفوسهم، ويقول بروكلمان(149) عن أهل الريف الذين عرفوا أكثر من غيرهم في تلك المرحلة وذلك أثناء كلامه عن محمد بن عبد الكريم "الواقع أن المحاربين الشجعان أسدوا إلى فرانكو خدمات جلى في قتاله من أجل الاستيلاء على اسبانيا نفسها"، وإذا ما فعل بهم فرانكو ما فعل، وحقق بهم ما حقق بعدما كانت الروح القتالية في النفوس قد عرفت ما عرفت من الانهيار، فإنه كان من السهل على من كان قبله والنفوس بعد قوية بحب الوطن، وقتال الغزاة من الكفار، أن يحقق بهم أكثر مما حققه فرانكو، وهذا ما سيتحقق على يد محمد بن عبد الكريم الخطابي الورياغلي، الذي هو عند أبو حمارة الثالث الذي سيجتمع حوله عن حسن نية المختارون من أجل الجهاد،لا من بني ورياغل وقلعية وتمسمان الذين كانوا قبل في المعركة، والذين بهم التحق ابن عبد الكريم فحسب، بل كثير من القبائل سواء من اجبالة أو الريف ستقبل بحماس على الثورة التي عمل لها كثير من الأخيار بالإعلام بين القبائل التي استطاعوا اقناع الصالحين من رجالاتها بوجوب جمع الكلمة وضم الصفوف من أجل القضاء على فوضى الجهاد ضد الكفار، وهذا ما كانت تنشده كثير من القبائل حتى تلك التي كانت تأتمر بأمر الريسوني نراها ستنضم إلى ثورة ابن عبد الكريم بعد معركة أنوال، وربما بأمر من الريسوني

(149) تاريخ الشعوب الإسلامية ج 128/4 ط بيروت 1950م.

نفسه رغم كبريائه وحتى لا يتهم في نظرها، رغم أن الظروف حتمت الاتفاق على الهدنة مع الأسبان، أما غير هؤلاء فمنها تلك التي لم ولن تنسى قتلاها ظلما وغدرا وبرصاص الأسبان في المعارك التي خاضتها مجاهدة سواء مع محمد امزيان، أو أحمد الريسوني، أو احميدو السكان، أو محمد السلطين، على أنه لا يفوتنا أن نسجل أن بعضهم إنما عمل مع الثورة خوفا وطمعا، خصوصا وأن الورياغليين الأجديريين ما كادت الثورة تتمكن حتى تفتحت شهواتهم وظهرت غرائز التسلط في نفوسهم التي تفاعلت ثم انفعلت بما كان العدو الكافر يبذره من شرور الفرقة والتمزيق، بل من قبائل المنطقة من عرفت بطبعها الفاسد الغالب والذي لم يتأثر قط بعنصر الخير، وحتى إن هي اندست وتمكنت بدافع تحكم الظروف رغم أن القيادة كانت على علم بها وبأهدافها، لكنها لم تجد بدا من غض الطرف وترك القافلة تسير، مادامت عناصر الشر فيها أقل من عناصر الخير، حسب التقدير الذي ستظهر الأيام أنه كان خاطئا، ناهيك وأن أول زعيم لثورة الريف الذي هو الشريف محمد امزيان لم تنله يد الغاصب المعتدى وإنما قتل غدرا ومن قريب، وربما بيد أولئك الذين لم يكترث بهم أو أمثالهم من الذين هم أسباب الهزيمة في كل زمان ومكان وعلى كل سوف نتعرض لشيء من هذا حين ملاحظاتنا حول الأخطاء التي وقعت فيها الثورة.

ومهما يكن فإن ثورة قبائل الشمال التي قامت في الوقت المناسب والتي نالت إعجاب الجميع تعرضت للتشويه أكثر من غيرها من ثورات المغاربة التي لم تنقطع منذ وطئت أقدام الفرنسيين أرض المغرب العربي الكبير بالجزائر 1827م حتى إن التشويه لم يقتصر على الغرباء الذين لم يتمكنوا من دراسة حقيقة هذه الثورة ودوافعها والمحيط الذي وجدت وتمكنت فيه، بل وخلفياتها دراسة ميدانية ومنهجية سليمة قائمة على الرغبة المجردة من كل الدوافع إلا من حب تدوين الحقيقة للتاريخ، لأن ثورة قبائل الشمال،1920م إنما هي امتدادا للثورات التي عرفتها المنطقة منذ ما قبل وبعد حرب تطوان، كما هي كذلك امتداد للثورات التي عرفها المغرب ضد الاستعمار الفرنسي كذلك منذ بداية الغزو شرقا في اقليم توات، وعين صالح كما سبق، ومعنى ذلك أن هذه الثورة التي واتاها من الظروف ما لم تعرفه غيرها سواء من جهة الإعلام في الداخل والخارج ومطامع خصوم

الفرنسيين الذين هم الألمان سواء من الموقع أو من ناحية ظروف العالم وقتها بعد الحرب العالمية 1914م - 18 كما سنرى، هي ثورة كل ما سجلته من أمجاد لا تخص فردا أو جماعة دون جماعة بل هي من تراث المغرب وتعني المغاربة بدون استثناء، وأن كل من يحرفها أو يعمل على استغلالها في اتجاه ما يستهويه من الإيديولوجيات، يكون كمن دلس على المغاربة وأساء إليهم وإلى تراثهم، والذي يريد بواسطة الكتابة حول ثورة قبائل الشمال، أن يضفي على زيد أو عمر ما ليس له حسب الهوى، وإنما فقط من أجل أن يعلي من قدره نكاية في غيره، أو من أجل أن يرفع من شأن قبيلة على حساب أخرى من قبائل الريف، أو من شأن هذه القبائل على حساب الجبلية، كما حصل من بعض الذين كتبوا عن الثورة حسب الهوى، أو الذين انتقدوا حسب الهوى، ظنا من هؤلاء وأولئك أنهم يكتبون عن شيء لا يعرفه سواهم، ولذلك يلفقون ما شاءوا ويرقعون ما أرادوا، ونسوا أن كل صغيرة وكبيرة مما يعني الثورة من قريب أو بعيد إلا ودون في ساعته ويومه، وعن قرب مكين، وبأقلام وعقول لم يكن يعنيها غير التدوين والتدوين فقط، وسواء كان ذلك التدوين مما سيكون الوسيلة التي يعتمدها التاريخ، أو تلك التي ستستعملها وتستفيد منها السياسة، وهذا التدوين هو الذي كان الأولى أن يكتب عنه تحت عنوان "تقييم وعوامل انتصار الثورة". التي سطى عليها محمد بن عبد الكريم الذي حولها عن مسارها بتوجيه من الذين استغلوه بثمن بخس وهم الألمان.

وقبل تعرفنا على ترجمة الثائر قبل الثورة، وجب أن نتعرف على القبائل التي كانت مهيأة للثورة من غرب المنطقة وأرض جبالة إلى جنوبها حيث بنى مسارة وبنى زروال ثم إلى شرقها حيث بنى وراين، إلى بني يزناتن، وفي الجنوب الشرقي إلى وسط ملوية، وكلها لا علاقة تربطهما بابن عبد الكريم وإنما كان الدافع الأول والأساسي لها هو الغيرة الوطنية والتعلق بالحرية والدفاع عن الدين، إذا من هي تلك القبائل؟ قبل كل شيء نبدأ ببني ورياغل وإن كان الانتصار الأول الذي حققته الثورة في أنوال لم يكن على أيديهم وإنما لكون بعض الورياغليين منهم كانوا السباقين للتأطير إلى جانب زعيم الثورة والداعي إليها في أرض الريف، وهو محمد بن عبد الكريم الخطابي.

قبائل بني ورياغل وأفخادها مع بقية قبائل الريف(150)

وبقية قبائل الريف ككل دون أن ندخل في تفصيل الذين صدوا ونفروا لأول وهلة وهي بدون ترتيب ولا تحديد زمن انضمامها ولو فعلنا لبدأنا بقبائل جبالة التي قامت قبل قيام هذه الثورة.

آيت خطاب	آل زرعة منهم محمد بن عبد الكريم	بني اعمارت	آيت محمد اعبد الله
	آل مسعود أيوسف	بني بويفرح	آيت اعزيز
	آل علي ويوسف	بني سيدل	آيت يوسف
	آل محمد	تفرسيت	آيت اعمرو وشعيب
	بني بوعياش	بني وليشك	آيت اعمرو أبكر
	آيت على	بني توزين	آيت موسى وعمر
	آيت يوسف وعلي	بقيوة	آيت هشام
	المرابطين	بني يطفت	آيت قمرا
	ايت اعروص	مسطاسة	آيت ادريس
	بني حذيفة	بني كميل	آيت زكرا
	بني عبد الله	بني سبدال	آيت عيسى
	ارغيوة	اكتامة	آيت بوستاتة
	ومنهما من كانت تمقت عبد الكريم وأهله لعمالتهم للاسبان	أكزناية	آيت عمرو وسعيد
بقية قبائل الريف اجبالة		تارجيست	آيت علي وموسى
		بني يخلف	آيت جوهر
		بني مزدودي	آيت أمان
		بني أحمد	بني عرشان
	تمسامان	بني بوشيبة	بني بودرا
	آيت موسى	تاغزوت	بني حسان
	صنهاجة	بني خنوس إلخ	أولاد عمرو وأحمد
	كبدانة	بني بوكافر	أولاد عمرو أيحيى
	بني شيگر	زرقة	أولاد يحيى
	بني اسعيد	آيت محمد ايحيى	أولاد علي
	بني بويحيى	آيت مسعود	أولاد العربي
	قلعية	آيت ابراهيم	أولاد يخلف

(150) المرجع وثيقة مخزنية وبني ورياگل من قبائل صنهاجة ، وهم الذين أووا ابن تومرت في ملالة على بعد فرسخ من بجاية حيث التقى بعبد المومن بن علي كما سبق، وهو ماسجله ابن خلدون في العبر 467/6.

أولاد اسلامة
أولاد بوعلي
أولاد منصور
أولاد موسى
أولاد عمر
أولاد بوطيب
أولاد عيسى
أولاد صالح
أولاد لحسن
أولاد ميمون
أولاد حدو ورحو
أولاد كايد
أولاد عرف
أولاد حدو وعلي
أولاد واحسين
أولاد أحمد
ومن بني مساره
بنوقيس
بنو يمل
بنو راوس
الحجرة
امتيوة ومرابطيهم
بنو مرشد
أولاد كنون الشرفاء
أهل الوطا
حجرة بني يعيش
بنو كله
أولاد خيرون
ومن بني زروال
الجاية
صنهاجة الظل

صنهاجة الشمس
بني ابراهيم
بني مكة
بني ملول.
تمس
أولاد خيرون
تارجيست
بني يخلف
بني مزدوي
بني أحمد
بني بوشيبة
تاغزوت
إيعجاج
بني اسماعيل
بني اخيار
بني شيكر
بني حماد
ايت عبد الحميد
أولاد الفرح
أولاد بن علي
آيت باطين
بني عباد
احنون
بني زهنا
بني منصور
ايشملالن
آيت بوحسان
ايغزارن
امْغيلة
بني يازغة
ايت سادن
آيت صغروشن الشمال

بني بوناصر
غياتة
بني وجان
مكناسة الطائفة التسول قبل أن يتولى عليها العميل الخائن البشير
البرانس
آيت زكوط
بني اعلاهم
صنهاجة
بني بويعلا
مرنيسة
بني ونجل
فناسة
أولاد بوسلامة
بني وليد
أكنول ناحية تازة
أولاد حدو
أولاد حمو بن عمر
أولاد لحسن اموسى
أولاد عبد الله
آيت حمرا
بني موسى
أولاد لحسن
أولاد بوعز
أولاد بويحيى
أولاد منصور
بنى بوجطون
أولاد دراين.
كما انضم إلى الثورة كثير من رجال قبائل الشمال الشرقي

(*) المصدر ورثيقة مخزنية تحتوي على فرق بني مسارة وبيان سرفائهم.

بني يزناتن وما تفرع عنها
وكثير من أشرافها
بني وراين وما حولها ثم
البرانس آيت زكوط
بني اعلاهم
صنهاجة
بني بوجطو، وهؤلاء لهم إخوة
بفرطاسة من جبل زرهون
بقية القبائل المجهولة في تاريخ
الثورة الريفية
أولاد الطاهر
أولاد غنام
أولاد حرور
أولاد سيدي عثمان
أولاد موسى امنصور
أولاد مريم
أولاد حدو بن اعلي
أولاد محمد وعلي
أولا حمو ومنصور
أولاد عبد الله بن الطالب احمد
أولاد تابيا
أولاد الطالب
أولاد الحاج
أولاد سيدي يعقوب
أولاد الناصر
بني وكيل
أولاد ملوك

أولاد علي بن حمو
أولاد داود
أولاد حدو
أولاد أحمد
أولاد محمد
أولاد علي بن حمرا
أولاد رحو
أولاد محمد
أولاد عثمان
أولاد عبد الرحمن
أولاد عبد الله
أولاد عمر
أولاد يحيى الوطا
أولاد رحو بن عيسى
أولاد محمد امزيان
أولاد حمو ملوك
أولاد أحمد بن علي
أولاد يوسف
أولاد عبد السميح
أولاد محمد العالية
أولاد أحمد احدو
أولاد زلطونة
أولاد اعزيزة
أولاد الطالب الهادي
أولاد علي وأحمد
أولاد يوسف الكبير(151)
أولاد احمد اموسى

أولاد مسعود
أولاد بوعبيد
أولاد محمد واعبيد
أولاد برجو
أولاد بوجمعة
أولاد ناصر
أولاد رحو
أولاد اسماعيل
أولادبوشعيب
أولاد حسان
أولاد محمد واسماعيل
أولاد زكليت
أولاد بيبي
أولاد بلعيد
آيت عبد العالي
أولاد الحاج
آيت رحو
أولاد الزهراء
أولاد القويع
أولاد فارس
أولاد ادريس
أولاد بن زوينة
آيت تيزنيت
آيت يعقوب
آيت يفرن
آيت بني توزين
بني حرمان

(151) إخوانهم في تافيلالت ضمن قصور تابع صامت، وقد كان الذي نقلهم إليها هو المولى الرشيد حين اخلى تابع صامت من أهلها الذين نقلهم إلى وادي نول، وذلك في الوقت الذي نقل فيه أولاد يوسف قصر بتافيلالت معروف حتى اليوم في جبل زرهون، نقلهم من أنكاد، كما نقل الشراقة، وأولاد جامع، وبني اسنوس وحميان إلى ناحية فاس ومن أولاد يوسف زرهون الجلالي بن ادريس أبو حمارة.

لقد اخترت أن أتعرض لذكر هذا العدد من القبائل والأفخاذ والبطون التي بلغ تعدادها خارج قبيلة بني وریاغل نحو 227، ولولا بعض الاعتبار لتماديت في تسجيل غيرها ممن ثبت وتأكد أنها شاركت فعلا في القتال وما قمت بهذا التسجيل رغم ما يلاحظ من مجهود للحصول على ذلك إلا لأدلل به على أن ثورة قبائل الشمال التي أمكنها الحصول على الذخيرة والسلاح وما يمكن أن تقوم به ثورة شاملة يمكن للشعب أن يحقق بها أهدافه في التحرر وطرد المستعمر لم تعتمد لا على الريفيين وحدهم، ولا على الجبليين وحدهم، بل وكما سنرى كان من عوامل إدخال الضعف والوهن أخيرا بين صفوفها هم بنو وریاغل الذين سبقوا إلى تأييد متزعم الثورة ورائدها ونظرهم المرحوم محمد بن عبد الكريم، وقد ظهر بعد أن بعضهم إنما فعلوا من أجل تحقيق أهداف مادية، ومع ذلك فإن عددهم ضمن القافلة كان بنسبة ضئيلة إذا قورنوا بغيرهم، وأنهم أيضا كانوا السابقين لهدم الثورة كما سنرى ضدا في زعيمها، بل وبدافع العنصرية الضيقة ونقمة على اخطاء والده كما سنرى.

لقد ذكرت بعض الصحافة المعاصرة أن عدد الرجال المقاتلين الذين كانوا يؤطرون قوات العدو وقوات الثورة، وصل إلى 182000(152) وهذا الرقم ولا حتى نصفه أو ثلثه، بل ولا عشر عشره ما كان ليوجد بين قبائل الريف فضلا في بني وریاغل، لكنه كان من غيرهم، ولولا ما حصل من سوء تصرفات بعض الوریاغليين لأمكن أن يرتفع العدد إلى أكثر مما قيل، دون أن يكلف إلا قليلا، وحتى التكاليف لم يكن من الصعب الحصول عليها من تلك القبائل التي تطوعت بدفع أبنائها للجهاد في سبيل الله وقد حصل ، ومهما يكن فإن القبائل المشار إليها، والتي كانت قوام الثورة، هي الموجودة في المنطقة التي انتشرت فيها الثورة، وفي أراضي هذه القبائل كان ميدان ومجال الملاحم بدءا من تمسمان إلى أعالي وادي ورغة إلى كيفان ثم تازة إلى تافرانت ووزان، وأرض جبالة إلى تطوان شمالا، مرورا بالساحل، إلى مليلية كما سنرى.

هذه القبائل هي التي زودت الثورة بتلك الأعداد الكبيرة من الرجال الذين لا نزال

(152) راجع كريم خليل ثابت عبد الكريم والحرب الريفية ص 31ـ35ـ45.

نجد بعضهم فيها على قيد الحياة، وبعضهم يحكى قصة حياته وحياة بعض الأبطال الذين جاهدوا في سبيل الله دفاعا عن الدين وعزة الوطن، لكنهم مع ذلك لم يتعرض التاريخ لذكرهم ولا لذكر قبائلهم التي عرفت الكثير من المعاناة والظلم، وبعدما جردت من السلاح ـ بقليل ولا كثير، وحتى نؤكد ما سبق حول أعداد الجيوش التي كانت قوام الثورة وأنها كانت من مختلف القبائل وأن قبيل زعيم الثورة كانوا دوما في المؤخرة وذلك من امتيازاتهم كجيش نظامي له معاش ومهمته حراسة الزعيم والعاصمة التي هي أجدير، مركزي بني وريا غل تقول تلك المصادر:

"كثيرين يتساءلون عن القوات التي أعدها زعيم الريف الكبير لمقاومة الفرنسيين بعدما فاز بمقاومة الأسبان وإجلائهم عن الجانب الأكبر من منطقتهم، وقد ظلوا يحاربون الريفيين أربع عشرة سنة متوالية ثم عجزوا عن قهرهم واخضاعهم وبسط سلطتهم عليهم، مع أن عدد الثائرين لم يناهز عشرين ألفا إلا في السنة الماضية ـ يعني 1924 ـ فقط، على قول العارفين، في حين أن الجيوش الاسبانية كان يتفاوت عددها بين خمسين ألف رجل مائة وعشرين ألفا أضف إلى ذلك ما عندها من معدات الدفاع والهجوم الحديثة وهذا علاوة على الأموال الطائلة الموضوعة تحت تصرف الحكومة الاسبانية.

وقد اختلفت الآراء في تقدير قوات بن عبد الكريم، وإذا صدق الحديث الذي نشرته أخيرا جريدة "الصنداي تايمس" الأنجليزية وقالت إن زعيم الريف أفضى به إلى مكاتبها في المغرب الأقصى فيكون عند بن عبد الكريم 160000 لم يستخدم منهم سوى ستين ألف حتى الآن؟

أما مراسل جريدة الطان ـ الفرنسية ـ في فاس، وهو طبعا على اتصال بمركز القيادة العامة الفرنسوية، فيقول : إن قوات عبد الكريم تقدر بسبعة وعشرين ألف مقاتل في جنوبي نهر الورغة وسبعة آلاف مقاتل في جهات قبائل صنهاجة، ومجموعة هذه القوات 40000 مقاتل يضاف إليهم 10000 مقاتل من القبائل التي ضمها إليه عبد الكريم على ضفاف نهر الورغة، فيكون المجموع 50000.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إن عند عبد الكريم 23000 مقاتل في جهات منطقة وزان، جندهم من قبائل غزاوة ورهونة وبني مسارة، وعند عبد الكريم 10000 مقاتل من

بلاد اجبالة، نصفهم يحارب الاسبان والنصف الآخر يقاتل الفرنسيين، فإذا أضفنا هؤلاء المائة ألف إلى قوات عبد الكريم في وزان وعددها 23000 إلى قواته التي ذكرنا في أول هذا البيان وعددها 50000 كان عند عبد الكريم 182000(153) مقاتل إلخ ثم استمر الكاتب في تبيان القبائل التي يعتمد عليها من غيرها، وعن التي انضمت طوعا من غيرها إلخ وحتى إذا ما دخلنا الشك والريب في رواية مراسل جريدة الطان هذه، فإن رواية السيد محمد بن محمد أزرقان الواردة في جوابه عن مراسلة الكاتب العام الإسباني "ديكو سيندار" بتاريخ 14-7-1923م = 30 ذي قعدة 1341هـ والتي أورد فيها أن عدد مقاتلي الريف200000 هم القوة المدافعة على دولة الريف التي يبلغ تعدادها مليون على حد قوله حيث قال:

«تحية وسلام، وبعد فاستلمت كتابكم المؤرخ 30 ذي القعدة في الساعة الثانية نهارا من سابع ذي الحجة الحالي، والذي يشبه الإخطار النهائي لنا، الأمر الذي استغربناه إلى النهاية من كل الفصول ومن جميع الوجوه، وذلك زعما من أن القاعدة تقضي بوجوب متابعة المخابرة بواسطة الوفد الذي عيناه، والذي يمثل أفكار الشعب الريفي الذي هو عبارة عن أكثر من مليون نفس، ويربو عدد المقاتلين منه على مائتين ألف إلخ(154) ومعنى هذا أن العدد المشار إليه لايمكن أن يوجد إلا في مجموع القبائل المشار إليها، والتي كانت مهيأة للثورة وبعضها شرقا كان يخوضها منذ أكثر من عشرين سنة، أما في المناطق الأخرى جنوبا، وإن كانت المعارك ساخنة في جهات متعددة، فإنه أصبح للفرنسيين قدم راسخ في الساحل ما بين مراكش ووجدة، وإن كان في الأغلب قاصر على المدن فقد تمكنت قوات الفرنسيين في الفترة السابقة لإعلان الحرب العالمية، وكما رأينا من احتلال مدينة تازة في 10/5/1914م الأمر الذي مكنها من وصل الشرق بالغرب، كما تمكنت من الاستيلاء على خنيفرة في 12-6-1914م وبذلك أبعدت حرب قبائل الأطلس المتوسط نحو الداخل.

لقد عرفنا أن الهجوم علي مدينة تازة كان بالزحف عليها من الضفة اليمنى لوادي

(153) المصدر السابق كريم خليل ثابت.
(154) نفس المصدر ص 45.

ملوية، كما اشتمل على عمليات ساخنة من جنوب وادي ورغة في الشمال، وفي غرب تازة، وكان قائد العمليات تلك هو الجنرال غورو الذي لقي مقاومة عنيفة من كل قبائل المنطقة، خصوصا تلك التي قادها كل من القشتالي والمدني، والذي اشتد إلى درجة أن قبائل المنطقة طمعت في الدخول إلى مدينة فاس، والثأر من ذوي الحمايات فيها، الأمر الذي دفع إلى أن يقدم الجنرال اليوطي نفسه لميدان العمليات يوم 8-5-1914م ليقود عمليات غزوه لمدينة تازة بنفسه حيث جمع لها قوات كبيرة من الشرق والغرب، ومع ذلك كلفهم دخول مدينة تازة الكثير جدا مما نستدل به على مدى حماس قبائل المنطقة وتعلقها بحريتها، وتلك هي التي ستكون الدرع القوي والواقي لثورة قبائل الشمال، حين تقوم ويتحقق لها ما يتحقق من نصر في معركة أنوال، وإذا ما أعلنت الحرب العالمية، وكان على اليوطي حسب أوامر حكومة بلاده أن يرسل من القوات أكثر ما لديه في المغرب فإنه في ذلك اعتمد على إسم السلطان وجند من المغاربة عشرات الآلاف أرسلهم إلى ميدان القتال ضد المحور، كما كان يطلق على الألمان وحلفائهم، وكان ذلك منه حتى توافق حكومة بلاده على الخطة التي رسمها للتمسك بالمغرب، كما أشرنا قبل، لكن اليوطي رغم كل التدابير التي اتخذها، ورغم سطوه على السلطة الشرعية وتشريعه ما شاء بواسطة المجرم الكبير في حق الدولة والشعب الذي هو محمد كاباص المدعو "الجباص" فإنه أي اليوطي عرف مرارة الهزيمة في أكثر من جهة من جهات المغرب الأمر الذي جعله فقط، يحاول الاحتفاظ بالمواقع التي انتهى إليها، ومع ذلك لم يستطع في كثير من المواقع في الأطلس المتوسط، تادلا وما جاورها، وتافيلالت وما حولها، وتازة والقبائل المحيطة بها، ناهيك وأنه انشغل بالوجود الألماني في المغرب بطريقة أفقدته صوابه وتوازنه، ولسوف يكون لوجود الألمان أثر في الثورة التي قادها محمد بن عبد الكريم الورياغلي. ومعهم بعض الأتراك كذلك.

كانت الإقامة العامة بحكم عقد الحماية الذي صير فرنسا الممثلة للمغرب فيما يتعلق بشؤونه الخارجية، قد وضعت خطة للخلاص من الوجود الألماني النمساوي في المغرب وبذلك سلمت لهم جوازات سفر خاصة في طنجة، كما هيأت لهم في نفس الميناء طرادا فرنسيا ينقلهم إلى أقرب ميناء في إيطاليا، حتى يرجعوا إلى بلادهم، وقد عجلت

بذلك حتى تبعد خطر الألمانيين عنها في المغرب الذي كان كثير من رجاله قد اعتنقوا الحماية الألمانية منذ ما بعد زيارة غليوم المسرحية 1905 والتي نتج عنها عقد الجزيرة1906م، وإذا هي تخلصت من الألمانيين والنمساويين، فإن لائحة المحميين المغاربة خصوصا الناقمين منهم على الفرنسيين تطوع بها عميل ساقط" دنيء له حساب مع الألمانيين الذين كشفوا عمالته مع الفرنسيين قبل عام 1910م للمولى عبد الحفيظ وهو عبد الله الفاسي المشار إلى فضيحته قبل، والتي أوردناها كذلك في كتابنا "التاريخ المفتري عليه في المغرب ص 80 ط 1969" فقد تطوع هذا العميل المنحط بجمع أسماء كل المحميين الألمان الذين كان على علم بهم بحكم عمله بوزارة الخارجية، حيث نمق اللائحة بالألوان ثم قدمها إلى اللجنة المكلفة بذلك، وكانت إدارتها بمقر وزارة الشبيبة والرياضة اليوم، وكان في نفس الإدارة كترجمان القاضي السيد أبو بكر بن أحمد بناني الرباطي، وبواسطة تلك القائمة يقول الراوي نكبت أسر وضاع رجال، وإذا كان العميل الخبيث يهدف من ورائها إلى جزاء كبير فإنه لم يكن غير كاتب خاص للخليفة السلطاني بفاس الأمير المامون بن المولى الحسن، حيث بقي في ذلك الوظيف إلى أن مات بمرض لم يجد له دواء، بل أخرج الله لسانه بشكل عجيب حتى تدلى على صدره بأكثر من شبر يقول من حضر.

كانت فرنسا قد جمعت المحميين الألمانيين وما تبقى مما زاغ من النمساويين، ثم أرسلت بالجميع إلي حبس أليم بمدينة دبدو حيث الحي اليهودي بشرق المغرب، قرب تازة، بل ولم تكتف بذلك، بل أعدمت بعض الألمانيين وعملت على جمع الأتراك والمتعاطفين مع الأتراك في المغرب، ذلك لأن هؤلاء كانوا في الحرب إلى جانب الألمانيين، كما كانت جماعة الجهاد الإسلامي المنبثقة عن الجامعة الإسلامية قد بدأت تتحرك في ربوع شمال افريقيا منذ 1907م ثم هي ظهرت بنشاطها في المنطقة الشمالية من المغرب التي كانت خاضعة للنفوذ الاسباني، ولما يتمكن منها، بل كانت مختلف جهات المنطقة تعرف حروبا يخوضها الريسوني، خصوصا في المنطقة ما بين الشاون وتطوان والعرائش، الأمر الذي دفع الكثيرين ممن لاقوا أشد المضايقات من الفرنسيين في منطقة نفوذهم إلى أن يهاجروا للمنطقة الشمالية، خصوصا في الوقت الذي نشطت فيه جماعة الجهاد الإسلامي والتي ظهر من بين رجالها في المغرب كثير من الأتراك الذين عرفهم العهد العزيزي والعهد الحفيظي كما سبق ثم هم ربطوا نشاطهم مع إخوانهم الذين جردوا

امكاناتهم للدعاية الإسلامية في كل من ليبيا، تونس، والجزائر، والمغرب، حيث اتصلوا بالمولى عبد الحفيظ والمولى عبد العزيز، كما اتصلوا بالريسوني، وبجماعات كثيرة في الريف ثم أيضا بالهيبة ابن ماء العينين كما سبق، فأخذ الفرنسيون يشهرون بتلك الاتصالات ويؤكدون أن كل واحد من أولئك الذين اتصل بهم الألمان أو الأتراك يكون في حد ذاته خطرا على السلطان الذي هو المولى يوسف وقتها، وذلك حتى يتمكنوا من التصرف المطلق الذي كانوا يشيعون أنهم إنما يهدفون بأعمالهم حماية السلطان فقط، خصوصا عندما ظهر عبد الملك بن محيي الدين باشا، عضو مجلس الشيوخ العثماني السابق، وكان عبد الملك هذا قد عمل مع المخزن في عهد المولى عبد العزيز(155) بعد ما فر هو الآخر من حاشية عبد الحميد الثاني، وفي سنة 1915م استطاع أن يقوم مع جماعة من قبائل الشمال وان يربط الاتصال مع محمد احمو الزياني صهر السلطان عبد الحفيظ، ومع "سيد" رحو شرقا كذلك، لكن قوات عبد الملك لم يكن في مقدورها مواجهة ما أعدت لها فرنسا من قوة فغلبت على أمرها وتفرقت بالحملة التي وجهت لها يوم 27ـ1ـ1916م فتوجه عبد الملك إلى المنطقة التي هي تحت النفوذ الاسباني، كما بقي الاقليم الواقع بين وجدة وتازة مسرحا للعمليات الحربية حتى نهاية العقد الثاني، ووقتها أمكن لجماعة الجهاد الإسلامي أن توجد في المنطقة الواقعة تحت نفوذ الاسبان ميدانا لنشاطها الذي زكاه المولى عبد الحفيظ، مما سيكون السبب في اختطافه من اسبانيا وأخذه إلى فرنسا بعدما تأكدت اتصالاته ونشاطه في المنطقة وتوزيعه المال من أجل بعث الثورات ضد الفرنسيين، فلم يكن من الاسبانيين إلا أنهم تنازلوا عنه تحت الضغط رغم أنه كان في أرضهم، وأبناؤه في مدينة طنجة، وكان ذلك يوم أعلنت الثورة في الريف حيث استغلت أمواله لقيامها كما سنرى.

---

(155) لقد حاول الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور أن يسيء إلى تاريخ هذا البطل الذي كان همه الشاغل هو الانتقام من الفرنسيين، وتاريخه معروف شرقا وغربا راجع ما كتبه الجاسوس المشهور في أعلامه حول المغرب العربي ج 320/1 ط الملكية الرباط 1979م، ومثل ما قاله عن الشريف عبد الملك قال أكثر منه عن عيسى بن عمر العبدي العدو اللدود للفرنسيين وصديق الألمانيين، وهي الصداقة التي انتقلت إليه من المولى عبد الحفيظ الذي كان عيسى بن عمر يمثل وزير خارجيته والذي دفع ثمنا غاليا حيث صودرت ممتلكاته وابعد مشردا إلى مدينة سلا التي مات فيها مجهولا ولم يعرف الا بعد موته بثلاثة أيام يقول الحاج العربي بن سعيد وجماعته وهم من الذين تعرفوا عليه.

مجموعة من الوثائق منها ما يرجع إلى نهاية القرن 19 تعرفنا على واقع منطقة الشمال وتاريخها في ظل المخزن

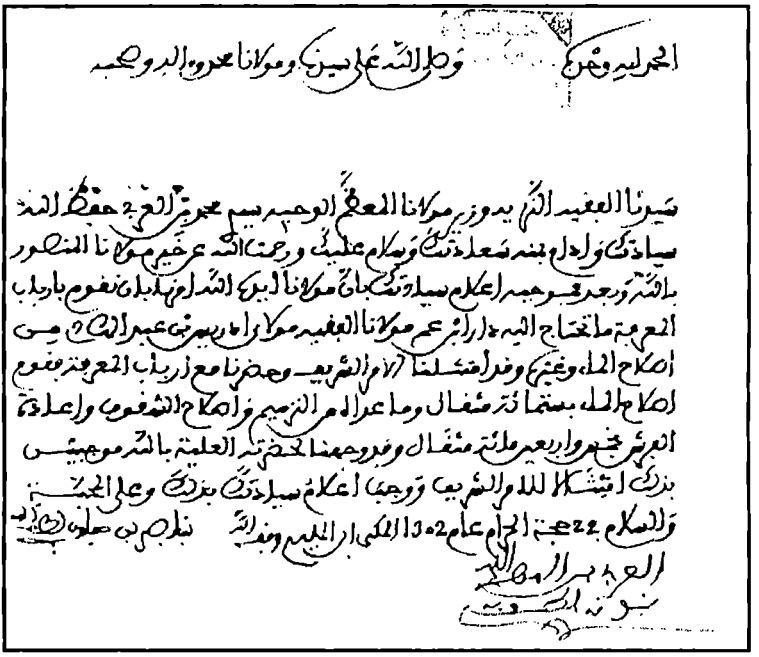

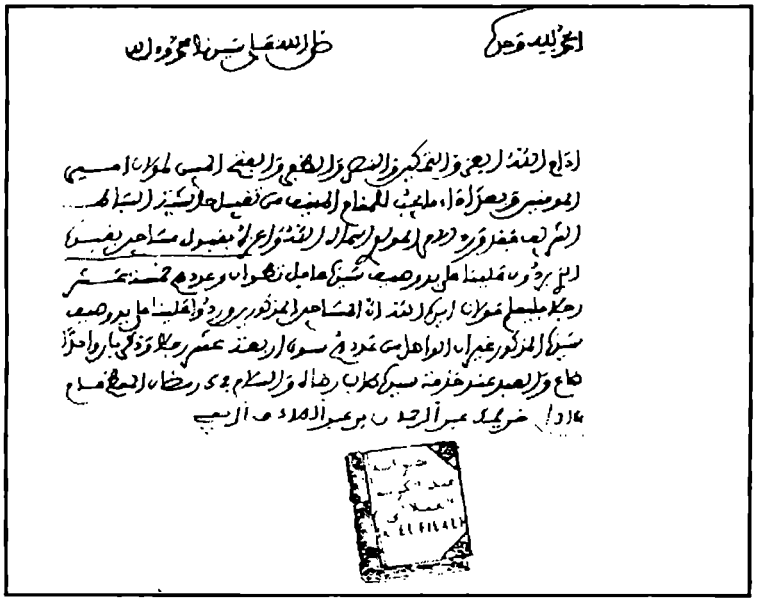

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله النصر والتمكين والظفر والفتح المبين لمولانا أمير المؤمنين بعد
تقبيل حاشية البساط الشريف وأداء ما يجب لمولانا من الإجلال والتشريف
فقد ورد على الخدير الكتاب الشريف في شأن شكاية أعيان الجيش الريفي
بأن فسادا من مدشر الرمان الأنجر هجموا على مدشر من مداشر الفحص نهارا وأخذوا
لهم عددا من البقر والخيل وقتلوا رجلا وجرحوا آخرا وقبضوا على رجلين
ولا زال الكل عندهم فليعلم مولانا أعزه الله وأن حقيقة ذلك هو يوم عمارة
الموسم سابع عيد النبوي يرد الناس للعمارة من كل جهة رجالا ونساء
وأطفالا ثم إن آل مدشر بوكدور وآل مدشر دار أزهير الفحصيين اختطفوا
امرأة أنجرية من مدشر الرمان المذكور فقام آل الرمان بالشكاية على عامل
المذكور ثلاث مرات ولا التفت إليهم فجاءوا آل الرمان وأخذوا لهم بعض
الماشية كفافا على عادة القبائل ليتوصلوا بحقهم وفي ذلك اليوم دخل
أعيان القبائل بالصلح بينهم وردوا الفحصية المرأة لآل الرمان وهم أرجعوا
لهم ما أخذوا من الكسب ووقع الإبراء بينهم مثبوتا رسما بما نسخته دفعناها
لنائب مولانا وبهذا وبما أعلام حيدرنا وله النصر والعبد على خدمته طالبا
منه صالح أدعيائه والسلام في 20 جمادى الثانية عام 1319

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا في الله ومن أجله الشريف الجليل الرفيع الأصيل العلامة النبيل
الأريب الأديب الحسيب النسيب مولاي عبد الرحمن صنو سيدنا المنصور بالله
رعاك الله وعلى سيادتك السلام التام والرحمة والبركة على الدوام
بوجود مولانا نصره الله وبعد فقد وصل الأعز كتابك وصار جميعه
بيان وما نحن إلا عبيد داركم السعيد ومن جملة خدامكم والخدمة
تحت أقدام داركم الميمونة هي أصل الربح الدنيوي والأخروي غير أن
الهواوري والفريجيين وأولاد أبي الهيم ضربوا في هذه الأيام على بعض
تجار الأجانب وأشهبوا له عددا كثيرا من البقر وضربوا صاحبه تركوه
على فراش الهلاك ودمي عليهم بذلك وخصوصا الهواوري فإنهم
أبدوا في الهجم على الناس ونهب الأموال وأعادوا وجروا لنا محاكمة
مع المركان وغيره وكتب لنا الفقيه الطريس بتوجيههم فلم يرفعوا
لذلك رأسا وعلى كل حال فلم يبق لهم شغل إلا النهب وذلك عادتهم
قديما وإن ارتبت فيما ذكرناه لك فابحث عنهم عمال الغرب وأهل
العرائش وغيرهم من الجوار وأنت يا سيدي سلالة طاهرة لا يصلح لك إلا
من كان مهذب الأخلاق عاري من النفاق جار على منهاج الإسلام
وهؤلاء صار الفساد لهم جبلة لا يرجعون عنه إلا بالجد ونحن نجتهد
أن تكون ناحيتنا طاهرة من أمثالهم فلتكونوا في عوننا والله في عون
المرء ما دام المرء في عون أخيه سيما استمرارهم على فعلهم ربما يثير علينا
بابا من الفتنة يعمر سدها والفاسد لا يصلح لخدمة جنابكم الرفيع ونحن لا نشك
أنك لا تقف على ما هم عليه وإنما يقع عليك التلبيس من الغير والموت
غرهم وعلى الأخوة وخالص المحبة والسلام في 12 محرم الحرام عام 1320

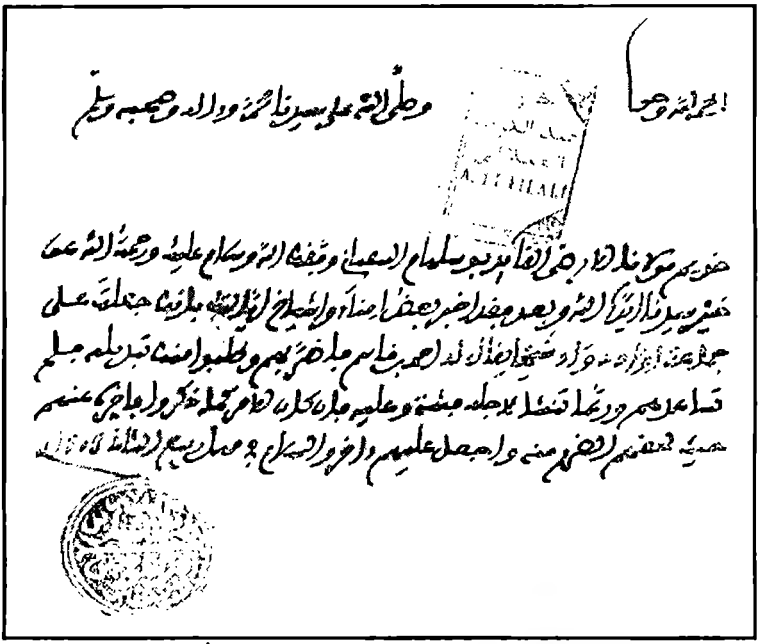

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

وزير سيدنا نصره الله الفقيه الأعز الأركى الأنفع سيدي [illegible]
الوزير الفقيه سيدي العربي بن المختار رعاك الله وسلام
على سيادتكم ورحمة الله وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره
وبعد وجب إعلام سيادتكم وأن [illegible]
قدموا عند [illegible] من بلاد [illegible]
و[illegible] وطلبوا اطلاع العلم الشريف بما [illegible]
[illegible] وطلبوا من جانب سيدنا العالي بالله أن تولي
عليهم خديم سيدنا القايد محمد [illegible] والقايد محمد بن [illegible]
[illegible] وكذلك [illegible] العلم العزيز [illegible]
[illegible]
والنظر لسيادتكم حفظكم الله وعلى [illegible]
صالح الأدعية والسلام 3 جمادى الأولى عام 1301

خديم سيدنا نصره الله
محمد بن أحمد العبسي وفقه

A. EL FILALI

خزانة
عبد الكريم
الفيلالي
A. EL FILALI

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى القائد [illegible] وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله وبركاته وبعد فقد بلغ لشريف علمنا أن [illegible]
[illegible] مولانا [illegible]
[illegible]
[illegible]
1307

وسريف هي قبيلة آل الفاسي القصري التي تحولت إلى الفهري

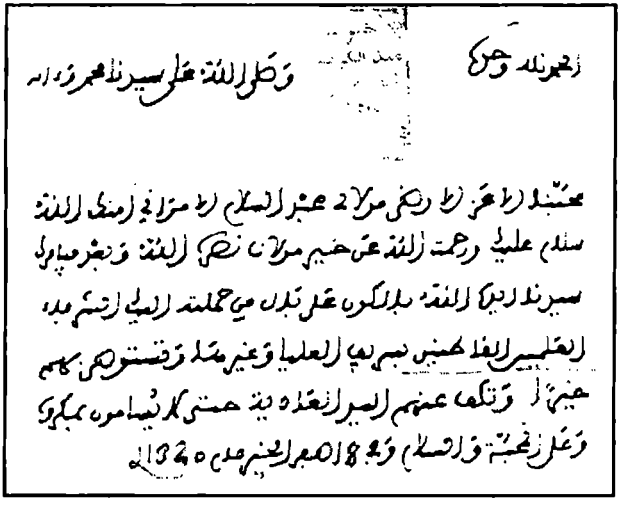

مراسلة عبد السلام اللمراني للسلطان حول قبيلة بني مزكلدة إحدى قبائل الجبل

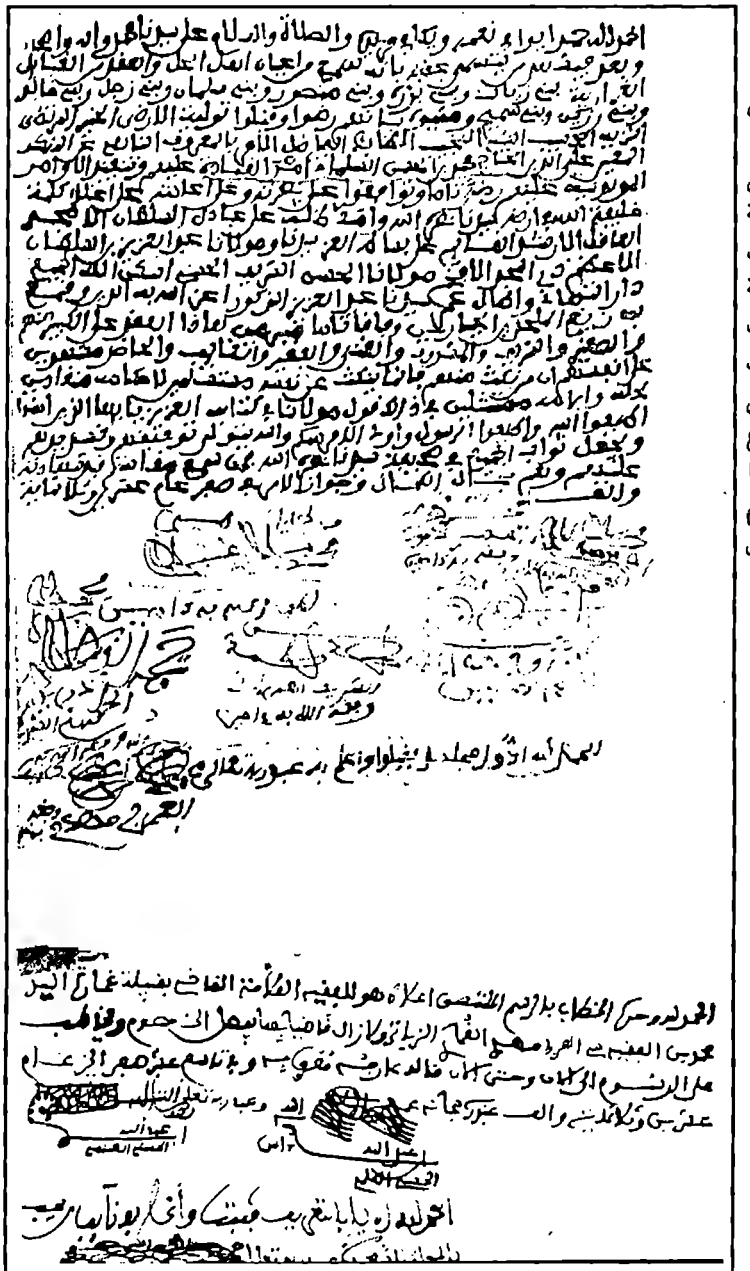

يستفاد من الوثيقة أن من أسباب الثورات التي عرفتها قبائل في الشمال أيام المولى عبد العزيز استبداد الحاشية التي عرفت بالفساد بعد موت الحاجب أحمد بن موسى وتولية أبن لمفضل غريط المعروف بسكره وعربدته، فبعد ما كانت السلطة في القبيلة تستند إلى اختيار وتراضي أصبحت تباع وتشترى وهذا مثال على ما كانت عليه السلطة فيها ويحكم بمقتضى الشرع وهذه القبائل هي:

غمارة
بني خالد
بني ازيات
بني رزين
بني برزة
بني سميح
بني منصور
امتيوة
بني سلمان
بني زجل

وبالتالي فكيف بالشريف الأصيل أحمد الريسوني لايمتشق الحسام لحماية قومه وفرض سلطانه

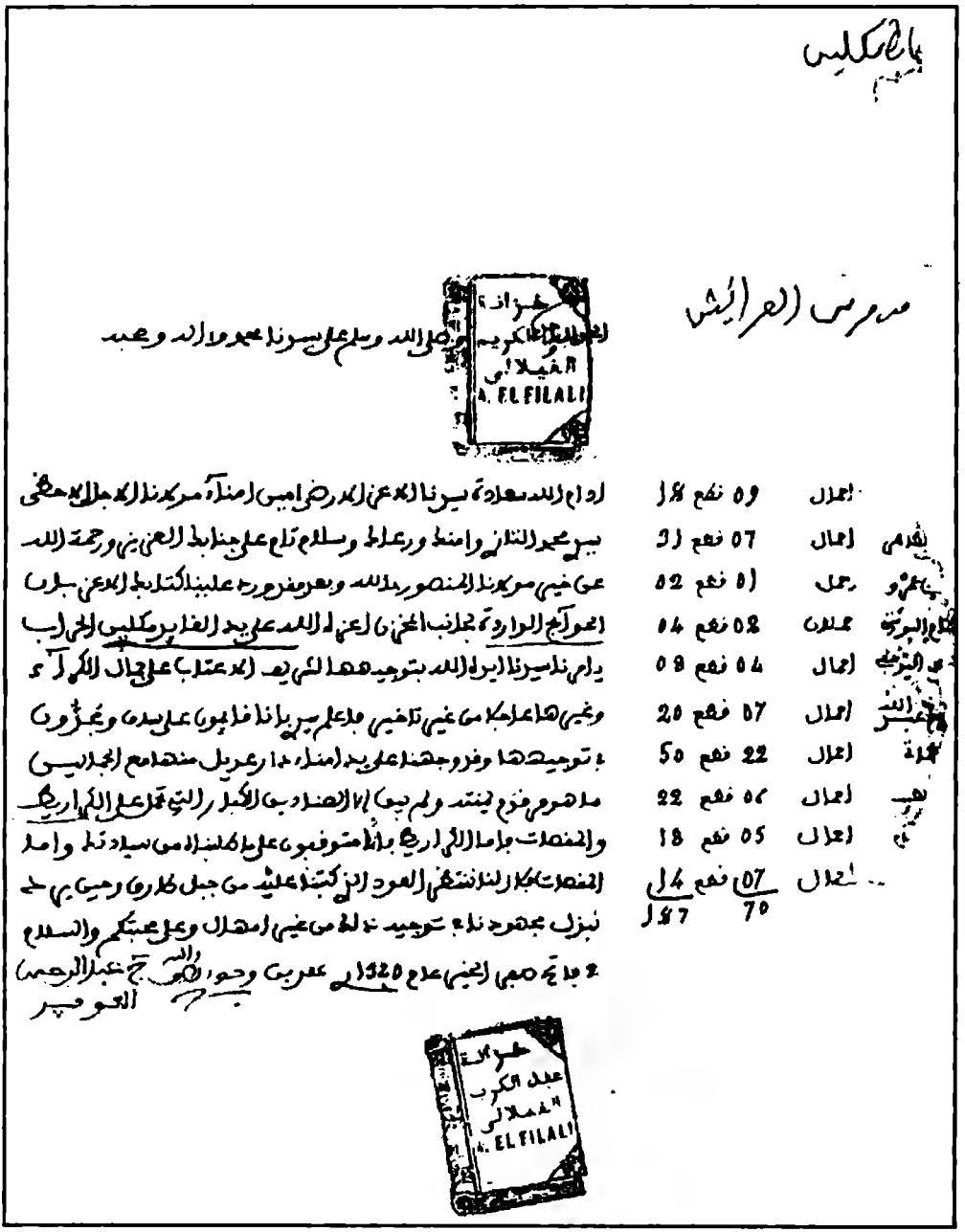

كيف كان الضابط الانجليزي ماكلين يخرب المغرب وخصوصا بعد موت أحمد بن موسى

[illegible] نسخة من [illegible] الوضع لبابور الاسبنيول [illegible] الوارد
من جبل طارق في تاريخ ١٧ ربيع عام ١٣١٩ الموافق [illegible] عام
١٩٠١

COMPAÑIA TRASATLANTICA.

Agencia de Tánger.

Copia de la carga que conduce el Vapor Joaquin Pielago *procedente de* Gibraltar *con destino á* Tánger

N.º del conoct.º	Marcas	N.º	N.º de bultos	Clases	Clase de la mercancía	Peso	Embarcantes	Consignatarios	Observaciones
1.	H	1/4 x	4	Cajas	agua Mineral			[illegible]	
							Tanger á 10 de Julio 1901		

ابروب ازويك [illegible]

[illegible]

N° [illegible] منشط ما وضع بابور كورى (اوراسيلس) الوارد في [illegible] (اول عام ١٣١٩) الموافق [illegible] عام ١٩٠١

MANIFESTE *des Marchandises chargées sur le Steamer* Corine

Capitaine Bernier *allant à* Mogador

Départ du 21. Août 1901

NUMERO D'ORDRE	DESTINATIONS	MARQUES ET NUMÉROS	COLIS ET DÉSIGNATION	DESTINATAIRES	[illegible]	[illegible]	
			De Nantes pour Mogador				
1.	Mogador	[illegible]	[illegible]	David [illegible]	203130476	[illegible]	

Mogador 7 Septembre 1901
L'Agent

R. B.

[illegible]

1907 م 1325

انعم الله ... بالتقييد بحضرة ... خارجها الشهر ... وبلغ اقساط ... جعل مبلغ ... نصائب كل نفس ... امام احمد

محمد ابراهيم ابو ريس الكرد	1200	750	ابن ...	21870	16500
ولد السباعي	1200	750	ابن ...	0150	0150
سر الدين الاصفر	0900	600	سر محمد العامري	0300	0200
ولد العفيف بوريسوا	0090	090	ولد الشريف	0150	0150
حمد الحاج احمد بن الحبيب	0750	50	ابن بلعباس حسن	3000	1000
سر بقري بن اسليفي	0750	600	الرحراحي	0345	0150
اسطورة الشكي	1200	800	ولد العفيف المرنيسي	0450	0300
ورثة ابن الحاج	1200	600	علوية الحرم ابو ريس	4450	4450
العفيف الفقيه سر محمد ابن سودة	0650	300	ابن الحاج ابن الحواس	0450	0300
سر قدور الرباع	0450	300	حمو وتقاعد فرون الجامعي	0200	0150
ولد العفيف الحاج	0450	300	ابن الحمر المسفر	0120	0160
ولد العفيف الكتاب سر الاسلام اسليفي	0900	900	سر بوعلي الحبيب	0120	0100
سر الشماعي الحلبي	0240	200	سر الشماعي ابو ريب	0150	0150
سر الشاكي ابن سودة	0650	300	الحمر النصاب	0150	0150
ولد الحاج امي	0090	090	ابن بنت سر محمد الصغير ريب الحمر امي	0150	0150
ولد الكتاب ابن سر الحاج ابن سليمة	0300	200	ولد ابراهيم ابو ريس	150	150
الحاج محمد ابن سليمة	0600	600	ولد ابراهيم مولود	150	100
اخوه	0450	450	سر احمد بن عنان	150	150
ولد العفيف ابراهيم بن	0180	180	العفيف الشاغي	150	100
ولد سر المامون الجلاب	0240	240	النبيل محمد الدمنهوري	150	100
ابن الضاح بن سر الحاج الطالب	1500	1500	مولاي جعفر الحلوي	150	150
اخو الحاج العباس	0900	0900	ابراهيم العباسي	150	150
ولد العفيف ابن الحواس	0600	0450	بعد بكر بن عبد القادر	150	100
اخوه	0300	0200	الحاجة الاودية	180	100
سر ابو ريس الحاج	1020	0750	الشماعي ابن راب	180	180
ابن عمر ابن بوبكر	0750	0580	سر محمد العراقي	210	150
ولد عمها	0900	0600	ابن عبد الواحد	210	150
سر ابو ريس العراقي	0540	0350	ابن ابراهيم بن	210	210
حمو العفيف الشرقي	0450	450	ولد الكوهن	210	150
العفيف محمد	0650	300	ولد العفيف الشراط	210	150
ولد ابن الحاج	0180	150	ابن جلون	260	150
مولاي احمد ولد سيدي	0450	450	العربي	260	150
ابن سر ابن الكل الحلبي	0300	300	العفيف ابن ط	260	150
ابن الطالب	0390	300	سر محمد العراقي	1240	150
ابن عبد القادر فرحة	1050	0600		31475	22690
	21870	16500			

كان اهتمام الدولة بالشؤون الاجتماعية لطبقة خاصة حفظا لكرامتها ودوام اعتبارها وهذه اللائحة دليل على ذلك كما أنها يستدل منها على الذين كان لهم ذلك الاعتبار وإذا هي قاصرة على مدينة فاس زمن المولى الحسن والمولى عبد العزيز فإنا لانجد من بينهم آل الكتاني وقد كانوا في أمس الحاجة مما كان من عوامل دفع بن عبد الكبير الكتاني للقيام بما قام به طمعا في المولى عبد الحفيظ وقد وقفنا على رسائل منه بذلك راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي ملف السلطان عبد الحفيظ الخزانة الملكية

الفصل الثلاثون بعد المائتين

التحقيق في ترجمة الثائر قبل الثورة وتعدد المفتريات عليه

لقد تعرضت ترجمة محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى كثير من القصص منذ أن كتب عنه عمر أبو النصر عام 1934م ما كتب في شكل قصة كان قد استقاها من كتاب كريم خليل ثابت الذي هو الآخر وكما قال أخذ عن المصادر التي ذكر في مقدمة الكتاب الذي نشره عام 1925م، وبعد هذا وذاك باستثناء ما كتبه بعض الوطنيين في سياق الاعلام الوطني ضد الاستعمار، والذين هم بدورهم لم يجدوا أمامهم باللغة العربية غير الكتابين المذكورين كمصدر لترجمة "بطل الريف"، وذلك أمثال المرحوم علال الفاسي في الحركات الاستقلالية ط 1948م، ولكم يستفزني الغضب حين أقف على ما يكتب عن محمد بن عبد الكريم الخطابي وحرب الريف من أولئك الذين في أفواههم ماء، فقد كتب عنه حتى بعض ذوي السوابق في مجال الخيانة الوطنية، ظنا منهم أنهم إذا فعلوا ثم نعتوا الرجل بأضخم الألقاب وأجمل الصفات سيرفعون من قدره، وبالتالي سينالهم من الإشعاع ما يغير سواد الخيانة التي عرفوا بها والتي سجلها التاريخ في حقهم ونسوا أن كتابة الحقير حول العظم لا تزيد الكاتب إلا كشفا، وفضيحة، وخزيا، ومقتا في نظر الاخرين وأما الثاني فغير محتاج إلى ما يكتبون، ومن هؤلاء عبد الوهاب بن منصور الذي كان يشغل منصب الرقيب على الصحافة الوطنية بكل قسوة وغلظة خدمة للاستعمار الفرنسي الذي عمل في ركابه ضد المغرب أيام كان في أحقر منصب للجاسوسية كرقيب على الصحافة الوطنية يكتم أنفاس العاملين بها كما سنرى وفي الجزائر حيث مذكرات جماعة رجال جمعية العلماء ومحمد الصالح بن رمضان مدير دار الحديث بتلمسان. إلخ ومثله على نفس النهج في المشرق العربي سوريا الخائن العميل

أحمد العسة المدير السابق لإذاعة سيده العميل الشيشكلي بل والذي مزق منشوراتنا وسفه أعمالنا ضد أسياده الفرنسيين وقتها. أحمد العسة الذي فر بجرائمه من سوريا إلى المغرب والذي لو بقي يوسف الرويسي لصوره كما يعرف وتعرف موافقه مع الشيشكلي ضد بلادنا وعاهلنا الراحل.

إن ترجمة محمد بن عبد الكريم التي يريد أن يندس خلفها حتى خونة عهد الحماية والاستعمار الذين عادوا اليوم إلى الظهور بطلاء باهت لطخوا به وجوههم ويحسبون أنهم اندمجوا في الصفوف ولا حرج، هؤلاء لم يدركوا وكعادتهم أن رائحتهم الكريهة تزكم الأنوف وتدفع ذوي الغيرة الوطنية إلى توجيه اللكلمات على وجوههم والصفعات على أقفائهم، والركل على ظهورهم لأن ترجمة محمد بن عبد الكريم وغيره من زعماء المقاومة، لم تعد في تاريخ المغرب وتراثه لفريق دون آخر، ولا لجماعة دون أخرى بل هي بمالها وما عليها للأحرار وأعداء الاستعمار في كل مكان وحيث ما كانوا شرقا وغربا باستثناء الخونة الذين تعاونوا مع المستعمر حيث كانوا شرقا وغربا وحتى الذين فقط تعاطفوا معه لأنهم تدنسوا بعدما تلبسوا، والمتلبس الدنس يجب أن يلوح به بعيدا عن كل شيء نظيف ونقي، ومن الذي يجب أن يكون أحسن نظافة ونقاء هو التاريخ، وبالأخص الذي تسمو به الأمم وتعتز، إنه تاريخ جهادها وأبطالها ومنهم بطل الريف وزعيم ثورة قبائل الشمال محمد بن عبد الكريم.

إن محمد بن عبد الكريم الخطابي الورياغلي(156) الذي قيل إنه ولد عام 1301هـ/ 1881م بأجدير مركز قبيلة بني ورياغل ووالده عبد الكريم وأمه تميمونت الشندورية، وتوفي بالقاهرة رحمه الله يوم الأربعاء 11 رمضان 1382هـ/6-2-1963م وإذا هو ولد في أسرة محافظة ووسط طابعه الدين والخلق، فإنه وكما عرفناه عن كثب ولمدة ثماني سنوات بالقاهرة 1950-58 كان على جانب من الدين والخلق المتين.

كان تعليمه الأول بأجدير كما تلقى بعض التعليم ولمدة وجيزة في جامعة القرويين بفاس، لم تتجاوز أربع سنوات ما بين 1905-9 ونظرا للظروف التي كانت عليها منطقة

(156) بني ورياغل كما سبق هي من قبائل صنهاجة وهم الذين آووا ابن تومرت في ملالة على بعد فرسخ من بجاية حيث التقى بعبد المومن بن علي الكومي كما سبق وهو ما سجله ابن خلدون في العبر 467/6

الريف بسبب فتنة أبي حمارة الذي تمكن في المنطقة ثم اتخذ مقرا له قصبة سلوان قلب الريف، وقتها تحرج موقف جل الريفيين الذين كانوا بالقرويين بعدما شاع أن أول حامية من جيش المخزن ستتوجه إلى حرب الفتان هي حامية أهل الريف وأن على الفقهاء وأئمة المساجد فيه قبل غيرهم القيام بكشف ترهات الفتان بتوضيح ما نشره المخزن عما يزعمه الفتان الذي يدعى أنه المولى محمد بن السلطان المولى الحسن، وتقول الروايات ومنها رواية سبتة ومليلية(157) بعد التعديل أنه حين رجع من القرويين عام 1909م والتي كان قد توجه إليها 1905م حيث تلقى دروسا في الفقه والتشريع الإسلامي كان عمره 28 وأنه عين قاضيا على مدينة مليلية، وهذا بعيد الاحتمال في سن مبكر كهذا، فالمتواتر المؤكد أنه عين معلما، ودام في مهنة التعليم أكثر من عشر سنوات كانت خدمات والده فيها لفائدة الاسبان ثمن الحصول عليها ، كما حصل ولده الثاني على مقعد في مدرسة المعادن بمدريد وصنوه عبد السلام على منصب كاتب مع الكولونيل "سبانطو" حاكم جزيرة "النكور" وهو الذي أيضا سيسند منصب القضاء في مليلية إلى ابن عبد الكريم عام 1918م.

وهكذا فإن محمد بن عبد الكريم لما حصل على وظيفة معلم كان بحق أثناء عمله مثال المخلص المتفاني في أداء مهمته الدينية والتربوية بالنسبة لأبناء جلدته من الريفيين الذين كانوا بمدينة مليلية مما أكسبه سمعة طيبة بينهم، وفي نفس الوقت كان سلوكه مع الاسبانيين مقبولا ومحبوبا، لكن كاتبامعاصرا للثورة عام 1925م وهو كريم خليل ثابت، وقع في خطأ وجر إليه الكثيرين حيث كتب يقول إنه بعد عودته من القرويين رجع إلى

---

(157) للأستاذ محمد المعزوزي وجعفر بن اعجيبة ص 96 ط الرباط 1986 على أن ما أورداه فيه كثير من الشطط وإنما فقط كان ابن عبد الكريم يسكن في مدرسة الشراطين، ولا شك أنه كان من المعاصرين لشيخ الإسلام الذي كان يسكن بمدرسة الصفارين والذي حينما قامت الثورة في الشمال كان وقتها قاضيا لفاس الجديد والأحواز ثم هو كان يلقى محاضراته بكل من القرويين وثانوية مولاي ادريس، وقد شاع وقتها تقول رواية المعاصرين أن القاضي محمد بن العربي العلوي يستعد للتوجه إلى منطقة الثورة. ولسوف نرى أن ذلك من الحكمة ان يناصرها شيخ الاسلام منذ ظهورها مادام الذي دفع إلى القيام بالثورة ومولها هو السلطان المولى عبد الحفيظ الذي كان شيخ الإسلام قد رافقه إلى مدينة طنجة ثم رده الفرنسيون وإذا هو لم يجد تيسيرا بسبب الظروف، وقد كان رفقة محمد المعمري يعلمان أولاد السلطان، رجع إلى مدينة فاس التي أصبح فيها قاضيا لفاس الجديد والأحواز عام 1915م كما سنرى في ترجمته بعد.

مليلية ودخل مدرستها الاسبانية وحسب سنه وقتها 28، ربما يكون هذا أقرب إلى القبول وما لبث أن حصل على دبلوم العلوم الثانوية؟ وعلى إثر خروجه من المدرسة بقي عاطلا من الأعمال فترة من الزمن تاقت نفسه في خلالها إلى الازدياد من العلم، فسافر إلى اسبانيا، وانتظم في سلك جامعة سلمنكا؛ التي حاز منها على شهادة في الحقوق، وعلى اثر عودته من اسبانيا قبل الحرب العظمى وانتهائه من الدراسة، عين قاضيا مدنيا لمدينة مليلية، وقد عاد إلى هذا المنصب بعد الحرب وظل يتقلده حتى قام بحركته العظيمة كما سيأتي(158)..

"وفي أثناء الحرب العظمى أرسل الألمان والترك(159) في سنة 1916م جماعة من الضباط إلى المغرب الأقصى ليناوئوا الحلفاء ويثيروا القلاقل ضدهم في المستعمرات الفرنسوية فنزلوا في أحد موانئ بلاد الريف فتعرف بهم عبد الكريم وانضم إليهم وشرع يساعدهم على مناوأة فرنسا لإثارة القلاقل والشغب في منطقتها فأفاده اختلاطه بهم خبرة عسكرية ومعلومات حربية غير أن الاسبان خافوا مغبة الأمور وخصوصا أنهم

---

(158) كريم ثابت: عبد الكريم والحرب الريفية ص 6ط المقتطف والمقطم 1925م.

(159) لقد اتصلوا بالسلطان السابق عبد الحفيظ نفسه، وهو الذي سبق أن حاول مناوأة الفرنسيين، بل إن السلطان المذكور، دخل في صراع مع الفرنسيين قبل الحماية بسبب وجود الأتراك في بلاطه كما سبق، وأثناء وجوده باسبانيا قبيل الحرب وأثناءها عاود الاتصال بالألمان والأتراك على مرآى ومسمع من الاسبان، الأمر الذي أدى بالفرنسيين إلى أن يحتجوا على الاسبان وشددوا عليهم الأمر كما شددوا أيضا من أجل إيقاف نشاط السلطان المذكور الذي حين ثبت للاسبان أنه اتصل قبل بالريسوني ثم نشطه وشجعه وإذا هو أخذ يعمل ضد الفرنسيين فقط فإن انسياق الاسبانيين مع الفرنسيين دفعه إلى الاتصال بأبناء المنطقة الشمالية وكان منهم محمد بن عبد الكريم الذي بادر للاتصال به بواسطة الحداوي الطنجي وتؤكد الوثائق أن المولى عبد الحفيظ سلم لابن عبد الكريم مبلغ عشرين ألف ريال راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية وربما بسبب ذلك اندفع الاسبانيون إلى أن اتفقوا مع الفرنسيين على اختطاف عبد الحفيظ من اسبانيا والذهاب به إلى فرنسا حيث نكلوا به شرتنكيل إلى أن توفي 1934.4.4 وبسبب ذلك عاش ابنه الأمير يونس يحقد على الفرنسيين ويتعشق نقمة الألمان لكونهم فعلوا بالفرنسيين ما فعله الفرنسيون بوالده، وعلى هذا الشعور عاش طيلة حياته إلى أن توفي رحمه الله بالرباط ودفن بضريح المولى الحسن بالقصر الملكي يوم 2.5.1980م وقد تلقيت عنه مذكرات مليئة بالحوادث منذ استقدامهم من طنجة 1920م إلى مدينة فاس، ولقد كان يتمتع بعطف محمد الخامس رحمه الله لموقفه من الأزمة التي اختلقها الفرنسيون ثم أدت إلى نفي محمد الخامس 1953 فكان موقف الأمير يونس مشرفا، لكنه بعد تعرض لمكر وخبث خصوم الفضيلة أيام اشراف أحمد گوديرا على وزارة الداخلية، وهو ما نتناوله بعد في غير هذا المكان، بل في إعادة كتابنا المصادر مذكرات الشعب المفتري عليه إن شاء الله.

كانوا يعلمون أنه من أصحاب الكلمة المسموعة بين قومه فاعتقلوه بشبهة ما لفقه الفرنسيون وأكده البحث ففر من اعتقاله وأخيرا عينوه ضابطا في وزارة الحربية الاسبانية.

وما كادت الهدنة تعقد في سنة 1918م حتى وقعت القلاقل الأولى في منطقة الريف "انظر الفصل التالي" ـ يقول المؤلف ـ فرأت وزارة الحربية الاسبانية ضرورة إرسال "الأمير" محمد بن عبد الكريم إلى المغرب الأقصى للاستفادة من خبرته ونفوذه فانخرط في سلك حملة الريف وأخذ يسعى جهده ليوفق بين مصلحة قومه وسياسة الاسبان، فاعترضت له صعاب وعوائق كثيرة، ولما لم يحقق غايته آثر اعتزال خدمة الجيش فاستقال منه وعاد إلى منصبه ـ قاضيا مدنيا ـ في مليلية(160) إلخ ثم زاد قائلا:

وكافأته الحكومة الاسبانية على الأعمال الباهرة التي عملها إبان وجوده في جيشها بنياشين، وميداليات عديدة، وأنعمت عليه برتبة "كابتن" اعترافا بنبوغه وذكائه، وتنويها بمقدرته وبراعته(161) وزاد كريم ثابت فأكمل الفصل الثاني من كتابه بما أخذه من التعاليق التي علقها شكيب أرسلان 1869ـ1949م على كتاب حاضر العالم الإسلامي تأليف :لوثروب ستودار الأمريكي" وكذا ما أورده مراسلو جريدة الشيكاغو والنيويورك تايمز الأمريكيتين، والجورنال الفرنسية والدوتشي الجيميني الألمانية، والدايلي إيكس بريس، والدايلي ميل، والمورنينج بوست، والتايمز، ثم الطان الفرنسية، إلخ وفيما كتبه شكيب أرسلان رحمه الله قال إنه استقاه من رجل شريف ادريسي يقال له أحمد بن محمد "التمتماني" "كذا" من أشراف فاس "؟" وله علاقة ببلاد الريف"(162) وهذا هو عيب

(160) كريم ثابت ص6 المصدر السابق وهذه المرحلة هي التي ارتبك فيها اليهودي جرمان عياش لكونه لم يتعرف على نشاط الاتراك والألمان في المنطقة بالطريقة التي أوردها ثابت وتؤكدها الوثائق.

(161) المصدر السابق ص 6 ـ7 ولقد كان بودنا أن نعلق على ما أورده ثابت لكننا عدلنا في انتظار ما سنورده نقلا عن صاحب "أسد الريف" وهو كما قال وقال عنه صاحب حرب الريف أنه ممن عاشروا زعيم الثورة محمد بن عبد الكريم إلخ في حين أن ما أورده كله سرقات مكشوفة كما سنرى بعد.

(162) نفس المصدر السابق ص 7. والاحظ أن المرحوم شكيب أرسلان وقع في خطأ ما كان ليصدر منه، وهو ذاك الذي أوقعه فيه من سماه محمد الفاسي، وذلك فيما كتب عن السلطان المولى عبد الحفيظ، وإذا كان ماوراه مصدره فاس، فإن رأي المولى عبد الحفيظ في بعض مسلمة اليهود وأعلاج النصارى من أهل فاس الذين دمروا المغرب بحمايتهم التي جلبوها من المستعمرين ثم جلبوا معها الخراب الذي لولا عبد الحفيظ لكان مصير المغرب كمصير الجزائر وقتها، وقد سبق ان فصلنا في الموضوع قبل.

المرحوم شكيب أرسلان الذي وكانه لم يدرك أن رواية الاحاد مرفوضة في كل مجال.ومنه ما رواه عن عبد الحفيظ من مفتريات من سماه الفاسي وكذا ماارواه حول محد لمعمري حتى أننا أصبحنا نشك في الكثير مما كتبه شكيب ارسلان رحمه الله.

ذلك ما كتب عن محمد بن عبد الكريم الخطابي وقتها وحسب تنوع وتعدد المصادر التي زكاها كل من شكيب أرسلان واعتمدها كريم ثابت الذي مهما يكابر المكابرون ويفترى المفترى فهو أول كتاب أصبح يعد المصدر الأول والوحيد الذي تناول حياة محمد بن عبد الكريم قبل الحرب، بل وهو المصدر الذي استعمله كل الذين كتبوا بعد بالعربية حول بطل الريف وحرب الريف بدءا من رواية عمر ابو النصر إلى ما بعدها كما سنرى، وأما الذين كتبوا عنه من الأوروبيين غير الصحفيين طبعا بدءا من هاريس في كتابه "فرنسا واسبانيا في الريف "إلى الجنرال كاترو إلى جرمان عياش وغيرهم لم يرجعوا إلى الماضي بقدر ما كتبوا عن الحرب وظروفها ومعطياتها وأحيانا تشم رائحة الزعم وعدم الصدق عند بعضهم إلى جانب خدمة أهداف معينة وإديولوجيات مقصودة.

ومهما يكن فإن محمد بن عبد الكريم الذي سماه بعضهم سلطان المنطقة الإسبانية وبعضهم نسبه لآل البيت(163) حين قتله للريسوني حيث قال "ثم عزم عبد الكريم على التخلص منه فجرد عليه حملة بقيادة احد رجاله السابقين وكان قد انضم إلى الريفيين فحاصرته في تاصروت وقبضت عليه وقادته إلى عبد الكريم فامر باعتقاله في أجدير حيث وافاه القدر المحتوم، فتحققت الخرافة القديمة "إن الشريف لا يموت إلا برصاصة من شريف آخر(164) في حين أنه ينتمي إلى فخذة آيت الخطاب من قبيلة بني ورياغل المشرفة على خليج الخزامي القريبة من المزمة "الحسيمة" والتي منها بني بوعياش وآيت علي، وآيت يوسف وعلى، والمرابطين، وآيت عروص، وبني حذيفة، وبني عبد الله وأرغيوة كما سبق.

---

(163) نفس الخيال أغرق فيه البوعياشي ج 48/1 ط 1974م بل وفي غير الكلام عن آل الخطابي ونسي أن الكل حسب المفهوم القديم بما فيهم آل السنوسي الذين هم من گومية وتعرف قديما بـ صطفورة، راجع رياض الجنة ج 81/2 ط فاس 1350م ومع ذلك يبقى البوعياشي لمن يريد أن يتعرف على الريف أحق بالتعريف من الاخرين رغم قصوره في بعض الجوانب.

(164) المصدر السابق ص 22

ولولا تخوفنا من البعد عن القصد بإثارة بعض الحساسيات التي يجب القضاء عليها، والتي لم ولن يتجرد منها بعض الريفيين أكثر من غيرهم، لأوردنا ما هو معروف من النعرات التي دونتها لنا وثائق المخزن وكثير منها قائم حتى اليوم، وخصوصا فيما يرجع لعلاقات هذه الأفخاذ فيما بينها، وعن علاقة قبيلة بني ورياغل التي تجمعهم ما بين عرب وبربر، والقبائل الريفية الأخرى تمسمان، وقلعية، وبني توزين، وغيرها من قبائل جبالة، التي تعرفنا عليها قبل في جدول القبائل التي قومت الثورة وشاركت في الحروب، بل وحتى مكانة آيت الخطاب وما كانت عليه قبل الثورة التي لم تكن ولا شيئا يذكر بغير جانب من الفروسية التي بزتها فيه غير واحدة من جيرانها كما نود التعرض لذلك حتى نتعرف على ما يمكن أن يقال في حق الزعيم محمد بن عبد الكريم، وما يمكن أن يوصف به من عظمة وما يستحق من تقدير لأنه كون من أسرته وفخذته وقبيلته، وفي زمن قصير ما لم يكن لها، ثم مكنها مما لم يقبل قبل الثورة، لا منها ولا من غيرها، ومع ذلك، وكما يؤكد التاريخ والواقع، كانت هي التي وجهت إليه الطعنة الغادرة القاتلة بيد سليمان الخطابي، أول من وقف في وجهه وحاربه، وإذا هو أرهب الجميع بقتل "بورجيلة" فإن الاجديريين وبني ورياغل الذين انقادوا، لم يكن انقيادهم صادقا مع الثورة بقدر ما كان كل مع نفسه ومصالحه، وبالتالي نقمة على الآخرين.

وهكذا فرغم البحث الطويل عن الوثائق التي حصلنا عليها والتي لم ولن تتوفر لغيرنا عن مرحلة ما قبل الثورة وما كانت عليه قبائل الريف، وكل ذلك من أجل التحقق مما كان عليه المجتمع الذي قامت فيه الثورة، وبالتالي اتماما لترجمة زعيم الثورة، وفعلا مكنتني تلك الوثائق من معرفة الكثير من أسرار القوم والعلاقة فيما بينهم، ثم علاقتهم مع المخزن، وما كانوا عليه من تطاحن يعجب المرء كل العجب كيف أمكن معه لرجل مثل محمد بن عبد الكريم، وعمه عبد السلام، وشقيقه محمد فتحا، وقلة من الرجال معهم، أن يجمعوا ذلك الشتات، ويوحدوا الصفوف، ويتمكنوا من الدفع، لكن بعد كل ذلك انتهيت إلى قناعة أن صدق العزيمة والإخلاص في القصد يصنعان العجب، خصوصا في شعب كالشعب المغربي الذي كان وقتها لا يزال لم تعمل يد الاستعمار والخونة من جنسه في تمزيقه ومحاربة أجمل ما فيه وهي روح الدين الذي تفاعل في النفوس، ثم صهرها في

بوتقة واحدة، وليس ذلك فحسب، بل انتهيت كذلك إلى قناعة أنه من الأحسن لمن يريد المحافظة على جمال صورة الثورة وزعيمها أن لا يهتم بغير ما قام به هذا الزعيم وأن لا يفتح الثغرات التي تشوه الرؤية وتثير ما يجب القضاء عليه وعدم إثارته، وحتى إذا ما أشرنا إلى ما لابد من الإشارة إليه مما يعتبر من صميم المرحلة، فإن القصد هو الاستئناس والبيان فقط، ومن ذلك ما سبق مما أوردناه نقلا عن الآخرين فيما يرجع إلى نشأة الزعيم ودراسته وما قيل في حق والده من أقوال فيها المقبول وغير المقبول، وقد شعر به أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله حين علق على حاضر العالم الإسلامي المشار إليه قبل، وقد كثرت الروايات والمزاعم والمفتريات وقتها حول زعيم الثورة فقال: "لاشك أنه ستنشر فيما بعد سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الريفي، وتؤلف كتب على وقائعه ومنشئه وأصله وفصله ويستفيض خبره عند الخاص والعام، ولا يبقى شيء من أمره مجهول، أما الآن فإننا لا نعرف من خبر نسبه شيئا ثبتا"(164).

وأعود فأكرر رغم ما مضى على الثورة التي تزعمها الرجل، وهو ما يزيد اليوم على الستين سنة فإننا لم نعرف كتابة جادة في الموضوع تكون في المستوى بالنسبة للذين كتبوا باللغة العربية أي أننا لم نعرف من حقق ما أشار إليه شكيب أرسلان، وذلك للتاريخ ومن أجل التاريخ فقط، وبالتالي لم نجد من كتب مجردا من أية غاية إلا ماكان من غاية التدوين حتى لا يضيع أو يمسخ تراث المغرب، بل جل الذين كتبوا حتى من أبناء المنطقة، كانوا في الأكثر الغالب عالة على ما كتبه كريم ثابت ونقل عنه عمر أبو النصر وعليهما اعتمدوا حتى في الحركات الاستقلالية(165) وهذه مراكش(166) وأخيرا ظهر وكما أشرنا من أبناء القبيلة نفسها من كتب حول "أسد الريف" بعدما ظهر كتاب حرب الريف التحريرية للبوعياشي الذي يظهر أنه سلخ منه محمد محمد عمر القاضي ما سلخ

---

(164) المصدر السابق ص7.

(165) ص 125ـ141 ط القاهرة 1948 رغم بعض البهارات التي أحدثت التخمة عند بن عبد الكريم فاظهر انزعاجه منها بلا تحفظ ولا مجاملة، وذلكم هو طبعه العنيف رحمه الله تصرف به مع صاحب الحركات الذي كرمه شخصيا وأكبره كما سنرى.

(166) 174ـ190 ط 1949م.

بلا خجل ولا وجل وزاد الطين بلة حين قال إنه من الذين عاصروا الثورة وأنه كتب ما كتب وقتها مما لم يكتب له النشر إلى عام 1979م أي بعد مضي نصف قرن على الثورة، وستة عشر عاما على موت رائد الثورة، وشهد الله ما كدت أقرأ العنوان حتى بادرت باقتناء الكتاب الذي يعني الرجل الذي له في مذكراتي السياسية الكثير والكثير جدا عن المرحلة ما بين 1950ـ58 بالقاهرة. لكنني لم أتسرع بالكتابة انتظارا للمزيد من الحقائق، اقتنيت الكتاب الذي كتبه «معاصر رفيق؟؟» وكلي رجاء في الحصول على ما لم أحصل عليه من ترجمة الرجل والحرب التي خاضها، خصوصا وقد كتب صاحب الكتاب يقول بلفظه ص 2 "وأمام هذا وبعد اجتهادي في التفكير الطويل واحظار "كذا" بعض الوقائع التي كنت كتبتها في إبانها متفرقة، واتصالي ببعض زملائي الذين كنت وإياهم من المشاركين في الوقائع الحربية هنا وهناك وبعد هذا كله رأيت أن الواجب يقضي على بأن أحرر هذه المذكرة التاريخية، خدمة للوطن واعترافا بألجميل لأولئك الأبطال الذين كرسوا حياتهم في سبيل خدمة وطنهم وشعبهم ودولتهم امتثالا لأمر ربهم إلخ"(167)؟؟.

وإذا ما ذا كان ينتظر ممن يقرأ هذه الفقرات الصادرة عن رجل هو كما قال؟ لا ينتظر غير أنه يجد فيما كتب ما لم يكن عند الآخرين، بل وننتظر نحن أن يتحقق بكل صدق وأمانة ما أشار إليه أمير البيان عن محمد بن عبد الكريم، لكنه مع الأسف الكثير والكثير جدا لم نجد غيرما يدعو إلى الاستغراب، وشيء آخر إن كان ما ورد في حق والد الزعيم حقا وصدقا فهو شيء لا يشرف، خصوصا وقد اتفق عليه كل من صاحب حرب الريف وأسد الريف ولو بتلطف يخالف ما ذهب إليه أيضا جرمان عياش، بل أكثر من ذلك، يحمد الله كل متعشق للبطولة ممن له حب لتاريخ المقاومة والمقاومين، والذي يعطف على زعيم الريف لأن ما أورده صاحب حرب الريف ومن سماه أسد الريف «صاحب حرب الريف" عن مال الألمان «لأن جميع المال الذي كانت تبعثه ألمانيا للقائمين بهذه الحركة كان يأتي على يده ووالده هو الذي يوصله إلى عبد الملك ورفيقه الألماني إلخ، والأموال الباهضة التي كانت تدفعها الحكومة الاسبانية على يد سيدي عبد الكريم الخطابي شهريا..إلخ".

(167) أسد الريف ص 2 ط تطوان 1979.

أقول يحمد الله كل من له غيرة على تاريخ المقاومة أن مثل هذا الكتاب لم يكن هو أول ما كتب ونشر عن حرب الريف، وبطل الريف، وخصوصا ما قاله الكاتب في حق والد الأسد، فبالإضافة إلى أنه هو الآخر سلخ كتاب عمر أبو النصر حرفيا، زاد عليه ما قاله هو مما لاحق لنا في تكذيبه أو عدمه لكن ما استشهد به كقول "مهم" قيل في حق الزعيم مما أورده نقلا عن معجزة العميل المتجول المتابع من شعبه الذي قتل سيده الخائن أديب الشيشكلي جزاء خيانته بل الطريد الذي لتاريخنا السياسي في عموم المغرب العربي الكبير معه حساب عسير وهو المدعو "أحمد عسة" مدير إذاعة العميل الشيشكلي الوحيد الذي كان يمزق منشوراتنا السياسية ضد الاستعمار الفرنسي والذي كان ميله وهواه كله مع هذا الاستعمار ضد قضايا المغرب العربي كما يشهد بذلك الزملاء المعاصرون ومراسلات مندوب تونس يوسف الرويسي الذي قال بالحرف "وبعد قيام ثورة الطريد القتيل أديب الشيشكلي لم نجد فيه وفي إذاعته(268) غير الإهمال بل المقاومة والكبت وأحيانا التبكيت من مديرها أحمد عسة إلى درجة تمزيق منشوراتنا على مرأى ومسمع ممن يحملها إليه، ولم تجد قضيتنا طريقها إلى الإذاعة وحظها من النشر إلا حين أصبح مأمون الكزبري رئيسا للجمهورية يوم 26-2-1954م وقد كان قبل رئيسا لمجلس النواب، وهو رجل له إطلاع على القضايا العربية، واهتمام بها، ونرجو أن يزول بواسطته الكابوس الذي أرهب الجميع حيث أصبح الشعب السوري الشقيق لا أحزاب ولا صحافة، ولا ميدان عمل، من أجل قضيتنا بل حتى عملنا شبه مراقب(169) ..إلخ"

وأحمد عسة هذا الذي ورد ذكره على رأس الإذاعة السورية أيام أديب الشيشكلي هو صاحب معجزات الاسترزاق ومنها المغربية المنقول كل ما ورد فيها وأحيانا بتشويه بليد من تاريخ ونشرات المغاربة وكتاب دو جلاس وروم لاندو إلخ ومع ذلك بيعت للحكومة المغربية التي فرضتها على الإدارات مبالغة في السخرية من المغرب وتاريخه.

---

(168) كان المشرف على الإذاعة في سوريا وقتها هو أحمد العسة.

(169) من مراسلة للأخ يوسف الرويسي مندوب الحزب الحر الدستوري التونسي بدمشق، إلى الأخ رشيد ادريس ممثل الحزب بمكتب المغرب العربي بالقاهرة بتاريخ 15-3-1954 وهي مراسلة التقطتها من سلة المهملات وقتها، وقد اعتبرها المرسل إليه وقتها مما لايؤبه له لأن وسائل الإعلام وقتها في مصر والعراق كانت تغطي كل الأقطار العربية.

ولولا مراعاة الحط من الكتابة في الموضوع لا درجت هنا ما سجلته على معجزته المغربية لا من سرقات مشكوفة بارجاع كل ما ورد فيها إلى أصوله، ولكن ما وجه للمغرب من طعنات جاهل أراد مدحا فكان العكس وأما الذي يعنينا هنا هو ما نقله صاحب "أسد الريف" من معجزة العميل الاستعماري الذي كتب حول حرب التحرير الريفية ص170(170) وعنه نقل ما نقل بما فيه من تشويه لرواية عمر أبو النصر، سرقة مكشوفة حرفيا ودون أن يذكره ولا غيره من الذين سلخ كتبهم ولو مرة واحدة.

إن صاحب كتاب أسد الريف الذي ليس في كتابه كذلك ما يدعو إلى الثقة والذي هو الآخر لو صدر له هذا الكتاب في حياة الزعيم محمد بن عبد الكريم لكان له منه ما لم تحمد عقباه، لأنه رحمة الله عليه رغم ما انتهى إليه من تقدم في الشيخوخة وما عرف عنه من مرارة في أرض الغربة سواء البعيدة أو القريبة، بقي محافظا على مقومات البطولة، متصفا بالشهامة، رغم ما كان يشوب ثوراته النفسية من جموح عاطفة واندفاع لا يعرف

(170) وإليك ما ورد في معجزة اللص مما أخذه حرفيا من رواية عمر أبو النصر «بطل الريف الأمير عبد الكريم» والذي قال أنه تخيره وعربه عن عدة مصادر أجنبية قبح الله سعي المفتري ط 1 بتاريخ 1353هـ/1934 وما هو في الواقع أيضا أو أغلبه إلا مما كتبه كريم خليل ثابت حول "عبد الكريم والحرب الريفية: ط المقتطف بمصر 1925 ومعجزة اللص ط 1 بيروت 1974 ـ 75 فالذي ورد في معجزة اللص المتلبس ص 170ـ85 مأخوذ حرفيا من عمر أبو النصر، من ص97 وما ورد في ص 172 مأخوذ من ص 99 س 13 وص 104 ثم ص 113ـ115 س 1 ثم ص121 س 11، وما ورد في ص 173 أعلى من ص 143ـ144 ومعركة أنوال رجع إلى ص 122 س 12 ثم ص 129ـ130 وما ورد في ص 174 مأخوذ بتصرف مقيت فيه الكثير من الخلط وتبديل الأرقام ما بين 158ـ174 ولا داعي بنا للاسترسال. وتعقب اختلاسات هذا العميل المتجول وما فعله بالكتب الأخرى، سواء الحركات الاستقلالية أو التطورات السياسية في المملكة المغربية لد وجلاس، أو تاريخ المغرب في القرن العشرين لروم لاندو، فقد حددنا ذلك على هامش صفحات المعجزة العشوائية كما عن له أن يضيفها إلى معجزة نورى السعيد، وغيرها أما ما بعد الاستقلال، وخصوصا ما بعد ص 325 فقد أعرضنا عنه وتركناه يفعل فيه ما يشاء ويدون ما يريد ولسوف تتولاه الأجيال الصاعدة بما يليق من اللعنات الأبدية.

ومهما يكن فإن الذي يعني أكثر هنا ليس هو العميل المتجول الذي لفظه وطنه فالتقطه الآخرون وهو أحمد عسة، بل الذين دنسوا به المغرب أعنى السوديّ التافه ـ وجروا عليه به وبالآخرين من خونة أوطانهم ما كان المغرب في غنى عنه من دنس، إلخ لكن ما الدافع إلى استيراد مثل هذه القاذورات إلى المغرب حتى يساهموا في تضليل الشعب المفترى عليه وعلى تاريخه، من أمثال هؤلاء الذين لفظتهم أوطانهم؟ ان لذلك قصة طويلة ليس هنا مجالها، وطريقة الاختلاس هذه التي يلجأ إليها الأغبياء المفلسون هي التي استعملها الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور فيما سماه قبائل المغرب والذي سوف ننشر موبقاته كذلك. لأن ما بين الجاسوسين من رحم جعلني أجمع بينهما وآخرين فيما كتبت حول مذكرات الشعب المفترى عليه.

الأسباب والدوافع التي كانت تدفع إلى الانفجار ضد بعض الاتجاهات السياسية التي لا تتفق مع ميله وهواه، إلا من كان في نفس الميدان، ميدان النضال من أجل التحرير الذي كان له من أجل السعي والعمل لتحقيقه وجهة نظر هي التي جربها وكانت السبب في كل ما عاش وتذوق من مرارة ومعانات، فلو قرأ هو نفسه ما كتب عنه وعن والده تحت عنوان أسد الريف لكان الانفجار أعنف وأشد من ذلك الذي كان يحدث لمجرد أن ندوة صحفية تحدث في مكتب المغرب العربي ثم يتحدث عنه فيها بأحسن ما يكون، لكن من زعيم أصبح يعتقد فيه ما يعتقد مما وشى به "المنافقون" كما سنعرف بعد إن شاء الله.

ومهما يكن فإن كتاب "أسد الريف" هو الآخر إذا استثنينا منه أسماء الذين أورد ذكرهم من الذين ربما من أجلهم كتب وردا لاعتبارهم الذي أخل به صاحبه الذي رد عليه كثيرا من ص 137 إلى 280، وللأسف افتتح تصويبه "لأخطاء البوعياشي" في كتابه ج 2 المسمى حرب الريف التحريرية ومراحل النضال "بقوله" وبما أن التاريخ يعد أمانة ملقاة على عاتق صاحبه بحيث يجب عليه أداء الأمانة الملقاة على عاتقه على الوجه الصحيح بدون تزوير، ولارياء ولا أي وسيلة من وسائل الضغائن، والانتقامات والميولات الشخصية إلى آخر ما عبر به مما سنرى إن كان صادقا وقد طبقه أم لا، باستثناء ما أشرنا إليه، فكل ما أورده حول حرب الريف بما فيها حتى المراسلات كلها من كتاب عمر أبو النصر والأصل الأول من كتاب كريم ثابت(171) من غير أن يرد لأي منهما ذكر. إن الجديد الذي

---

(171) إن إطلاق المذكرات يحتمل أن يكتب المرء مذكراته حول أي شيء يريد الاحتفاظ بذكره، حتى ولو كان هو النقل لبعض المعارف، ولو من محاضر أو حتى من كتاب شريطة أن يسند ما كتب إلى صاحبه بأمانة، ويذكر المرجع الذي منه أخذ على أن "صاحب الأسد" وكما أشرنا أعلاه قال لنا وبالحرف إنه كتب ما كتب وقت مشاركته في الحرب "وأنها وقائع كتبها في إبانها إلخ" بل قال في ص 59 إنه كان ضمن الذين أقسموا اليمين على الحرب منذ أول وهلة وذكر اسمه الثالث عشر ضمن اللائحة التي أوردها وعددها 39.. إلخ وبئس القوم إن كانوا مثله، لكن من خلال ما فعل هو الآخر بكتاب عمر أبو النصر وكريم ثابت جعلنا نقول له من أرغمك على مثل هذا التزوير إلخ والخلاصة، إليك أمثلة فقط على مصيبة ما أورده صاحب الأسد ط 1979م بتطوان ص 136 مأخوذة حرفيا من عمر أبو النصر 156-157 الذي هو بدوره نقل عن كريم ثابت ص 41 ط 1925 وما ورد في ص 147 إلى 150 هو بالحرف من عمر أبو النصر من ص 159 إلى 163 وما ورد في ص 194 مأخوذ من عمر أبو النصر وثابت ص 73 وما ورد في ص 196 هو من كريم ثابت ص 76 إلى 78 سطر 4، وأخيرا ما نقله عن العميل الاستعماري أحمد عسة في معجزته ص 176 ثم أورده في الأسد ص 219 هو أصلا مسروق من عمر أبو النصر ص 121 والأصل لكريم ثابت، بل لو شئنا لا رجعنا جل ما ورد في الكتاب إلى أصوله المأخوذ منها دون أن يذكر واحدا منها، وهذا في مجال الكتابة نوع من =

.. أورده الكاتب لو قدر لمن أطلق عليه الأسد أن يراه لتبرأ منه بعنف عنيف وقسوة قاسية يستعملها مع "المؤلف" الذي قال معرفا بوالد الزعيم الذي تضاربت الأقوال حوله فمن قائل عدو للاسبان وآخر انه عميل اسباني، ولذلك أحرق أهل الريف داره ونكلوا به ومن قائل إنه من شدة الحقد عليه إنه كان في ضيافة أحدهم بقبيلة تافرسيت إحدى قبائل الريف وفيها سقاه مضيفه السم الذي لما ظهرت عليه أعراضه نقل توا إلى قرية أجدير حيث مسكنه وفيها توفي يوم 13 قعدة 1339 1920/9/6 وهذه رواية العربي اللوح في «منهاله» ص 260 وأما محمد عمر القاضي الذي نحن بصدد ما أورد في تاريخه للأسد ووالده الذي قال عنه وعن عمله. لصالح الاسبان وضد وطنه بطريقة بعيدة كل البعد عن الشرف والهمة، ومع ذلك بعد تفكره الطويل قال في حقه ما يلي وأنه قرر.

" أن يتقرب إلى الاسبان قبل غيره لأن الحكومة الاسبانية بواسطة ممثلها سيلفيستري كانت تبحث عن أشخاص من المرتزقة لتستخدمهم في أغراضها لأجل تنفيذ خطتها وسياستها، ليمهدوا لها الطريق لاحتلال القبائل التي لا زالت لم تخضع لها بدون إراقة الدماء لأبناء شعبها لأنها كانت تخشى ذلك من التجربة التي ذاقتها من قبيلة قلعية وبني سعيد..؟؟

ولأجل ذلك تقدم الفقيه سيدي عبد الكريم الخطابي فعلا إلى الحكومة الإسبانية ليلعب معها الدور السياسي مخافة منه أن يتقدم إليها قبله أشخاص من ذوي الأفكار الضيقة فتلعب عليهم المطامع وحب الشخصية فيحققوا لها ما كانت تصبو إليه فتخابر مع قائد جزيرة النكور لأجل الحصول لأولاده على الوظائف من الحكومة الاسبانية"؟" فنجح في ذلك وبعث ولده سيدي محمد مدرسا في إحدى المدارس بمليلية، كما بعث أخاه سيدي عبد السلام كاتبا مع قائد جزيرة النكور، وبعث أيضا ولده سيدي امحمد إلى مدريد لأجل متابعة دروسه الثقافية(172) إلخ "أية انتهازية هذه، وهل كانت كل هذه

= السرقة التي لا يغفر لمرتكبها الذي يعتبر في الواقع أخس اجراما من الذي نص المشرع على قطع يده، وأما المواضيع في مجملها فكثير جدا من كتاب حرب الريف زاجع وقارن على أن مثل هذا العمل الساقط لم يكن الكاتب في حاجة إليه وهو حسبما يظهر من صورته في خريف العمر، فلماذا يختار لنفسه هذه النهاية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على المركب الذي يثقل كاهل الرجل، بيد أن ما أورده حول عبد الكريم.وأسرته لو كان من غير ورياغلي لقيل إنه اتهام باطل، وهذا ما ردت به أقوال بعضهم من روايات في حقها إنها غير صحيحة بيد أنها الحقيقة والواقع.

(172) الأسد فصل 9 ص 54.55 بل عمرالقاضي ط تطوان 1979 ذلك ما أورده والعهدة عليه.

الخدمات بدون مقابل تتفق على صلاحيته لفائدة الاسبانيين مختلف دوائرهم السياسية، قبل أن توافق على تلك المقاصد التي حققها عبد الكريم الخطابي لصنوه للأب الذي هو عبد السلام، ثم لولديه محمد ضما ومحمد فتحا، الجواب سيقدمه لنا صاحب الأسد نفسه والذي يسترسل فيقول:

"وصار الفقيه سيدي عبد الكريم الخطابي يلعب مع الحكومة الاسبانية أدوارا كبيرة منها : الأموال الباهضة التي كانت تدفعها الحكومة الاسبانية على يد سيدي عبد الكريم الخطابي شهريا لعدد غير قليل من رجال القبائل ظنا من الحكومة الاسبانية أنه ستمهد لها الطريق لتتمكن من إنزال جيوشها في شاطئ مرسى النكور ببني ورياغل لتحتل الريف بأجمعه، ومنها أنه كان يمهد للشركات صاحبة المعادن(173) حيث أنها كانت تبحث عن المعادن في الريف، وتدفق على يد الفقيه المذكور أموالا كبيرة في شأن ذلك إلخ. وبسبب ذلك تعرض منزل الرجل إلى الإحراق وإشعال النار فيه ثلاث مرات يقول "المؤلف القاضي" مما دفع بالرجل إلى مغادرة موطنه والهجرة إلى حيث احتمى بالاسبان في جزيرة النكور، ثم غادرها إلى تطوان، الأمر الذي دفع بالاسبان إلى أن يعرضوا عليه المساعدة ضد المهاجمين، وقد عينوا لتلك المهمة التي كان يقوم بها عبد الكريم رجلان آخران من نفس القبيلة: الحاج محمد شدي الأجديري وأحمد بورجيلة من أولاد سيدي امحمد اموسى الورياغلي، وكلاهما كانت نهايتهما أليمة على يد ولد عبد الكريم(174) وأما عن الاتصال بالألمانيين والعمل لهم كذلك فيخبرنا الرجل بما لم يعرفه غيره، ذلك أن الموضوع لم يقتصر على ما عرفه الناس وأقره محمد بن عبد الكريم وصنوه من اتصال ببعض الألمانيين والأتراك، بل الوالد كذلك حيث يقول أيضا في حق الزعيم محمد بن عبد الكريم الذي هو الولد "وفي أثناء وجوده بوظيفته بمليلية شارك في الحركة التي قام بها عبد الملك محيي الدين "كذا" ورفيقه الألماني "؟" في سنة 1916م كما تقدم ذكره في حركة

(173) بقصد جماعة مانسمان الألمانيين.

(174) راجع "الأسد" ص 60-63 خصوصا أحمد بورجيلة فإنه قتل رميا بالرصاص، لكن صاحب الأسد لم يتحدث عن غير المرابط شعيب الحاج الدردوشي الذي نفذ فيه الحكم بالإعدام، أما بورجيلة فإنه عنده لم يقتل، راجع ص 101 وإنما فقط دفع الغرامة لأنه تحدى حظر الاجتماع الذي أعلنت قيادة الثورة مقاطعة حضوره في جزيرة النكور

والده الفقيه سيدي عبد الكريم وكان له الحظ الوافر في تكوين تلك الحركة لأن جمع المال الذي كانت تبعثه المانيا للقائمين بهذه الحركة كان يأتي على يده ووالده هو الذي يوصله إلى عبد الملك ورفيقه(175) وفي الأخير احتجت فرنسا على اسبانيا على أن هذه الأخيرة هي التي دبرت المؤامرة ومركزها هو مليلية وعند ذلك أرادت الحكومة الاسبانية أن تبرر موقفها تجاه فرنسا، فألقت المسؤولية على عاتق الزعيم الخطابي، بتهمة أنه هو الذي دبر تلك المؤامرة؟ من تلقاء نفسه، كما أضافت له تهمة أخرى بأنه كان يميل للعثمانيين إبان الحرب العالمية الأولى «فأوقفته ووضعته تحت الرقابة بمليلية إلخ" حيث سيحاول الفرار، فتكسر ساقه، وفي ذلك يقول "إلى أن اختفى عمه عبد السلام(176) ودخل إلى مليلية فدبر له محاولة للفرار من القصر؟ وهو قلعة "كاباليزاس العسكرية" في مليلية". الذي كان موقوفا فيه إلا أنه مع الأسف لم تنجح تلك المحاولة حيث أنه سقط على الأرض وتكسر من إحدى رجليه فحمل إلى المستشفى في حالة الإغماء إلىٰ أن استرجع وعيه "؟" ويرى

(175) عبد الملك هذا هو نجل الفريق محيي الدين باشا، عضو مجلس الشيوخ العثماني السابق يقول عمر أبو النصر ص 87 ولد في دمشق وأتم تعليمه في مدرسة بيروت التجهيزية، ثم التحق بقصر يلدز مرافقا للسلطان عبد الحميد، ثم فر من الآستانة على إثر سعاية رفعت عنه، وجاء إلى الأسكندرية، ومنها إلى جبل طارق فالمغرب الأقصى فبقي هناك إلى أن سمحت له الحكومة الفرنسية بالعودة إلى الجزائر فعاد إليها وانتظم في سلك الجيش الفرنسي فيها، ثم عين قائدا لقوة الشرطة المغربية في طنجة وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة بتأليفها، وعندما نشبت الحرب العالمية 1914م فر عبد الملك إلى الحدود، ودخل المنطقة الاسبانية، وجعل يبث الدعاية لألمانيا ويحرض القبائل ضد فرنسا، وبعد نهاية الحرب العالمية عينته اسبانيا حاكما على قبائل صنهاجة، وبقي في هذا المنصب إلى أواخر 1923م أما علاقته مع ابن عبد الكريم فغير حسنة، وسيئة جدا، فقد حدث في أول ثورته أن كتب إلى عبد الملك يطلب انضمامه إليه، ليكونا يدا واحدة، فرفض عبد الملك هذا الطلب بشدة وأغلظ لرسول الخطابي وهدد رسوله إن هو عاد إليه مرة أخرى وأخيرا تطوع مع الاسبان لمحاربة بن عبد الكريم، لكنه قتل في شهر سبتمبر 1924م في معركة ضد المجاهدين، ثم راجع جريدة السعادة 4.7.1917م وأما ما أورده صاحب "أسد الريف" فهو اختلاس من المصدر السابق، راجع ص 57 و90 و91 الذي تؤكد المصادر التي وقف عليها جرمان عياش أن عبد الكريم وقتها كان يعمل لصالح الاسبان سياسيا، واقتصاديا، قصد التمكين لاستغلالهم للمعادن بواسطة رجل الأعمال :ايشيفاريتا بالبار" الذي حل محل الألمان من أجل استغلال معادن الحديد.

(176) عبد السلام هذا صنو والد محمد بن عبد الكريم للأب وقد كان رحمة الله عليه من اتباع الطائفة الدرقاوية حيث بقي يتعمم بالعمامة الخضراء كما عرفناه في القاهرة مما يدل على أنه كان من اتباع الشيخ محمد العربي الدرقاوي المدغري إذ هو الذي ابتدع العمامة الخضراء ومثله كان كثير من بني ورياغل، وكان الرجل فاضلا ومحافظا وواعيا وعيا سياسيا ممتازا فيه اتزان وسلامة طوية، ولقد حاول بعضهم نكاية في درقاوية الزروالي أن يحول خضرة العمامة إلى زرقة خاصة بالحرس، وهو زعم باطل.

من رجله المذكورة التي بقي يعرج بها طوال حياته، وعندما قدم إلى المحكمة للاستنطاق وتحرير المحضر أنكر الفرار وادعى أنه أطلق نفسه من تلك النافذة ليموت؟ فدافع عنه بعض أصدقائه من الاسبانيين منهم الجنرال الركامي؟ الذي هو أول من اتصل به بعد سقوطه، وأرشده إلى هذا الجواب، وفي الأخير أصدرت المحكمة قرارها ببراءته ورجوعه إلى وظيفته كما كان من قبل، إلا أن السلطة الاسبانية منعته من الرجوع إلى مقر سكناه بأجدير لزيارة والده وأولاده، رغم مطالبته بذلك مرارا وتكرارا.. إلخ" ثم يقول" وبما أنه وضع قدرا لايستهان به من المال بالبنك الاسباني بمليلية قصد أن يثق الاسبانيون برجوعه ويساعدونه"؟ على الرخصة المطلوبة فقد نجح في هذه المحاولة وسوعد في الرخصة بعد أن وضعت رقابة سرية على المال الذي وضعه بالبنك حتى لا يأخذه(177) فالتحق الزعيم الخطابي بوالده.. إلخ.

مهما يكن فإن محمد بن عبد الكريم لما رجع إلى اجدير توفي والده بتاريخ أغسطس 1920 وسواء كما قال كريم ثابت قتل ، هو يقاتل ضد الاسبان على أبواب امليلية(178) أو أنه توفي على فراشه رحمه الله فإن ولده محمد وقتها بدأ ينظم للقيام

---

(177) إن المصدر الذي استقى منه وهو كريم ثابت ص 9 حدد المبلغ بـ 17000 ريال سحبها وقطع علاقته بمليلية كما يقول، وهذا المبلغ بالنسبة لمثل محمد بن عبد الكريم وقتها 1919م كان عاليا جدا مما يجعلنا نقلب يمينا ويسارا ما أورده صاحب الأسد من قول حول الأموال التي كان يتقاضاها، سواء من الاسبان أو الألمان أو التي قيل من المولى عبد الحفيظ حسب رواية الحداوي الطنجي للأمير يونس بن السلطان عبد الحفيظ وهو ما تؤكده الوثائق الفرنسية ونستوعب ما قاله.

لقد اشتد نشاط الألمان زمن الحرب العالمية الأولى، وأنهم شرقا كانوا قد اتصلوا بواسطة الكونت مانسمان "بالزعيم التركي نوري باشا، وجعفر العسكري، وهما من الذين أطروا جماعة المجاهدين ضد الإيطاليين في ليبيا، أيام ثورة أحمد الشريف الخطابي السنوسي، وقيادة شيخ المجاهدين عمر المختار رحمهما الله، كما انضم إليها كل من صالح حرب صاحب جمعية الشبان المسلمين بمصر، وعبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية، بعد إنشائها 22.3.1945م والذي شارك في معركة العقاقير التي وقعت إلى الشرق من سيدي البراني، في فبراير 1916م كما شارك فيها كثير من الأتراك باسم جماعة الجهاد الإسلامي وغيرهم، وبالتالي فإنه كان ثمة من الدوافع ما يزج بالألمان في كل حركة يظنون أنها ستشوش على الفرنسيين في المغرب، و خصوصا بعد التدابير التي اتخذتها هذه الآخيرة ضد ألمانيا في مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية، حتى إن المادة 148من معاهدة فرساي نصت على تنازل ألمانيا عن الحقوق التي كانت قد حصلت عليها بواسطة ما سبق لها من معاهدات الجزيرة 1906م ومع فرنسا 9/2/1909 و4/11/1911م بل، وحتى التي كانت لها مع المغرب حكمت فرنسا بالغائها، فكيف لا تعمل ألمانيا على تعكير الصفو ضدها في المغرب، خصوصا إذا كان من وراء ذلك السلطان عبد الحفيظ .

(178) نقل ذلك عن مراسلات جريدة الطان الفرنسية، وهو شيء بعيد الاحتمال.

بالثورة التي تزعم فيها على المجاهدين من أبناء الريفيين والجبليين.

ومهما يكن لنا من رأي في الذي أوردناه نقلا عن المفتري صاحب "الأسد" فإننا تركناه وخلينا بينه وبين من يهمه ذلك من أبناء المجاهدين الريفيين والجبليين، والذين ربما فيهم من يريد محاسبته على «صناديق المال الستين» من أين مصدرها وكيف جمعت ولمن حيث قال إنه الذي سلمها للضابط الفرنسي الذي جاء لأخذ أسرة الزعيم، وأن كل صندوق من الستين يحتوي على ثلاثة آلاف ريال اسباني فضة ص 278 إلى آخر ما سجل من مذكراته؟؟؟ المزعومة.

لقد ارتبنا في بعض ما أورده جرمان عياش في أطروحته ذات الاعتبار حول حرب الريف التي قال إنه اعتمد فيها على وثائق الأرشيفات "التي فحصها في كل من مدريد وباريز، والرباط، وجنيف، ولندن، والتي أكدت له أن والد الزعيم وهو عبد الكريم الخطابي كان يعمل لمصلحة الاسبان بكل تأكيد، وهو ما أكده صاحب الأسد رغم المحاولة غير المقبولة التي حاولها كي ينفي ويصير العمل إنما يراد به كيت وكيت، كما أننا لم نقبل ما أورده جيرمان ولو نقلا غير مقبول منه عن الآخرين حول الريفيين وعاداتهم، وأن "قوانينهم وضعت للبحث عن القتل..(179) والريفي هو الذي لا يسمح له بالزواج حتى يقتل ولو مرة واحدة على الأقل، وهو ما أورده نقلا عن الذي سماه "ويسترمان" لكن جرمان يقول نافيا "وإذا كان هؤلاء بأيديهم يحطمون المجموعة التي ينتمون إليها،أليس من السخافة أن يتكون منهم المدافعون على المجموعة الواسعة التي ترسم الوطن بعيدا من أن يساندوا البلاد، فاضطراباتهم قد دامت عشرة قرون "؟" فكانت جرحا من الصعب على السلاطين "المبعدين" معالجته "؟" ثم يقول "فالفوضى والسيبة وبعبارة أخرى الانفصالية صفتان لصورة مسلم بها، كانت حقيقة على الأقل عند الريفيين(180) وهذه

---

(179) راجع أصول حرب الريف عرض وتلخيص محمد الشامي في جريدة الاتحاد الاشتراكي ص 4 بتاريخ 5ـ8ـ1979 ودراسات في تاريخ المغرب لنفس المؤلف ص 189ـ221ط النجاح البيضاء 1986، بل وأصول حرب الريف ص 202 ـ 217 ط 1992 ترجمة البزاز وخلوق.

(180) نفس المصدر السابق ولو أننا أوردنا ما كتبه العربي اللوه تحت عنوان "المنهال"؟! في كفاح أبطال الشمال "حول أهل الريف واجبالة من صور قاتمة حتى إن المرء ليتصور سكان الريف وكأنهم وحوش الغاب، راجع ص 61ـ90 ط تطوان1982 ـ بل إنه في ص 198ـ99 كان أسوأ من محمد عمر القاضي في إدعائه المكشوف بل الرجل =

حقيقة وواقع معاش تنطبق على جل أهل الريف، لكنها مع ذلك غير شمولية، إن أطروحة عياش فيها الكثير من الحقائق، لكنها غير مسلم بها ككل حتى وإن وجد هو من وثائق الأرشيفات ما يساندها، فهل قبائل الريف كما قال غيره وأورد هو "مصبوغة بلون الإسلام، واللغة تختلف من طرف لآخر من البلاد، وأمام هذا الكل المبعثر الفوضوي جهاز يسمى المخزن، وعلى رأسه سلطان متسلط، مهدد باستمرار من طرف السيبة التي تتحدى السلطان وتنشد حريتها، وهذا الجهاز الذي يتكون من الموظفين الجنود لا وظيفة له إلا جمع الضرائب.. إلخ(181) لقد كفانا عياش نفسه مهمة النقد والتحليل لما أورده عن بعض الغربيين من آراء فجة بعيدة كل البعد عن الاستقراء العلمي(182) التاريخي وإن كان حكمه هو نفسه في بعض المواقف يحتاج إلى تعديل وتصويب خصوصا فيما يرجع إلى موضوع السيبة التي يلح كثيرا على نفيها جملة وتفصيلا، وهو ما كنا نقول به أيام الكفاح ضد الاستعماريين الذين كانوا يبرزونها لغاية هادفة، أما اليوم ونحن نكتب تاريخنا كما هو، وكما كان فيجب عدم إنسياقنا وراء العاطفة التي نعترف أننا كثيرا ما تصرفنا بها وبجموح في بعض المواقف التاريخية، والتي يجب علينا

= مثل زميله محمد عمر القاضي كتب اللوه هو الآخر 350 صفحة ولم يذكر ولو مصدرا واحدا مما استقى منه ما كتب. لكنني وقفت عندما انتهيت فيما كتب إلى استنجاده ص 199 بموسّخْ المملكة" حتى يصلح تاريخ المغرب ولا يحمل هذا الوزر وبنعت بهذه الصفة غير واحد ليست له علاقة بالمغرب وهو الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي ما أساء لتاريخ المغرب قبله ولا بعده مثله أحد قط، الاما كان من أمثال هؤلاء المتطفلين الذين منهم العربي اللوه البقيوي الريفي الجبهوي نسبة إلى جبهة كديرة التي ساهم العربي اللوه في تأسيسها، وهل يالوه من يرقص لمزمار الدخيل أحمد رضا كوديرا وجماعة المرتزقة معه يكتب التاريخ..؟

وما قصة العربي اللوح المكشوفة مع البطارئيين بمجسد قرية بوسياف بقبيلة بن خالد لغمارية إلا مثال على كتابته للتاريخ الذي يطالب من الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور موسخ المملكة العمل على تدنيسه بالطريقة التي عرف بها ويعرفه العربي بن علي اللوه في تطوان مع ابراهيم الوزاني...

(181) نفس المصدر السابق.

(182) كان وقت الثورة هناك بعض الصحفيين الأوربيين الذين اندفعوا بحكم فضول مهنتهم إلى الزيادة والمبالغة، حتى يجلبوا الأنظار إلى أشخاصهم ومغامراتهم والأفكار الغريبة إلى الصحف التي كانوا يمثلونها، وهم كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال المسيز فوربس الأنجليزية التي نشرت أنها اتصلت بابن عبد الكريم والريسوني ثم عادت وكتبت ما كتبت ثم قالت عنهما وعن المغرب ما نشرته مجلة النيل المصورة من مبالغات بعيدة كل البعد عن الصدق والصواب، راجع المجلة المذكورة ص 9 بتاريخ 25 شتنبر 1925م وليس هي فقط بل كثيرون مثلها من الذين تعرضنا لهم سابقا وقد أورد ذكرهم كريم خليل ثابت في كتابه المشار إليه قبل.

اليوم التخلصمنها(183).

ومهما يكن فذلكم هو الوسط الذي نشأ وشب فيه محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله، تلكم هي الأرضية التي نبتت فيها الثورة التي كان سداها ولحمتها الجبليون أولا، والريفيون ثانية، أي السابقون واللاحقون، فماذا عن المدرسة التي انتجت الروح ثم دفعت إلى تحقيق ما تحقق مما عرف الناس والتاريخ عن معركة أنوال وكيف تم الانتصار الذي أبهر العالم، ومن هم الذين حققوه في معركة أنوال التي رغم كل ما عرفته من كتابات ولا واحد ممن كتبوا أمكنه أن يتوصل إلى حقيقة من حقق ذلك الانتصار الذي لم يكن منتظرا إذا ما قورن بين القوتين عددا وعدة، والذي كان العامل الفعال لتحقيقه هو الدين أولا وقبل كل شيء، في الوقت الذي لم يكن لابن عبد الكريم من القوة والعتاد غير ما هو دون كفاية عدد الرجال الذين لم يتجاوز عددهم (250) مائتين وخمسين رجلا جمعهم في مركز امزاور على الحدود بين بني ورياغل وتمسمان وقد تعهد سلفيستر بسحقهم والقبض على محمد بن عبد الكريم ثم يفعل به ما فعل بأبي حمارة.

---

(183) كثيرا ما كنت أتلقى ملاحظات بذلك من المرحوم الدكتور طه حسين أيام نضالنا بالقاهرة حيث كنا نختلق من المواقف ما يتفق وتعلقنا بالعاهل الراحل محمد الخامس وعظمته ونقمتنا على الاستعمار الفرنسي وفظاعته مما سنتعرض له بعد 1950م إن شاء الله، ولعل كثير من الاخوة المغاربة الذين كانوا يترددون معنا على منزل عميد الأدب العربي شارع الهرم كل يوم أربعاء يتذكرون ما كان يجري وقتها من حديث حول ما كان يصفه الدكتور بالمبالغة أما عباس محمود العقاد صاحب ندوة يوم الجمعة بمنزله 13 ش سليم مصر الجديدة فإنه كان يرى ذلك منا مستحبا مادمنا في معركة مع العدو، وكلاهما سوف نرى مشاركته معنا في معركتنا عام 1953 إثر نفي عاهلنا، بل وقبل في عام 1951 يوم حوصر عاهلنا الراحل محمد الخامس رحمة الله عليه في قصره وقتها عرفنا كيف نكيل لفرنسا والاستعمار الفرنسي الضربات الموجعة بفضل التأييد والإنتصار الذي كنا نستمده من شعب مصر وصحافة مصر كما سنرى بعد.

محمد بن عبد الكريم الريفي أيام كان يعلم بمدرسة في مدينة مليلية قبل توليه القضاء مع الإسبان وقبل أن تتصل به جماعة الجهاد الإسلامي الاتراك الذين ربطوا الصلة بينه وبين المولى عبد الحفيظ الذي زوده بالمال بواسطة الحداوي الطنجي راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية

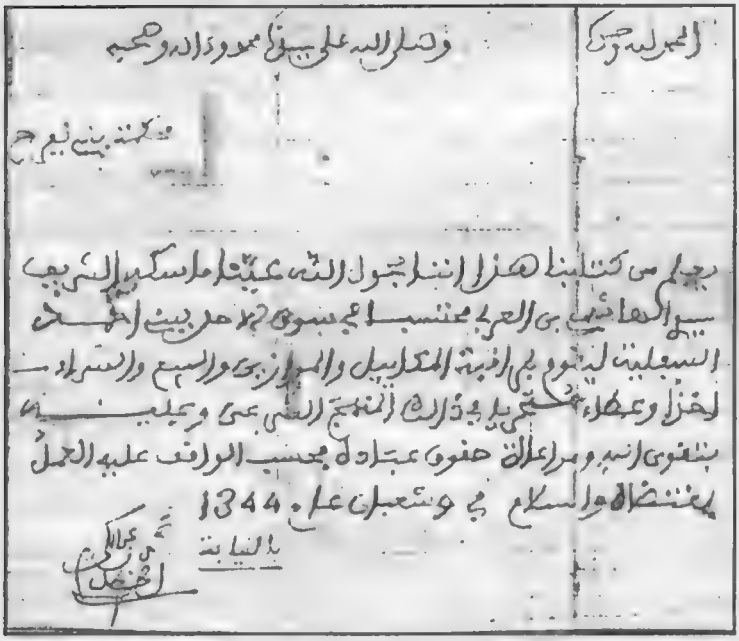

الوثيقة بخط محمد فتحا بن عبد الكريم بالنيابة عن شقيقه محمد بن عبد الكريم وهي تنص على تنصيب الشريف الهاشمي بن العربي محتسباً في سوق الأحد ببني أحمد السفلي. وهي بصيغة الظهائر السلطانية التي اقتبسها بوحمارة ينقصها الطابع والتي دفعه اليها الغرور يعلم من كتابنا الخ بالإضافة إلى طغيان قومه وسوء تصرفهم إزاء قبائل الريف والجبل الذين كان لهم الفضل في مقاومة الاستعمار مع الشريف محمد مزيان والبطل أحمد الريسوني

الفصل الواحد والثلاثون بعد المائتين

المحيط الذي صنع حرب الريف والأسرار الضائعة

حول معركة أنوال 22-6-1921

إنها بداية صغيرة لنهاية كبيرة

لقد أرادها سيلفيستري أن تكون هذه المعركة بين المسيحية والإسلام فكانت كذلك كما كانت، أيضا بين الحرية وخصومها، وبين الحق والباطل الذي أذل الله أصحابه المتسلطين، فكانت معركة أنوال شبيهة بمعركة وادي المخازن لم يخطط لها ابن عبد الكريم، لكن هي التي مكنت لابن عبد الكريم بما أوحت به الظروف التي صنعتها كلمة التوحيد وإدراك المومنين الصادقين المجندين مع الاسبان والذين هم فجأة انقلبوا عليهم بطريقة لم تكن في الحسبان ولاخطط لها أحد إلا ما كان من إرادة الله الذي ألهم عباده الصادقين فكانت الدائرة على الظالمين.

كان المحيط وخريطة الميدان السياسية قبيل المعركة والتي لم يخطط لها أحد كما يلي:

في الوقت الذي وجد فيه محمد بن عبد الكريم الخطابي المولود 1301هـ/1883 ليتزعم ثورة الريفيين ثم الجبليين ضد الاسبان عام 1339م/1920م وفي الوقت الذي فر فيه من مليلية إلى أجدير بعد محنة دافعة نافعة، كان المغرب وقتها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب بعد كما رأينا لم تهدأ فيه معارك المقاومة ضد الاستعمار، وقد مضى عليها في بعض الجهات مثل منطقة الشمال ومنذ حرب تطوان نحو الستين سنة، وفي الجنوب من توات إلى تافيلالت نحو الخمسين سنة، ومعنى هذا أن الزعيم ووالده، وجيلهما ولدا ونشئا وشبا وعرفا عهد الرجولة في حمأة النضال، وكل ما حدث من فتور كان نتيجة الظروف التي عرفتها البلاد بسبب انهيار سلطة المخزن، وما تسببت فيه الفتن

من ضعف وشتات انتهى بالبلاد إلى ما عرفته من تآمر الاستعمار وسيادة المستعمرين، حين تفرقت البلاد وأصبح شمالها من نصيب الاسبان الذين لم يتمكنوا من حكمها رغم قوة الحديد والنار، طيلة أكثر من عقد مضى منذ ثورة الشريف مزيان 1909ـ12 ثم الريسوني، وما تجمع حولهما من أحرار الجبليين والريفيين الذين لم يضعفوا بقدر ما عرفت القيادة الطعنات الغادرة من الخلف، أودت بحياة الشريف البطل أمزيان صاحب معركة الديوانة الذي قتل غدرا ومن قريب، والشريف أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني، الذي أنهكته العلة وتقادم عهد مقاومته، ومعنى هذا أن قيام محمد بن عبد الكريم الخطابي بالدعوة إلى المقاومة المسلحة في الريف، سوف لا تعلن حتى يستجاب لها، بل سوف تواتي الفرصة ويجد الأحرار ضالتهم عندما يعلن الأسبان أنهم توصلوا إلى عقد هدنة بتاريخ اليوم الذي ستتخذه القيادة الجديدة ميعادا للمعركة القاتلة التي ستعرف في التاريخ بمعركة أنوال نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه.

تلك هي أحوال قبائل الريف وأجبالة، أما جنوبا حولها كذلك، وحيث الفرنسيون، فقد كانت الثورات حامية في غير مكان من مختلف المناطق، مما شغل فرنسا ثم جعلها تتفرج زمنا وربما من مغامريها من تاجر في السلاح مع شواطئ الريف، إذكاء للنار التي سيحترق بها الاسبان الذين فتحوا نافذة إشعالها في المغرب، بواسطة الذين كانوا على اتصال مع السلطان السابق المولى عبد الحفيظ، الذي اتخذ مركز تدبيره في اسبانيا التي اختارها لمقامه في انتظار اتمام بناء القصر الذي كان يبنيه وهو قصر "حسنونة" في مدينة طنجة. لكنه أختطف من اسبانيا من غير أن يراه أو يتمتع بالاستقرار فيه وذلك عام 1920 عام إعلان الثورة في الريف والتي تأكد للاسبان اتصاله بابن عبد الكريم وتزويده بالمال كما فعل مع محمد أحمو الزياني حيث سجل ذلك محمد المختار السوسي رحمه الله نقلا عن ادريس ولد منو في كتابه "على مائدة الغداء» كما سبق.

أما في المنطقة الجنوبية، فقد اشتدت المعارك في أعالي وادي ورغة قبل مبادرة محمد بن عبد الكريم، وأثناءها، وستكون في ركابها وتشد أزرها ثم تلقحها بالأحرار من قبيلة بني وراين إلى الأطلس المتوسط، وقبائل زيان ثم آيت ورا، بل وحتى من تافيلالت كما أشرنا سابقا، خصوصا فتوى شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي المشار إليها

والتي سنتعرف عليها بعد،

منذ إعلان الحماية ومنطقة تازة وما حولها، لم تعرف استقرارا، بل عرفت أشد المعارك لأنها المنطقة الواصلة بين شرق البلاد وغربها، بل وبين قوات فرنسا في الجزائر التي كانت تستمد منها لغزو ما لم يخضع من أرض المغرب، والتي عرفت الويل والثبور قبل أن يكتشف اليوطي فكرة حشد الأهالي قهرا وبلا تجنيد لقتال إخوانهم حسب الطريقة التي ابتكرها وتفنن فيها جيرو بقيادة جموع الذين كانوا يطلقون عليهم "برطيزة" يقودهم أولئك الذين نصبوهم كقواد في القبائل التي سيطروا فيها.

في نهاية العقد الثاني وربما كان وقتها محمد بن عبد الكريم سجينا في مليلية "1919" يسمع عن اشتداد المعارك في أعالي ورغة ضد الفرنسيين، مما دفع باليوطي إلى توجيه كل من "هوري" وكان بعد لا يزال عقيدا، وزميله "بواميرو" على رأس قوات كثيرة إلى المنطقة التي أصبحت تغلى كالمرجل، بواسطة الإعلام والدعاية لما ظهر في الريف، وكان الطلبة والفقهاء وأئمة المساجد في نواحي المغرب الشرقي ينشطون الدعاية لصالح الثورة التي قيل سيتزعمها رجل كان يعرف بـ"الفقيه" وإذا هو قضى ما يقرب من الأربع سنوات في القرويين، فإنها كانت كافية لتضفى عليه حلة الوقار الذي كان يتمتع به رجال المعرفة وقتذاك، وما أكثر أمثاله وزملاءه في تلك المناطق التي كان للعلم والمعرفة فيها شأن وأي شأن.

لقد منيت قوات هوري بإنهزام كبير في عين مديونة، حيث قامت قبائل غياثة الشرقيين، وبني وراين بمهاجمة قوات الغزو الفرنسي مرات متعددة، خصوصا في شهر غشت 1919م الأمر الذي دعى إلى تركيز قوات الجنرال إبيرت، في المنطقة شرق تاهلا، وفي هذه الفترة كانت حكومة فرنسا قد انتصرت على قرار اليوطي في المغرب وضع خطط عريضة للغزو ضد قبائل جنوب ورغة، ولذلك وجه العقيد بواميرو إلى قبائل بني مسارة حيث دخل مدينة وزان ووصل إلى اللكوس في سبتمبر 1920م، ولقد عرفت مناطق المغرب الشرقي معارك لم تنقطع بقية السنة، وفي منتصف عام 1921م وجه العقيد بواميرو أيضا وقوات كبيرة إلى ناحية أولاد علال الأمر الذي دفع اليوطي إلى أن يوجه اهتمامه الكبير إلى عمليات الغزو ضد بني وراين حيث عمت المعارك الساخنة التي شاركت فيها

القبائل التالية بكل ما لديها من قوة، وبذلك كانت درعاً واقيا لمعركة أنوال التي لولا تلك المعارك التي شغلت القوات الفرنسية ثم وقفت على ذلك الانتصار الكبير، لاندفعت إلى المساهمة في محاربة المجاهدين بدافع التخوف من انتشار الثورة أكثر، ثم بدافع الفصل بين الشمال والجنوب حتى لا يحصل ما حصل بعد من التحاق كثير من رجالات قبائل ملوية كما سنرى بعد حين كلامنا على الدوافع التي دفعت بعد إلى إتفاق الدولتين واتحاد القوتين، الفرنسية والاسبانية ضد الثورة عام 1925.

كانت القبائل التي أثارت غضب اليوطي وأركان حربه وقتها بعد قتل بواميرو هي قبائل بني وراين وما حولها، وهي : بني بوزارت، والزراردة، وأولاد علي، وإيعجاج، وبني إسماعيل، وبني أخيار، وبني شيگر، وبني حماد، وآيت عبد الحميد،وأولاد لفرح، وأولاد علي، وآيت باطين، وبني عياد، واحنون، وبني زهنا، وبني منصور، وإيشملالن، وآيت بوحسان، وإيغزران، وامغيلة، وبني يازغة، وآيت سادن، وآيت صغروشن الشمال، وبني بوناصر، وغياثة، وبني وجان، ومكناسة والدسول، والبرانس، وبني فقوس، والطائفة، وآيت زكوط، وبني اعلاهم، وصنهاجة، وبويعلا ومرنيسة، وبني نجل، وفناسة، وأولاد بوسلامة، وبني وليد، وهوارة، وأولاد رحو، وأهل أرشيدة، وبني بوياحي، ولمطالسة وأولاد الحاج، وأولاد جرار، وأهل تايدة، وآيت احليداسن، وغيرها من قبائل شرق المغرب التي واجهت الغزو الفرنسي ثم قاومت قبل أن تتأثر بوسوسة بعض المجرمين الخونة أمثال العطار البشير بن محمد بن صالح الزمراني الذي بدأ سلفه عمالته للاستعمار الفرنسي منذ ما قبل الحماية وفي 1914م نصبه غورو حاكما لقبيلة الدسول التي فعل بأحرارها وبقوة الفرنسيين ما لم يفعله العدو بعدوه، ومثله أحمد المذبوح بقبيلته وعمرو ولد احميدو بمرنيسة والخلادى وغيرهم، وقد قتل في معارك تلك المنطقة ببني وراين كثير من الجنود الفرنسيين في هذه المرحلة، وأكثر كما سنرى بعد سنة 1922 و23 فقد قتل في كدية بوخميس الضابط لوسيان بوردو بتاريخ 19ـ5ـ1920م الأمر الذي زاد في حقد اليوطي على المنطقة فوضع لها خطة عنيفة للقضاء على روح المقاومة فيها حيث ذهب إلى مدينة تازة التي حل بها يوم 31ـ12ـ1920م وذلك حتى يشرف ويؤكد على التخطيط الذي يجب أن ينفذ من أجل الفصل بين ما كان من مقاومة شديدة وعنيفة في تلك المنطقة، وبين ما كان على

شاكلتها في الأطلس المتوسط، إلى إقليم تادلة وآيت ورا مرورا بملوية وآيت يوسي وزايان ثم إيشقيرن وآيت شخمان وآيت حنيني، وآيت يحيى ويوسف من أدارسة تونفيت، بل وحتى لا تلتحم تلك الثورات مع الثورة التي بدأت وأخذت تنمو في الشمال حيث قبائل الريف.

لقد كان لقوات القبائل المشار إليها أثرها الفعال في شغل ورعب إدارة الحماية الفرنسية في المنطقة المحيطة بالريف، كما كان لها الأثر القوي في الدفع بالأحرار لمساندتها والمشاركة فيها، وتلك القبائل هي التي سجلت التقارير الرسمية في حقها ما نقله هنري دوبوردو "انها كثيرة الأفراد وخطيرة بالمغرب" وكما قال معبرا عن رأي إدارة الحماية ما زوده به ابن أخيه دوبورنازيل "إنها القضية الكبرى مادامت منطقتها هي وسيلة الربط بين الشرق والغرب، والتي يعتبر حلها صعبا بسبب وعورة المنطقة وشجاعة أهلها الذين يأبون الخضوع للأجنبي "ولذلك أمر اليوطي جيوش الغزو بالتقدم جنوب فاس تازة، وكلف الجنرال أبيرت بتقسيم جيشه إلى فرقتين تتحرك إحداهما إلى الغرب، والأخرى إلى الشرق، قصد الالتقاء عند روافد وادي زلول، وبعد حروب طاحنة تم الإلتقاء بين الجيشين بتاريخ 9/يونيه 1921 بسوق أربعاء بني بوزرت، ولم يتمكن الفرنسيون رغم الحقد وقوة عتادهم، من إيقاف القتال، بل فقدوا حسب اعترافهم 63 ضمنهم ضابط كبير و104 جرحى من بينهم 6 ضباط.

هذا بالنسبة لخريطة الميدان جنوبا، أما بالنسبة للميدان الذي اختاره الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي لثورته، والذي كانت مساحته محدودة جدا قبل أن تتفتح الثورة على الآفاق الواسعة التي اندفعت إليها بحكم الانتصارات التي حصلت عليها منذ الوهلة الأولى، وحتى قبل أن تجد لها تجاوبا في القبائل المجاورة لقبيلة بني ورياغل، وإن كانت قد وجدته بين قبائل اجبالة منذ الصيحة الأولى لأنهم كانوا في ظروف دفعت الكثير من قبائل اغمارة والخمس إلى التلبية العاجلة، ولو فقط بالنسبة لبعضهم من أجل توجيه الصفعات إلى جيوش الاسبان وجنودهم الذين استباحوا إمكانات ومقدرات تلك القبائل أثناء المعارك وبعدها، ومن الجدير بالملاحظة أن محمد بن عبد الكريم في أول الأمر لم يتجاوب معه كثير من رجالات بني ورياغل، بقدر ما لقي التجاوب فقط من الأجديريين، وأكثر كان من التمسمانيين الذين اتخذ مركز انطلاقته الأولى في أرضهم "أمزاورو" كما

سنرى بعد، والمثل القائل "مغني الحي لا يطرب" صالح في كل زمان، ولكل مجال.

إن أشد المقاومة والمناوأة لقيها الرجل من قومه، لكنهم جميعا وبدون رحمة ولا شفقة تعرضوا للنقمة بعدما تمكنت سلطة القوم الذين التفوا حوله، خصوصا من الأجديريين، ومهما يكن فإن الدراسات الميدانية تؤكد أن محمد بن عبد الكريم لم يتمكن ويصبح مقبولا إلا بعد معركة أنوال التي تمت يوم 22ـ6ـ1921م والتي كان النصر غير المرتقب فيها حليف المومنين المجاهدين في سبيل دينهم ووطنهم، بل الذي عملت فيه الصدفة وروح الدين وتعشق الجبليين والريفيين للحرية التي كانوا محرومين منها قبل في عهد المخزن وأكثر في عهد الاسبان.

لكن من الذي صنع هذا الانتصار وكيف، وهل كان بتخطيط سابق واستعداد وإمكانات حرب، أم أنه وليد مفاجأة صنعتها نوايا شعب طيب تعرض لمكرسيء ثم شاء الله أن يحيق المكرالسيء بأهله، هذا هو السر الذي لم يكشف عنه باحث ولم يدونه لنا أي مؤرخ من الذين كتبوا حول حرب "الريف"، سواء الذين كتبوا بأنبل العواطف وأجملها، أو الذين أرخوا للتاريخ، لكنهم لم يلتمسوا المعرفة من أصحابها ولم يأتو البيوت من أبوابها، وحتى الذين كانت الحقائق ترقد بالقرب منهم، ولايحتاجون للكشف عنها إلا نفض غبار ليس بالكثيف، عميت أبصارهم عنها وداهمتهم الغاشية لاسباب واهية ولا يزالون أكثر من غيرهم في دياجير العنصرية القبلية يتقلبون، وحتى الذين هم دون ذلك لم ينظروا إلى تاريخ المقاومة الوطنية ولو في المغرب الأقصى ككل، وإنما فصلوها بالجهوية، وخصوصا منها الحرب "الريفية" التي كان أول من كتب حولها هم الأجانب الذين لم يسمعوا قط عن الملاحم المغربية في كل جهات المغرب، والتي حفر فيها من القبور للغزاة من المستعمرين الفرنسيين بعد فرض الحماية بعشرات الآلاف، لم يسمع عن تلك الثورات أحد ولا حتى من كبار المؤرخين أمثال الألماني بروكلمان(184) الذي قصر المقاومة فقط على تلك التي

(184) تاريخ الشعوب الإسلامية ج 127/4 حيث قال ولم تعرف البلاد المراكشية بعد؟ غير بطل واحد من أبطال الحرية هو عبد الكريم الذي كانت أسرته قد استقرت منذ زمن طويل في الريف عند أجدير على خليج الخزامي إلخ، على أن الكثير من الفرنسيين كتبوا لكنه في مواضيع متفرقة بين كتب ومذكرات وصحافة ومجلات، حول المقاومة المغربية منذ 1827 إلى 1938م إلا أنها كتابات تحتاج إلى تحقيق ويحتاج الإلمام بها إلى رغبة في البحث وطول نفس كما تحتاج إلى دراسة ميدانية يتفرغ لها القاصد بحب ووطنية حتى ينظف ما كتبه الأجانب ومن هم على شاكلتهم من لفرانكاويين المتزحلقين ذوي الشطحات المضحكة.

قام بها بطل الريف، وذلك لأنه لم يسمع عن تلك الملاحم التي كتمت أنفاسها فرنسا بقوة الحديد والنار، وأما ثورة قبائل الشمال بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله، فإن الذي رفع صوتها ثم جعله يتردد في أنحاء المعمور هم الألمان أولا وشكيب أرسلان ثانية، وذلك بفضل ما تحقق في معركة أنوال التي سنتناولها بعد، والتي بقيت ولا تزال أسرار الانتصار فيها بعد مجهولة ولم يكشف عنها ولا واحد ممن كتبوا حول "حرب الريف".

كانت المعارك التي خاضها الجنرال سيلفيستري منذ 1911 في منطقة اجبالة وضد المجاهدين من رجالها بزعامة الريسوني، مما أكد غروره بعدما ارتقى بسببها إلى رتبة الجنرالية ليس بما أبداه من شجاعة لم تكن من طبعه في تلك الحروب التي دامت نحو العشر سنوات رغم عدم التكافؤ في العتاد، مما يؤكد حقيقة ما كان عليه رجال الجيش الاسباني من جبن وفساد عقول إلى درجة الاتجار في أسلحتهم ومع ذلك كان لهم الحول والطول وحكم القهر على الشعب الاسباني الذي أعماه حقد قساوسته ورجعية رهبانه، وألقى به في الهاوية تطاول جيشه وغطرسة ضباطه، وذلك في الوقت الذي لم يكن فيه عسكريو إسبانيا غير قطيع من الهمج لا إنضباط لهم ولا نظام، وإنما مظاهر الجيوش وأشباه الضباط الذين أثقلوا صدورهم بكثرة النياشين، وأذرعتهم بحمل السيوف، مما دفع بعضهم وأكثرهم سيلفيستري إلى اعتقاد أن المغاربة أسهل للسيطرة عليهم واخضاعهم من الشعب الاسباني الذي كان وقتها يئن تحت أقدام الطغمة العاتية من الضباط الذين أذلوه بعدما وضعوا ملكهم "الفونصو الثالث عشر" في قفص ثم أخذوا يتصرفون كما شاؤوا بعقول هي أقرب إلى الهمجية منها إلى نظام جيش في بداية العقد الثالث من القرن العشرين، وبعد نهاية الحرب العالمية التي زودت جل دول أوربا بأحدث أنواع الأسلحة ومنها الاسبان الذين كانوا شجاعة وتكوينا دون مستوى استعمالها خصوصا الكيماوية التي امتلكوها عام 1925.

لقد سبق أن تعرفنا على بعض سياسة الجنرالين: خوردانا، وبيرجيت إزاء قبائل اجبالة والريسوني، والصراع الذي عرفته تلك السياسة التي زادها فسادا عجرفة سيلفيستري الذي كان يضع نفسه فوق الانصياع لأوامر المندوب السامي الاسباني في المنطقة، بل وما قام به من إذكاء لروح الفتنة والشر في نفوس قواد المنطقة، وأحيانا أبناء

القبيلة الواحدة إلى أن جاءت سياسة بيرنجر الذي عين مندوبا ساميا، ومع ذلك لم تكن له سلطة كاملة على سيلفيستري الذي بالإضافة إلى أقدميته في المنطقة كان يتمتع بصداقة مع الملك الفونصو الثالث عشرحيث كانت تلك الصداقة أكبر عامل في غروره وتهوره وفساد سلوكه.

كانت قوات الجيوش الاسبانية في المنطقة الشمالية قد نظمت بطريقتهم الخاصة، كل في المنطقة التي خصصت له حسب هواه، وحيث وضعت الجيوش في المناطق التالية:

1) منطقة مليلية شرقا ـ وهي المنطقة التي ستكون فيها معركة أنوال وعلى رأسها الجنرال سيلفيستري.

2) منطقة سبتة وما حولها، ومجالها الشاطئ إلى تطوان ثم نهر مارتان وقائدها الجنرال بيرنجر،

3) منطقة العرائش وتشمل ناحية طنجة ومجالها منطقة الجنوب

والذي يهمنا التفصيل فيه هو جيوش منطقة مليلية بقيادة الجنرال سيلفيستري، وإذا نحن عرفنا أن هذا الجنرال كان مغرورا إلى درجة لم يكن للمندوب السامي معه أي تفاهم كما أشرنا، بل كانت أوامر بيرنجر وتعليماته عنده غير معتبرة، وبسبب ذلك لم ينسق معه أي عمل، بل كان الجنرال سيلفيستري يتصل مباشرة مع وزارة الحرب في مدريد، وحتى هذه كانت تسايره ولو على حساب السياسة التي كان المندوب السامي بيرنجر يرى من الأحسن نهجها، وكان هذا يثير الضغائن في نفوس بقية الجنرالات الذين كانوا في المنطقة، بل كل ذلك يحسب على الملك الفونصو الذي كان سيلفيستري ينهج ويتصنع الاستعلاء بحكم صداقته، الأمر الذي أفسد العلاقة بين مختلف القيادات في المنطقة، والتي عجز خوردانا في محاولات التنسيق بينها من جهة، وبينها وبين سيلفستري من جهة ثانية، ودامت هذه الحالة زمنا غير قصير، واشتدت أكثر منذ أن عين خوردانا عام 1918م، وفي هذه الفترة اشتدت هجمات قبائل اجبالة في أماكن متعددة مما دفع بالأسبان إلى أن يشيروا علي الخليفة السلطاني المهدي بن إسماعيل الذي عينه المولى يوسف بالمنطقة بتاريخ(185) 5ـ6ـ1913 وحل بها يوم 27ـ4 أصدر بلاغا يقول فيه: إن

(185) نفس النهج الذي سلكه اليوطي في منطقة الحماية الفرنسية لكن بأسلوب فرنسي كما سبق أن بينا ذلك من خلال المراسلة التي وجهت إلى التقي ولد الشيخ محمد العربي الدرقاوي.

الريسوني خارج عن القانون مما أفاد منه ابن عبد الكريم الداعي للثورة بإقبال الذين لم يعد ثمت مجال لنضالهم ومقاومتهم ضد الكفار، وتقوى الداعون إلى ضم الجهود أكثر عندما أقدم الاسبانيون على احتلال مدينة الشاون بتاريخ 14-10-1920م، كمرحلة في سبيل القضاء على مقاومة الريسوني الذي هوجم في عرينه بتازروت حيث دامت الحرب بينه وبين الاسبان مدة ما يقرب من شهر، أي من 25-6 إلى 22-7-1921م وفي هذه الفترة إلى يوم 22-6 منه، كانت معركة أنوال، مما يستدل به على أن قيادة المنطقة وضعت في حسابها التخوف من إنضمام رجال الريسوني إلى المعركة، وإذا لم يكونوا كلهم فإنه لا ريب كان كثير منهم قد إلتحقوا بمنطقة القتال قبل وبعد المعركة، وبذلك يمكننا القول أن قوة الريفيين والجبليين، بدأت تتواصل صفوفهم وتتوحد قوتهم من أجل الهدف المشترك الذي لم يكن غير الجهاد في سبيل الله ومقاومة العدو الكافر الذي ترامى على الوطن وأذل المواطنين.

مضت سنة 1920 وأقل من السنة بعدها، مارس المجاهدون فيها غارات مركزة على مراكز الاسبان في مختلف المناطق، الأمر الذي أزعج مختلف القيادات السابق ذكرها، حيث قامت بحملات متكررة، لكن اتساع الخريطة واختيار المجاهدين للفصول والمواقع، أي بمعنى آخر فرضهم على الاسبانيين توقيت القتال ومكانه كان يضع قواتهم دائما في موقف حرج، أما الجنرال سيلفيستري الذي كان له تخطيطه الخاص به، بحيث كان من حين لآخر يتحرش بناحية من النواحي القريبة من موقع قيادته، ورغم أن تكاليفه كانت عالية جدا وتأثير عمله سياسيا وفي نفوس المجندين المغاربة كان أشد سوءا وأقوى فعالية في التخطيط الذي سيدفع بالجنرال وجيوشه إلى الهاوية وسوء المنقلب، ذلك أن الجنرال وقد مضى عليه في المنطقة أكثر من عشر سنوات، ثم هو يسمع ويعيش ما كان الفرنسيون على مقربة منه يفعلون ببعض المجندين من الجزائريين والتونسيين والمغاربة وما يحققون بهم من أهداف دونما إراقة لدماء الفرنسيين، وأحيانا ولا حتى المجندين من المرتزقة الأوروبيين، ولذلك هو الآخر أخذ يستعمل المجندين من المغاربة في صفوف قواته، وبلغ عددهم أربعة آلاف 4000 جلهم من قبائل الريف واجبالة، وقليل من المتذمرين من وضع قبائلهم الجديد تحت حكم الفرنسيين المستجد، غادروا مواطنهم من أعالي ملوية

وجنوب ورغة، هؤلاء بإشراف بعض الضباط الاسبانيين هم الذين دفع بهم الجنرال لاحتلال موقع دار داريوس في شهر ماي 1920م، وتافرسيت في شهر أوت من نفس السنة، وإذا ما عرف المجاهدون من هم المقاتلون المتقدمون نحو تلك المراكز، فإنهم لم يقفوا في طريقهم، وبذلك لم يلق المجندون ولا مقاومة تذكر من بني ورياغل المعنية قبل غيرها بالمواجهة مما أغرى الجنرال ثم دفع به إلى التفكير في احتلال مركز أنوال الواقع في الحدود بين بني ورياغل وتمسمان، وداخل حدود هذه الأخيرة، وإذا نحن تعرفنا بما يكفي على نفسية الجنرال سيلفيستري ووضعيته وعلاقته السياسية سواء مع المندوب السامي أو القيادات الأخرى، وبالتالي استبداده في التصرف، إذا نحن عرفنا كل ذلك، فإنه يتأكد لنا ما أصبح عليه من عنف وعجرفة بعد احتلاله للمراكز المشار إليها، ومن آخر مركز أصبح يوجه سياسته الرامية إلى احتلال بقية مناطق الريف، وقد كان يمهد لسياسته تلك بتوجيه كل ما في قواميس اللغة الاسبانية من ألفاظ بذيئة ضد الريفيين وقيادتهم التي عرفت وقتها، ولم يكن في مقدمتها غير الفقيه محمد بن عبد الكريم كما كانوا يطلقون عليه، ووقتها ورغم ما عاشه سيلفيستري في المنطقة، فإنه برهن على أن العقلية الاسبانية وقتها كانت متخلفة جدا، وأنها ما تمكنت من وجودها في شمال المغرب إلا عن طريق الفرنسيين الذين مكنوهم من ذلك حفاظا على مصالحهم، ونزولا عند رغبة الانجليز الذين كانوا لايطمئنون إلى وقوع مضيق البوغاز أمامهم في يد دولة قوية، فقد برهن الجنرال بعد احتلاله لمركز أنوال على بلادة حسّ وقلة دراية في السياسة، ذلك أن اعتماده زاد على المجندين الذين أصبحوا قوة فعالة يعتمد عليها كما هو الشأن بالنسبة للفرنسيين على مقربة منه، والذين يتردد صدى حماس خادمهم الذي أصبح عمدة بقبيلة الدسول البشير بن محمد بن صالح الزمراني ضد الإسلام والمسلمين، إلى درجة أصبح جانب من قبيلة الدسول المتمسكة بأبي حمارة والتي أصبحت أنفع للفرنسيين في المنطقة من كل الجنود، وذلك بفضل قائدهم المذكور ومثله أراد الجنرال سيلفيستري أن يفعل بالمجندين المغاربة إلى ردجة أنه صمم على التوغل في أرض بني ورياغل.

إن مركز أنوال الذي اقتضى تخطيط سيلفيستري دون اعتماد على إدراك ما للوضع من الخطورة أن يتخذه مركزا لتجمع كل ما لديه من قوة، يقع في مكان مناسب

جدا للمجاهدين عندما يتواعدون للحضور إليه، لقد أصبح مركز أنوال الذي حط الجنرال فيه رحاله وحشد كل قواته دافعا ملحا كي يتطلع الجنرال إلى التقدم في أرض بني ورياغل وموطن الفقيه محمد بن عبد الكريم أجدير، حتى يذله ويذل قومه، وإذا هو عزم وانتهى خبر عزمه إلى الجنرال بيرنجر، فإنه كتب إليه ناصحا ومحذرا بتاريخ 21-5-1921م ومثله فعل العقيد موزاليس بدافع الصداقة، لكن الجنرال سيلفيستري أجاب بعجرفة أن لا بد له من احتلال أجدير وإلقاء القبض على محمد بن عبد الكريم ثم ارساله في قفص إلى مليلية ليكون فرجة فيها. كما فعل السلطان عبد الحفيظ بأبي حمارة.

بقي الجنرال سيلفستري يستعد ويوجه كتائب الغزو من المجندين المحقرين منه هنا وهناك لمدة أكثر من ستة أشهر، وهي المدة التي اهتدى فيها المجاهدون وأكثر منهم فقهاء وأئمة المساجد في كل من اجبالة أولا، والريف ثانية، هؤلاء هم الذين اهتدوا إلى التخطيط الذي حقق ذلك الانتصار العظيم بواسطة المجندين داخل الجيش الاسباني أولا، ثم المجاهدين الذي أجهزوا على البقية ثانية، ولم يكن عددهم يتجاوز (1800) ألف وثمانمائة مجاهد هم كل ما تجمع من تمسمان إلى بني مسارة، لكن ماذا فعل القوم وما هو التخطيط الذي اعتمدوا عليه في تحقيق النصر ضد جيوش تعدادها 24000 فيهم 4000 من المغاربة وعشرون ألف من الاسبان ثم هم مسلحون بأحدث أنواع الأسلحة وأقواها.

الباب الرابع والعشرون

الفصل الثاني والثلاثون بعد المائتين
شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي
والانتصار لحرب الريف

لقد كان التخطيط عفويا ولم يكن قد وضع ضمن استراتيجية اتفقت عليها قيادة معينة، ذلك أن مجموع قبائل المغرب وخصوصا في الجنوب إلى أرض سوس انتشرت بينها دعاية أن من قاتل الفرنسيين ثم قتل لا يعد شهيدا، وكان مصدر هذه الدعاية إدارة المقيم العام اليوطي بمؤازرة محمد كاباص"الجباص" فقد سبق أن أشرنا في فصل سابق حول مقاومة قبائل الأطلس المتوسط وتافيلالت، إلى أنه زمن الحرب العالمية 1914م وهي السنة والتي بعدها أخذ اليوطي فيهما وفي غيبة عن المغاربة سلطانا وشعبا، يضع أسس ووسائل السيطرة على المغرب سياسيا وإداريا بواسطة ما كان يشرع من قوانين كما سنرى بعد، وقتها وجه رسالة عليها طابع السلطان المولى يوسف إلى كل المسؤولين ومن له جاه وشفوف في المغرب حتى ينشروا ما ورد فيها بين المواطنين(186) ولم يكن غير التحذير من قتال الفرنسيين على حد زعم الرسالة لأن هؤلاء تربطهم مع الدولة معاهدة حماية وقعها السلطان السابق بصفته الشرعية، والذي هو أمير المؤمنين، وأن كل من قاتلهم وقتل يموت ميتة جاهلية مادام قتاله بغير إذن السلطان الذي هو أمير المؤمنين، ومن جملة تلك الرسائل ما وجه إلى منطقة الأطلس وتافيلالت تلك التي وجهت إلى الخليفة السلطاني بها، وهو المهدي بن الرشيد بن السلطان محمد بن عبد الرحمن، الذي كان قد حل مكان والده الرشيد المتوفى 1330 هـ/1911م في عهد المولي عبد الحفيظ، وأكد تنصيبه المولى يوسف(187) وإذا كان المولى المهدي حين توصل بالرسالة جمع القاضي وأعيان

---

(186) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية.

(187) راجع المعسول 355/16 ولقد كان الدافع لوضع مثل هذه الرسائل من طرف اليوطي والصدر محمد كاباص "الجباص" وتوزيعها على جهات المغرب، هو التخفيف من شدة المقاومة التي دفعت الاشتراكيين إلى =

البلد والوجهاء بضريح المولى علي الشريف ثم قرأها القاضي عبد الواحد الأنصاري على من حضر، وإثره قام قيم الضريح ليقول في الحاضرين.

إنها أوامر المخزن ومن خرج عليها لا يلومن إلا نفسه وسيعاقب..) وياليته سكت بل أكثر من ذلك فقد طلب الخليفة المذكور من القاضي المسكين أن يضيف البهارات إلى طبخ قيم الضريح "الحاج لخلافة" غير الناضج، فكان ذلك هو السبب في قتل كل من القاضي وقيم الضريح بعد على يد ابن بلقاسم زمن التزونوني بتحريض من ولد اجميعية أو هدام القصور كما كانوا يطلقون عليه أما الخليفة فإنه فر إلى أرفود ثم إلى بوذنيب التي كان اليوطي نفسه حين زارها أمره بالالتحاق بالرباط التي التحق بها عن طريق بشار وهران ـ وجدة ـ تازة ـ فاس وفيها بقي إلى أن توفي عام 1345هـ/1926م حيث دفن بالزاوية الوزانية، ولم يعد خلفه إلى تافيلالت حيث سكنوا في قصر لمعاضيد أرفود إلا في عام1352هـ/ 1933م حيث أسندت القيادة لولده محمد بن المهدي.

كانت الرسالة التي قرئت بضريح المولى علي الشريف السبب في تحركات المؤطرين للمجاهدين في المنطقة، الذين أصبحوا يجدون معانات ومضايقات بسبب ما جاء في الرسالة من أن من مات يموت ميتة جاهلية وهذا كل ما كان يعني الناس من جهادهم هو قتال الكفار كواجب ديني، وبالتالي الحصول على الاستشهاد في سبيل الله، وقامت ضجة مشوشة لمدة أكثر من شهر لطفهاما ظهر من مختلف فقهاء المنطقة وأئمة المساجد، وفي مقدمتهم القاضي عبد الواحد بن الهاشمي الانصاري الذي لما سئل عن قول الشرع عاد وتجاهل الرسالة التي أمره المخزن بقراءتها وبيان ما ورد فيها(188) بل كانت فتاوى كل الفقهاء إيجابية أعادت الحماس والاطمئنان إلى النفوس بواسطة خطب الجمع وأحاديث الناس في مختلف تجمعاتهم هنا وهناك، ومع ذلك لم يكتف المؤطرون للمجاهدين الذين دخلوا في صراع مع ممثل المخزن بفتاوى فقهاء المنطقة، بل وكما سبق

= اقتراح التخلي عن المغرب وقتها، لكن اليوطي التزم لحكومته بقدرة المحافظة على الوجود بما كان عنده من قوة فقط وقد سبق لنا أن فصلنا في هذا الموضوع وقتها.

(188) ومع ذلك لم يشفع له هذا الموقف زمن بن بلقاسم النكادي الذي قتله باتفاق مع التزونوني ظلما وبإيعاز من ولد اجميعة البعامي لا سامحه الله لأن الدافع كان هو شدة عدائه للفرنسيين، ونفوره من المخزن كما يؤكد مواطنوه.

وجهوا وفدا بطريقة سرية إلى مدينة فاس من أجل الحصول على فتوى ليؤكدوا بها فتاوى علماء البلد، وتقول الرواية المحلية إن الوفد كان من ثلاث رجال يتقدمهم الشريف حمزة الحوتي الذي استشهد بعد في سنة 1916م كما سبق والمولي الحسن بن المصطفى من قصر الدويرة، والثالث قيل من غير تأكيد ربما هو عسو وعجو كمرافق للاثنين، وهو من قصر الجرامنة "آيت عطا سكان الرتب".

يقول الراوي أن المقصود كان عبد الرحمن بن القرشي الامامي الفيلالي، لكنهم لما حلوا مدينة فاس وجدوا أن الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي كان قد نصب قاضيا على فاس الجديد وأحواز فاس، وفعلا قصدوه بواسطة الحاج محمد البوعصامي من سكان قصبة فيلالة ثم أفضوا إليه بما قدموا من أجله وإذا هو أخذهم إلى منزله، ويقول الراوي أن أول سؤال طرحه عليهم بعدما أفضوا إليه بما قدموا من أجله وما كان في شأن الرسالة التي قرئت بضريح المولى علي الشريف هو: هل أفضيتم لأحد هنا بما قدمتهم من أجله فبادره الشريف حمزة الحوتي فذكر له اسم شخص نزلوا عنده بقصبة النوار وهي قصبة الفيلاليين بفاس، وما كاد يذكر الاسم حتى أمره أن يتوجه إليه ثم يأتي به حالا، وأرسل معه شخصا ليقوده من أخصر طريق، وفعلا وجدوا الرجل وهو الحاج محمد بن عبد الله البوعصامي بباب القصبة ومعه شخص آخر، فلما رآه أقبل عليه ثم سأله فتبين أن الرجل بعد لم يبح لأحد بما علم، ومع ذلك أخذه معه إلى منزل القاضي حسب الأمر، وما كادا يدخلان على شيخ الإسلام حتى تبين أنه يعرف البوعصامي، وهو أيضا من أهل الخير وبه عرف، وهنا أيضا يقف المرء مبهوتا أمام حسن تدبير هذا الشيخ الإمام وما أبداه من رأي وما وجه القوم نحوه من تصرف حتى يكونوا في مأمن إلى أن يعودوا إلى موطنهم وقومهم.

يقول الراوي لقد لامهم على قدومهم من تافيلالت إلى مدينة فاس من أجل فتوى مثل ما طلبوا لأن بلادهم كانت تتوفر وقتها على علماء أكفاء، ثم ذكر لهم بعض الأسماء وفيهم محمد بن أبي القاسم المدغري الإمام الراتب في الجامع بقصر أصرغين تافيلالت، وفعلا كان هذا الفقيه من المتحمسين للجهاد ومقاومة الفرنسيين منذ كانت قوافلهم تتوجه إلى توات بقيادة العالم الجليل المولى أحمد بن الحسن السبعي، وقد وقفت على مراسلة

فقهية بين الرجلين تتعلق بموضوع الجهاد سبق إدراجها في ترجمة السبعي كما أشار شيخ الإسلام على الجماعة أن لا يحملوا معهم أية فتوى مكتوبة في الموضوع(189) وأن يكتفوا بما ألقاه عليهم مشافهة حيث أكد لهم صحة ما أفتى به علماء تافيلالت، وزاد عليهم بإثم المتقاعس عن الجهاد وتعرضه لغضب الله، وللتقية عليهم أيضا أن يحملوا معهم فتوى في موضوع تركة معقدة أرسلهم بعد إلى سن سينجزها لهم وذلك ربما يكون خبرهم قد ذاع، أو ربما يتعرضون لتفتيش في الطريق، وكثيرا ما كان يحصل بين أزقة المدن فضلا عن قاطعي المسافات البعيدة، ومن جهات لم يكن بعد قد استسلم أهلها، وفعلا لم يدرك القوم خطورة موقفهم إلا بعد ما سمعوا من الشيخ الإمام ما سمعوا كما أن الشيخ الإمام لم يكن بعد قد سمع بخبر الرسالة التي أرسلها اليوطي والتي أثارت الضجة إلا من الذين قدموا عليه، وإذا هو ودعهم فإن اهتمامه بالموضوع لم ينته، بل تابعه بالبحث، فوجد أثر الرسالة فعلا قد أخذ يظهر فيما حول مدينة فاس وبقية قبائل شرق المغرب، وإذا الرجل كان على صلة بقدماء طلبة الثانوية الإدريسية بفاس وطلبة جامعة القرويين، فإن مجال ووسيلة مقاومته لشرور تلك الرسالة كان بين هؤلاء وأولئك خصوصا أبناء البوادي الذين سارع الكثير منهم وبتوجيه الشيخ الإمام بالرحيل إلى قبائلهم والجهات التي ينتمون إليها حاملين معهم بعض الخطب المنبرية التي تناقلها جل أئمة الجوامع في مختلف القبائل، وقد حصلنا على نسخ من تلك الخطب التي أشرنا قبل إلى أنها التي ألهمت الفقهاء وأئمة المساجد في كل من اجبالة والريف إلى الخطة التي هدت بنيان الاسبانيين السياسي والعسكري في المنطقة، وقضت مضاجعهم في معركة أنوال بفضل يقظة ضمير المجندين وسوء تصرف الجنرال سيلفيستري، الذي أعماه الحقد والتعصب والتمسك بروح الاستبداد الذي دفع به إلى إصدار الأمر بالدخول أرض قبيلة بني وراغل وتمسمان، وبالتالي تحديد زمن المعركة زغم تدخل الجنرال بيرنجير والكتابة منه إلى سيلفيستري بتاريخ 21-5-1921م بل ولا تدخل العقيد موزاليس قائد حامية مليلية الذي حذره من الغزو وقتها.

(189) يوجد رسمها في الكتاب ترجمة الشيخ السبعي.

وهكذا إذا كانت قبل قد انتشرت الدعوة إلى الجهاد ومقاومة الاستعمار بواسطة خطب الجمع فترة غير قصيرة إلى ناحية فجيج وتافيلالت وآيت عطا سنوات، ثم نشطت في المنطقة الشمالية أيام ثورة الريسوني وقبيل ثورة الريفيين وإذا علمنا أنه ذاع وانتشر في مدينة فاس أن القاضي محمد بن العربي العلوي قد اشترى حصانا ثم هيأه للالتحاق بالمجاهدين في الشمال، وأن الاشهار للفكرة أخذ له دورا كبيرا بين طبقة المثقفين الذين تجندوا لنشر الفكرة قصد التأثير على طلبة البادية الذين كانوا يزاولون دراستهم بالقرويين ويحضرون الدروس التي كان الشيخ الإمام يتطوع بإلقائها عشية أيام الاثنين والخميس والجمعة بحيث زاد يوم الجمعة مذ علم بخبر رسالة التثبيط المنسوبة للساطان الأمر الذي دعى كثيرين من الطلبة بعد إلى العودة لمواطنهم والتجند لمقاومة أثر الرسالة المذكورة. وإذا علمنا أنه كان للمجندين أنفسهم سواء في جيش الفرنسيين أو الاسبانيين أئمة يؤمون بهم في الصلوات الخمس ويقيمون صلاة الجمعة، ويقول بعضهم إن خطب الحث على الجهاد وصلت إلى بعض أئمة المجندين الذين وإن لم يلقوها فيهم كان الحديث حولها قد احتد وطال بين أولئك المجندين الذين أصبحوا يسمعون من بعضهم أن من يموت منهم على حاله، وهو يقاتل تحت رأية الكفار يموت على ملة الكفر، ومآله جهنم وبئس القرار، وأن من تقاعس عن الجهاد ولم يقاتل ضمن صفوف المجاهدين يلقى نفس المصير.

وفي هذه المرحلة أيضا كانت ثورة الريفيين سواء الذين كان محمد بن عبد الكريم الخطابي قد أغراهم بالمال، من قومه بني وريا غل أو الذين اندفعوا بروح التربية الدينية والغيرة الوطنية، قد بدأت تشق طريقها وأخذ رجالها يحققون بعض الانتصارات، الأمر الذي قوى من عزم الرجل ثم جعله يتطلع أكثر إلى إقبال جماعات من مختلف قبائل الريف واجبالة، ووقتها ظهرت مميزات محمد بن عبد الكريم فقد أشرنا قبل إلى أنه كان قد بدأ بعض غاراته مع قلة على بعض المراكز التي كانت وقتها بيد الأسبان، وقد أمكن تحرير بعضها مثل مركز "دار أبرا" الذي كانوا قد خلصوه بواسطة جماعة قيل إن عددها لم يتجاوز الثلاث مائة(190) استطاعوا أن يخلصوه من الأسبان بعدما قتلوا منهم

(190) الحركات الاستقلالية ص 126 ط القاهرة 1948 وعمر أبو النصر الذي عنه أخذ صاحب الحركات ص 121 ط 1934م لأنه أول من نشر نقلا عن كريم ثابث.

أربعمائة جندي (400) و6 ضباط ثم معركة "سيدي بيسان" شمال أنوال حيث قتل من الاسبانيين ثلاثمائة وأربعة عشر (314) ومن المجاهدين سبعة عشر (17)، وهنا انتهى الغضب بالجنرال إلى أن ركب نفسه فكانت معركة أنوال.

كان مركز "أمزاورو" في أرض تمسمان، والذي اتخذه محمد بن عبد الكريم منطلق عملياته بسبب إخلاص التمسمانيين وصادق إقبالهم على الجهاد، قد أصبح بعد المعركتين السابقتين مقصد الكثيرين جدا من المجاهدين ذوي العزم، وغيرهم من الهادفين تحقيق ماذاع وانتشر أنه تحقق لبعض السابقين من مغانم ومكاسب، وهنا أيضا يلاحظ المرء المستوى الذي كان عليه محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أمكنه التوفيق بين مختلف المشارب التي ظهرت وقتها، وأن يجمع شتات قومه الذين تنوعت مقاصدهم واختلفت أغراضهم ومنهم أولئك الذين أثبتت الدراسات أن من عاداتهم القديمة والتي لم تتخلف أنهم كثيري الأغراض والمقاصد الذاتية، سريعي التحول والتقلب، خصوصا من قومه الورياغليين الذين رأى منهم والده من الويلات والمتاعب ما رأى، والذين ينقادون بسرعة كبيرة إلى إرضاء كبريائهم ولو بهلاك من يعترض طريقهم، وهم أولئك الذين عز على كل الذين سبقوا محمد بن عبد الكريم أن يجمعوهم رغم المحاولات، لكن الرجل أمكنه ذلك بالمال وعندما تمكن بعد خوضه المعارك التمهيدية التي أبانت أنه أفاد مما سبق، خصوصا وأنه كان على جانب من الخلق والدين، كماتميز بنوع من الشهامة اقتسمها حسبما وقفنا عليه مع عمه عبد السلام وشقيقه محمد فتحا رحم الله الجميع، وإن كان قد اختص دونهما بنوع من الغضب لأقل ما يدفع إلى الغضب، حتى إنه ما كان ليقبل رأيا يخالف رأيه، مما كان يدل على أن الرجل طبع على الصرامة التي ربما شب عليها، وقد أفادته في حياته التي بحق كانت حتى في علاقاته البشرية تدل على نوع من المثالية لا تعرف لأول وهلة، وكثيرا ما سببت المتاعب له وللآخرين الذين يختلفون معه في الرأي، مهما كان الأمر الذي يجعل من يستوعب تطورات حياة الرجل يدرك أن سبب كل ذلك كان من أثر الانتصار الذي حصل عليه بعد معركة أنوال التي ديست فيها كرامة الأسبان، حتى إن الأمر لم يقف بعد عند حد تحطيم معنويات الجيش الأسباني ضباطا وجنودا، بل قيمة واعتبار الدولة التي ينتمي إليها ذلك الجيش، وإذا كان الذي حقق ذلك

الانتصار هم المجندون في جيش الاسبان من أهل الجبل والريف والذين تحولوا فجأة فانقلبوا بسلاح الاسبان ضد الأسبان كما سنرى بعد وأن الذي قطف الثمار واستغل ذلك النصر هو محمد بن عبد الكريم الخطابي، فإن كل من يحاول مراجعة الرجل في رأي من آرائه وما يريد كمن يريد أن يقرر على مسامعه ما سبق، وبذلك لا ينتظر منه غير التصادم، وهذا ما حصل أحيانا بينه وبين بعض السياسيين في بعض الظروف؟؟ وهو ما سنتناوله بعد حين كلامنا عن الرجل بعد نزوله بالقاهرة وعلاقته مع حزب الاستقلال وزعيمه علال الفاسي وما حصل من صراع عشناه وكنا طرفا فيه بدافع التحزب.

هذه هي النظرية التي كونتها عن الرجل بعدما انتهيت من دراستي للمرحلة من جميع جوانبها، ومن خلال الحقائق والوثائق وهذا هو الجو والإمكانات التي كانت مع الزعيم وقت معركة أنوال وقد قيل إنها في مجموعها أقل من الألفين كان كل رجل منهم يعتمد على الله وعلى ما عنده من إمكانات سلاحه، وتموينه ، ولباسه، ولا ينتظر من أحد أن يمده بشيء ما عدا عدد بسيط جدا قدر بعشرين رجلا اتخذهم محمد بن عبد الكريم من بني وريا غل، ومن أهل أجدير بالذات شبه حراس له بمقابل، وإذن ما هي قوة الاسبان والإمكانات التي خاض بها الجنرال سيلفيستري المعركة؟ وكيف بدأ تحرشه وصدامه مع المجاهدين قبل المعركة مباشرة؟ وما هي نتائج تلك المعركة التي كان للدين فيها أكبر وأبلغ الأثر بفضل فتوى شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وجهود الطلبة الجبليين والريفيين بجامع القرويين وأئمة وخطباء المساجد في مناطق الشمال ومعسكرات الأسبان.

الفصل الثالث والثلاثون بعد المائتين

المجندون الذين حققوا النصر في معركة أنوال وبعدها

إنها معركة ظهر ابران تيزي عزة أنوال سيدي إدريس التي اشتهرت بمعركة أنوال كان الجيش الاسباني قد أصبح يتوفر على أحدث أنواع الأسلحة التي أنتجتها معامل أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، وكان عدد الرجال الذين تعزز بهم الجنرال سيلفيستري الذي تعرفنا على أنه كان قائد منطقة مليلية ـ حوالي أربعة وعشرون ألف جندي 24000 منهم أربعة آلاف من المجندين الريفيين والجبليين وغيرهم من الذين ساقهم التذمر وظروف القهر والاضطهاد الذي مارسه الاسبانيون في المنطقة خصوصا في الأماكن التي بسطوا نفوذهم عليها، كما اندفع بعضهم إلى الانخراط في جيش الاسبان بدافع الفقر والاحتياج، ومهما يكن فإن أكثر من 90٪ من المجندين المغاربة لم يكونوا ليفقدوا روح الوطنية والنقمة على الاستعماريين، حتى إننا سوف نجد بعضهم وبعد أكثر من ثلاثين سنة بعد، وفي أرض الفتنام ينقمون على الفرنسيين وينضمون إلى الفتناميين، فما بالك وهؤلاء المجندين يرون ويسمعون ما يعيشه ذووهم تحت ظلم الاسبان وقهرهم، بل ومنهم من نكب في أهله وماله ونفسه.

هؤلاء المجندين الكرام الذين كانوا داخل معسكر الجيش الإسباني هم الذين حققوا في معركة أنوال من النصر ما سارت به الركبان، أولئك الذين لم ينصفهم التاريخ ولو بذكر السابقين الأولين الذين تخابروا مع المجاهدين قبل أن ينصب محمد بن عبد الكريم كزعيم بإجماع الذين اختاروه بعد معركة أنوال بثلاثة أشهر تقريبا، أولئك المجندين هم بحق الجنود المجهولون الذين لا شك وإن لم يحظوا في التاريخ بذكر الأسماء سيكون جزاؤهم من الله في الدار الأخرى بقدر ما قدموا لهذا الوطن الذي رفعوا رأسه عاليا في العالمين برد الصفعات على وجوه الاستعماريين الاسبانيين.

كان الجنرال سيلفستري يعتقد جازما أنه بتلك القوة سيحتل بقية أرض بني ورياغل بعد أرض تمسمان التي بها مركز تجمع المجاهدين "امزاورو"، وبالتالي بقية القبائل بني توزين، واجزناية إلخ ولذلك وحتى يرعب رجالها أخذ يرسل من وعيده وما عرف عن الاسباني حين يستشعر القوة من بذاء وقبيح التعبير وأفحش النطق ما شاء وأراد، فكم تهدد وتوعد، وكم أشاع ونشر من أقوال تحفظها ذاكرة بعض المجندين وقتها وغير المجندين من الأحياء الذين كل ذلك كان على مرأى ومسمع منهم وهم يتحسرون، ويقول بعضهم إن بعض المجندين كان عن قصد يزيد في قول الجنرال بهارات ثم ينشره بين زملائه متظاهرا بالنقمة على المجاهدين وهو في الواقع إنما يثير النقمة في نفوس المجندين ضد الاسبانيين وقائدهم وتحت هذا الستار أمكن فعل الكثير جدا في وسط المجندين، حتى إن كل من ظهر عليه ما يشعر بعدم الرضى كان يلاقي أسوأ مصير، بل إن حركة المجندين سرعان ما أخذت تتلقح ببعض من تصنعوا عداوة المجاهدين ثم هربوا من صفوفهم وانضموا إلى جنود الجنرال سيلفيستري الذي كان يقبلهم بتزكية من بعض القداما الذين أصبحوا موضع ثقته(191) بل إن غزو الجنرال لم يتوقف قبل إكمال التخطيط، وإنما بقي مستمرا، فقد أمكنه أن يحتل جبل عبران المشرف على الحسيمة والقريب من أجدير الذي يبعد عن أنوال بعشر كيلومترات أو تزيد وإذا هو وضع فيه نحو مائتين وخمسين جنديا للحراسة ضمنهم بعض المجندين الجبليين، فإن هؤلاء وباتفاق مع المجندين(192) الريفيين تسللوا ليلا إلى صفوف المجاهدين ثم زودوهم بالمعلومات الكافية عن قوات الجنرال سيلفيسترى التي تركز بعضها في المكان المعروف "إيغربيين" مما دفع المجاهدين إلى التضييق على هذا المركز وحمايته، وكلما حاولت قوات الاسبان نجدتهم إلا وكانت غنيمة للمجاهدين، الأمر الذي حمس المجندين المغاربة، وخصوصا حينما أخذ

---

(191) لقد حصلت على لائحة طويلة من أسماء الموتى والأحياء من أولئك الأبطال لكنني عدلت عن تدوينها بسبب ما وقفت عليه من تطاحن بين بعض أبناء المنطقة ومحاولة تكذيب بعضهم البعض بدافع العصبية القبيلة، وأقول العصبية لا العنصرية كما يريد الكثيرين أن يسموا بها أبناء الريف، وإذا كان ذلك قد تحقق لهم في البعض فإنه ليس من المنطق أن يطلق على الكل فبين قبائل الريف دين ومروءة وخلق كما يوجد بينهم الشواذ شأن جميع المجتمعات.

(192) يقول المخبر إنهم اختاروا الجبليين عن قصد، وحتى لا يبادروا بدفع الجنرال إلى النقمة على ما حوله من قبيلة تمسمان إن هو أمسكهم، وكان من بينهم محمد بن حدو من قلعية، وولد بوصفية من كبدانة.

المتعلمون منهم يقرؤون عليهم جماعات جماعات، ما كان يوجه لهم سرا من رسائل كلها وعظ وتوجيه، وحث على نصرة الإسلام ولوم وعتاب على انتصار بعضهم للكفار أعداء الدين والوطن، وأنهم إن استمروا والموت محقق فسيكون مصيرهم بعد غضب الله النار وبئس القرار، وهو ما أفتى به أيضا بعض العلماء في المنطقة.

وفعلا فقد استجاب المجندون لنداء الضمير، وظهرت بينهم حركة تنبه لها جل الضباط الاسبان، وتردد صداها بواسطة المخابرات السياسية التي كان يشرف عليها العقيد "موزاليس" في أمليلية الذي اتصل بالجنرال سيلفيستري مباشرة، ثم أبلغه ما انتهى إلى إدارته من اتصال بين المجندين والثوار، فما كان من الجنرال إلا أن قابل كل ذلك بسخرية وعدم مبالات، لكنه مع ذلك أطلق المخبرين والجواسيس من المجندين أنفسهم، ووقتها لعب الورياغليون أكثر من غيرهم دورا هاما جدا، كان بإتفاق مع قيادة المجاهدين، ذلك أنهم كثفوا نشاطهم في تبليغ الجنرال حقيقة كل ما تم بين قيادة المجاهدين وطلائع المجندين الذين قدمت لائحة غير حقيقية بأسمائهم، وفيها المآت إلى الجنرال سلفيستري مما دفع به إلى التعجيل بتحديد يوم المعركة، وآن تكون فرقة المجندين في المقدمة حتى يكونوا حطب نيرانها، خصوصا وأنه تأكد بالدليل أن بين المجندين تدبير يؤكد ما جاء في تقرير العقيد موزاليس، وما هو في الحقيقة إلا تدبير محكم من بعض المجاهدين ضد جماعة اختارت جانب الأسبان، حيث تطوع جماعة من آيت الخطاب الورياغليين فيهم، وكان هواهم مع سليمان الخطابي الذي فر إلى الاسبان ثم كون له فرقة كبيرة جدا من أبناء الريف أخذ يحارب بهم المجاهدين بحقد شديد وعنف عنيف، هؤلاء تصنع بعض المجاهدين المراسلات الودية معهم، ثم تطوعوا بإرسالها وكأنها من مخبر إلى إدارة العقيد موزاليس، الذي أصبح لرأيه اعتبار لدى الجنرال، بعدما تأكد له أن ما كان يراسله به من معلومات في تقاريره "حق وصدق" وما كاد موزاليس يتصل بالمراسلة وفيها الأسماء حتى بادر فأرسل تقريره مصحوبا بتلك الأسماء إلى الجنرال الذي هو الآخر ما كاد يقرأه حتى أخذ يحقق مع المذكورين في مقدمة اللائحة، وإذا القوم فوجئوا بعكس أعمالهم وما كانوا يبرهنون به من إخلاص للأسبان، وعداوة للمجاهدين، فإن الاضطراب أخرس ألسنتهم وعكّر دماءهم وصير بعضهم يتهم البعض أملا في

النجاة، لكن الجنرال سيلفيستري وقد برهنت الأيام على مدى عنفه وبلادة حسه، وعدم إدراكه السياسي، خصوصاً وأنه قد حدد يوم المعركة بتاريخ 22-6-1921 لم يكن أمامه غير أنه أمر بإعدام خمسة من أولئك الذين كانوا محل ثقته وتكريمه، لأنهم خانوا ثقته وتنكروا لإحسانه، وإذا ما تم إعدامهم في معسكر أنوال وعلى مرأى ومسمع من الجنود وضمنهم الأغلبية من المجندين(193) فإن هؤلاء لم يجدوا في أنفسهم دافعا لتأويل ما حصل غير أن ما سمعوه يقرأ عليهم الخطب التي تتردد على المنابر آيام الجمع في جوامع القرى، حق وصدق، وأن الله جلت قدرته استجاب للمؤمنين وأصبح هذا ما تؤكده نظرات المجندين بعضهم لبعض حتى وكأنهم من شدة تعلقهم بيوم المعركة ليكونوا عند حسن ظن الدين والوطن وحتى أن من سيموت لاشك يكتب عند الله شهيدا لم يعودوا يطيقون الانتظار.

كان الجنرال بيرنجر قد شدد على بني عروس، وضيق على تازروت حيث الريسوني، مما دفع هذا الأخير إلى أن يخضع لاتفاق الهدنة الذي أبرم ثم حدد آخر أجل للاخلال بها هو يوم 22-7-1921م وحتى يكون الجنرال سيلفيستري في نظر نفسه وعند الآخرين أقوى من بيرنجر، اختار أن تكون معركة إسكات الثوار وإلى الأبد لا بإتفاقية تبرم مع زعمائهم، بل بالطريقة التي يختارها هو، ولم تكن غير قوة الحديد والنار، ومما أكد رغبته وجعله يتحقق مسبقا من النصر هو أن كل ما عند الثوار من سلاح عبارة عن لا شيء إذا قيس بما لديه، ونسي أن إتفاق الريسوني مع بيرنجر دفع بجل الذين كانوا في معركة بني عروس وتازروت إلى التوجه نحو مركز امزاورو حيث المجاهدين(194) وبذلك أمر الريسوني الكثيرين من اتباعه وأقربائه مما سيدفع الورياغليين إلى الشك والظن في رغبة الريسوني السيطرة على الميدان ولذلك سيبادرون بعد معركة أنوال إلى تكوين القيادة منهم ثم تسند إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي وهذا رغم ما التحق بمركز أمزاورو في تمسمان من أنصار الريسوني، ورغم ما كان فيه قبل من مختلف القبائل قيل إن تعدادهم لم يتجاوز ألف وثمانمائة، لم يكونوا منظمين بمعنى

(193) لقد تأكد هذا الإعدام من أكثر من ثلاثة كلهم أحياء ولا رابطة بينهم، بل محمد بن عبد السلام ساكن غمارة عد أسماء ثلاثة منهم ثم حدد اليوم أنه قبل المعركة بأسبوع.

(194) يقول المخبر الثاني إن جل الذين التحقوا بمعسكرات المجاهدين كانوا من المتخوفين من مصيرهم مع الاسبان أو الناقمين عليهم من الذين لم يثقوا في الأمان الناتج عن الاتفاق الذي كان بعد قتال عنيف.

التنظيم، بقدر ما كانت كل جماعة تأتمر بأوامر الكبير المفضل من قبيلتها، أو القبيلة المجاورة لها، إن لم يكن من يستحق القيادة فيها لكن القوم جميعا كانوا يدركون أن فتحا سيكون على يد المجندين الذين كان الاتصال بهم قد اشتد وتمكن لكنهم لم يتصوروه كما حصل لأن العدد وسلاح الفريقين لم يكن بينهما أدنى تقارب.

كانت القيادة العسكرية الاسبانية عموما، وقيادة الجنرال سيلفيستري كما أشرنا عبارة عن فروسية الغاب لا نظام ولا انضباط، ولذلك ما كاد الجنرال يصدر أوامره للضباط المحيطين به قصد البدء في احتلال الأماكن والمواقع التي كان يرى أنها استراتيجية بالنسبة لميدان المعركة، حتى أجيب من هيأة أركان حربه باستفهام ماذا يفعل بالمجندين المغاربة؟ وماهي المواقع التي يوجهون إليها؟ فكان جوابه أن مواقعهم في المقدمة ومعهم المدفعية الثقيلة حتى يجتثوا جماعة أمزاورو ويحرقوا مراكزهم بمراقبة الجنود والضباط الاسبان، ولم تمض ساعات حتى كانت الخطة قد بلغت إلى جماعة المجاهدين الذين اقتضى تخطيطهم كذلك أن ينسحبوا خلف المرتفعات إغراء للجنرال بمتابعتهم ومطاردتهم، وما كادوا يختفون وراء الربوات وتنطلق جيوش الاستعمار في مختلف الاتجاهات، حتى وجدت أمامها كذلك وفي مختلف الاتجاهات أيضا جماعات ما كادت تطلق طلقاتها الأولى حتى بادر المجندون قبل كل شيء بقتل ضباطهم الاسبان ثم التفتوا في بقية الجنود كل منهم بما كان لديه من سلاح، الأمر الذي دفع الجنرال إلى إصدار الأوامر بالعودة في اتجاه طريق مليلية حتى يتعزز بما كان غربا من قوات المراكز، ووقتها وبسبب اختلاف الأوامر والإنفعال بما سبق من دعاية بين المجندين الذين كثرت الظنون والإشاعات بينهم أنهم مستهدفون للانتقام من الجنرال وجنوده الأمر الذي زاد في اندفاعهم وقوى حماسهم ثم دفع بهم إلى الإجهاز على العشرين ألف 20000 من الجنود الاسبانيين فسحقوهم سحقا، وكان الفتك أشد ليلا لمعرفة المجاهدين بثنايا الجبال والشعاب والأدغال، وكل الأماكن التي كانت ميدانا للقتال ومجالا للمعارك، وهكذا كانت المباغتة لا من المجاهدين، بل من المجندين أكبر عامل في تمزيق صفوف الاسبانيين والقضاء عليهم، حيث كان اليوم الأول والليلة بعده كافية لإبطال فعالية القوات التي كان الجنرال سيلفيستري يتوهم أنه بواسطتها سوف يقضي على الثوار، بل وجميع أهل

الريف ثم يذلهم ويذيقهم من ألوان عذابه ما شاء وأراد، لكنه منذ الساعات الأولى للمعركة تبين أن لا أثر للجنرال الذي قتل ثم داسته أقدام الجنود الأسبان الذين فروا في اتجاه الطريق المؤدي نحو مليلية، فتبعهم المجندون، أما جموع المجاهدين فإنهم اتجهوا إلى جمع الغنائم ما عدا قلة فيها جماعة محمد بن عبد الكريم اتجهوا تابعين أثر المجندين الذين ما كادوا يتعرفون عليهم حتى أقبلوا عليهم اقبال المنتصر على أخيه، فتكونت القافلة التي استولت على المراكز التي كانت بين معسكر مليلية وتمسمان وعددها مائة وثلاثون مركزا لم تتعرض لهجوم المجندين والمجاهدين فحسب بل ولانتقام القبائل المحيطة التي شاع بينها خبر الانتصار الذي فضل الله به المجاهدين.

وهكذا دامت المعارك وكلها فتك بالاسبانيين لمدة ثلاثة أيام في أنوال، وأربعة أيام بينها وبين مليلية، لم تسقط فيها قوات الجنرال سيلفيستري التي مزقت شر ممزق فحسب، بل استولى المجاهدون على كل ما كان للأسبان من سلاح، أما الجنرال سيلفيستري الذي شاعت رواية أنه انتحر، فإنه في الواقع يقول بعض المخبرين من المجندين أن الذي طعنه بمؤخر بندقية في مؤخر رأسه رجل من قبيلة أنجرة كان وآخر معه من المفضلين عند الجنرال، اختارهما لقضاء أغراضه الخاصة، ولما وجه حارسه الخاص إلى بعض الضباط ثم خرج إلى باب مكتبه، وجدها الرجل فرصة فأجهز عليه، لكنه استشهد وزميله برصاص أطلق عليهما من بعيد، وسواء كان الجنرال وبقية ضباطه من لم ينتحر منهم قتل لكن كيف قتل، إنهم جميعا قتلوا بأيدي المغاربة ومن نجى منهم فر في اتجاه لم يكن من صالح المجاهدين ولا المجندين اللحاق بهم، وبقي الجنرال "نافارو" الذي كان مع بعض جنوده في مدينة مليلية التي أسرع لحمايتها بعدما كان في جبل العروي الذي انهارت قواته فيه والذي لم يستطع القيام بشيء بل بقي محاصرا به ما يقرب من ثلاثة أسابيع، وأخيرا استسلم ليؤخذ أسيرا يوم 8-9-1921م، ولم يطلق سراحه إلا في أوائل سنة 1923م.

ويقول بعض المجاهدين عن أسباب عدم احتلال مدينة مليلية وقتها رغم حصارها لمدة ثلاثة أسابيع استسلم بعدها الجنرال نافارو، هو أن القيادة بعد لم تتركز في شخص يكون له الرأي الذي يقبل وينفذ من الجميع، بل إن جماعة المجاهدين وقتها لم تكن

قواتهم قد نظمت بعد بطريقة تمكن من حمايتها، كما أن القيادة التي لم تكن قد أسندت لابن عبد الكريم والجماعة مبهورة بما تحقق لها من النصر، بل ولم يصبح لها تخطيط سياسي إلا بعد ذلك بثلاثة أشهر، أي بعد تكوين الجماعة التي اتفقت باسم الجميع على الاجتماع الذي تم يوم 19-9-1921 أي بعد مضي ثلاثة أشهر على معركة أنوال، والذي فيه تقرر ما سنتعرف عليه بعد تناولنا لموضوع أخطاء الثوار وعدم استثمار الانتصار بعد معركة أنوال.

لقد كانت تلك البداية هي التي يمكن اتخاذها مرحلة التطلع إلى تحقيق مالم تحصل عليه أية منطقة قاومت الاستعمار، خصوصا وأن الاسبان لم يكونوا في المستوى من جهة، ثم من جهة أخرى كان الفرنسيون يريدون لهم ما انتهوا إليه، لأنهم فتحوا لهم ثغرة مزعجة بدأ الألمانيون(195) يحاولون منها أعمالا لم تكن إدارة اليوطي مستعدة لتضيع فيها ما يمكن أن تخضع به جهات أخرى من تلك التي كانت تغلى من سوس إلى حدود وجدة وأعلى ملوية. كانت معركة أنوال هذه هي بداية الفتح الكبير علي منطقتي الريف وجبالة، والتي يمكن بواسطتها إبعاد شرور الاسبانيين عن الريفيين والجبليين وبالتالي فيها تزود المجاهدون بما لم يكونوا ليحصلوا عليه من السلاح مهما كان الثمن، ولقد اخترنا أن نورد من الأرقام عن كل ما خسره الاسبانيون في تلك المعركة ما أورده الاسبانيون أنفسهم، فقد اعترفوا أنهم فقدوا ما يلي:

من الموتى 14.772 جندي

من الأسرى 570 جندي

من السلاح 59.504 بندقية

مدفع رشاش 392

مدفع ميدان 129

وأما عن بهائم النقل والملابس والأغطية والأحذية وآلات الحفر والنقل والأدوية والهاتف فقد حصل المجاهدون منها على الشيء الكثير، ومهما يكن فإن الاستعمار الأسباني الفرنسي منذ فرضت الحماية بالإكراه لم يجد الأرض ممهدة لسلطانه وجنوده،

(195) وبسبب ذلك غضت القوات الفرنسية الطرف عن تجار الأسلحة الذين كانوا يتعاملون مع حكومة الريف.

بل عرف مثل هذه المعارك الطاحنة والخسارة الكبيرة وإن لم تكن في مستوى معركة أنوال التي يرجع الفضل فيها إلى الأربعة آلاف من المجندين المغاربة ريفيين وجبليين وغيرهم. فقد سبقت معارك قريبة منها ذاق الفرنسيون فيها الأمرين، لكنها كانت محصورة ولم يعرف الناس عنها مثل ما عرفوه عن معركة أنوال، ومن تلك المعارك معركة لمنابهة بزعامة العالم الفاضل المولى أحمد بن الحسن السبعي الصغروشني، والتي كانت بتاريخ 1907 قرب بوذنيب وقد خاضها ضد الفرنسيين عشرون ألف مجاهد، من منطقة الأطلس المتوسط كما سبق، ثم معركة لهري التي خاضها محمد أحمو الزياني 1914 كما سبق ثم معركة البطاء بتافيلالت 1918م والتي خاضها الفيلاليون وآيت عطا، حيث قضوا على أكثر من فرقة وأبعدوا الفرنسيين عن ساحة تافيلالت التي لم يحكموها إلا في أوائل يناير عام 1932 ثم معارك تادلا وبني ملال ومعارك سوس وآيت باعمران، وبالتالي فإن معركة أنوال رفعت صوت المغرب عاليا، وبعثت في البلاد العربية الإسلامية، وقتها نفسا جديدا كما سنرى. خصوصا وأن الإعلام الألماني اعارها من اهتمام الكثير.

ومهما يكن فقد أعاد الاسبانيون تنظيم قواتهم في المنطقة بحيث أرسلوا نحو الستين ألف 60000 جندي إلى امليلية، ثم ركزوا على احتلال الساحل الذي ركز عليه الجنرال بيرنجر في الهجوم الذي قام به يوم 12-9-1921، لكنه لم يتمكن رغم كل ما بذل من غير الحفاظ على مدينة مليلية، أما ما حولها فقد كان في قبضة المجاهدين، الأمر الذي دفع الاسبانيين إلى الزيادة في عدد جنودهم في المنطقة، حتى بلغوا مائة وخمسين ألف جندي 150000، ومع ذلك لم يحتلوا دار داريوس في أعالي وادي القرط إلا يوم 10-1-1922 أي بعد قتال دام أكثر من ثلاثة أشهر، وإذا كان المجاهدون شرقا قد اشتد ساعدهم بإخوانهم في غرب المنطقة التي كان بها الريسوني ورجاله قد وجدوها فرصة الضغط وتوجيه الضربات للعدو، فإن الجنرال بيرنجر لم يجد بدا من ترك المنطقة الشرقية التي انهزم فيها ثم توجه إلى الناحية الغربية ظنا منه أن باستطاعته إخمادها والقضاء على روح المقاومة فيها خصوصا وأنها بدافع الغيرة تحركت من جديد، ودافعها القوي ما علمت من انتصار في معركة أنوال التي شارك فيه الكثير من أبناء غمارة والأخماس وبني مسارة وغيرهم.

إن معركة أنوال التي توسع حولها خيال الكثيرين ممن كتبوا حول حرب الريف، كادت العاطفة تجعلها في التاريخ السياسي المغربي مثل معارك بني هلال، وبني معقل التي لعب الخيال فيها ذلك الدور الذي كانت القبائل وروح الفروسية في حاجة إليه وقتها، فكذلك فعل بعضهم وهو يكتب عن هذه المعركة، فمن لم يختلس من سابق ولم يتعرض لذكره، إلى من فسح لخياله ثم أخذ يضع أرقام القتلى والأسلحة كما يشاء ويشتهي، إلى من لا يرضيه ذكر قبيلة كذا وكذا، بل إن بعضهم قصر معركة أنوال على بعض الرجال من القبائل المجاورة لتمسمان في حين أننا لو جمعنا تلك القبائل في ميدان المعركة وعلى ما كانت عليه لما أمكنها أن تقف ولو ساعة واحدة أمام ما سبق ذكره من تلك الأسلحة الفتاكة التي كان يتزود بها جيش الاسبان رغم كل ما قيل عن تخلفه لم يكن لينهار بتلك السرعة أمام جماعة بعد لم تصبح قيادتها موحدة، ولا قوتها كذلك، وإنما هي جماعات متفرقة في المواقع وغير مطمئن بعضها للبعض الآخر، لكنها موحدة في الهدف الذي هو الجهاد في سبيل الله، إنه لولا جماعة المجندين في صفوف الأسبان الذين انطلقوا من الداخل من داخل جيش الاسبان والذين كان بيدهم السلاح الثقيل الذي قدمه الجنرال سلفيستري لا لفك الحصار على مركزي آيت إيعزا وإيغربيين، وإنما للقضاء على كل تحرك للأجديريين، وإذلال بن عبد الكريم وقومه من الورياغاليين كما صرح وعبر سيلفيستري الذي حين أصدر أوامره لم يكن يعلم أنه وإن كان يخطط بمكر ويدبر، فإن هناك قوة خفية تخطط وتدبر، وجل الذي بيده العز والنصر يوتيه من يشاء، وهو القائل جل علاه "ان يعلم الله في قلوبكم يوتيكم خيرا"، وماذا كان في قلب من يقاتل في سبيل الله بروحه وجسمه وسلاحه وتموين نفسه، ولا ينتظر من أحد قليل ولا كثير حتى وإن كان لا يملك شروى نقير(196)، ولا ينتظر غير أن يحيا عزيزا في موطنه وأرضه أو يموت شهيدا لينال رضى ربه.

إن معركة أنوال وحسب وقائع التاريخ، لم تكن من صنع فرد أو جماعة وإنما هي من صنع تاريخ هذا الشعب الذي كم عرف لمثل معركة أنوال من مثيل ولا صانع ولا مدبر رغم ما عرف لهذا الشعب أكثر من غيره من روح قبلية هي الفرقة والتمزيق والشتات، أمام التي هي عامل الدين والوطن وسلطان الحق، سرعان ما تذوب وتتحول إلى وحدة

(196) أي معدم وتقول [illegible] الروايات أن جل المجاهدين كانوا يمونون أنفسهم في البداية.

وعزيمة وقوة وصمود، وهذا ما فعل الدين والحق والحب والخير والجمال بنفوس المجندين الأربعة آلاف إلا قليل وإخوانهم من المجاهدين الريفيين والجبليين يتقدمهم جميعا الدالون على الخير والدافعون إليه قريبين كانوا أم بعيدين، وضمن هؤلاء وفي المقدمة محمد بن عبد الكريم الخطابي وبقية الذين كانوا معه.

لقد كانت معركة أنوال فقط بداية ولم تكن هي النهاية، بل كانت الانتصار الذي لم يستثمر في نظرنا، بل والذي ستتبعه معارك ساخنة، لكنها ستكون غير مثمرة إلا لفئة قليلة من الورياغليين الأجدريين الذين استغلوا تلك الانتصارات أفحش استغلال دون أن يدركوا أن العدو لهم بالمرصاد، لا بالسلاح في الميدان الذي انكشف فيه جبنه بل ومن ورائهم كذلك وداخل صفوفهم التي استطاع أن يقتحمها مبكرا ووسيلته الخلافات القبيلة(197).

وهكذا فإن الأسبانيين وإلى جانب حملاتهم العسكرية وكما أشرنا قبل استعملوا أسلوب الدس والكيد وإثارة الضغائن بواسطة بعض العملاء، حتى إنهم استطاعوا إشاعة الفتنة والفرقة بين الأسرة الواحدة، كما رأينا من سليمان الخطابي الذي انتحى جانب الاسبانيين ثم كون فرقا من قومه وغيرهم من الريفيين حارب كلا من ابن عبد الكريم الخطابي، والريسوني معا، الأمر الذي جعل دماء المغاربة تسيل فيما بينهم زمنا كما سيقرر ذلك رئيس الحكومة الفرنسية بعد أمام برلمان فرنسا، فقد كان من المنتظر أن يتفق القوم حول الهدف الموحد الذي هو محاربة العدو، خصوصا وأن الريسوني وأنصاره كان قد مضى على قتالهم للاسبان ما يزيد على العشر سنوات منذ 1911م وفي وقت ظهور حركة ابن عبد الكريم كان رجاله رغم مرضه يجاهدون بحماس واندفاع، ثم زادوا حينما اشتد ساعدهم ببعض رجال الريف، خصوصا من قبائل تمسمان، وبني وليشك، وبني سعيد، والمطالسة، وقلعية، وبني بويحيي وكبدانة، هؤلاء الذين أكد البحث أنهم أقبلوا على الريسوني والقتال معه ضد الكفار، لكن بعض بني ورياغل وبدافع ما تحقق من الانتصار في معركة أنوال، بالغوا في الإقلال من شأن الآخرين، وخصوصا اجبالة

(197) كان في مقدمة الذين باعوا ضمائرهم للشيطان ثم عملوا في ركاب الاستعمار من القواد عبد القادر الحاج الطيب من بني شيكر، والذي حارب الشريف مزيان منذ 1910 ومثل عبد القادر والقائد سليمان الخطابي آخرين سوف نتعرض لذكرهم بعد.

وزعيمهم الريسوني الذي أرغمته ظروفه الصحية على عقد الهدنة مع الأسبان، ونسي القوم أن رجال اجبالة كانوا يقاتلون الآسبان مدة عشر سنوات قبل قيام الريفيين، وتقول المصادر المعاصرة وقتها في حقهم "أنهم أشداء أقوياء، وهم أول من هب في وجه الآسبان وقاتلوهم ذودا عن حياضهم، وصونا لكيانهم، وإذا علم القارئ أن قبائل اجبالة تضم إليها وحدها (100.000) مائة ألف مقاتل ظهرت له الأهمية التي تعلق عليهم من الوجهة العسكرية(198).

بعد معركة أنوال تغيرت نظرة المجاهدين جميعا إلى العمل الحربي ضد الاسبانيين، خصوصا وقد انضم إليهم المجندون الذين أصبح ضباطهم من المسلمين يؤطرونهم، وفي إمكانهم أن يضموا إليهم من شاء من المجاهدين، كما ظهرت عناصر أخرى من الأوربيين الذين كانوا يتعشقون المغامرات والذين سبق لهم قبل الاتصال بابن عبد الكريم والتعرف عليه أمثال الألماني "كليمس" والاسبانيين، وهم كثير من الاشتراكيين نذكر منهم أنطونيو الذي حقق الكثير في مجال الهاتف، "البوزو"، ومن الانجليز أكثروهم: غوردون كانينج، كاردينير، وموندي، وريدن، وجون ليون كامبيل، وطورين ساند، وهاكلاند، ووارديرايس إلخ.

هؤلاء وغيرهم من الأوربيين الذين ستعرف الحرب بعد انتصار أنوال وما لاحقه من انتصارات، الكثير من إقبالهم، بل وجرهم المرتزقة عادة في الجيوش من الأوبيين، وخصوصا عندما تعلن أهداف الثورة ومطامحها، وتوحد كلمة رجالها وتنصب قيادتها التي أختير لها الفقيه محمد بن عبد الكريم بعد قليل من ستة أشهر، ثم قادها بنفسه، وهو الذي قبل قليل كان يجلس على كرسي القضاء، بل وهو كذلك أول من خطب في الجموع بعد ثورة أنوال ثم شكر الأحرار من المجندين، وأشاع الأمل الكبير في صفوف المجاهدين الذين ذكر منهم بالإسم أولئك السابقين الأولين دون أن ينسب لنفسه ما يشعر أنه يريد الاستعلاء، الأمر الذي زاد من تقديره وإكباره في نظر القوم، ناهيك وأنهم جميعا كانوا يعيشون نشوة الانتصار الذي تحقق بفضل ضم الصفوف وتقويتها بإخوانهم من المجندين، وماذا يمكنهم أن يحققوه إذا هم اتحدوا ثم أصبحوا قوة منظمة

(198) كريم ثابت: عبد الكريم والحرب الريفية ص 149 ط 1925. والعدد مبالغ فيه وقتها.

يمكنها أن تستوعب كل العناصر التي تنتظر اللحاق بهم، وقتها ظهرت فكرة تكوين هيأة تشرف على اقتراحات الفقيه، فتقرر أول اجتماع تألفت فيه تلك الجمعية التي أسند إليها الأمر يوم 19ـ9ـ1921م(199) حضره ممثلون من قبيلة بني ورياغل بالدرجة الأولى، ثم بعض التمسمانيين، والقلعيين، وبعض بني توزين، هؤلاء الذين كان لهم رأي وحظ في تأليف الحكومة، أما اجبالة، فإنهم لم يمثلوا في الاجتماع لأن قبائلهم بعد لم تكن قد انضم كبارها، وأما المجاهدون الذي شاركوا في معركة أنوال وغيرها من معارك المراكز، فقد كانوا من عامة الناس، ولعل ذلك الواقع يتبين لنا من خلال استعراض أسماء الذين حضروا(200) وكذا من الذين تألفت منهم ما أطلق عليه حكومة الريف وقتها، تلك التي حملوها فوق ما تستطيع من "دستور" وحكومة شعبية، وبرلمان، وجمعية وطنية، ما لم يتحقق وقتها حتى لدولة آل عثمان وإلا لما قامت عليها القائمة التي اقتلعت جذورها فضلا عن غيرها، بما في ذلك مصر التي عرفت 1921 أول دستور وبرلمان وقتها فقط. ونسي القوم ان يقولوا لنا أن كل ذلك كان من محاولات الأتراك.

حقا لقد كون المجاهدون ـ وربما- جماعة من خيرة الرجال اتفقوا فيما بينهم على وضع قواعد للتعامل، ثم للتسيير الداخلي، أما تنظيم الجيش فقد تكفل به المجندون المغاربة المشار إليهم، بإشراف الزعيم محمد بن عبد الكريم الذي كان له من المستشارين الأوربيين المشار إليهم قبل ما يكفي لوضع الخطط والتنظيم.

وهم الذين سيجرون الكوارث على زعيم الثورة بما سيعرفه قومه من طفرة وتهور وغرور يدفع إلى إذاية ما حولهم من القبائل.

---

(199) نفس المصدر ثم راجع كتاب بطل اجبالة ولد احميد والسكان المشار إليه قبل ط الرباط 1982 ص98ـ99 لتتعرف على المعارك التي كان الجبليون يخوضونها وقت معركة أنوال، وهي تعتبر بحق كعامل شد أزر المجاهدين في معركة أنوال وما بعدها.

(200) لعل من الذين حضروا أول إجتماع بالإضافة إلى الزعيم محمد بن عبد الكريم، وعمه عبد السلام، وصنوه محمد، وصهره محمد أزرقان، هم احمد بودرة، والشيخ اليزيد بن عبد السلام، ومحمد ولد الحاج شدي، وعلوش، ومحاند ولد حدو وزيان، والقائد حديدان، ومحمد بن قربان أمغار، ومحمد بن محمد، ومحمد بن قيشوش، وحمو بن الحاج، ثم الفقيه بولحية، والقائد حدو، واللائحة طويلة أترك الإلمام بها إلى من يشاء ممن يريدون إعتماد الروايات المتضاربة ما بين هؤلاء وأولئك من الريفيين أنفسهم، والمثال على ذلك ما كتبه صاحب "أسد الريف" حول روايات صاحب"حرب الريف" المشار إليهما قبل، والذي لا تعتمد رواياته بسبب ما وضحناه قبل من عدم الأمانة.

لقد كان من نتائج الاجتماع المشار إليه أن نصب الزعيم محمد بن عبد الكريم رئيسا لوظائف متعددة وفي ذلك يقول أول من كتب، وعنه نقل أغلب من كتب بالعربية. والذين ولا واحد منهم ذكر اسمه، وهو كريم ثابت في كتابه عبد الكريم والحرب الريفية يقول "ص 27 ط 1925".

"وعقدت الجمعية الوطنية الريفية اجتماعها الأول في 19 سبتمبر 1921 ومن خلال المقررات في ذلك الاجتماع تتبين لنا أفكار الذين كانوا وراءه وأنهم كانوا من السياسيين ذوي التجربة التي أفادت مما حصل في بلاد الترك وتقلبات الشرق الأوسط وقتها، ولم يكونوا من غير جماعة الجهاد الإسلاميين الذين كانت لهم رسالة حاولوا أداءها في ليبيا حيث كانوا وراء الثورة السنوسية، وفي تونس قبلها وعن تلك المقررات يخبرنا كريم ثابت فيما أورد عنها إذ يقول:

لقد تقرر في ذلك الاجتماع التاريخي العظيم إعلان استقلال بلاد الريف وتأليف حكومة دستورية "جمهورية" يرأسها "الأمير محمد" بن عبد الكريم زعيم الثورة..

ثم وضعت الجمعية دستورا للبلاد يقوم على سلطة الشعب، فنص على جعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية؟ ونص أيضا على أن يكون رئيس الجمهورية رئيسا للجمعية الوطنية وحتم على كل شيخ وزعيم وقائد "وال" من أعضائها تنفيذ القرارات التي تقررها الجمعية على أن يكونوا مسؤولين عن أعمالهم إلى "كذا" الرئيس بصفته رئيس الحكومة والرئيس مسؤول بدوره إلى الجمعية، وقد اختارت الجمعية هذه القاعدة في دستورها مراعية تقاليد البلاد وعاداتها، مخالفة المتبع في الدساتير الأوروبية التي تفصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية.

ونص "الدستور الريفي" من جهة أخرى على أن تؤلف الوزارة من أربعة مناصب فقط هي:

1) مستشار رئيس الجمهورية ويقوم مقام رئيس الوزارة؟

2) وزير الخارجية 3) وزير المالية 4) وزير التجارة. أما وزارة الداخلية والحربية فيتولاها رئيس الجمهورية علاوة على مهامه الرئيسية ثم شرعت الجمعية الوطنية في وضع ميثاق قومي، يكون المثل الأعلى للشعب في جهاده ونضاله، فوافقت بعد جلسات

شتى على الميثاق القومي التالي:

1) عدم الاعتراف بكل معاهدة تمس حقوق بلاد المغرب الأقصى أو يكون لها علاقة بمعاهدة 1912م."؟"

2) جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن مشمولة بنفوذهم قبل إبرامهم المعاهدة الاسبانية الفرنسوية سنة 1912م فلا يبقى لأسبانيا سوى سبتة ومليلية وما يجاورها من الأراضي"؟".

3) الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية"؟؟"

4) تأليف حكومة جمهورية دستورية.

5) أن تدفع أسبانيا للريفيين تعويضا عن الخسارة التي لحقت بهم في السنوات الإثنى عشرة الماضية، وفدية للأسرى الذين وقعوا في قبضتهم.

6) إنشاء علاقات ودية مع جميع الدول بلا تمييز وعقد محالفات تجارية معها "؟"

ويستمر كريم ثابت قائلا "ذلك هو الميثاق القومي الذي أقسم عبد الكريم وصحبه على احترامه إلى أن يقول "وقد كان جواب عبد الكريم على الأسبان في كل مرة طلبوا فيها منه أن يتفقوا معه على شروط الصلح أنه عاهد ربه ومواطنيه على تحقيق استقلال الريف، وأنه لا يرضى عن هذه الأمنية بديلا، وأنه خير لهم أن يطرحوا المعاهدة الدولية ويعترفوا بمطالبه(201) إلخ.

لم أعرف ولا واحدا ممن كتبوا حول ابن عبد الكريم والثورة الريفية إلا وقد أخذ تلك الشروط الستة بكاملها أو جلها، بداءاً من عمر أبو النصر 133 إلى علال الفاسي 139" على أن التحليل الذي حلل به هذا الأخير موضوع الجمهورية والدستور يعتبر ساذجا أو مفتعلا لسبب هو عدم التصادم مع العاطفة الوطنية التي كان هو نفسه أحد موجهيها بصدق وفعالية، ذلك أنه قال وهو يعلم أنه لا يقول صدقا" ولم يكن تأسيس الجمهورية عدولا عن فكرة الملكية في نظر من قاموا به من زعماء الريف، ولكنهم في الحقيقة لم يكونوا يستطيعون الكلام بإسم ملك المغرب الذي جعلته ظروفه القهرية في منطقة النفوذ الفرنسي. ولم يريدوا أن يقعوا في الخطأ الذي وقع فيه الهبة ووالده ماء العينين، حينما

(201) راجع كريم ثابت المصدر السابق 28.27 ط المقتطف بالقاهرة 1925م.

أعلنا نفسيهما ملكين بعد أن كانا مخلصين للعرش والمدافعين عنه، ولذلك فقد وجدوا أي الريفيين حلا وسطا هو تأسيس نظام مؤقت، يمكنهم من تنظيم الجمهور على أن يحكم نفسه بنفسه، ومتى تم التحرير الكامل لسائر أبناء الوطن سلموا البلاد المحررة لصاحب العرش، ولم يطالبوا بأكثر من تطبيق نظام دستوري يحقق رغبات الشعب في مراقبة أعمال الدولة والتعاون على سيرها" إلخ ولقد كتب صاحب الحركات هذا بعد مضي أكثر من عشرين سنة على الثورة، ثم هو كتبه في ظروف كان محمد بن عبد الكريم بعد قد نزل بالقاهرة، ولا يزال بينهما سلم وبعض تفاهم، ولذلك كانت مناقشة ما سمي بالدستور"؟" بل والدولة ناقشهما على ذلك المنوال البعيد كل البد عن المنطق، فمتى علمنا التاريخ أن ثائرا ما قام بثورة ولما حقق أهداف الثورة سلمها لآخر حتى ولو كان هذا الآخر هو الذي دفعه وسانده، فبعدما يحقق الريفيون أهداف ثورتهم يتنازلون عليها لصاحب العرش، وكأن صاحب الحركات لم يقرأ ولم يتعرف على قليل ولا كثير من صراع تلك المرحلة منذ ما بعد معركة أنوال 1921/6/22 إلى يوم استسلام الزعيم الريفي 1926/5/27م وما حصل في هذه المرحلة سواء من طفرات الزعيم الريفي نفسه، أو من الذين كانوا معه وخلفه وأمامه، وسواء من بعض الأجديريين أو الألمانيين أو الأنجليزيين كما سبق وسنرى بعد في فصل "تقييم "الثورة" والأخطاء التي أجهضتها" إن الذي يريد أن يتملق على حساب الحقائق إنما يضع نفسه أولا موضع الإزدراء، وثانيا يسخر من الآخرين لأنه يحسبهم من البلادة إلى درجة يمكنه معها أن يؤل ويعلل كما يشاء ويريد، أو بالأحرى يحمل التعبير ما لا يتفق والقصد منه، ويريد من الاخرين أن يسلموا به، إن جل الذين اعتنقوا مثل المفهوم الذي افتعله صاحب الحركات من الذين كتبوا حول "الدولة الريفية" والدستور الريفي "والجمهورية الريفية" ثم هم أوردوا لنا ولو فقط تلك الشروط الستة المشار إليها أو بعضها دون مناقشة صريحة تؤكد أن القصد والهدف إنما كان هو إنشاء دولة مستقلة عن الدولة المغربية، كان أحد إثنين إما مجامل للشعور الوطني الذي كان وقتها قد ارتفع في مختلف البلاد العربية اعتزازا بثورة المغاربة ضد الاستعمار ولو نكاية للثورة التركية اللائكية التي أعلنت عداءها للحضارة الإسلامية العربية في المشرق، خصوصا وأن الثورة في المغرب كشفت لغير المغاربة شرقا واقع الاستعمار الاسباني

الفرنسي المستجد فيه، والذي نزل بكل ثقله في المغرب في الوقت الذي أخذت الأقطار العربية تعمل للتخلص من الاستعمار الأنجليزي الفرنسي وغيره بعد الحرب العالمية، وقيام عصبة الأمم ودستورها المتضمن للأربعة عشر من النقاط التي أعلنها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أما ثاني من أورد الشروط الستة المشار إليها قبل كمبادئ لدستور دولة الريف أو جمهورية الريف كما يسميها بعضهم، ولم يناقشها حسب الواقع وإنما بعاطفة أو حت بها الظروف فقد كانت عبارة عن إعطاء صورة ولو غير حقيقية على الوعي السياسي لفئة من المغاربة كان موقعها في منطقة هي في الحقيقة دون المستوى الذي كانت عليه جهات أخرى غيرها، وإنما كان القصد حتى يتردد صدى ذلك في العالم الذي يمكن أن تستفيد منه الحركات السياسية الوطنية التي أخذت وقتها تظهر في شكل الدعوة إلى السلفية التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب اقتداء، وكذا جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثم رشيد رضا، وفي المغرب الأقصى لم تكن السلفية بعد قد تطورت إلى السياسة التحريرية، وإنما فقط كانت تخوض في إصلاح العقيدة وسلامة الاعتقاد اللتين كانت الطوائف الضالة من مليانية وعيساوية وحمدوشية وغيرها كما سنرى بعد قد شوهتها، مما أدى إلى ظهور شيخ الإسلام الإمام السلفي محمد بن العربي العلوي رحمه الله والذي تولى مهمة إصلاح العقيدة تطوعا بالدروس التي كان يلقيها يومين في الأسبوع بالقرويين بعد الثانوية الإدريسية بفاس، وهي الدروس التي كونت الرعيل الأول من الوطنيين الذين تفتحوا وقتها على ما كان يجري في المشرق العربي مصر والأقطار العربية، ففي الأولى بعد تركيا التي عرفت صراع جماعة مدحت أبو الدستور وما نتج عنها من كماليين وزوال الخلافة العثمانية، فقط عرفت الحركة الدستورية بعد مصر في سوريا، ولبنان، والعراق، عن طريق بريطانيا، وفرنسا اللتان نظمتا للبلاد التي كانت تحت احتلالهما، ما عرف بالدستور أو الحياة البرلمانية كتلهية للجماعة الواعية التي نتجت عن جهاد المرحلة السابقة، والتي قامت بحركتها بعد ظهور الدستور العثماني 1908م ثم تكتلت من أجل إصلاح ذلك الدستور، والمطالبة فقط بالحكم اللامركزي، حيث اجتمعت لأول مرة في تاريخها السياسي بتاريخ 13 رجب عام 1331هـ/18-6-1913م بالقاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان في باريز، إلى

أن قامت الحرب العالمية 1914م وبعدها ظهر ما ظهر كما سنرى، بل فقط عرفت البلاد العربية الإسلامية حركات سياسية من أجل بعث الوعي، استمرت زمنا غير قصير قبل أن يتكون الرأي العام الذي حاول الاستعمار وقتها في المشرق العربي الحيلولة دون تكوينه بدفع عناصر للسطو والظهور، حتى يكون له القول الفصل والسيطرة الدائمة عن طريقها، مما بقيت البلاد العربية تعاني منه زمنا طويلا، ثم اندفعت في درب الثورات التي لم تحقق ولا لواحدة منها حتى اليوم حياة دستورية كريمة، فكيف بجماعة الريفيين والجبليين في ذلك الزمن المبكر تضع "الدستور" وتؤلف "جمعية وطنية" بل و"جمهورية" إن شيئا من ذلك لم يكن وإنما فقط كان زعيم جماعة وحد بينها الدين ومحاربة الكافر الظالم والتعلق بالحرية الفوضوية شان المغاربة وقتها ورفع شعار القبلية الذي لم يتخلص منه ولا حتى زعيم الثورة نفسه، وذلك وقتها هو واقع مغربنا وحقيقة نفسية مجتمعنا الذي ليس من القيم ولا من احترام الفكر أن نحمله ما لم يكن له ولا هو في مستواه وقتها، ويكفي للدلالة ما يعيشه المغرب اليوم ونحن على أبواب نهاية القرن "العشرون" بل وقد مضى عل الاستقلال الذي تحقق بالجهد والجهاد وأشد الآلام وأعمق الجراح، والذي يتمتع به اليوم ليس أولئك الذين حرروه، بل أذناب الاستعمار والذين قهروه بقوة الحديد والنار وسلطان الظلم والبغي والحرمان يتقدمهم أمثال أحمد رضا كوديرا، الذي حول إمكانات المغرب إلى موطن زوجته الفرنسية وكل ذلك في ظل الدستور.

عندما اتفق الذين كانوا موجودين بعد معركة أنوال على توحيد الزعامة ثم اسنادها إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي لقي معارضة من بعض قومه، أدت إلى انضمامهم لصفوف الأسبان، كان هناك فكر مدبر عرف كيف يحول الصراع لصالح الثورة حيث وجه المجاهدين لمهاجمة مواقع المواصلات بين تطوان والشاون حتى تبتعد المعارك عن ميدان الانتصار الذي نتج عنه ما عرفنا من الغنائم التي ربما يحصل النزاع حولها بين القبائل المشاركة في الوقت الذي لم تنظم فيه الزعامة أية قوة تحمي المكاسب، إذ في الوقت الذي توجهت فيه الجموع إلى منطقة تطوان الشاون بتاريخ 21-10-1921 تحركت فكرة الدعاية بالحملة لمآزرة المجاهدين في المنطقة الغربية، وإذا ما تحمس لها اجبالة الذين زودوها بأكثر مما توارد عليهم من الرجال فإن القيادة عرفت كيف تتمكن

فيهم ثم تضعهم تحت نفوذهما بطريقة جد محكمة، ذلك أن الزعيم ابن عبد الكريم تقول الرواية بادر فأرسل شقيقه إلى المنطقة التي كانت قد عرفت الصراع بين الريسوني ومنافسيه، مما سيدفع بهذا الأخير إلى قبول التفاوض من جديد كما سنرى، وفعلا اشتدت المعارك في المنطقة الغربية ضد الاسبانيين، والتي بدأت يوم 19ـ11ـ1921 ثم دامت إلى يوم 12ـ5ـ1922م وفي هذا التاريخ كان بطل اجبالة احميدوا السكان يخوض المعارك الساخنة ضد الأسبان في المنطقة، إلى أن استشهد في معركة السلاليم بتاريخ 7ـ5ـ1922(202) وقد أشرنا إليه قبل حيث كانت تلك المعارك في منطقة الريف خصوصا وأن الجنرال بيرنجروجه أكبر قوات الاسبان إلى منطقة اجبالة وهي الوسيلة التي مكنت المنظمين من التمكن بعد معركة أنوال في منطقة اجبالة وإلى الطريق المذكور لحيويته وحتى لا تلتحم ثورة الريسوني بالريفيين، مما دفع بالريسوني بعد معركة السلاليم إلى "مغادرة مركز تازروت يوم 10ـ5ـ1922 حيث التجأ إلى جبل بوهاشم وفي يوم 12 منه احتل الجيش الاسباني المكون من تسعة عشر ألف 19000 قرية تازروت الشهيدة، وكان من بين مآت القتلى في صفوف الأسبان في ذلك اليوم الكولونيل كونثالث طلابلاس، الذي استحق من طرف قومه ما لم تقابل به تضحية الشريف ولد احميدو السكان من قومه(203) وإذا ما كلف احتلال تازروت غاليا فإن الجنرال بيرنجر تعرض لغضب الرأي العام الأسباني فعينت الحكومة الأسبانية الجنرال بيرجيت مكان بيرنجر، فكان هذا التغيير وذلك التذمر في صالح المجاهدين نوعا، خصوصا الريسوني، وهكذا حتى يتفرغ المقيم الجديد لتحقيق الهدف الذي من أجله عين كمندوب سامي، وهو التركيز على المنطقة الشرقية، طرح موضوع التفاوض ثانية مع الريسوني كزعيم للمنطقة الغربية، والذي رفض التبعية لابن عبد الكريم، خصوصا وأن الأخير لم يقتصر على قبول العناصر المنافسة للريسوني من بعض أبناء عمومته، وإنما أرسل شقيقه محمد فتحا للقيام بعمليات هجومية في المنطقة التي عرفت صراع الريسوني مع الأسبان حوالي عشر سنوات مضت الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى قبول فكرة التفاوض التي عرضها الجنرال بيرجيت، ولقد استمرت المخابرات بين الطرفين إثنان وخمسين يوما من 8/6 إلى يوم 1922/9/25 حيث قبل

(202) راجع ما كتبه محمد بن عزوز حكيم حول بطل اجبالة ولد احميد والسكان ط الرباط 1982م.
(203) المصدر السابق ص 92.

الريسوني الذي بدأت صحته تتدهور وبدافع الظروف التي أصبحت عليها المنطقة وفيها من يحارب الكفار مكانه، إلى التسليم وطرح السلاح بشروط جعلته سيد الموقف بدل معاناته في جبل بوهاشم، وبعدها احتلت قريته بحيث وقع الاتفاق على :

1) انسحاب الاسبانيين من تازروت التي كانوا قد احتلوها عسكريا يوم 15-5-1922.

2) أن يدفعوا تعويضات الحرب عما أصابه وقومه من خسارة.

3) إبعاد الضباط والموظفين الذين أساءوا إليه وإلى المواطنين.

وكان هذا أيضا ثمنا غاليا دفعه الإسبانيون، وبقدر ما أرضى الريسوني أغضب الزعامة الريفية لأنه سيدفع الإسبانيين إلي أن يتفرغوا للمنطقة الشرقية، مما أدى بالريفيين وزعامتهم إلى التصادم مع بعض قبائل اجبالة، فوجدها المذبذبون والمنافقون من أهل الريف الذين كانوا من الأول ضد الزعامة الجديدة، فرصة أعلنوا فيها ولاءهم للإستعمار، مثل المذبوح أحمد قائد اجزناية وغيره ممن سبق ذكرهم، ولقد كان هذا الصدام بعدما حاول محمد بن عبد الكريم شتى المحاولات مع الريسوني حتى ينضم إليه، لكنه تناسى مكانة الرجل وما قدم، بل والفارق بين أسرته وأسرة الرجل نسبا، وحتى اعتبارا كما كان الحال وقتها في نظر المجتمع وتقاليد المنطقة، وما لآل البيت الاشراف في المنطقة من مكانة لم تسمح للريسوني ولا للعروسيين العلميين أن يصبحوا تابعين لزعامة الورياغليين الريفيين، خصوصا وأن الريسوني إلى عهد قريب كانت حركته تستقطب الكثير من الريفيين الذي كان يستعملهم في بعض المهمات القتالية بمقابل، كان الواسطة بينه وبينهم أحميدو الوزاني، الذي أصبح كذلك الواسطة بين ابن عبد الكريم والريسوني، وإذا ما كان للأول علم بالعناصر التي سبق للريسوني استعمالها، ثم بعد استغنى عنها ولم ينصفها، مما جعلها تحقد عليه، فإن ابن عبد الكريم عرف كيف يثير الكامن من حقدها ثم يوجه بها ضمن بعض المجندين من الريفيين في الجيش الجديد، إلى محاربة الريسوني ظنا منه أنهم وبعد تفرق قومه بعد المعاهدة مع الاسبان بل وما يعانيه القوم من فرقة بسبب المتنافسين، سيقومون بجولة خاطفة يقضي فيها على الريسوني، وتصبح المنطقة تابعة لابن عبد الكريم، لكن على العكس، فقد تحركت النعرة القبلية التي فرقت القوم، ودامت الحرب بين الجانبين لمدة أكثر من سنتين تغلب بعدها

محمد بن عبد الكريم وأخذ الريسوني أسيرا حيث قيل أنه نقل بإشراف ابن علي التوزاني "بولحية" الذي مثل وقتها راسبوتين فبإشرافه وبقسوة قاسية وعنف عنيف نقل البطل الريسوني المسن المريض من تازروت يوم 23-1-1925م وهو معتل طريح الفراش بداء الاستسقاء الذي أصابه من شدة الحروب وقر المنطقة، نقل أيضا إلى قرية اتماسينت مقر الواسطة قبل في التفاوض، وهو أحميدو الوزاني، ويقال إن الذين نقلوه بإشراف صنو بن عبد الكريم وهو بن حدو زيان الذي أساء إليه كثيرا حسب أوامر محمد بن عبد الكريم الذي تذهب الرواية المحلية إلى أن أخاه قتله بعد بيده، وقد وضعوا لذلك شعرا باللهجة الريفية أشرنا إليه قبل ونعيد ترديده هنا إذ يقول شاعرهم:

أسيدي محمد ماثي في دورنكْ
الريسوني يمُوتْ تنْغيثْ سفو سّنكْ

ومعنى البيتين اللذين يخاطب فيهما الشاعر محمد بن عبد الكريم بقوله "أسيدي محمد إذا كان الريسوني قد مات في دارك، فإنك أنت الذي قتله بيدك" ولست أدري الدافع الذي أوحى إلى شاعرهم بهذا، إذا لم يكن حقيقة فهو في نظرنا من نوع الدعاية التي كان خصوم إبن عبد الكريم من قومه يعملون على نشرها ضده والتمكين لها في نفوس الجبليين حتى تفعل فعلها وقد حصل.

ومهما يكن فقد نقل الريسوني، ونقلت معه ذخائره التي استولى عليها محمد بن عبد الكريم، وتوفي الريسوني في الشهر التالي لحجزه يوم الجمعة 3 رمضان 1343 ابريل 1925م قيل بتماسينت من بني ورياغل وقيل بسنادة من قبيلة بني يطفت والأولى أصح حسب رواية القوم. وبذلك خلا الجو لابن عبد الكريم الذي للأسف لم يحسن قومه التصرف مع الجبليين الذين أخضعوا بالقوة، ودام الحكم فيهم بالقهر الذي أحدث جرحا عميقا في صفوف الريفيين والجبليين، دام نزيفه حتى النهاية، بل كانت آلامه تشتد أحيانا فتدفع إلى التنافر والتدابر مما كان يقلل من شأن المواجهة ضد الأسبان في بعض المناطق، ثم جعلهم يتقدمون في هذه المرحلة نحو بعض المراكز المتعددة التي كانوا قد افتقدوها، لكن معركة تيزي عزة التي تعتبر الفضيحة الثالثة للقوات الاسبانية بعد معركة

أنوال والشاون(204) والتي انتصر فيها المجاهدون بفضل تخطيط الذين كانوا في خدمة محمد بن عبد الكريم ورفاقه، حيث عادت إلى النفوس قوة الحزم والعزم نحو الاتحاد وجمع الكلمة، الأمر الذي جر إلى زعامة الريف ثانية جل ما كان قد زاغ عنها من أبناء اجبالة كما أنجرت بعض العناصر المتفوقة ماديا والمتخوفة من مصير الريسوني، ناهيك وأن بعض المتهورين قبل، كانوا قد شمروا لإرضاء الرغبة في الانتقام، وبذلك تمكن نفوذ الثورة في منطقة أغمارة، ولم يكن للأسف غير نفوذ بعض الأجديريين المتهوسين الذين تصنع الآخرون معهم التآزر فأصبح نفوذ الريفيين في المنطقة أقوى من نفوذ تطوان، حيث المندوب السامي الاسباني والخليفة السلطاني، وحبذا لو استغل لخير الجميع.

وقد رأينا في مطلع سنة 1923 استطاعت مدفعية الثورة أن تتركز في أماكن استراتيجية على الشاطئ المقابل للمون، بل وتضرب بعض السفن التي كانت راسية في ميناء الحسيمة، وتغرق حمولة بعضها، خصوصا عندما أصدرت الحكومة الاسبانية أمرها بمحاصرة الشاطئ المقابل لقبيلة بني وياغل بتاريخ 18-3-1922، والذي كان متنفسا للثورة يتلقى المجاهدون عن طريقه ما كان يهرب إليهم بواسطة المغامرين من تجار الأسلحة قبل، وإذا لم يتمكن الأسبانيون من زحزحة المجاهدين، بل ولا القدرة على اختراق صفوفهم، بل وإذا ما فشلت الجهود حتى في توقيف الحرب، رغم كل المحاولات، والتي وضع بن عبد الكريم من شروطها اعتراف الاسبانيين باستقلال دولة الريف، وتعويض مالحق البلاد من خسارة بسبب الحرب، فإن الأسبانيين أمام الوضع الذي

---

(204) كانت القوات الاسبانية المحتلة للشاون قد فكرت في الانسحاب منه حسب مخطط تزعمه بريمو دي ريفيرا الذي حل محل الجنرال ايشبورو الذي كان ضد الانسحاب وفعلا فقد كلف الإنسحاب القوات الإسبانية خسارة تعتبر من الدرجة الثانية بعد أنوال حيث قتل:

الجنرال خوليان سيرانو يوم 19-11-1924

وخمس كولونيلات

وعشر كوماندارات

وأكثر من 100 ضابط

وثلاثة آلاف جندي.

راجع مذكرات الملازم خوسي كاساريس لوكاس ومنها يوم 20-11-1924 ص 205 ترجمة محمد بن عزوز حكيم ط الرباط 1986.

اشتد ولا يزداد إلا تحرجا قبلوا التفاوض من أجل فك الأسرى الذين تضخم عددهم، ثم إن وضعية المجاهدين وسجني أجدير وتاجنوست، وما هما عليه من تنظيم حسب المستطاع، وما ينتقل عن قصد إلى الرأي العام من أوصاف لتلك الأوضاع كنوع من حرب الأعصاب، فكان بدوره يضغط على الحكومة التي قبلت التفاوض من أجل الأسري حيث بدأت المفاوضات بين الفريقين في شهر يناير 1923م كان الوصل فيها إدريس بن عبد الله بن سعيد السلاوي العطاوي الصنهاجي حيث تم الاتفاق على ما يلي(205):.

1) إطلاق سراح ما كان في الأسر من الجنود الأسبان بعد معركة أنوال وغيرها وذلك مقابل مبلغ أربع ملايين بسيطة 4000000.

2) إطلاق سراح المجاهدين المغاربة وغيرهم من المعتقلين السياسيين نزلاء سجون سبتة ومليلية وتطوان.

وبتحقيق هذا المكسب الذي دفع بالثورة ماديا إلى موضع القوة أكثر أدركت القيادة ما يحققه الاستمرار في الضغط وتوجيه الضربات العنيفة ضد قوات الاسبان من أثر في الرأي العام، الأسباني، فوجهت أعنف الضربات لبقية الجيوش المحاربة وشددوا أكثر بعد نجاح المفاوضات السابقة، مما دفع بالإقامة العامة في المنطقة إلى محاولة

(205) راجع يوميات الملازم خوسي كاساريس لوكاس يومي 5.11 يناير منها ص 158ـ 159 ط الرباط 1986 نشر محمد بن عزوز حكيم بعنوان "ومضات مضيئة عن الحرب الريفية".

وأما ما يعني ادريس بن اسعيد الذي كان موظفا بالإقامة العامة الاسبانية في منطقة الشمال والذي قتل غدرا من طرف الإسبانيين في معركة عزيب ميضار بقبيلة تافرسيت 14ـ6ـ1923فهو أصلا صنهاجي من آيت عطا إخوانهم الزواوي من آيت إيعزا وآل السدراتي آيت سدرات عطا كذلك وهم من الذين كان السلطان محمد بن عبد الله قد أرسلهم إلى جبل طارق من أجل التكوين عسكريا وكان الذي استقدم جدهم كعامل على مدينة سلا هو المولى عبد الرحمن بن هشام في أوائل ملكه. وفي الوقت الذي أراد الزيادة في صور سلا، وهي الزيادة الظاهرة حتى اليوم.

وأما ما جاء به الجاسوس المدسوس المسمى نعمة الله الدحاح من زعم في مجلة الاتحاد الأسبانية عدد 17 من السنة 2 بتاريخ شهر صفر 1347هـ/غشت 1928م من أن أصلهم من الأندلس فهو لغو لا أساس له، ومتى كان لأمثال الدحاح أن يتعرفوا على الانساب بين المغاربة وهو فقط إنما جئ به ليسد الفراغ ثم ليقوم بخدمة المستعمر، إلخ بل والذي ما كان لآل ابن سعيد وخصوصا الحاج العربي وهو يعرف الحقيقة أن ينساق لتلك الترهات التي لا تشرف أولاد بن اسعيد الذين لو لم يكن فيهم إلا عبد الله الوطني الغيور كما أشرنا قبل لكفى، وبالتالي فقد اطلعناه على ما يكفي من الوثائق التي تؤكد صنهاجيتهم وعطاويتهم. ولو لاها لما ترك المولى عبد الرحمن المولدة التي خلف منها ولده مبارك وهي في حال مخاض بمنزل آل بن سعيد بسلا وقت مروره إلخ راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية، ثم وثائق الحاج العربي كذلك.

استمالة بن عبد الكريم حيث قيل أنهم عرضوا عليه في شهر يوليوز 1923 قبول حكمه للمنطقة الريفية تحت إشراف الخليفة السلطاني مع الإعتراف بالحماية الأسبانية، لكن الزعيم الريفي أجاب وربما للمرة الثانية حين تقدم إليه الجنرال كما سنرى والذي زاره سرا بأجدير وبعد الاقتراح المذكور، وإذا كان قد سبق له الرفض فإنه أيضا كرر ذلك الرفض، وأنه لا يقبل غير الاستقلال، الأمر الذي دفع الجنرال بريمو دي ريفيرا حين علم بالأمر إلى أن يقوم بإنقلاب عسكري ضد حكومة بلاده في شهر سبتمبر 1923م وبذلك ازدادت مشاكل الأسبانيين تعقيدا في الداخل والخارج، وفي منطقة الريف أكثر، مما دفع الماركيز دى استيلا إلى أن يعلن في خطاب رسمي ألقاه بمدينة ملقة يوم 26-6-1924. أن الحكومة قررت الانسحاب من جميع المواقع في الداخل، والتراجع إلى الساحل، مما دفع بالمجاهدين إلى تركيز؟ هجماتهم على المواقع الأسبانية في وادي لاو، وفي الطريق المار بين تطوان والشاون في القطاع الغربي الذي كان الاسبانيون قد اعتمدوا أن اتفاقهم السابق مع الريسوني سيحفظ الأمن في المنطقة إلا أن شيئا من ذلك لم يتم، وربما تقول الرواية إن الريسوني نفسه وإن كان غير راض بزعامة بن عبد الكريم، إلا أنه لم يعرض نفسه لإهانة المجاهدين من قومه، والذين كانوا حوله كقوة حارب بهم الكفار ولذلك كان يأمر رجاله خفية بمحاربتهم مع المجاهدين ذلك أنه حتى لو أراد السلم حسب الاتفاق الذي أبرمه مع الأسبان لم يستطيع ضد المجاهدين من اجبالة ضد الكفار كما كمان يسميهم.

وهكذا فقد تمكنت قوات ابن عبد الكريم من قطع الطريق الرابط بين الشاون وتطوان، كما حاصروا الطريق المؤدى إلى مدينة طنجة، ثم تقدموا كذلك لمهاجمة مدينة تطوان التي رابطوا عليها على بعد مسافة ثلاث كيلو مترات، وإذا كان عدد المراكز التي حاصرها المجاهدون في المنطقة نحو المائة، بل كان منها من سلم جنوده ما بأيديهم من سلاح حتى يتمكنوا من مغادرة المنطقة، كما حصل لمركز بوحاريد الذي كان به 356 جندي اسباني سلموا سلاحهم يوم 21-10-1924 وذلك بعد أربعين يوما من الحصار الشديد، بل إن قائد حامية تطوان لكي يفك الحصار عن حاميته سلم للمجاهدين بندقية جديدة عن كل جندي، حتى يقبلوا فك الحصار وتركهم ينسحبون، كما أن حامية الشاون

انسحبت لتشد أزر حامية تطوان خصوصا عند ما ثارت قبيلة أنجرة ثم تحكمت في الطريق ما بين سبتة وتطوان وطنجة، لكن قوات الاسبان التي كثفت هجومها وحشدت ما لديها من قوة أمكنها فقط أن تستولي على القصر الصغير في آخر شهر ديسمبر 1924م. ثم ركزت قواتها ما أمكن بتاريخ 1925م.

وهكذا لم تنته السنة حتى كانت اسبانيا وحسب إحصاء وزارة الدفاع، قد تركت في الميدان ولمدة ستة أشهر فقط، خسارة تقدر بـ 21250 قتيل ما بين جنود وضباط، وهنا وبعدما أصبحت المنطقة كلها ما عدا الخط المشار إليه بأيدي المجاهدين وتحت نفوذ محمد بن عبد الكريم، لم يعد أمام الأسبان غير استعمال الطائرات في ضرب القرى الآمنة في المنطقة، حيث كانت تقذفها بالقنابل اعتباطا، كما شددت الحصار بين كل من طنجة والقرى القريبة منها، ثم منعت أهلها من التردد على المدينة تضييقا عليهم، وبذلك زادت من شدة الحقد في نفوس المواطنين بقبائل أغمارة فأصبح رجالها شيبا وشبابا كلهم مجندون لصالح الثورة وضد الاسبان، كما عرف هؤلاء تصعيدا في القتال ألحق بهم الكثير من الكوارث مما جر على قيادتهم الذلة والهوان لا في نظر المغاربة والرأي العام العالمي الذي كانت توجه أخبار المنطقة إلى صحافته بواسطة البريد الأنجليزي ثم بواسطة المراسلين ومن لهم بهم اتصال في منطقة طنجة، بل وفي نظر الرأي العام الأسباني نفسه، مما هيأه لقبول طلب إيقاف القتال حين تقدم به المندوب السامي في المنطقة، ثم بدأت المفاوضات من أجل ذلك في شهر ماي 1925م حيث استمر وجود القوات والحاميات الأسبانية في مواقعها، لكنها لم تتحرك، وفتحت أسواق محايدة بالقرب من الخطوط الأسبانية كوسيلة لتهيئة جو التفاوض، لكن هذه المفاوضات سرعان ما انقطعت قبل نهاية الشهر قطعها الاسبانيون حين رأوا أن المجاهدين دخلوا في صراع مسلح مع الفرنسيين ناحية ورغة، وحين علموا أيضا أن بعض قبائل المنطقة تعرضت للغزو الإعلامي ثم انساق بعض رجالها لمقاومة تقدم المجاهدين في المنطقة جنوبا، بل أخذوا يناصبون الأجديريين من بني وريا غل العداء صراحة بسبب تأثرهم بما نشر حول سوء تصرف بعضهم.

وقبل أن نتناول هذا الموضوع الذي أدرجناه في الفصل التالي، وجب أن نودع

الأسبان بما ودعهم السابقون به في معركة وادي المخازن من سلف هؤلاء الذين عمقوا جراحهم، ومرغوا كرامتهم في الوحل، حتى إن وجودهم بل واستمرارهم في المنطقة، لم يكن لولا اعتمادهم على القوات الفرنسية التي سنرى كيف أنها استعملت في حرب المنطقة ما سبق أن استعملته من سلاح ضد الألمان في الحرب العالمية الأولى، لكنهم سيتركون من القتلى في الميدان ما سنتعرف عليه بعد، أما الأسبان فقد كان عدد قتلاهم حتى هذه المرحلة ومنذ المناوشات الأولى ستة وثلاثون ألف جندي وسبعمائة وستة وثلاثون 36736. أي من معركة "دارأبارا" ثم "بيسان" و"أنوال" وتزى عزة" "وأعروي" وغيرها مما أدى إلى قوة الثورة وتفوق المجاهدين على الاسبان.

لكن لماذا قطعوا التفاوض، هل لأنهم استشعروا جديدا في الجو بين الفرنسيين والأسبان، وإذا كان ونحن على أبواب بداية العام السادس للثورة، فلماذا لم يكن منذ قيامها والاستعمار واحد والأهداف واحدة، ولماذا كان الفرنسيون يغضون الطرف قبل على المغامرين من تجارهم الذين كانوا يزودون المنطقة بالسلاح وأهلها في حرب مع الاسبان، هل إنتقاما من ميل هؤلاء للألمانيين وتركهم يتحركون في المنطقة ضد الفرنسيين، ومن أجل ذلك تركوهم يلاقون من الصفعات ما أدمى وجه إسبانيا وحطم كرامتها بين الدول، ولما لم تقف الثورة عند حد المنطقة وذاع خبرها وانتشر بين الأقطار الإسلامية والعربية حتى أصبح يثير المشاكل لفرنسا هنا وهناك، لم يعد في إمكانها أن تقف موقفا سلبيا، بل وجب أن تتحرك وتقاتل حتى لا تتعرض المنطقة الواقعة تحت نفوذها لما تعرضت له منطقة الإسبان، إذا ما التحمت ثورة الشمال بثورات الجنوب، وهذا ما سنعالجه في الفصل التالي، وإذا كنت لم أتناول ما انتهت إليه ثورة ابن عبد الكريم من تنظيم عسكري وإداري، وما عرفته من تقنيات لم تكن فرنسا قد ادخلتها على المغرب رغم أنها ما فرضت عليه الحماية إلا من أجل ذلك كما زعمت، بل إن المنطقة التي أصبحت خاضعة لحكم ابن عبد الكريم عرفت الربط بالهاتف من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وهو عمل أنجزه المندسون من الألمان الهادفين ومن معهم من الأنجليزيين والاسبانيين المتربصين كما سيعترضنا تفصيل ذلك فيها يلي من الفصول.

جهلا وافتراء نشرها الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ضمن ترجمة ابي حمارة الجلالي ابن ادريس اليوسفي الزرهوني الذي حسبه من أعلام المغرب وانه كان كاتبا للامير عمر بن الحسن الخليفة السلطاني بفاس إلخ إلخ راجع اعلامه جـ1/ بعد ص315

وهذه قافلة المجاهدين حيث ترى الثائر الأخير في المنطقة الاسبانية المسمى «السليطن» على فرسه

الفصل الرابع والثلاثون بعد المائتين

صدى ثورة الريف

في الداخل والخارج وأسباب متاعبها

إن من أسباب متاعب الثورة هذه عالميتها في الخارج وانحرافها المدبر في الداخل ومعارك الجنوب التي ساهمت في التمكين لها. لقد حل الزمان الذي وجب أن نكتب فيه للأجيال المقبلة ما يقرأ ويفيد من التاريخ، وليس العواطف كما كنا نفعل في عهد النضال.

إن محاند "ابن عبد الكريم الخطابي الورياغلي كما كان يعرف بين أهله لم يكن أميرا ولا من أسرة لها إمارة، وإن الذي أطلق عليه لقب الأمير وقتها إنما هو المجاهد العظيم أمير البيان شكيب أرسلان، وإذا علمنا أن الإمارة لا تتفق مع النظام الجمهوري الذي قال القوم إن ثورة الريف عملت به حتى إنهم وضعوا لها دستورا لم تعرف مثله دولة عربية وقتها، فإن ذلك كان من عوامل هدمها بسبب ما عرف القوم من غرور تسبب عنه الإعلام الأهوج الذي اندفع إليه العاطفون بدون تدبر ولا استقراء، وأن الذي كان أمير البيان يقصده من لقب الإمارة وهو يعني ما يقول حتى يضفي المشروعية على قيادة ابن عبد الكريم للمقاتلين المجاهدين مادام الذي له البيعة الشرعية لم يأمر بذلك. وإذا كان أمير البيان وكما سنعرف يتعاطف مع الألمان ويعمل تمكينا لسياستهم نكاية في العدو المشترك وهم الفرنسيون فإن ما تحقق من الانتصار على الأسبان أصبح يهددهم، ولذلك وجب أن لا يتم شيء مما كان الألمان يهدفون إليه وراء الثورة.

لست أدري كيف يعلل التاريخ ما عرفته ثورة الريفيين والجبليين بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي الورياغلي من شهرة وعالمية مع أنها حين قامت لم تكن الأولى التي عرفتها منطقة الشمال المغربي، بل سبقتها ومهدت لها ثورتان، الأولى بزعامة الشريف محمد أمزيان وقد دامت ما يقرب من خمس سنوات إلى أن قتل في المعركة كما سبق نكاية في العدو .

والثانية أيضا بزعامة الشريف أحمد بن محمد الريسوني، وقد دامت طيلة عشر سنوات، والريسوني هذا لم يكن قط مجاملا لدولة من الدول، التي كانت لها أطماع في المغرب، ومع ذلك فقد أطلق عليه الأغبياء "اللص" ومختلف النعوت الساقطة كما أراد له المستعمرون الكفار كما كان يسميهم جميعا، والذين كان يحقد عليهم جميعا،(206) بقدر ما كانوا يحقدون عليه جميعا كذلك.

ثم سؤال آخر يمكننا من تقييم الثورة التي تزعمها محمد بن عبد الكريم هو: هل عند ما قامت الثورة كانت منطقة الشمال قد خضعت للحكم الأسباني أم أنهم فقط إنما كانوا يشرفون وبتكاليف جد باهضة على بعض مدن الساحل فقط، وأما بقية المنطقة ومساحتها حوالي ثمانية وعشرون ألف كيلومتر مربع 28000 وما فيها وما حولها من القبائل الحاقدة على الاستعمار تغلى كالمرجل، وهي في حاجة إلى زعيم رائد بعدما انتهى الريسوني إلى ما انتهى إليه من إعياء جسماني من شدة المرض الذي ألم به وهو داء "الاستسقاء" ثم تضييق شديد من الاستعماريين الأسبانيين الذين استطاعوا دفع بعض المنافسين وجلب الكثير من خصومه وخصوم بني عروس، وهم في كل ذلك مؤيدين بإهتمام الدول الحاقدة على الريسوني، والتي سبق للرجل معها مواقف تعرضنا لها سابقا، وفي مقدمتها بريطانيا وأمريكا التي سيشارك طياريها في الحرب ضد الريفيين والجبليين بعد، بل إن المنطقة التي أصبح أهلها من جنوب تازة إلى شوطئ الساحل شمالا لا تعرف حياة بدون قتال ضد الاستعمار، كانت في حاجة فقط إلى رجل صادق أمين حتى يوحد الصفوف ويجمع الشمل ويدفع إلى تحقيق الخير والحب والصفاء، وهذا ما كانت المنطقة في حاجة إليه منذ ما بعد خيانة أبى حمارة، لكن الاستعمار كان لكل من حاول بالمرصاد، حتى جاءت ثورة محمد بن عبد الكريم التي لم تحقق زعامتها ما حققت من جمع بالسياسة وعدم حسن التدبير، بقدر ما حققته باستعمال القوة والاستبداد وتسلط جماعة قبيلة اندست وتمكنت، وكان من ورائها عناصر عرفت كيف تدربها على الشدة والعنف. وهما وسيلتان تنفعان زمنا غير طويل في مجتمعات

(206) راجع أعلي هذا الكتاب حول الشريف الريسوني.

الفروسية، لكن سرعان ما يتبعها رد الفعل بالحقد الشديد، وهذا ما سيصدر عن بعضهم حين تحين الفرصة كما سنرى بعد.

ومهما يكن فإن كل الثورات التي عرفها المغرب جنوبا وشمالا ومنذ 1844 إلى 1920 لم تعرف ولا واحدة منها ما عرفته هذه الثورة من إشهار بمختلف وسائل الإعلام، وإذا كان بعضهم يعلل ذلك بوجودها في المكان المقابل لأوروبا والقريب من المنطقة الدولية في المغرب، وهي منطقة طنجة، فإن هذا ما دفع بنا إلى ذكر ثورتي أمزيان، والريسوني، ورغم ذلك لم يكن لهما من الإشهار ما كان للثورة التي تزعمها محمد بن عبد الكريم، والتي عرفنا بواسطتها ما لم نكن قبل قد سمعنا به، سواء من رجال الصحافة أو السياسيين والعسكريين الأوروبيين، أنجليزيين، وأمريكيين، وفرنسيين، وأسبانيين، وألمانيين، بل هناك زعيم ثورة دامت ثلاثين سنة كانت قوته فيها لا تقل عن عشرين ألف، وهو العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي الادريسي الصغروشني صاحب قصر "تالسينت" بالأطلس المتوسط الذي تعرفنا عليه قبل وعلى ثورته، بل والذي كتب عنه بعض الأوربيين بحقد، وهي الزعامة التي دامت في الأطلس المتوسط من 1881 إلى عام 1916م والذي واجهته قوات الفرنسيين، وقد كانت وقتها أكبر قوة برية في العالم، بل والتي عرفت بالنظام والانضباط والأسلحة الفتاكة ولم تكتب عنه كعدو سوى مصادر الفرنسيين ووسائل إعلامهم لوليستراسيون والسعادة ثم الصحافة الفرنسية وكتب بعض الضباط الفرنسيين(207) ثم الصحافة الفرنسية خصوصا بعد حرب المنابهة، وبوذنيب 1904 ـ1907 ـ1908 كما سبق، أما ثورة الشمال برعامة محمد بن عبد الكريم، فقد وجدنا عنه من الأخبار والصور وقتها ما لم يكن لغيره، بل تلك الصحافة التي رددت أخبار الثورة هي التي ستكيف بعض مواقف الأسبانيين والفرنسيين وأحزابهم والرأي العام الذي ستوجهه كذلك في بعض المواقف، إلى درجة الضغط للتبديل والتغيير في القيادات بما فيها

(207) جريدة كانت تصدر بالمغرب في عهد الحماية وقد كانت تخصص كل يوم إثنين للكتابة حول كبار الثوار وكان في المقدمة أحمد بن لحسن السبعي كما كانت بالمثل مجلة لوليستراسيون تفعل، خصوصا حول معركة لمنابهة التي كانت أعنف من معركة أنوال بحيث كانت في منطقة عارية استعمل فيها إلى جانب الأسلحة الفتاكة المتطورة سلاح الطيران، ومثلها معركة الكارة أيضا بتافيلالت عام 1918 ومعركة صاغر بعدو 1933 ثم معركة بادو 1934 كما سنرى.

المارشال اليوطي الذي سيرحل ذليلا غير مأسوف عليه من المغرب ليحل محله ستيج كما سنرى، والسبب الظهير البربري وثورة الريف والفوسفاط.

ومن تلك الصحافة مثلا وكلها كانت عبارة عن مصادر كتب منها تاريخ بن عبد الكريم والحرب الريفية، وهي: التاينتينت سنتشوري، والريفيو أوف ريفيوز، مجلة المجلات، واسبيكتاتور و"الفورين أو فيرز" و"الدايلي تلغراف" و"الصنداي تايمز و"المانشيسترجارديان و"التايمز" والدايلي ميل" وكلها أنجليزية.

ثم "الشيكاغو تريبيون" و"النيورك تايمز" و"لكرانت هيستوري" وكلها أمريكية وكذا البيان، وهي أمريكية عربية كذلك و"الدتشي الجميني تسيتنغ" من أكبر الصحف الألمانية وجريدة" الطان" و"الماتان" وليروب نوفيل" و"الجورنال و"الإيكودوباري" و"الكوتيديان" والأوفر" والاكسيون" فرنسيس" و"الديبا" و"لومانيتيه" وكلها فرنسية، ثم الصحيفتان المصريتان السياسة والمقطم، ثم المغربيتان: الإصلاح والتقدم(208) بل بتأثير هذه الصحافة وجد في فرنسا وفي غيرها من يعطف على الثورة، خصوصا من الاشتراكيين والشيوعيين، حتى إننا لنجد صحفيا شيوعيا اسمه أندري بيرتون يختلق قصة وجود الزعيم ابن عبد الكريم بباريز في ربيع عام 1923م، وبذلك الاختلاق الصحفي يحدث بلبلة في الدوائر الرسمية، فتقوم ضجة في البرلمان الفرنسي بإستجوابات المسؤولين، وفي مقدمتهم بوانكاريه رئيس الحكومة، وتستمر الضجة إلى عهد هريو ثم يقحم رئيس الجمهورية نفسه "ميلران" بل وسفير فرنسا في مدريد بيني دي لا روكا" الذي كان وقتها مدير للشؤون الخارجية بوزارة الخارجية الفرنسية، بل وصحفي أو نصاب أنجليزي يحاكم في لندن، وهو تشارلز جاردن الذي ادعى أنه قضى مع ابن عبد الكريم سبعة أشهر في باريز، وما هذا الاختلاق إلا بسبب ما كان للثورة من صدى ورواج في الصحافة العالمية، حتى إن الرحالة الأنجليزية "فوربس" هي الأخري كتبت ما نقلته مجلة النيل المصورة، ومعه صور فريدة لزعيم الثورة كما كتبت كذلك عن الريسوني أنها اتصلت به هو الآخر مع أن الزمن الذي نشر فيه ما كتبت كان الريسوني قبل خمسة أشهر مضت قد تحول إلى جماد تحت التراب(209) حيث توفي رحمه الله وكما سبق في شهر

(208) كريم ثابت ص 5 ـ 15 وهي مصادر كتابه الذي منه استمد كل الذين جاءوا بعده.

(209) راجع مجلة النيل المصورة بتاريخ 25.9.1925 ص9.

ابريل 1925 بعد شهر من نقله أسيرا في حالة مرض من تازروت إلى أسنادة، وليس هذه الانجليزية ولا بلديها فقط، بل كثيرون غيرهما كتبوا كتابات اندفعوا إليها بما كان للثورة من رواج كبير وإعلام واسع وقتها، بل وبعد الثورة كذلك سوف لا نجد لغيرها حتى عند المغاربة ما كان لها من أثر في النفوس وفي مذكرات أعلام العسكريين، خصوصا الفرنسيين وبعض الأمريكيين والأسبان من ذكر أمثال هاريس، وكاترو، وباول وڤوانو وهنري دوبوردو.

واستمرار في التعرف على عالمية الثورة والمحيط الذي قامت فيه الثورة، سواء بالنسبة للخارج أو الداخل وقتها، وبعد الحرب العالمية الأولى 1914ـ18، فبالنسبة للداخل وكما سنرى كانت الثورات عامة من شرق المغرب إلى غربه، ومن شمال المنطقة التي تحت نفوذ الفرنسيين إلى جنوبها، وأما بالنسبة للخارج فعندما قامت الثورة كان لابد أن يتردد صداها في بلاد كثيرة من بلاد العالم شرقا وغربا، وكان على بلاد العرب بالذات، وخصوصا مصر أن تتولى ذلك، لأن بلاد العرب وغيرها عموما قد عرفت الكثير من الثورات كتصفية للاستعمار بعد الحرب العالمية، بل في هذه المرحلة من التاريخ السياسي المعاصر كان الجيل الثالث قبل جيلنا فقط، يضع أسس الوحدة العربية من أجل البعث، ويتغنى بها الشاعر العربي الذي حركت مشاعره وأججت عاطفته ثورة الريفيين واجبالة بزعامة محمد بن عبد الكريم، والتي تردد صداها في المشرق فقال الوطني الغيور محمد الطنجي رحمه الله القصيدة الوطنية التي نسبها المهدي بن لونا اليهودية في مزاعمه واختلاقاته في سنواته الحاشمة "إلى من سماه فخري البارودي ص 20 كتاب الشرق الأوسط ط 1 عام 1989م. وما هي إلا من إنشاء الوطني الغيور محمد الطنجي رحمه الله والتي قالها منشدا ما رددته حناجرالأحرار المتطلعين للبعث في العالم العربي من أقصى بلاد العرب شرقا إلى أقصى بلاد المغرب.

بلاد العرب أوطاني — من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن — إلى مصر فتطوان
فلاحد يباعدنا — ولادين يفارقنا
لسان الضاد يجمعنا — من غسان وعدنان إلخ

بل وفي هذه المرحلة من التاريخ أيضا عرفت الكثير من الثورات انطلاقا في بلاد كثيرة، مصر قبل أي سنة 1919 ثم سوريا، وتركيا، والمجر، وبولاندا، ولتوانيا، والبرازيل والصين، وسيبيريا، وكلها تصفية للاستعمار الذي تأسست للقضاء على روحه عصبة الأمم، بل عاصمة الرجل المريض المنهزم في الحرب مع الألمان وهي القسطنطينية، والتي احتلها الحلفاء بقيادة الجنرال الأنجليزي "ملن" وكانوا قد التزموا بتقديمها للروس، ردت إلى الاتراك كتصفية للاستعمار بمقتضى معاهدة لوزان 1922 ـ 23(210) وذلك بعد هزيمة اليونان الكبرى على يد الأتراك بزعامة مصطفى كمال في سبتمبر 1922 وذلك مقاومة لروح الاستعمار الذي قامت ضده حركة واسعة منذ قيام البلشفية على يد لينين المتوفى1924 الذي شهر بالغرب "؟" في كتابه الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية(211) والذي لم يمت قبل أن يحقق لبلاده النظام البلشفي 1917 مما دفع إلى دخول أمريكا في الحرب العالمية ضمن صف الحلفاء.

بل وفي الشرق الإسلامي العربي تردد صدى ثور المغرب بزعامة محمد بن عبد الكريم بفضل نشاط جماعة الجهاد الإسلامي التي عرفت المغرب منذ عهد عبد العزيز وعبد الحفيظ والتي كان نفسها مع الثورة بل والتي لم يقتصر نشاطها على الدعاية، بل جمعت ما قدر بتسعة آلاف جنيه التي كان لها شأن وقتها ثم بعثت بها إلى زعيم الثورة، وكان ذلك منها ومن جماعة المؤتمر الإسلامي كرد فعل أمام حركة مصطفى كمال اللائكية والذي عرفت ثورته انتصارا عظيما في معركة سقاريا بتاريخ 7ـ9ـ1921 أي بعد معركة أنوال بأقل من ثلاثة أشهر فتغنى بها المغاربة كما تغنى بها إخوانهم المشارقة، حتى إن الوطني الصادق شاعر الرباط الأول في الوطنية محمد الجزولي(212) رحمه الله خلد تاريخ تلك الحروب القاسية منذ البداية 1919 إلى النهاية 1922 في أربع قصائد من روائع

---

(210) راجع الموسوعة العربية ص 1576 ط القاهرة 1965 كما أن أول إجتماع لعصبة الأمم كان عام 1920 وقد منعت منه وقتها ألمانيا والنمسا وروسيا وتركيا، ولم تمثل فيه أمريكا راجع موجز تاريخ العالم ل: هج ولز ص 425 ط مصر 1958.

(211) راجع ترجمة الدكتور راشد البراوي ط 3 القاهرة 1954 على أن طريقة حكمه كانت أشد من الاستعمار وبه اقتدى ستالين صاحب المجازر التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ إلا ما كان من مجاز هتلير.

(212) راجع ديوانه المنشور بعنوان "ذكريات من ربيع الحياة" ط الأمنية الرباط 1971م ص 7ـ16.

الشعر الوطني، خلد بها عاطفة المغاربة نحو إخوانهم الترك، كما فضح مكايد الأنجليز وقتها في الشرق العربي وكما سنرى بعد حين كلامنا عن الوعي السياسي في المغرب ضد الاستعمار، لكن زعيم الثورة التركية الذي هو مصطفى كمال كان قد دنس الساحة لأنه التركي الناقم الذي لم يتجاوب مع الشعور العربي الإسلامي نحو الثورة، بل تاه وهو السكير المغرور في دوامة البحث عن ملذاته حتى إنه طلق زوجته "لطيفة خانج" التي كانت قد أخذت طريقها نحو زعامة المرأة التركية حسب رغبته ومن أجل تطرف الزعيم التركي الذي لقي المعارضة ليس في وطنه فحسب، بل في مختلف ولايات تركيا الشرقية مثل ولايات: طرابوزون، وتبليس، ووان وارضوم، ذلك لأن مصطفى كمال بالغ في تملقه للحضارة الأوروبية المرفوضة إلخ.

وأظهر مأسوفا عليه ميله المتطرف لحضارة الغرب، وخصامه المتطرف أيضا للحضارة الإسلامية التي عاداها عداءاً ابتهج له خصومها الذين وجدوا فيه معول هدم فكان على العرب والمسلمين في الشرق العربي كرد فعل أن ينتصروا للثورة المغربية الإسلامية، والتي قامت لرد اعتبار المسلمين والعرب ضد خصوم الحضارة الإسلامية العربية المعتدى عليها من الاسبانيين والفرنسيين معا، بل إن الاضطراب من أجل التحرر عم البلاد العربية الإسلامية في عهد الثورة المغربية، حيث قامت الشعوب تطالب بالحرية والاستقلال، بل وقتها وجدت فكرة الدولة العربية الكبرى، كما تردد صدى فكرة الجامعة الإسلامية، مما دفع الأحرار في مصر وغيرها أن يلتحقوا بثورة الليبيين ضد الإيطاليين أيام الشهيد أنور باشا 1881 ـ 1922 زمن السنوسيين وقيادة البطل العظيم عمر المختار رحمة الله عليه1277-1350هـ 1860-1931م التي شارك فيها الكثير من أحرار العرب وفي مقدمتهم المرحوم عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية، والمرحوم محمد صالح حرب باشا مؤسس جمعية الشبان المسلمين وغيرهما من الأحرار الذين لو وجدوا السبيل وقتها للانضمام للثورة في المغرب لما تأخروا، وقد تغنوا بها واهتموا بالمغاربة الذين رفعهم صداها مدة الكفاح السياسي ضد الاستعمار الفرنسي في القاهرة، خصوصا الجيل الذي عاش زمن الثورة بل إن أحوال المشرق العربي زمن ثورة المغاربة كانت غير مستقرة، بل كلها ثورات وقتها ضد الاستعمارين الانجليزي الفرنسي الذي كان قد قسم

بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام استولى الإنجليز أيضا على داخل سوريا بمساعدة "عربية" واستولى الفرنسيون على ساحل الشام من حور إلى اسكندرونة، ثم بعدها زحفوا على دمشق بإسم الانتداب عام 1920، ومن وقتها قامت حركة وطنية ثورية دامت إلى أن دمرها الفرنسيون 1925م بسبب الثورة العامة التي قامت ضدهم، وكذلك العراق استولى عليه الأنجليز واليمن سلمها الأتراك إلى الإمام يحيى بن حميد الدين الزيدي عام 1918م والذي كان حكمه وحكم ولده أحمد أشد قسوة من الاستعمار والحجاز ونجد والإمارات العربية في جنوب اليمن، حيث سلطنات لحج والشحر، والمكلا، وحضرموت، ويافع، ومسقط، والصبيحة، والفضلى، والعوالق، ثم الحواشب، والواحدي، وسقطرة، ثم مشيخات الطالع والقطيبي، وأم القوين، وعجمان، وأبو ظبي، وإمارتي الكويت، والبحرين.

كل هذه الأقطار العربية وغيرها من الإمارات الإسلامية شرقا حيدر أباد، وبهابور، وبهوبال. وزامبور كانت ساخنة بالثورات والتحركات الوطنية ضد الاستعمار الذي قيل إن عصبة الأمم قامت لتصفيته، ومع ذلك بقيت كما أراد لها الأنجليز محاصرة بالتخلف، ومستهدفة للاستنزاف، مما أدى إلى تعدد الثورات في مختلف البلاد العربية ـ تركة الرجل المريض ـ بدءا من دمشق وحكومتها الوطنية 1918م وثورة القاهرة 1919م ثم ثورة الشريف حسين ابن علي صاحب الثورة العربية الكبرى(213) التي ساندها الأنجليز حتى لا تكون خسارتهم أكبر كما ساندوا ثورة ابن السعود في نفس الوقت، وهو أسلوب المكر والخداع الذي لايصدر إلا عن الأنجليزيين الذين مزقوا شمل العرب وألقوا في بلادهم القنبلة الدائمة الإشتعال والإحراق"وعد بلفور" 2ـ11ـ1917م بل وثورة العراق ضد الأنجليز 1920ـ21 والذي تحرر وتكونت فيه دولة حسينية على رأسها فيصل بن الحسين بن علي إلخ.

في هذا المحيط الواسع الذي كان يشتعل ثورة وحماسا، كان يتردد صدى الثورة المغربية التي أشعلها السلطان عبد الحفيظ وجماعة الجهاد الإسلامي ثم أقبلت عليها قبائل الريف واجبالة بزعامة أحمد الريسوني ومحمد بن عبد الكريم.

---

(213) راجع ما كتب بهذا العنوان لامين سعيد، وعبد الله فيلبي لخيري حماد ط بيروت 1961 وثورة العرب لاسعد داغر ط 1916. وثورة العرب : مقدماتها ـ أسبابها ـ نتائجها ط المقطم في مصر 1916.

وبالتالي تلكم هي الظروف الخارجية التي وجدت فيها الثورة، أما الظروف الداخلية وهي تعنى واقع المغرب عموما والمستجد تحت حكم الفرنسيين الذين فرضوا عليه الحماية التي قوبلت بالثورة في كل مكان من أرض المغرب وكما رأينا، بل سنقتصر هنا فقط على ذكر الأماكن التي كانت تعرف المعارك الساخنة ضد إدارة الحماية الفرنسية في الأماكن المحيطة بمنطقة الثورة الريفية الجبلية والغربية منها، تلك التي قضت مضاجع الفرنسيين وكلفتهم الكثير ثم هددتهم أكثر بالمحاولات التي بذلت للربط بين الثوار في الجنوب الأطلسي وأعالي ملوية، وإخوانهم في الشمال وهي المنطقة المخصصة للحماية الإسبانية، مما أدى بالفرنسيين إلى السعر والقيام بعمليات عسكرية عاتية من أجل العزل بين المنطقتين الأمر الذي بعد سينتهي بإتفاق الدولتين واتحاد القوتين.

في عام 1922 وقد انتهى الأسبانيون إلى عدم قدرة على إيقاف التيار في منطقتهم، بل أصبح الثوار يتطلعون إلى الربط الذي لو تم لكانت الكارثة أشد وأنكى، وقتها فكر اليوطي في وضع خطة عسكرية موسعة لجعل منطقة الحماية الفرنسية في مأمن، وخصوصا المناطق الوعرة المجررة ذات المعارك والساخنة بالثوار، فوجه الجنرال دوشارف من مدينة فاس عن طريق صفرو، إلى بني أعلاهم مرورا بگيگو بعد احتلال أسكورة قصد حصار قبيلة آيت صغروشن ومرْموشة الذين رغم ذلك سيتسربون إلى ناحية الريف لشد أزر الثورة هناك، ولقد ركزت قوات الغزو الفرنسي على هذه المنطقة حتى لا يستمر الإمداد أكثر، ذلك أنه لو التحم الجنوب بالشمال وحصل آيت صغروشن على السلاح الذي كان متوفرا أكثر في الشمال خصوصا بعد معركة أنوال، وما أضيف منه إلى الذي أنزلته الغواصة الألمانية على الشاطئ والذي لو انتشر نحو الجنوب وكان من السهل انتشاره لو لم يبادر اليوطي بتلك الخطة، ومع ذلك فقد أوقفت قبيلة آيت صغروشن فرقة الجنرال أوبيرت التي كانت تريد الانطلاق من "أسوكا" إلى أعلى مرتفعات "أمسگدال" الأمر الذي دفع الجنرال أوبيرت إلى أن يتقدم بطلب إلى اليوطي حتى يرجئ متابعة الهجوم إلى السنة المقبلة لأن الخسارة في قتاله مع آيت صغروشن بلغت - يقول هنري دوبوردو(214) نقلا عن الوثائق الرسمية 239 قتيل، وطبعا كان

(214) المصدر السباق دوبرنازيل.

الفرنسيون في هذه المعارك لا يتعرضون للقتلى من الجزائريين والروس، والألمان، والطليان، والأسبان، وإنما للفرنسيين فقط(215) ومن بين العدد المذكور 5 من الضباط و261 جريح من بينهم 6 ضباط، ولقد كانت ناحية تشوكت الوعرة، وما يحيط بها من قمم الجبال المغطاة بالثلوج شتاء، وبعد الشتاء حصنا مكن المقاومين في المنطقة من استنزاف قوات الغزو والضغط عليها زمنا غير قصير، زاد من الوعي في المنطقة، ونبه الأحرار فيها إلى الزحف تجاه الشمال حتى يقتربوا من الثوار في اجبالة، وفي الريف والدفع بالمعارك إلى القرب منهم عن قصد وبتوجيه من رجال المقاومة المؤطرين لجماعات أعالى ملوية وما حولها شمالا، بل إن ما حصل بعد معركة أنوال اشتد رنينه على آذان الطبقة الواعية من طلبة القرويين أبناء البادية بفاس، بل وبقية الذين كان لهم نصيب من الوعي السياسي في مختلف الجهات، فزحفت الدعاية توقد الحماسة وتؤجج العواطف في الجبهة الممتدة ما بين تادلة إلى زيان، ثم آيت امجيلد وآيت يوسي، مرورا بأعالي ملوية، ثم قبائل ناحية تازة وفجيج، وبوعرفة، ووجدة، الأمر الذي زاد من استشعار الإقامة العامة بالخطورة على ناحية تازة، خصوصا وأنها منطقة الربط بين الشرق والغرب، الأمر الذي دفع إلى العمل جديا على وضع القوات التي تستطيع التحكم في خريطة الميدان المشار إليه فكانت كما يلي وقد وضعت تحت قيادة بواميرو(216).

1) عشرون فوجا من المشاة.
2) سبع كتائب من الخيالة.
3) ستة عشر مجموعة من المدفعية.
4) ستة أسراب من الطائرات.
5) القوات المساعدة وكانت تعرف بالچوم، ولم يذكر عددها ؟؟(لأنها كانت تحرق كما يحرق الحطب) ولا حسيب ولارقيب.

---

(215) هذا ما سنلاحظه من خلال ما يذكر على النصب التذكارية للمعارك التي غطت جميع التراب الوطني، والتي سنتعرض لبعضها في آخر هذا الفصل. بل والتي بتوجيه عمل على هدمها خدمة للاستعمار العميل محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي من خناثة الشركية والمعروف ب "أحمد العلوي" الذي ترجمنا له في مكان آخر من هذا الكتاب.

(216) راجع المصدر السابق وبورنازيل لهنري دوبوردو.

6) المجرورين قهرا من رجال القبائل بواسطة من نصبوا عليهم كقواد وكانوا يعرفون بإسم "برطيزة" وربما تحقيرا لهم.

كل هذه القوات وضعت بمكناس، وفاس، وتازة، رهن إشارة بوامير(217) الذي نفذ العملية على مراحل حيث بدأ بغزو ممر تاغزيفت الذي يربط بين فاس وملوية إلى وادي گيگو وتيمحضيت، ثم أغبالا وإذا هو وضع جانب الكماشة شرقا في بوعرفة، فإن معركتها التي خاضتها قبائل لعمور وبني جيل كلفت قوات الغزو الفرنسي 38 قتيلا و89 جريحا قبل أن تمر على جبل سفرينا وكتلة تشوكت، حتى تصل إلى المرس وهو مركز لآيت صغروشن، حيث كانت المعركة الساخنة في بوخموج بتاريخ 6-9-1923م قتل فيها 66 وفقد 5 وجرح 159، وبتاريخ 24 منه أحتل المرس، لكن بعد سقوط 61 قتيلا و151 جريحا، كما كلفهم إحتلال سطح تدارت شمال شرق تيشوكت مقتل 33 وجرح 102 ولم تتصل قوات الغزو هذه التي كانت بالجنوب بقوات الغزو التي كانت شمالا عبر بني اعلاهم إلا بعدما سقط منها في المعركة التي دارت على الضفة اليمنى لنهر سفرينا 27 قتيلا و203 جريحا ومع ذلك لم يتم الاتصال بما يرضى، وإنما فقط وقع الفصل بين مرموشة وآيت صغروشن، كما أمكن لقوات الغزو الفرنسي أن تؤمن لنفسها منطقة المقاومين في الجنوب وإخوانهم في الشمال.

وتعتبر هذه الحملة من أعنف الحملات التي عرفتها حروب الغزو الفرنسي للمغرب وأطولها، وبالتالي سوف لا يدخلون المرس وأسكورة إلا على جثث 200 من القتلى منهم أحد عشر 11 ضابطا وإهمال ذكر عدد الجرحى، وكان كبيرا جدا يقول من حضر، على أنه لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنه وإن كنا لم نتعرض لذكر أعداد قتلى المقاومين والمجاهدين من المغاربة لأننا لم نتوفر عليها كاملة فإن الكثير من رجالات المنطقة وفي مقدمتهم المولى علي الصغروشني رفيق المولى أحمد بن الحسن السبعي والذي هو اليوم "جويي 1965م) ساكن في اميس بولمان يقول وبلا مبالغة كان قتلى المسلمين أكثر جدا من قتلى الفرنسيين في المعارك التي خاضها حتى 1924م.

وبالتالي هذا بعض ما قامت به إدارة الحماية الفرنسية بقيادة المارشال اليوطي،

(217) هو الذي كان له تمثال بمكناس وقد أشار بيده نحو الجنوب.

من أجل الفصل بين ثورة الشمال وثورات الجنوب، ولقد كنا نود التوسع أكثر، لكننا اكتفينا بما سبق وسنتعرف على بعض المعارك التي دارت في مناطق مختلفة مما حول منطقة الحماية الاسبانية حيث كان يشتد أرز الثورة بإشغال الفرنسيين، وسوف نستمد تاريخ تلك المعارك من النصب التذكارية التي بقيت قائمة لا كذكرى لأسماء الذين خلدوا بواسطتها كفرنسيين من الذين قتلوا أثناء الغزو الاستعماري الفرنسي الظالم، وإنما كشاهد على ما كان لذلك الغزو من فظاعة ووحشية لم تردهما غير أحذية الألمان التي فعلت بهم بعض ما فعلوه بالأحرار في هذا الوطن، إلى أن هدمها العملاء المندسون رحمة وشفقة على سمعة سادتهم من الفرنسيين الذين مهدوا لهم الطريق، ومكنوهم مما حرم منه كل حرساهم في تحرير هذا الوطن قديما وحديثا، وذلك ما سيكون مجال التاريخ السياسي لفترة الاستقلال، على أنه لا يفوتني هنا أن أشير إلى أن الذي تطوع بهدم تلك النصب التذكارية في منطقة تافيلالت هو محمد ولد خناثة الشركية المعروف ب "أحمد العلوي" وذلك منه خدمة لتاريخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة التي تتأجج كراهيته في النفوس جيلا بعد جيل كلما وقعت الانظار على تلك النصب، وربما كان منه ذلك بتوجيه من رجال قلم المخابرات الفرنسية الذين كان يعمل معهم في باريز في الخميسنات كما تؤكد ذلك تقارير الوطنيين المغاربة وقتها والتي منها من نص على رئيسه المباشر بها وهو "المسيوبانيي" بل والمرتب الذي كان يتقاضاه وهو ثمانية عشر ألف فرنك، راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية.

لقد أشرنا قبل إلى أن المعارك استمرت في تادلة منذ 1912م ثم في جهات أخرى إلى سنة 1933م وأن قتلى الفرنسيين في هذه الفترة يقول الكولونيل فوانو كان بتادلة 4347 قتيل ما بين ضباط وجنود، وكتب ذلك على نصب تذكاري شيد جنوب غرب المدينة في طريق اخنيفرة وقد كتب عليه:

"لقد تم حل الفيلق المتنقل لتادلة، في فاتح أكتوبر 1933م بعد أن شارك مدة عشرين سنة في تهدئة جزء من المغرب وخاض 77 معركة" كانت اللوحة اليمين تحمل أسماء 84 من الضباط الذين سقطوا في الميدان، لكن هذا النصب هدم كغيره في مختلف جهات المغرب من طرف العملاء الأغبياء الذين يحسبون أنهم أوقفوا التيار وفي استطاعتهم أن

يحولوه حيث شاؤوا، حتى يحصل التعاطف مع سادتهم ونسوا أنه قد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وأن دماء المغاربة التي سالت أنهارا بيد الظلم والاعتداء وبها كتب ما كتب في تادلة، ووادي زم، وآيت ورا وما حولها، ومن تادلة نصعد جنوبا إلى أن نعرج تجاه الناضور، ومن تلك المعارك الحامية التي دارت ضد الفرنسيين وقت أن كان ابن عبد الكريم يخوض معاركه ضد الاسبان هي:

معارك تيمحضيت وما حولها إلى إتزر، وشرقا تجاه بولمان من 1917م إلى 1921م ثم معارك أسكورة 8 يوليوز 1917م وماي 1922م.

ومعارك بوعرفة 20 ماي 1923م.

معارك بوخموج 9 يونيه 1923م.

معارك المرس 24 يونيه 1923م.

وقد كان النصب الذي سجل عليه تاريخ هذه المعارك بجانب طريق الجنوب فوق المركز القديم لبوعرفة،

ثم معارك تاهلا وهي لا تفصل عن معارك الشمال وإن كانت الدولة غير الدولة، فقد عرفت هذه المنطقة من المعارك الطاحنة ضد الفرنسيين ما جعل قبائل المنطقة تستهين بالأسبانيين الذين عرفنا قبل أنهم لم يكونوافي المستوى، جنودا وضباطا وقيادة، فقد عرفت منطقة تاهلا من المعارك التي كان يتردد صداها بين قبائل الريف واجبالة وكأنها تخوضها لأنها كانت أثناء قيام الثورة في الشمال وهي:

معركة كف الطبال في غشت م1920

معركة باب أحزار أكتوبر 1920م

معركة عين السوق ماي 1921م

معركة بني بوزرت يونيه 1921م

معركة باب بريدة تالزمت 1923م

معركة تانمست ماي 1923م

معركة جبل بوعلي ماي 1923م

معركة واد تاغزوت يوليوز 1923م

معركة بورسيل غشت 1923م

معركة تافغيرت آيت المان غشت 1923م.

وقد كان النصب الذي يحمل هذه اللائحة قرب تاهلا على طريق أهرمومو، وهو خاص بالذين قتلوا في معارك بني ورياين.

المعارك التي دارت في الفحص وهي
معركة كدية بوخميس ماي 1920م
معركة قنطرة وادي موسى يوليوز 1920م
معركة تيفلوين ماي 1923م
معركة تيزي عدني يونيه 1923م
معركة بني زهني أكتوبر 1923م.
معركة واد العطشان بوقنادل يناير1920م
معركة كركور سيدي بوطيب اثنين يوليوز1920م
معركة باب العربة ابريل 1921م
معركة تامزوغت ماي 1923م
معركة إيست تينمرس يوليوز 1923م
معركة بني زگوت أكتوبر 1923م

وقد كان النصب الذي يحمل هذه اللائحة في ناحية الفحص قرب طريق باب العربة.
ثم معارك مسمنطال 12 ابريل 1923م ومعارك بركين 13 ابريل 1923م ثم:
معارك جبل عياد وهي:
معركة آيت مخلوف 17 يوليوز 1923م
معركة جبل عدلان لـ3 غشت 1923م
معركة تيزي نويل 14 يوليو 1926م
معركة إيموزار 23 يوليوز 1923م
معارك ناحية تيشوكت 26 يونيه 1926م
معركة منطقة تازة من 5 إلى 25 يوليوز 1926م.

وقد كان النصب الذي يشير إلى هذه المعارك في جبال الأطلس المتوسط. ما بين إيموزار، ومرشوشة، وتالزمت، وقد نص فيه على العمليات التي دارت في بلاد مرموشة في تيشوكت، وبوييلان، ما بين 1923ـ1926م. ثم معارك عين عيشة ما بين لـ5 أبريل 1919م ناحية حدأر صيفة مديونة وخروبة في سنوات 1920ـ1921ـ1922–1923ـوأولاد داود، في 30 أبريل 1925م.

وقد كان النصب الذي سجل لهذه المعارك بعين عيشة، في ملتقى طريق وازان فاس، ثم معارك أورتزاغ ومولاي بوشتة، وتامزيمت، وبني دركول، وأشركان، وأمجوت وعين بوعيسى، في 12 أبريل و6ماي 1925م وقد كانت المعارك ساخنة شدت أزر الثورة في الشمال،

أما النصب الذي كان يحمل تاريخ هذه المعارك، وأسماء الضباط والجنود الذين سقطوا فيها، فقد كان أسفل جرف أورتزاغ، أما بني دركول التي حوصرت فيها قوات الفرنسيين لمدة 60 يوم انتهت بانتحار الملازم "بول لا بيير" ومن معه، فقد كان النصب الذي يحمل تاريخ المعارك ما بين 1923ـ1925 في مناطق أشركان وامجوت، وعين بوعيسى، وتروال، قد شيد في بني دركول نفسها

ثم معارك بيسيان حيث قتل الرقيب بير نيي كامبو، و7 من الفرنسيين و45 من السنيغاليين في المعركة التي دارت في تافرانت وأودور وامغالة، وقد عرفت هذه المنطقة معارك استمرت من 1924م إلى 1926. وقد كان النصب الذي يحمل تاريخ هذه المعارك قد شيد في بيبان.

ثم معارك الريحان وقبائل مصمودة وغونة، وغزاوة، ومنطقة وازان من 1920م إلى 5 أبريل 1925. وقد كان النصب الذي سجل عليه تاريخ المعارك قد شيد شمال غرب زومي.

ثم معارك تابودا، ببني مسارة التي دامت زمن الثورة الريفية وما بعدها حيث كانت معركة إيمازيرا، وكف الغول بتاريخ 10 مارس 1926 حيث قتل فيها الملازم أول "هلي" وقد كان النصب الذي سجلت عليه المعارك في ساحة مكتب الشؤون الأهلية.

ثم معارك غفساي التي دارت في منطقة وادي ورغة والضفة اليسرى لوادي تاهلا وباب، اشراگة، وتالغزا ما بين عام 1924ـ26 وقد كان النصب التذكاري جنوب غرب الحي الإداري للمركز.

ثم معارك تاونات، بتاريخ ماي 1925 وقد كان النصب في مفترق طريقي مكتب المركز، ثم معارك عين اجنان وأعالي ورغة وقبائل امتيوة من 1924م إلى ماي 1926م وأشدها كانت في سبتمبر 1925م وقد كان النصب شمال المركز.

ثم معارك عين معطوف وعين مديونة، ومنطقة أعالى وادي اللبن عند البرانس في

الشمال الغربي، وصنهاجة حيث كان النصب وآخر بمديونة وفيها قتل كل الغزاة بما فيهم الضابط "رسبلاندي" رئيس مكتب الشؤون الأهلية لعين مديونة بتاريخ 9 ماي 1925م ثم معارك الناضور ونقف هنا عند حد معارك ازكيتن، وجبل بايو، وقبابة، وجبل بركان، من 24 أبريل إلى 8 ماي 1926م وقد كان النصب يحمل تاريخ المعارك شمال أكنول.

وهكذا لو قدر لنا القيام بدراسة ميدانية لكل معركة من المعارك السابقة في المرحلة ما بين 1920ـ1926 لخرجنا بكتاب ضخم يضاف لسجل أمجاد المغاربة، وما بذلوه في سبيل الدفاع عن الدين والوطن، لكن الذي يمنع أن يظهر في كل قرية وفي كل قبيلة من يقوم اليوم بذلك، هو ما نعيش ونرى من محاربة الطبقة الجديدة، طبقة العملاء القدامى الذين ظهروا من جديد وبمسوح جديد كذلك ـ لتلك الروح الوطنية ومحاولاتها جادة خلق جو خانق تختنق فيه أنفاس الكادحين بانشغالهم(218) بماسيهم بدل اهتمامهم بالكتابة حول ما يزعج السادة السابقين كما صرح لي الشيطان الأعور بلا خجل ولا وجل وهو العميل الحقير ظنا منه أنني طالب عيش يقبل الضيم ويضحي بالكرامة مثله من أجل اللذة العابرة والجاه الملوث الموهوم، حيث قال لي وبكل وقاحة وقد وصفت الاستعمار الفرنسي بما ترك من بصمات وعمق من جراح ومزق من أوصال في وطني وبين أهلي وعشيرتي قال لي "قل الاستعمار فقط، بلا فرنسي، بل: قل الاستعمار وكفى ولا تقل الفرنسي وشهد الله ما وصل سمعي ما تلفظ به من قيء حتى تروع قلبي وكدت أبزق في وجهه لكنني عدلت ونذرت، وقد نسي هذا المتبلد المندس الذي يحسب أن بيده إيقاف التاريخ وتوجيهه كيف يشاء أنه قد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وما لم يسجله المغاربة

---

(218) أشرت في مقدمة الكتاب ثم كررت في مواضيع مختلفة وحسب المناسبة، إن كان ثمة وطني مغربي ساهم بنضاله في سبيل تحرير المغرب ولم يلحقه أذى في عهد الاستقلال، وكذا إن كان ثمة مجرم خائن أساء إلى المغرب والمغاربة في عهد الإستعمار ولم يكرم في عهد الاستقلال، والذين كانوا ولايزالون وراء كل ذلك سواء من الجلادين الذين أقبروا بلا شهادة أو الذين لم يقبروا هم جانب من موضوع الكتابة حول التاريخ السياسي لمرحلة ما بعد الاستقلال. فعلى كل من سيجد في نفسه الرغبة في الكتابة أن يجعل نصب عينه وضمن برنامجه تلك الصفحات الدامية والأليمة من تاريخ حياة هذا الشعب المتظلم في أقطاره من الشرق إلى الغرب وخصوصا مرحلة ما بعد 1962 أي بعد استقلال الجزائر.

الذين أخرسهم الظلم والقهر والبغي الذي أثقل كواهلهم، سجله غيرهم، حتى إن من يريد البحث في تاريخ الماضي القريب للمغرب لا يتوفر على شيء، كما يتوفر على الجانب السياسي منه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال "المرء حي مادام يذكر" وسيعمل تاريخ المغرب المعاصر ومهما لاقى من الدس والكيد على تخليد ذكر المحسن، بإحسانه، والمسيء بما قدمت يداه عن قصد وسبق إصرار، من شر ضد القيم والدين والأخلاق والحق والخير والعدل والجمال.

وهكذا فإن ما ورد في هذا الفصل كان الدافع بفرنسا للاتفاق مع اسبانيا ضد ثورة قبائل الريف واجبالة بزعامة محمد بن عبد الكريم لكن كيف كان ذلك الاتفاق؟ وبالتالي كيف تم ذلك الاتفاق؟

العقيد بيكْ بدير الذي خدمه عبد السلام ابن لونة بإخلاص راجع وثائق وزارة الخارجية الاسبانية

الشركه المجهوله "ايلكطراس ماروكيس الكهربائيه" ومركز ادارتها الاكبر بتطوان

الوليمة التي اعدتها ادارة تحرير مجلتي «الاصلاح» و«الاتحاد» اكراما للكاتب الاسباني الشهير السنيور كوروتشانو بمناسبة تاليفه الرواية التي عنوانها مكتوب» وهي حول المغرب ويرى في الصورة الماسوني أبو الجاسوسية الإسبانية في المغرب عبد السلام ابن لونة وقد جلس عند قدم المقيم الإسباني صانخور خو فهل يرضى بهذا الوضع وطني كريم الأصل ولونة إسم يهودية معناه القمر يقول أبو القاسم الزياني عن أولاد بنونة في كتابه "تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء".

إدريس الريفي باشا
مدينة أصيلا عميل
اسباني فوق العادة

محمد مزيان الذي أصبح بعد جنرالا بعد
ما طوع إخوانه من أهل الريف بقوة
السلاح خدمة للاستعمار الإسباني

قايد بني سيدل محمد الواریاشي الودغيري إذ بنو ورایاش أصلا أدارسة من الوادغيريين بفجيج

قايد بني وارياغل سليمان الخطابي الذي ساعد الاستعمار الاسباني جدا في الاحتلال وضد بلاده

قايد كبدانة محمد بن عبد الرحمان

قايد قبيلة بوقوية دادي بن مسعود البقيوي التفنسي عميل استعماري اخلص فوق المطلوب للاسبان وكان ضد ابن عبد الكريم

نائب الصدارة عبد القادر بن
الحاج الطيب انه عميل
استعماري ممتاز

البشير الزمراني العطار الجاسوس
الذي كان يتجسس على المجاهدين في
المنطقة الشمالية فكان جزاؤه القيادة
على قبيلة التسول

نوجيس والبشير بن صالح الزمراني العطار

مدينة شفشاون المدينة المباركة

الفصل الخامس والثلاثون بعد المائتين

عبد الكريم وإخوان مانسمان

لتحقيق أهداف الألمان

عند ما يكتب التاريخ للتاريخ بعيدا عن تصنع العواطف يمكننا أن نقول عن زعامة ثورة الريف إن ثورة محمد بن عبد الكريم التي قومها السلطان عبد الحفيظ وكان خلفها الأتراك ومعهم الألمان بمكر وخداع هي الثورة التي تجند لها المغاربة بعد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ومن غرب البلاد إلى شرقها يحدوهم الأمل الكبير الذي أجهض من المندسين الذين اغتربهم زعيم الثورة، ولو لم يكن كذلك لما كان التدبير والتوجيه لحفنة من الألمان وبعض المغامرين من الأوروبيين ولو لم يكن كذلك لما أعلن تأسيسه لدولة داخل دولة مضى على قيامها اثنى عشر قرنا وهي وقتها قد عززت سيادتها ووحدت ترابها بواسطة مجموعة من المواثيق الدولية القديمة والجديدة، آخرها عقد الجزيرة الذي تجمعت حوله ثلاثة عشر دولة عام 1906 والذي خيب مقاصد الألمان وحطم آمالهم.

ولو لم يكن كذلك لما أطلق العنان لنفسه في قتل منافسيه الشرفاء وفي طليعتهم الرجل الذي أرهب المتربصين بالمغرب من الأوروبيين، وهو الشريف أحمد الريسوني وهو في حالة مرض طريح الفراش، ولو لم يكن كذلك لما غلب على أمره ثم أطلق العنان للجهال من الورياغليين من بني قومه الذين أفقروا ما حولهم من القبائل ليصبحوا هم الأثرياء وجيرانهم الفقراء. إن الذين أنساقوا وراء ما جنده أحرار العرب من إعلان لفائدة ثورة الريف لم يدركوا أن ذلك كان من أجل تحقيق آمال كل العرب من خلال الثورات التي عمت الوطن العربي وقتها، إن التهور الذي اندفع خلفه أولئك الذين كانوا خلف محمد بن عبد الكريم بإعلانهم دولة داخل دولة هو نفس التهور الذي اندفع خلفه المسحور

المسمى أحمد الهيبة أبو حمارة الألمان الذي أعلن نفسه سلطانا ثم صنع له طابع مثل طابع أبي حمارة الجلالي بن ادريس هو نفسه في الحجم والشكل طابع السلطان الحقيقي، وبذلك سعى لحتفه بظلفه، ولست هنا بصدد تبيان رمزية العرش وشروط الذي يجلس عليه، وما هو قار في أفكار المغاربة وعقولهم نحو تلك الرمزية التي لا تقبل التعدد، والتي ما تعددت في شيء إلا أفسدته.

إن أقوى ما عرفته تلك الحرب ضمن عدد الحروب في المغرب التي رفعت رؤوس المغاربة هو معركة أنوال التي لم أعرف فيمن كتبوا من توصل إلى حقيقة أسباب النصر فيها، وقد كان التمسمانيون وغيرهم قبل بني وليشك، وبني سعيد، والمطالسة، وقلعية، وبني بويحيي وكبدانة وغيرها من القبائل التي كانت خاضعة للنفوذ الفرنسي هم لحمتها وسداها.

وما أقوله اليوم وأنا أكتب التاريخ للتاريخ وكل الذين ساهموا في التمكين للذاتية المغربية أصبحوا جزءا منه. ما كان لي أن أقوله بالأمس وأنا وغيري نكتب التاريخ من أجل الإعلام وهد كيان الإستعمار، ولعل الحجة والبرهان على صحة هذا الرأي عندي هو ما أورده اليهودي المغربي جرمان عياش فيما كتب عن "أصول حرب الريف" ط البيضاء 1992م ترجمة محمد الامين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق وما أوردته كذلك في هذا الفصل الذي تحاشيت فيه التحامل على الرجل الفقيه الذي اختير كزعيم للثورة. بل وعدم التحامل على قومه الذين أطلقوا العنان لغرائزهم بقوة الحديد والنار، وهو ما يلمسه القارئ من خلال ما كتبه بعض أبناء القبائل المجاورة في أسلوب حسبوا أنه ملفوف بيد أنه مكشوف ورغم هذا وذاك فلسوف تبقى تلك الثورة ثورة المغاربة جميعا هي التي أذلت الدولتين فرنسا واسبانيا. شرقا وغربا كما رأينا وذلك ما دفع أمير البيان شكيب أرسلان إلى أن يطلق إسم "أمير المجاهدين" على محمد بن عبد الكريم من آل زرعة آيت خطاب الورياغليين، كما أطلقه على محمد ادريس السنوسي في ليبيا لنفس الهدف، وهو مشروعية الجهاد. وما كاد اللقب ينشر حتى فكر له الآخر ون وهم الألمان في إعلان ما أطلقوا عليه دولة الريف حتى يتوصلوا لاستغلال ما كانوا يرغبون في استغلاله، ووقتها وجد الحامي الفرنسي المبرر والدافع لتجنيد أكبر قوة للقضاء على الدولة التي أعلنت

داخل الدولة المحمية لا بحكم المعاهدة المفروضة بل بتقاليد المغاربة وتمسكهم وتماسكهم.

أشرنا قبل إلى ماتم إثر إجتماع 19ـ9ـ1921 وبعد معركة أنوال بأقل من ثلاثة أشهر مما قيل عنه دستور، ودولة، وجمهورية، وحكومة، والشروط الستة التي وضعت للصلح مع الحكومة الأسبانية في الوقت الذي لم يكن لهذه الدولة من الأرض أكثر من ميل في ميلين، رفعت عليها علما خاصا وطبعت لها أوراقا نقدية خاصة كذلك(219) ولقد كان كل ما سبق من الصفات مما ردد على مسامع الإسبانيين الذين حال ضعفهم في الميدان وما عرفوه من هزائم دون صبغها وتأويلها بما صبغها وأولها به الفرنسيون، بل إن الاسبانيين تبادلوا المذكرات والمراسلات مع المؤسسة الجديدة فيما حصل بين أزرقان الذي أطلق عليه لقب "وزير الخارجية" والكاتب العام للحكومة الأسبانية الدوق استيفيد يرا بتاريخ 14ـ7ـ1923م / 30 قعدة 1341هـ والمذكرة التي وجهتها الحكومة الأسبانية إلى حكومة الريف بتاريخ 15ـ7ـ1923م بل ورد لفظ الحكومة، والدولة، والوزير، بل والسلطان ، من خلال ما نقله الصحفيون من مختلف الجنسيات عن الزعيم محمد بن عبد الكريم نفسه، مما يؤكد أن "دولة الريف" في اعتباره وما خطط له شيء واقع إنساق إليه واستهواه، وحسب الذي يتبين من الاستنتاج أن الذي خطط وتابع التخطيط اتفاقا مع الزعامة ومن وراء المجاهدين الذين كانوا حسب اعتقادهم وصادق نواياهم إنما يحاربون الكفار ولم يدركوا أن الذين وراء الجميع إنما هم الألمانيون أصحاب شركة مانسمان وذلك حتى تضفى المشروعية على وجودها واستغلالها الذي كان حوله نزاع من أجل الإمتياز الذي حصلت عليه فيما يتعلق بمنجم الحديد من أبي حمارة، والذي طردت منه قبل ثم عادت لمحاولة استغلاله بواسطة ماوفره لها من أمن بعض رجال الريف مقابل الأموال التي كانت توزعها عليهم، وربما بواسطة جماعة منهم عبد الكريم والد الزعيم الخطابي، بل والتي كانت الحكومة المغربية قد دخلت معها في نزاع، حيث صدر عن هذه الأخيرة مرسوم يمنع الشركة من الاستغلال تاريخه 19ـ2ـ1914م وذلك اعتمادا على المادة 12 من عقد الجزيرة

---

(219) راجع الفصل السابق وكريم ثابت 27ـ30 عمر أبو النصر 134 إلخ.

وكل ذلك كان وراءه الألمان حتى يحققوا لهم من الامتياز حول معدن الحديد ما حققه لهم قبل أبو حمارة راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق.

للدول التي نص على أنه إذا ما حصل نزاع ما بينها فيما يتعلق بالثروة المعدنية والمناجم في المغرب، فإنه يجب بمقتضى المادة المذكورة من المعاهدة المشار إليها أن تكون لجنة من دول العقد تفصل في الموضوع، وبسبب قيام الحرب العالمية لم يفصل في الموضوع، ولذلك اختارت الشركة العمل على تكوين دولة تشمل منطقة المعدن "ازغنغن" فأعلن عن تكوينها بتلك السرعة المذهلة، إثر معركة أنوال، لكن الحكم بعد صدر من اللجنة ضد شركة مانسمان بتاريخ جوان 1922م حيث حكمت المحكمة ببطلان العقد وادعاء شركة اخوان مانسان التي لم يتبين بوضوح أنها كانت وراء كل من الألماني "كليمس" المدعو وقتها "الحاج أليمان" الذي ألقي عليه القبض يوم 30 ماي 1926 إثر استسلام محمد بن عبد الكريم بثلاثة أيام، وكذا غيره من الذين قيل إن عددهم بلغ الخمسين كما أورد الذي نقل عن صنو الزعيم(220) محمد فتحا، بخلاف طابع الأوراق المالية بإسم دولة الريف وهو الأنجليزي "غوردون كانينج"(221) فإنه انفلت بسبب تدخل قنصلية بلاده بعد فشله في محاولات الوساطة.

ومهما يكن فإنه لما كانت الدولة المزعومة قاصرة على منطقة بني وريا غل أجدير، وحتى حين توسعت فيما حولها من قبائل المنطقة التي كانت خاصة بالحماية الأسبانية، كان الفرنسيون يتفرجون، وربما فيهم من كان يسخر من الأسبانيين الذين سجل التاريخ أنهم أيام أسند نابليون بونابارت حكم اسبانيا إلى أخيه جوزيف كان الأسبانيون وقتها ودفاعا عن بلادهم كلما وقع فرنسي في أيديهم كانوا يضعونه بين خشبتين ثم ينشرونه نشرا مع تلك الألواح، أو يعذبونه تعذيبا فظيعا ثم يقتلونه بصورةتقشعر منها الأبدان(222) ولما حل بالاسبانيين ما حل بعد معركة أنوال وقف الفرنسيون يتفرجون، وأما عن الحكومة وتحركات الألمانيين فإنها مادامت بعيدة عنهم، تركوها محملين المسؤولية حول وحدة المغرب حسب المعاهدات الدولية، لأسبانيا فيما يتعلق بمنطقتها، مادام الاسبانيون هم المسؤولون قانونيا عما اتفقت معهم فرنسا من أجله، بما في ذلك

(220) راجع كريم ثابت 27ـ28ـ154 وابو النصر 104ـ215.

(221) راجع مجلة الاتحاد التطوانية عدد (1) بتاريخ يناير 1927 رمضان 1345 ص 1ـ2ـ3.

(222) راجع التاريخ السياسي لعثمان سلطان ج 1ص 438 ط الترقي دمشق 1925م.

شمولية سيادة السلطان لمجموع التراب المغربي، لكن في الوقت الذي انتهى فيه الأسبان إلى ضعف وعجز وعدم قدرة على بسط سلطانهم والتمكن مما سلم إليهم، وكان المسلم هو فرنسا، إذ لا علاقة قط لأسبانيا مع المغرب في هذا المجال كماسبق، بل وفي الوقت الذي أعلن المركيزدي إستيلا انسحاب جيوش الأسبان في اتجاه الساحل، وفي الوقت الذي تقدمت فيه قوات المجاهدين نحو الورغة، ثم أخذت تلتحم مع ثورة بني ورياغل وما حولها، بل وفي الوقت الذي أخذت الزعامة تتطلع إلى ما بعد المنطقة جنوبا حتى الإطلالة على مدينة فاس شمالا بما قدر بـ 27 كيلومتر، وقتها حتما كان على فرنسا أيضا أن تتدخل، وبدأت بالتصادم مع المجاهدين من قبائل الريف واجبالة في الشمال الشرقي المحادي للأراضي الريفية، مما أدى إلى حرارة التصادم كانت المعارك ساخنة دارت فيها الدائرة –ولو مؤقتا– على الفرنسيين بفضل صمود قبائل بني وراين التي كان عليها العبء الأكبر في تلك المعارك، وكان هذا طبعا فرصة للإقامة العامة ولربما كان يقصدها المارشال اليوطي، حتى يجلب اهتمام حكومة بلاده أكثر لبرنامجه الذي بدأه وكما رأينا قبل بالفصل بين ثورة الشمال وثورات الجنوب، خصوصا وأنه لا يستطيع التحرك شمال وادي ورغة إلا إذا تم اتفاق بين الحكومتين يسمح للجيوش الفرنسية بالدخول إلى المنطقة الأسبانية.

وإذا ما أعلن اليوطي أن قوات فرنسا ستعمل لرد الفعل بطريقة أشد، فإن الأسبانيين المستضعفين والمنهزمين تخوفوا من أن تعمل فرنسا على أن تحل محلهم في المنطقة بتقدم جيوشها لتحقيق أهداف التوسع على حساب الأسبان، ورغم أن اليوطي عمل على تطمين الأسبان بعدم رغبته في غير رد زحف الذين تخطوا وادي ورغة، وهو الخط الذي حددته الاتفاقية الفرنسية، بتاريخ 27–11–1912 تلك التي وصفت خط الحدود وأنه يقطع النهر من تحت منابعه، أعلاه شمالا للاسبان، وأدناه جنوبا للفرنسيين وقد بقيت هذه الحدود غير محددة نهائيا نظرا لجهل كل من الفرنسيين والأسبانيين معا بخصوص تقسيم المياه، وكذا بالحدود القبلية في ذلك القطاع، ولذلك كلما تقدمت إحدى الدولتين في ذلك القطاع كانت تثير تدخل الأخرى، وكم صرح اليوطي بأنه لا يقصد أبدا التوسع على حساب ما هو داخل في منطقة حماية الاسبان، لكن هؤلاء دوما كانوا بدافع

واقعهم في المنطقة ومعاناتهم غير مطمئنين ولا مصدقين، وإذا ما انتهى المجاهدون بزعامة محمد بن عبد الكريم إلى قناعة أن الاسبان انتهوا إلى ذلك المستوى من الضعف والعجز، فإنهم وبحكم وجوب استمرار الحركة والتمكين لروح المقاومة والجهاد ضد الكفار، وتحقيقا لما ورد من الشروط الستة المشار إليها سابقا وخصوصا الأول منها وهو "عدم الاعتراف بكل معاهدة تمس حقوق بلاد المغرب الأقصى أو يكون لها علاقة بمعاهدة1912م.

بهذه الدوافع اندفع المجاهدون إلى قبيلة أشراكة ولحياينة على مقربة من فاس متوغلين في تراب النفوذ الفرنسي تحديا غير مهتمين ولامقدرين ما سينتج عن ذلك من رد فعل قوة تختلف عن قوة الأسبان واتفاق بين الدولتين، وبالتالي ما سينتج عن ذلك من إتحاد بين القوتين، بل كان الفرنسيون يعملون جادين على رد قوات المجاهدين إلى داخل حدود منطقة النفوذ الأسباني، بل وحتى عندما وصلوا إلى قبيلة اشراكة لم يصرح اليوطي بغير ذلك حتى يهدئ من روع الأسبان، بل والانجليز الذين كان لايرضيهم تقدم القوات الفرنسية في المنطقة المشرفة موانئها على جبل طارق.

وهكذا إذا ما اشتد النزاع بين الفرنسيين والأسبان فإن الفرنسيين أخذوا يؤولون المادة الأولى من إتفاقهم مع الأسبان 27-11-1912م والذي بمقتضاه تمكن الأسبانيون من وجودهم وفرض حمايتهم بالمنطقة الشمالية من المغرب، ونسوا أن الذي دفع بالفرنسيين إلى ما تخوف منه الاسبانيون هو سحب هؤلاء لجيوشهم من المنطقة كما سبق، وهنا ودفعا لكل إلتباس، وحتى يحصل التدخل السريع جاءت فكرة التعاون بين القوتين، خصوصا وأن فرنسا أخذت تعيش وتعاني مما حققه المجاهدون من تقدم، وبذلك أصبحت سمعة فرنسا تتردى بقدر ما كان صدى الثورة يتردد في مختلف بلاد العالم بواسطة الصحافة المهتمة وضمنها الصحافة الفرنسية نفسها، كما أن الحزبين الاشتراكي والشيوعي في فرنسا، أقامها ضجة ضد التدخل الفرنسي في المنطقة الشمالية من المغرب، حيث وجهت أسئلة النواب في البرلمان إلى "أريستيد بريان" وزير خارجية فرنسا، وإلى "بانليفي" الذي تولى رئاسة الحكومة، والذي أعلن يوم 28-5-1924م أمام المجلس وكان قد عاد من رحلة قام بها إلى المغرب حيث وقف على وجهة نظر المسؤولين الذين أوقفوه

على الواقع الذي أصبحت القوات الفرنسية تعيشه في المغرب، وإذا هو كان خطيرا بالنسبة للاستعمار الفرنسي، فإن تصريحه كان وصفا لذلك حيث قال "على كل من يريد السلام مع الثوار عموما أن يعلم أن فرنسا في المغرب تقف بكل قواتها في المنطقة مابين ورغة وفاس، بل أكثر من هذا، ففرنسا مهددة أن تفقد المغرب الأقصى، والجزائر وتونس، إذا هي لم توقف زحف الثورات، بل سيكون ذلك يقول بانليفي نهاية امبراطوريتنا الاستعمارية، بل ونهاية استقلالنا الإقتصادي الذي يعتبرلاغيا بدون مستعمرات"(223) ولربما كان تصريح بانليفي هذا أمام البرلمان مستمدا من تقارير اليوطي التي كثرت جدا في تلك المرحلة، مما أدى إلى رحلة رئيس الحكومة بدافع شدة غليان الاستعماريين الذين كانوا وقتها بعد قد جهزوا الأراضي، ونقلوا فروع الشركات إلى الدار البيضاء حسب اقتراح اليوطي قبل في عام 1920م. وفي دوامة هذا الوضع الذي كانت تعيشه الدوائر الفرنسية الرسمية ولما تعيشه زعامة الثورة التي فقط كانت تتوصل بما تردده الصحافة من إشادة بالثورة، وما حققته من تقدم نحو الجنوب لذلك أرسل الزعيم محمد بن عبد الكريم أخاه محمد إلى باريز التي رفض المسؤولون فيها مقابلته بدعوى حتى لا تكون تلك المقابلة بمثابة اعتراف بدولة الريف في شخص ممثلها، بل أحالوه على المارشال اليوطي بالمغرب، فهو حسب قولهم المعنى بما في المغرب من صراع، بل وإدارة الحماية في المغرب هي صاحبة القول الفصل فيما يتعلق بالحدود الفاصلة بين المنطقتين التي قدم شقيق ابن عبد الكريم من أجلها، وإذا كان هذا موقف ضعف من ابن عبد الكريم الذي أرسل أخاه إلى فرنسا، وهو الذي سبق أن صرح والتزم أنه لا يعترف بالحمايتين، لكن أمام ما انتهى إليه واقع الفرنسيين في الجنوب وما علمه من اتصال الدولتين، عاد ليجادل فقط في موضوع قبيلة بني زروال، وفي جانب من قبيلة بني ورياغل، وكذا ما حولها، هل ترجع إلى المنطقة الأسبانية أو الفرنسية، على أن قبيلة بني زروال وإن كان عبد الرحمن بن الطيب بن محمد العربي الدرقاوي الزروالي الكثير التلون، قد اختار جانب الفرنسيين وقتها، وقد سبق له زمن الحرب أن اختار جانب الألمان مما أدى بابن عبد الكريم ووراءه الألمان الناقمين على ابن الطيب الزروالي وقد فر عبد الرحمن إلى مدينة فاس قبل أن

(223) نفس المصدر.

يشعل النار في زاويته ويقضي على كل أثر له في القبيلة، خصوصا وأن في قبيلة بني زروال، الكثير من الذين اختاروا جانب المجاهدين، ومقاومة الاستعمار، لكنهم كغيرهم من قبائل بني وراين واجزناية وبني توزين، والتسول، والبرانس وغياتة، ومرنيسة، فيهم من انقلب ضد الريفيين واختار جانب الأسبان والفرنسيين بسبب منهجية وسوء تصرف بعض الورياغليين من أهل أجدير الذي غالوا بحسابهم الخاطئ أن مكاسب الثورة كلها لهم، ولهم وحدهم، يتصرفون كما يشاؤن، في الوقت الذي لم يحسنوا التصرف حتى مع تمسمان، رغم أنهم أي تمسمان السابقون الأولون لميدان الجهاد ومقاومة الاستعمار حتى في الوقت الذي اختار فيه الورياغليون خيانة جانب الأسبان يتقدمهم ابن عبد الكريم الذي ولوه كزعيم، ومن أجل ذلك أحرقت داره ثلاث مرات يقول صاحب :أسد الريف" كما سبق، بل إن قبائل الجبل التي كانت مع الريسوني ولم تندفع نحوه إلا حبا في الجهاد ضد الكفار، عرفت من ويلات وغدر بني ورياغل ومن مركبهم الكثير من المعاناة، وإذا كانت قبائل الريف بدون قبائل اجبالة وهي بطبيعتها الإقليمية فقيرة الأرض ولا متنفس لها غير أرض اجبالة، تعتبر عديمة القيمة اقتصاديا بل وعدديا، خصوصا بالنسبة للفلاحة فإنه كان على ابن عبد الكريم أن يتشبث بها مهما كان الثمن ولو بالمواجهة العنيفة ضد الفرنسيين الذي طالما نادى برغبته في السلم معهم الذين أغراه بهم ما حصل قبل من فوز المجاهدين قبل ارتداد بعض الخونة العملاء الذين نشطت دعايتهم أكثر، عندما استشعروا ظهور القنوط والتذمر من بعض الأجديريين الذين امتدت أيديهم إلى أرزاق الناس والتضييق عليهم، وإذا ما انتهى هذا إلى إدارة الشؤون السياسية بالإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، فإنها عرفت كيف تستغل تلك الأخطاء أفظع استغلال حيث جندت من الإمكانات المادية والمعنوية ما جعلها تؤثر كما أرادت.

لقد كانت تجارب الغزو التي عرفتها سياسة وإدارة اليوطي العسكرية في مختلف جهات المغرب التي تسلط عليها بأحدث ما كان لديه من قوة الحديد والنار، تختلف عن تلك التي سيقبل عليها بالنسبة لقبائل الريف واجبالة والتي كان عليه أن يقنع حكومته بما كان يعتمل في صدره من حقد شديد على الألمان الذين قيل إنهم يوجهون ابن عبد الكريم حتى تمكنه حكومة بلاده بما يكفي من القوة لسحق الثورة التي اقتنع قومه أن تخطيطها

وتنظيمها لا يقتصر على المغاربة وحدهم، ذلك أن كل المعارك التي دارت هنا وهناك وكان له الاشراف عليها عمليا وتخطيطا من وادي زوزفانة والساورة وگير منذ 1903 أيام صولته بالعين الصفراء إلى بوذنيب 1908 وفاس 1912ومراكش ثم زايان 1914م وآيت ورا ثم آيت شخمان، حيث موح وسعيد، وعلي أمهاوش وغيرهما، كلها جميعا لم يذكر فيها شيء اسمه الألمان(224) ولم تعرف من التنظيم الحديث ما عرفته ثورة الشمال من هاتف وسيارات، بل وحتى بعض الدبابات وقيل بعض الطائرات التي بقيت معطلة بسبب عدم وجود الوقود، وعددها ثلاث فمن أين، وإذا كانت مغانم أو تهريب، فمن يقوم بالاشراف والتسيير والصيانة، هذا ما استطاع اليوطي أن يقنع به قومه، وقد لعب في ذلك حاكم تاوريرت الفرنسي جابريلي الذي استطاع أن يستدرج الكثير من الريفيين الذين كان يسمح لهم بالتوجه نحو الجزائر حيث اتخذوا المنطقة كمتنفس "لدولة الريف" في الوقت الذي كان يزود قومه من المعمرين في الجزائر باليد العاملة من الذين كانوا يرحلون كمتذمرين من الضائقة أو مدركين للنهاية الحتمية، وعن طريقهم كان يتعرف من المخبرين على ما كان يزود به إدارة الشؤون السياسية التي كان يعمل لها بنشاط، وبذلك قام بدور إنخدع له محمد بن عبد الكريم نفسه الذي أصبح يتخذ منه صلة الوصل بينه وبين إدارة الرباط الفرنسية، التي تأكد لها أن حقيقة النشاط الألماني وإشراف عناصره على التنظيم والتسيير ضمن إدارة محمد بن عبد الكريم وبزعامته مما حقق لليوطي ما كان يريد من الاجماع والاتفاق حول وجوب الضرب ضد الثورة بأكبر فوج، فإن ذلك قد تحقق له لأنه مهما اشتدت المعارضة السياسية وتعددت في بلاده بحكم الديمقراطية، فإن نزعة العداوة ضد الألمان ستوحد بين الجميع وتجعلهم يتفقون على وجوب سحق الثورة التي أصبح الفرنسيون معها وجها لوجه بعدما احتلوا مدينة وزان وأعالي ورغة، وانضم إليهم أمثال أحمد المذبوح وخلفه قبيلة اجزناية، وولد عمرو واحميد، وخلفه مرنيسة، والمجرم الحقير البشير بن محمد بن صالح الزمراني، ومعه قبيلة التسول، بل وغير هؤلاء ممن نقموا على تصرف بعض الورياغليين من الجبليين، خصوصا اتباع الريسوني وأبناء عمومته الذين تعرضوا للأذى والذين إذا لم ينضموا إلى قوات الكفار من الأسبان فإنهم

(224) باستثناء الهيبة طبعا.

لاشك سيلزمون الحياد ماداموا قد جرحوا بقتل زعيمهم قبل، وحتى الذين كانوا ملتزمين للثورة كانوا كثيراما يتعرضون للتأثر بدعاية غيرهم التي نشطت واشتدت خصوصا بين المتطوعين الذين كانوا يسرحون من أجل العمل في حقولهم أو بأجر عند الآخرين في الوقت الذي كانت القيادة تحتفظ بالمجندين الدائمين، وكلهم من الورياغليين الذين كان عددهم ستة آلاف كانت "الدولة" قد رتبت لهم المرتبات بشكل مستمر، أما غيرهم فقد كانوا يستنفرون كلما دعت الحاجة، وعليهم أن يأتوا بأسلحتهم وغذائهم، بل وأغطيتهم، ولم تكن في الغالب غير الجلباب الذي يرتديه الرجل وشيء من التين المجفف ودقيق الفول.

كان عدد قوات الجيش المكون وقتها من أبناء المستعمرات الجزائر، وتونس، والسنغال، ومدغشقر، ومن مرتزقة الأوربيين، الروس، والألمان، والطليان، والاسبان، وكان عدد هذه القوات وقتها في المغرب لا يتجاوز خمسة وستين ألف جندي 65000 لا يمكن لليوطي الذي كان يعرف خطورة المغامرة أن يزج بهم جميعا في حرب الريف ومناطقه الوعرة المسالك الكثيرة الأدغال، خصوصا وقد عرف قبل ما كان لتلك الثنايا والأدغال الشائكة من أثر في تفتيت قوات الأسبانيين وانهزامهم أمام المقاومين الذين عرفوا من الانتصارات ما جلعهم يعتزون بثباتهم وصمودهم، وكان اليوطي كذلك يعلم أن كل ما نشر من الدعاية، كلها تتلاشى إذا ما علم رجال القبائل بإتفاق الدولتين واتحاد القوتين، لأنهم يعتبرون الكفر ملة واحدة والعدو واحد،، رغم إختلاف الأسماء يقول من حضر من الريفيين والجبليين معا.

كان على اليوطي قبل اتفاق الدولتين أن يدخل في معارك مع رجال القبائل المجاورة لوادي ورغة، وكان مما قوي عزم هذه القبائل وزاد في إقدام رجالها، معرفتهم لواقع الجيوش الفرنسية في المنطقة، وأحيانا حتى عدد الجنود في المراكز، وذلك بواسطة المواطنين الذين كانوا يتاجرون معهم في المواد الغذائية من جانب، ومن جانب آخر بواسطة بعض المجندين الجزائريين الذين كانوا يتطوعون بدافع الغيرة الإسلامية بتزويد المجاهدين بمعلومات على واقع الجنود الفرنسيين في المنطقة، ورغم ذلك فإن حساب قيادة الثورة واستنتاجها حول تلك القوات لم تكن مضبوطة ولا مركزة لأنها كانت من

المساعدين الألمان الذين أخذوا يتشككون في صدق نوايا أبناء القبائل المشار إليها حسبما أوحى إليهم بذلك خصومهم من الورياغليين بل قيادة الثورة صدقت ما قيل مع التأكيد أن موقف الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين سيؤثر في الموقف ولا ينتظر من جيوش الفرنسيين في المغرب أن تتخطى وادي ورغة مهما كانت الظروف، لأنهم لهم من مشاغلهم في ملوية والأطلس المتوسط والكبير ما يكفيهم، ولأن بلاد العالم الإسلامي العربي وشعوبه كلها مع الثورة وتناصرها بالإعلام الذي كان قد أزعج المستعمرين وأحدث صراعا بين اليمين واليسار في فرنسا نفسها، بل وحتى في اسبانيا، ولربما كان بعض الخبراء الأجانب وهم داخل الدوامة لا يعلمون من الواقع غير ما كان ينشر أو يذاع، وبذلك كانوا يؤكدون حسب استنتاجاتهم المشار لها أن فرنسا الواقعة تحت الضغوط المشار إليها ربما ستعترف بدولة الريف، وما على رجال هذه الدولة إلا أن يستمروا في تمسكهم وتحديهم، ولربما أيضا كان يصل هذا إلى إدارة اليوطي فيرفعه بدوره إلي الدوائر المسؤولة في وزارة الخارجية ببلاده التي كان تحركها بطيئا، والصراع بين أحزابها حول الموضوع تارة يشتد وأخرى يخف تباعا لحرارة التقارير حول النشاط الألماني في المنطقة وبرودتها، كان المصدر الوحيد لتلك التقارير هو الماريشال اليوطي، وهو كما أشرنا مثل كل الفرنسيين، خصوصا القداما من العسكريين، أشد حقدا على الألمانيين، ولذلك ربط إتصاله مع منطقة الثوار، وباهتمام كبير بواسطة المراقب المدني لتاوريرت جابريللي المشار إليه، والذي لم يعد يخبر في تقاريره بما يتصل به من أقوال بعض الريفيين، بل أخذ يشتري المعلومات المعتمدة على ذكر الأسماء والأرقام والأجهزة والوقائع، وبذلك كتب إلى حكومة بلاده، التي طلب منهافي نفس الوقت الزيادة في الإمدادات العسكرية، وكان التقرير الذي وجه بتاريخ 11ـ12ـ1924 أكثرها تأثيرا، وإذا هو كرر من تلك التقارير وألح في الطلب مؤكدا على تصريح بانليفي المشار إليه أمام مجلس النواب بتاريخ 28ـ5ـ1924م فإنه نظم زيارة السلطان إلى منطقة قبائل أشراقة حتى يقترب من تلك القبائل التي أصبح إسم محمد بن عبد الكريم يذكر في خطب الجمع على منابر جوامعها بدل إسم السلطان الشرعي الذي حل بقبيلة اشراقه يوم 25ـ6ـ1925م وذلك في الوقت الذي كان فيه رئيس الحكومة الفرنسية يقوم بزيارة للمغرب، وقد أخذ قبل إلى

جبهة القتال يرافقه لوران إيناك، والجنرال جاكيمو، بتاريخ 10ـ6ـ1925 ثم تقابلوا مع السلطان في اليوم التالي، وإثره عادوا إلى فرنسا بتاريخ 14 منه، كما غادرته بعثة نيابية كانت قد قدمت إلى المغرب أيضا تحت تأثير تقارير اليوطي، ثم عادت منه بعد ما قابلت السلطان المولى يوسف الذي قال لها بالحرف وحتى يعزز مطالب اليوطي،" .. تذكروا ما فعل أبناؤنا من أجل فرنسا وقدموا لنا الوسائل التي تمكننا من الدفاع.."(225).

وأمام هذه التحركات كان المجاهدون في منطقة الشمال وقبائل بني وراين قد شددوا حملتهم على منطقة تازة في حملة ساخنة بتاريخ يوم 26ـ5ـ1925م وذلك من أجل قطع المواصلات بين المنطقتين الشرقية والغربية، حيث أخذت الإمدادات تتوجه من منطقة وهران نحو المغرب، لكن قوة الطيران الفرنسي هي الأخرى شددت القصف أكثر فحالت دون مقاصد المقاومين الذين كانوا في تلك المنطقة لا يعتمدون على قوات الريفيين والجبليين بقدر ما يعتمدون على أنفسهم، ورغم أن المقاومين الوراينيين بالأخص قطعوا الخط الواصل بين تازة وجرسيف، فإن مراسل جريدة "الماتان" الفرنسية قال زاعما أن خسارة المجاهدين بلغت 3000 ما بين قتيل وجريح، وهو رقم بلا سند، فقد اتصلنا ببعض الأحياء من قبيلتي بني بوزارت والزرارْدَة من بني وراين، وكانوا من الحاضرين فنفوا ذلك(226) ولعل هذا المراسل كان على مذهب اليوطي، وأراد فقط أن يزيد من شدة تصريح رئيس البعثة البرلمانية المشار إليها والذي صرح يوم 30ـ5ـ1925م في مرسيليا حيث قال "إن الحالة في المغرب خطيرة وحرجة ومن الضروري القيام بهجوم لإنقاذ سمعة فرنسا(227) ولقد كان فعلا لهذا التصريح ما يبرره، ذلك أن المجاهدين وقتها كانوا قد استولوا على المراكز الفرنسية الممتدة جنوب وادي ورغة، وما لم يستولوا عليها حاصروها، كما أخذوا من حين لآخر يتحرشون بما حول مدينة فاس حيث كانوا يجدون تجاوبا جد عاليا ومشجعا، تطوع قصد التمكين له وقتها طلبة ثانوية المولى إدريس إلى جانب طلبة القرويين وغيرهم من الذين كان لهم وعي سياسي في المستوى، فكان لذلك

(225) راجع عمر أبو النصر ص 201 ومصدره الذي لم يذكره وهو كريم ثابت.

(226) كان اتصالي بهم عام 1964 بواسطة ق بن بن حدو حيث تعرفت على كثير من الذين عاشوا تلك المعارك وتحفظ ذاكراتهم الكثير عنها.

(227) المصدر السابق أبو النصر 203.

أثره الفعال في منطقتي تازة ووزان مماكلف القوات الفرنسية ما لم يكن في حسابها من الجهد والاستعداد، لأن بعض القبائل القريبة من فاس رغم زيارة السلطان بدأت تتحمس لقائد الثورة وضد الفرنسيين، كما أن قبائل منطقة ملوية أعلى أخذت معارك المقاومة فيها تنتعش أكثر بسبب ما بلغها من قطع المجاهدين للخط الرابط بين تازة وأجرسيف، وإذا نحن تعرفنا على شجاعة آيت صغروشن بل وإذا نحن كذلك علمنا أن قيادة المجاهدين من قبائل الريف واجبالة كانت تتوفر على تجهيزات هاتفية من صنع الألمان تمكنها من الاتصال المباشر والعاجل بمختلف المواقع وحيث فرق المجاهدين من المتطوعين والمؤطرين الذين يمكن استدعاؤهم في أي قوت وتوجيههم إلى حيث تريد من الجهات، وهو ما لم يتوفر للفرنسيين في المنطقة وقتها، بحيث كان الكر والفر والهجوم لا تعرف جيوش الفرنسيين متى ولا من أين، في الوقت الذي يندهش المرء من أن المعلومات حول تحركات القوات الفرنسية في المنطقة وما تخطط لعدوها كان يصل إلى قيادة المجاهدين أحيانا، فكانت التحركات كثيرا ما تعتمد على تلك المعلومات التي لم تكن خاطئة، مما كان يعرض قيادة المستهدفين إلى ارتباك واضطراب، فكان يتطوع أمثال المجرم الأصيل والخائن المتحمس البشير بن محمد بن صالح الزمراني، بتوجيه التهم إلى بعض المجاهدين الذين كان يتلقى الأمر بقتلهم فيفعل، وقد سجل الفرنسيون في حقه ذلك واعترفوا له به(228).

ومهما يكن فإنه بمجرد ما أرسل اليوطي آخر تقرير له وكان يزيد حرارة في لهجته على التقارير السابقة، أرسله في أوائل شهر أبريل 1925م ثم علمت به قيادة المجاهدين بواسطة ما نشر، حتى أمرت بهجوم مكثف وعنيف، كان بعد أسبوعين على مواقع الفرنسيين في المنطقة بتاريخ 13-4-1925م وذلك بعدما سبق لهم أن انتهوا إلى أبواب تازة في أول الشهر وبواسطة قوات بلغ تعدادها ما يزيد على الثلاثين ألف مجاهد ثلثهم كان من قبائل شمال ورغة، والباقي من قبائل بني وراين وما قرب منها جنوبا، وكان هذا كرد فعل على ما انتشر وذاع من استعدادات، ولسوف يرتفع هذا العدد إلى أكثر من ستين ألف بواسطة المتطوعين، عندما تشتد المعارك ويعلن إتفاق الدولتين وأثناء هذا الهجوم قام

(228) راجع ترجمته وهو الذي كان في أول أمره عطارا في كتاب أعيان المغرب الأقصى تأليف كويبون سان صير ط باريز 1939 ص 822.

أحد المجندين المغاربة بالمركز الواقع في مديونة وفي سفح جبل صنهاجة، بقتل الضابط المكلف بالإشراف على المركز، وإذا ما انتشر خبره فإنه كان كالعاصفة ضد الفرنسيين الذين تخوفوا من بقية المغاربة مجندين ومجرورين بواسطة بعض القواد المغاربة، ولذلك أيضا أطلقوا يد المجرم البشير الزمراني الذي زود بحامية من الجنود الفرنسيين والأوربيين، فأطلق يد الشر للقتل والنهب، ثم لحق به قائد الحملة "جيرو" وكان بدار القائد المذبوح، حيث كونوا قوة انضم إليها فيلق الضابط ميج في ناحية وادي أمليل، ودارت المعارك بين المجاهدين والقوات المذكورة بقيادة جيرو في كل من سرو، وعين معطوف، ومركز ابن حلمية، الأمر الذي دفع اليوطي إلى أن يوجد القيادة في المنطقة ويسندها إلى الجنرال دوجان يساعده الجنرالان "شامبران، وبيلوت"، ومع ذلك فقد تزحزحت قواتهم عن المراكز الأمامية، ورجعت إلى تافرانت وتاونات، وإذا كان هذا المركز يتحكم في ورغة فإن المجاهدين ركزوا عليه، وكانت حاميته بقيادة الكولونيل "بارباس" والذي تحطمت معنويات جنوده بعدما شاهدوا جنود حامية مركز بني دركول يتساقطون برصاص المجاهدين بما فيهم الملازم "لابير" وبذلك أصبحت مدينة فاس مهددة فأرسل اليوطي حامية مساعدة بقيادة الكولونيل "دوافرير" الذي حاول الوصول إلى مركز ريحانة المشرف على وادي لوكوس، إلا أنه واجه قوات من رجال اجبالة ردته إلى مدينة وازان، ووقتها استعملت ثلاثة أسراب من الطائرات مجموعها ثمانية عشر طائرة وكان يرشدها القبطان "ابلى" لأماكن القصف الذي كان شديدا وعشوائيا بلا أدنى تدبرأ وشفقة على الآمنين، ولولاها لما أمكن للكولونيل دوافرير أن ينجو إلى وزان، ولكنه بعد التضحية بالضابط الكومندار(229)" سليفاني" يوم 18-6-1925م في معركة وادي حمد الله يقول هنري دوبوردو، والكولونيل فوانو. ورغم ذلك فإنه لولا نشاط المخابرات السياسية، واستعمال الدس والكيد من أجل التفرقة، لكان الفوز للمجاهدين الذين ما ردهم إلا القصف الشديد بالطيران الذي ركزه الملازم جافاردي، والملازم ادروك، على القرى الآمنة، كما أن جيش الفرنسيين قد ارتفع إلى اثنين وسبعين ألف جندي 72000 لم يكن فيه من الفرنسيين والأجانب من الأوروبيين

(229) راجع دوبورنازيل لهنري دوبورد ومصدر سابق، والآثار المجيدة لفاتحي المغرب للكولونيل فوانو مصدر سابق كذلك ترجمة خاصة للأستاذ محمد ابر وكيل الأستاذ بكلية الحقوق جامعة محمد الخامس.

غير خمس كتائب، والباقي من أبناء الجزائر، تونس، والمغرب، أي بمعدل 20٪ من الأوربيين و80٪ من غيرهم، ومع ذلك فقد اشتد قلق اليوطي وتحرج موقفه، لأن مطالبه لم تستجب لها الحكومة، مما جعله يقضي الوقت في الكر والفر عبر المنطقة الجنوبية لوادي ورغة، ظنا منه أن ذلك سيخلق الملل ويرهق المجاهدين، بيد أنه كان بالعكس فقد اضطر في العشرة الأولى من شهر يوليوز 1925 أن يخلي مدينة تازة من الأوروبيين ترقبا للمعارك الساخنة التي أشاع المجاهدون أنها ستحصل فيها، وحتى يستعمل الطيران كما سبق، أمر بإخلائها بل وحتى تتحرك القوات الفرنسية بحرية أكثر، وتدهورت الحالة واشتد عصيان البرانس واشتد معه ضيق الكولونيل جيرو الذي كان مركزه كما أشرنا بدار المذبوح قائد جزناية، ومثله الكولونيل فيرال الذي كان بباب امروج، حتى إن جيرو وبدافع الضيق، والتذمر قام بحملة مسعورة على ضريح "سيدي يوسف" الذي اتخذه البرانسة مركز إنطلاق لمقاومتهم حيث كانوا يقاتلون بمعزل عن قيادة الثورة وأمام تمسك البرانس اضطر جيرو إلى ضم قواته لمركز باب امروج انتظارا للخطر الذي أصبح يهدده بسبب ما أقدم عليه من هجوم أدى إلى الاستنفار واستنجاد البرانس، وساد القلق قوات الفرنسيين التي انتهت إلى شبه يأس من وصول التعزيزات مما جعلها تلازم حالة الاستنفار بالليل والنهار، ولأن مقاومة البرانس ربما تغير الموقف بانضمام الآخرين، وتجعل مدينة تازة في خطر محقق بسبب عدم توفر الحماية، لكن للأسف سرعان ما سيتبدل موقف البرانس تأثرا بالدعاية، وبدافع عدم إقدام الآخرين لنجدتهم بعد الهجوم على الضريح، وبالتالي طول حصارهم للجيش الفرنسي، ولذلك بمجرد ما اتصل بهم المتذمرون من اجزناية والتسول، ولمطالسة، ومرنيسة، الذين أخبروهم بانضمام بعض بني زروال، ومصباح، حتى سارعوا إلى الإستجابة وأصبحوا كغيرهم قوة ضاربة إلى جانب الفرنسيين، وزادهم تذمرا من قيادة الثورة، وتصرفات الورياغليين السيئة بعد معركة وادي اللبن التي حصلت أوائل شهر يوليوز 1925م.

وهكذا تنفس الغزاة الصعداء، ووضع الحمل على اكتاف مجاهدي الأمس تحرسهم الزبانية التي تكونت من أحمد المذبوح، والبشير الزمراني، والخلادي، وولد عمرو احميدو، وليس في تلك المنطقة فحسب بل قبيلة الأنجرة المجاهدة، منذ حرب تطوان1859ـ60 في

منطقة الأسبان انقلبت هي الأخرى تذمرا من بعض الورياغليين ثم انضمت إلى الورياغليين الآخرين الذين كانوا يقاومون تيار محمد بن عبد الكريم، بزعامة العميل سليمان الخطابي، ورغم كل هذا فقد عرفت قوات الفرنسيين تمرد بعض المجندين المغاربة، خصوصا من القشتاليين والتسوليين الذين حاول بعضهم قتل الخائن البشير الزمراني، حين علموا ما فعله بقومهم الذين أذلهم ثم فرض على عائلاتهم دفع بنقدية عن كل عائلة، وثلاثة آلاف فرنك غرامة، لكن بعض أولئك الجنود حكم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص، وكان منفذه الخائن المجرم البشير الزمراني بمن معه من خصوم تلك العائلات وأبنائها الذين كان ظلمه قد دفع بهم إلى التجنيد في صفوف الفرنسيين لينتقموا منه بنفس السلاح.

كان المجاهدون في هذه الفترة "يوليوز 1925م" قد تمكنوا من احتلال سبعة مواقع هامة من مراكز الفرنسيين في المنطقة، وأجبروهم على الفرار من إثنين وثلاثين مركزا، فيكون المجموع واحد وأربعون مركزا من ستة وستين، التي هي المجموع، إلا أن الفرنسيين أعادوا منها واحدا وعشرين وأنشأوا مراكز جديدة للحراسة في منطقة تازة، بعدما تمكنوا من احتلال مرتفعات تقسيم المياه التي تشرف على جنوب أجدير، كما احتل المجاهدون قرى بيبان، وعين معطوف، وفاس، وكيفان، وسوق العربة، وقلعة اسلاس الواقعة بين عين عيشة، وفاس البالي، ثم مركز تونات، وتافرانت، كما سبق، ذلك أن هذه القرى والمراكز واقعة في أرض اجبالة وما جاورها من القبائل، وأهل مكة أدرى بشعابها، ذلك أنه عندما وقع تراجع بعضهم بسبب حادث الريسوني ضعفت المقاومة في المنطقة، مما جعل الفرنسيين يسترجعون تلك المراكز، ومع ذلك سيدخل المجاهدون في معارك ساخنة ضد الفرنسيين بعد، لكن مع الآسف لآخر مرة كما سنرى.

كانت المعارك التي عرفت بمعارك تازة، قد هزت الرأي العام الفرنسي، كما دفعت الحكومة الفرنسية إلى تغيير قيادة جيوشها في المغرب، ثم روجت الصحافة فكرة التفاوض مع قيادة المجاهدين بزعامة محمد بن عبد الكريم، ولم يكن ذلك غير قول صحفي لا أصل له، لأن التفاوض لم يكن واردا بالنسبة للجانب الفرنسي، ولا يمكن وروده لأنه لو قيل به من جانب أي رسمي كان، لكان له شأن خطير بالنسبة لواقع المنطقة

ولأدى إلى تقدم المجاهدين أكثر، والتحام صفوفهم، ثم تقدمها نحو منطقة الجنوب، بل إن الفرنسيين عندما انتهى المجاهدون إلى الاستيلاء على المراكز المشار إليها، ورددت الصحافة صدى تلك الانتصارات، قامت ضجة كبيرة في فرنسا نفسها، خصوصا وأن بعضهم ردد أن الجيوش الفرنسية عرفت وستعرف من الهزائم ما عرفت الجيوش الأسبانية، فقامت الضجة التي كانت مجالا لصراع اليمين واليسار ثانية، ولمدة ثلاثة أشهر، شن فيها الحزبان الاشتراكي والشيوعي حملة عنيفة على البورجوازية الفرنسية، ودعاة الاستعمار، كما حاولوا إثارة الشعب الفرنسي ضد الحرب في المغرب، خاصة وأن الفرنسيين كانوا قد فقدوا الكثير من أبنائهم، في الحرب العالمية 1914 ـ 18م(230) كما أن نساء فرنسا قمن بمظاهرات، حملن لافتات كتب عليها عبارات استنكار الحرب في المغرب، وإذا ما أظهر الرأي العام الفرنسي رفضه للخدمة العسكرية في شمال افريقيا وفي المغرب الأقصى بالأخص، حيث أصبحت قبور الغرباء منهم ومن الأوربيين في المغرب من شرقه إلى غربه تعد بعشرات الآلاف فإن الحكومة الفرنسية سنت بتاريخ 20ـ9ـ1925م عمل القرعة بين الجنود الذين سيوجهون إلى المغرب، كما أعفت المتزوجين واليتامى ومن فقد والده أو أخوين له في الحرب العالمية الماضية، وبسبب هذه الإجراءات أمكن للحكومة أن تتقدم بمشروع اعتماد ميزانية 34000000 أربعة وثلاثين مليونا، كأول دفعة إلى البرلمان من أجل سداد تكاليف الحرب في المغرب، حيث صوت عليها بأغلبية 411 من مجموع الأصوات الذي هو 440 صوت وطبعا كانت الأصوات المضادة الناقصة من العدد الكلي هي للاشتراكيين والشيوعيين، وعندما فازت الميزانية بالموافقة أقدمت الحكومة على تغيير القيادة العسكرية بحيث عينت: المارشال فيليب بيتان، قائد معركة فيردان، مفتشا عاما بتاريخ 17ـ7ـ1925 وتقلد مهمته بتاريخ 8/22 من نفس السنة. والجنرال دوجان قائدا عاما ثم الجنرال بيلوث والجنرال شامران مساعدان.

---

(230) لقد ساهمت فرنسا في الحرب العالمية الأولى ومن أبناء المستعمرات المنكوبة الحظ وقتها بأربعة ملايين من الجنود من مجموع 27.500.000 التي شارك بها الحلفاء انجلترا وروسيا وأمريكا، وفرنسا، إيطاليا، وسربيا، وبلجيكا، مقابل 15.700.000 التي حاربت بها :المانيا، واستريا، وتركيا، وبلغاريا، راجع كتاب المعارك الفاصلة في التاريخ لحنا خباز ط 1927 ص 209 ـ 11. ومذكرات اللوردغراي مصدر سابق.

لكنها عادت فعينت الجنرال نولان، قائدا عاما لقوات المغرب بتاريخ 26-7-1925 وكان قائدا للفيلق الثلاثين الفرنسي، مما دفع باليوطي إلى عدم الرضى وتقديم استقالته، خصوصا وأن بيتان لم يقف عند حد مهمته، بل رجع إلى تفتيش ما سبق، وكان متطرفا جدا مع أعوان اليوطي الذي دفع استقالته إلى حكومة بلاده بتاريخ 24-9-1925م(231) حيث جاء فيها قوله:

"أظن أن لي الحق في أن أقول بأن المهمة التي أسندت إلي سنة 1912م قد أكملت، لقد توقعت بقلق متزايد، الخطر الريفي الذي تأكد فعلا في الوقت الذي أشارت إليه تقاريري، ولم يخالج ذهني الصمود بما لدي من إمكانات قليلة لإنقاذ الموقف، أما اليوم فيمكن بصدق التأكيد بأن الخطر قد تم إبعاده، وأنه نظرا لأهمية عدد القوات الموجودة رهن الإشارة يمكن مواجهة المستقبل باطمئنان..

ومن أجله وضميري مرتاح، ألتمس أن أعفى من مهامي كمقيم عام بالمغرب(232).

وفعلا قبلت ورحل اليوطي من المغرب دون أي اعتبار غير مأسوف عليه ولا مقدرا من قومه يوم 10-10-1925م، وإذا كان اليوطي قد مضى عليه في المغرب الذي عين به مقيما منذ 28-4-1912م، إلى يوم استقالته ما يقرب من ثلاثة عشر عاما، فإنه غادره وكله ألم وحسرة، ويقال أنه أوصى بإقباره في الرباط التي فعلا أقبر فيها مما يستدل به على أنه كان قد أيقن أن المغرب بفضل ما وضع له من تشريع كان يعتقد أن بواسطته سيتحول المغرب مع مضي الزمن وبعد الاستيلاء الكامل على المغرب النافع من الفرنسيين المعمرين الذين ملك لهم اليوطي أحسن الأراضي إلى أرض فرنسية حسب الطريقة التي خطط لها سلفه، ومكن لها هو وأمثاله في الجزائر، ومهما يكن فقد غادر اليوطي المغرب بطريقة جد حرجة له، حتى أنه لم ينتظر ليقدم السلطة لخلفه الذي كان هو الوزير السابق للعدل اليهودي "استيج" الذي قدم للمغرب بتاريخ 7-10-1925م وإذا كان ستيج بلاشك رجل

---

(231) وعند هنري دوبوردو بتاريخ 1-10-1925م.

(232) نفس المصدر السابق، وتحقير لهذا الذي سفك من دماء المغاربة مآت الآلاف نسجل هنا ما كان عليه من شذوذ وانحراف عرفته به جماعة من الذين راودهم فأقبلوا عليه، ورحم الله المولى عبد الحفيظ الذي وصفه وأمثاله بما خلد من شعر هجو لفرنسا كما سبق.

قانون فإنه كان يعلم أكثر من سلفه أنه لا سيادة لأحد في المغرب غير السلطان الذي مع سلفه وقعت فرنسا معاهدة الحماية، وأن هذه السيادة لا تقبل أي تجزئة وكما أشرفت فرنسا عليها كاملة، يجب أن تحفظها كاملة خصوصا والعالم يشهد المقاومة ضد اعتداء فرنسا ناهيك وأن القانون والمعاهدات الدولية تؤكد أن وحدة وعدم قبول تجزئة المغرب أو إنشاء دولة ثانية فيه، بل إن حماية اسبانيا نفسها أصلا تابعة لفرنسا، وباسم السلطان وقعت المعاهدة التي حققت للاسبان ما أصبحوا يقاتلون من أجله، ولذلك كانت فرنسا قد فكرت في وضع خطة عسكرية مشتركة مع اسبانيا من أجل استرجاع مراكز الحراسة التي فقدتها أولا، والقضاء على الثورة ثانية، مادامت اسبانيا قد عجزت وبدأت المفاوضات بين الدولتين من أجل ذلك في منتصف شهر يوليوز من عام 1925م حيث أرسلت فرنسا مبعوثا لها إلى مدريد من أجل تحديد الزمن لعقد مؤتمر التفاهم، ووضع خطة القتال المشتركة، وفعلا اتفق على عقد المؤتمر بتاريخ 17 يوليوز من نفس السنة، ثم نتج عن ذلك المؤتمر إبرام اتفاقيات خمس هي:

1) الاتفاقية الأولى بتاريخ 24-6-1925م ومضمنها وضع رقابة بحرية مشتركة تعم جميع السواحل الشمالية للمغرب، وجزء من سواحل منطقة النفوذ الفرنسي، كما شملت الاتفاقية السماح للسفن الفرنسية باستعمال الموانئ الأسبانية.

2) الاتفاقية الثانية في نفس التاريخ تتضمن منع وصول مهربات الحرب إلى منطقة الريف برا وبحرا، وأبلغت هذه الاتفاقية إلى الدول الأوربية بعد التوقيع عليها مباشرة.

3) الاتفاقية الثالثة بتاريخ 11-7-1925م وتتضمن تعهد كل من الدولتين بعدم عقد أي صلح منفرد مع قيادة الثورة وزعيمها محمد بن عبد الكريم، وأن لا صلح إلا بقبول ما أتفق عليه وضمن المعاهدات الدولية.

4) الاتفاقية الرابعة بتاريخ 21-7-1925م وهي خاصة بمراقبة ما يهرب من منطقة طنجة التي كانت وقتها قد أصبحت دولية، ولقد وجدت هذه الاتفاقية شيئا من الجدل بسبب طلب إسبانيا منحها حق تعقب الثوار إلى داخل المنطقة الدولية، حتى إنها هددت بإعادة فتح ملف مسألة طنجة، بعدما كانت قد انتهت بإتفاق أبرمته ثم وقعته مع الدول بتاريخ 8-12-1923م، الأمر الذي دفع فرنسا أن تثير انتباه إسبانيا أنها إذا شددت فإن

ابريطانيا لا تقبل ذلك وتثير من المشاكل ما لا يتفق والموقف، وبذلك تراجعت إسبانيا، فما كان من إبريطانيا إلا أنها ساهمت في الحصار البحري بأربع سفن وظفتها لمراقبة المنطقة.

5) الإتفاقية الخامسة، وقد كانت في أواخر يوليوز بين المارشال بيتان، والماركيز دي إستيلا، اللذين اجتمعا في سبتة وتطوان وتضمنت السماح لطائرات كل منهما بالطيران في كل أجواء نفوذها، وتعقب فرق المجاهدين وراء حدود المنطقتين.

وهكذا لم تكن هذه الاتفاقيات هي التي اتفقت عليها الدولتان، فقد سبقت بتعهد بين الدولتين حدد كل التحركات التي يمكن أن تقوم بهما أي من الدولتين، وجعل لها شروطا إلتزمت كل من الدولتين بعدم الخروج عليها، وأرسلت بتلك الشروط إلى الزعيم محمد بن عبد الكريم، ومما جاء في تلك الاتفاقية ما يلي:

1) إن هو حدث ما يدعو إلى التفاوض مع ابن عبد الكريم يجب أن يكون على أساس المعاهدات الدولية التي تتفق وواقع الامبراطورية الشريفة.

2) أن المفاوضات تكون من أجل إعادة السلم وإنشاء نظام جديد في منطقة الريف الثائرة، يضمن لها درجة من الحكم الذاتي في حدود المعاهدات الدولية التي تتفق ووحدة تراب الامبراطورية الشريفة.

3) إن المفاوضات يجب أن تكون على أساس إطلاق سراح الأسرى وإعلان، العفو العام عن الأهالي.

4) وضع نظام خاص بالحكم المحلي والإدارة والاعتراف بحرية التجارة، وتطبيق نظم الجمارك، وفئات رسومها حسب المعاهدات الدولية.

5) حظر دخول الأسلحة والذخائر إلى منطقة الريف، أو الاتجار فيها في تلك المنطقة. وأخيرا، أرسلت هذه الاتفاقية إلى الزعيم ابن عبد الكريم الذي أهملها ولم يقم بأي تحرك يتفق ورغبة الفرنسيين والاسبان، ذلك لأن كل ما ورد فيها يتعارض مع ما أعلن سابقا بإسم "دولة الريف" ورغبة ابن عبد الكريم الذي أعلن عدم قبولها بعدما بلغت إليه بواسطة المراقب الفرنسي حاكم تاوريرت جابريللي بتاريخ 16-6-1925م ثم بلغ كذلك إن هو أراد الاطلاع على تلك المذكرة فإنها بيد مندوبين عن الدولتين يوجدان بمليلية حيث

سيحلان بها يوم 6-20 وسيمكثان بها من أجل تلك المهمة من 7-24 إلى 8-14 من نفس السنة لكن الزعيم الريفي لم يستجب لذلك بل أهملها وقدم إقتراحاته التي إعتبرها وسيلة للتفاهم إلى المليونير الذي زاره وهو "إيشيقاريتا" يوم 7-20 بل والتي كان القبطان الانجليزي كانينج كذلك قد نشرها بتاريخ 21-7-1925م، وتتلخص فيما يلي :

1) ضرورة الإعتراف بالمنطقة أجبالة الشمالية لنهر الورغة على أنه الحد الجنوبي لدولة الريف..؟

2) الاعتراف بدخول كل منطقة اجبالة داخل حدود هذه الدولة.

3) يمكن لأسبانيا أن تحتفظ بمجرد قواعدها الأصلية في سبتة ومليلية، علاوة على مناجم الحديد التي تقع على بعد خمس كيلومترات إلى الجنوب من امليلية"؟".

كما أرسل مندوبا عنه إلى طنجة في أوائل شهرجويي من أجل إبلاغ ممثلي حكومتي باريز ومدريد، إستعداده للتفاوض، لكن مؤتمر مدريد الذي نتجت عنه الاتفاقيات المشار إليها أعلى، حال دون قبول اقتراحات الزعيم الريفي التي رفضتها كذلك الحكومة الاسبانية التي تنفست الصعداء وألغت ما كانت تعمل جادة لتحقيقه، وهو التفاوض مع الزعيم الريفي، كما أعادت النظر في موضوع الانسحاب إلى الساحل وهو الذي طبقه الماركيز دي استيلا، أما إبن عبد الكريم فإنه عاد واستدعى جابريلي حاكم تاوريرت، فوافقت الحكومة الفرنسية على ذهابه، وقد سبقت إشارتنا إلى أن الرجل أفاد بجوسسته إدارة الإقامة العامة بالرباط، وفي هذه المرحلة أكثر كما أشار هو لذلك في مذكراته التي نشرت بعد، وإن كان إلى جانب وظيفته يعمل مع قلم المخابرات السياسية، وهذا كل ما قام به حين استدعاه الزعيم الريفي الذي لم يحقق عن طريقه غير أنه أعطى عنه فكرة أن الزعيم الريفي لا يحقد على الفرنسيين حقده على الأسبان إلى غير ذلك كما قيل.

وأخيرا بعث الزعيم الريفي بمذكرة إلى باريز ومدريد، أرسلت الأولى محتوياتها برقيا إلى الإقامة العامة بالرباط، وفيها ينص كذلك على ضرورة الاعتراف بالاستقلال لدولة الريف، وأن المفاوضات من أجل ذلك يجب أن تتم بطنجة بصفتها منطقة دولية كشرط أساسي للوصول إلى السلم، وإذا ما أصر الزعيم الريفي على ذلك وبه أرسل إلى الماركيز دي استيلا، فإن هذا الأخير رد عليه بأن وجه إليه نص الاتفاقية الفرنسية التي

أبرمت بتاريخ 11-7-1925م والمتضمنة لعدم عقد صلح منفرد مع قيادة الثورة، كما نشرت الحكومتان أن الحرب ستستمر، وكانت فرنسا أكثر رغبة للدخول في العمليات الحربية حتى تحقق النصر الذي يرد لها اعتبارها ويوقف تيار العداء الذي انتشر في كل شمال إفريقيا والشرق العربي، وحتى بين بعض أحزابها وغيرهم من أحزاب أوروبا.

وهكذا ومن خلال ما سبق يكاد المرء يعتقد مع الآخرين من المعتقدين أن ابن عبد الكريم لم يكن حرا في تصرفاته، لأن الذين كانوا خلفه من أجل تحقيق أهدافهم الواضحة حين رأوا أنها لم تتحقق - وهم الألمان- لم يتركوه قبل الوصول به إلى نهايته هو كذلك، حتى لا يحقق أي مكسب على حسابهم، وإذا لم يكن ذلك، كيف يؤول المؤرخ تمسك الرجل بعدما علم بإتفاق الدولتين واتحاد القوتين؟ لكن رغم كل ما حصل بعد، فقد كانت النهاية عظيمة وعظيمة جدا لم ترتفع بها أسماء أولئك المجاهدين الأبطال فوق السماك فحسب، بل سجلوا صفحات خالدات في تاريخ المغرب المعاصر حيث بهروا العالم شرقا وغربا بشجاعتهم النادرة وتمسكهم بحـ يتهم وتعلقهم بوطنهم بقدر ما غاصت كرامة الدولتين فرنسا وإسبانيا في أوحال الذلة والاحتقار، فلئن كشف التاريخ أنه كان لسياسة الألمان وجود من أجل تحقيق أهداف إقتصادية أو إنتقام سياسي، فإن الذي حارب قوات الدولتين وأذلها في الميدان إنما هم المغاربة، وحتى إذا صح ما أورده عمر أبو النصر في كتابه بطل الريف ص 215، أنه كان ضمن جيوش بن عبد الكريم"أكثر من خمسين شخصا، من الأوربيين - وأكثرهم من الألمان،، إلخ فإن ذلك لا يغير من الواقع وأن الذي أذل الفرنسيين والأسبان ومزق كرامتهم ثم مرغها في الوحل هم المغاربة الذين أقبلوا على الثورة من كل جهة من جهات المغرب من الأطلس المتوسط وتافيلالت وقبائل آيت عطا وآيت يافلمان وآيت أمالوومن القبائل المجاورة التي فصلنا في ذكرها قبل ولم يذكروا، وما كانت الكارثة إلا ما عرفه الرجل من تخاذل بعض قومه بني ورياغل وغيرهم من بعض قبائل الريف والذي سببه العنصرية والتطاحن القبلي بينهم وهو لا يعني ما عرفته الثورة من أمجاد في قليل أو كثير بل الفضيحة والعار وما سجله التاريخ من خزي وتحقير كان في فضيحة الدولتين بعد إتحاد قوتيهما واستعمالهما ضد المغاربة ما استعملته فرنسا ضد الألمان في حربها معهم.

إخوان مانسمان الذين كانوا وراء أهداف الألمان

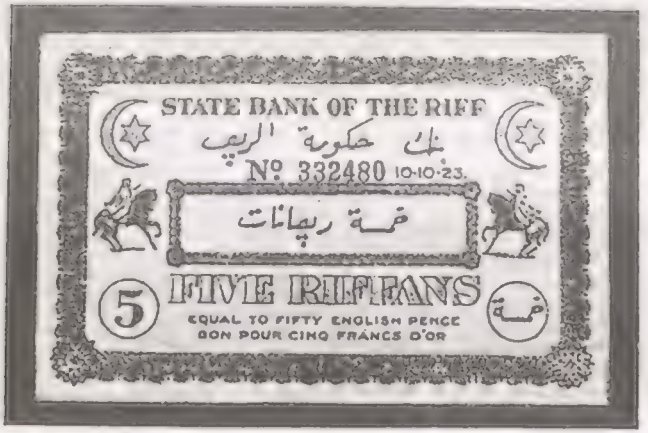

بربك أو ليست هذه بصمات الألمان الذين كانت غايتهم معدن الحديد والذي كان محمد بن عبد الكريم عبارة عن أبي حمارة الألمان الذين عملوا معه وجهزوا المنطقة بالهاتف ثم طبعوا له هذه الأوراق باسم عملة حكومة الريف. إنه التاريخ المفترى عليه كذلك...

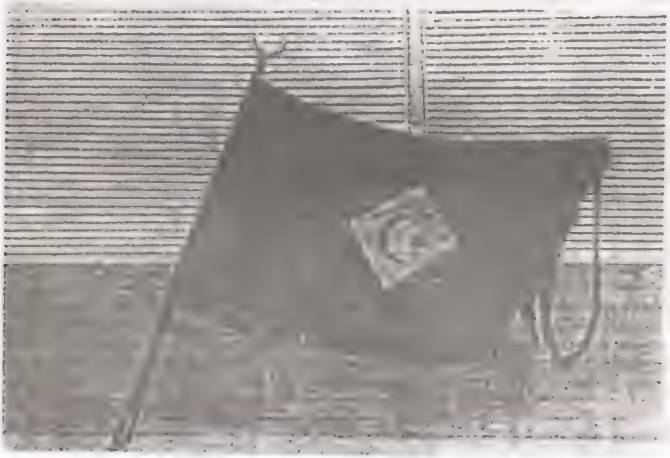

وبالتالي أليست هذه بصمات جماعة الجهاد الإسلامي من الترك الذين سبق لهم أن جلبوا الدستور التركي للمغرب زمن المولى عبد العزيز وزمن المولى عبد الحفيظ واشترط الفرنسيون عليه من أجل الاعتراف به بعد انقلابه. ان يتخلى عن الأتراك الخ.

الفصل السادس والثلاثون بعد المائتين

فضيحة الدولتين في انحاد القوتين

لا يمكن لمن لم يكن له إلمام بتاريخ العالم المعاصر وقتها أي في العقدين الأولين من القرن العشرين أن يزن ثورة الريفيين والجبليين "اجبالة" وغيرهامن قبائل شرق المغرب وشماله، وزنها الحقيقي وما جرت من فضيحة لفرنسا صاحبة أكبر جيش بري في العالم وقتها، ومن فضيحة في العالم كذلك للاستعمار الغربي الأوربي بصفة عامة، وبالتالي هنا يقف التاريخ ليدون أوسخ صفحة لافي حق فرنسا وحدها، ولا في حق أسبانيا وحدها، بل في حق دول الاستعمار قاطبة، تلك التي كذبت على شعوبها وعلى شعوب العالم، حين اعلنت ما أطلقت عليه "عصبة الأمم" كنتيجة لما عرفته من ويلات الحرب العالمية حتى تزيل أسبابها ودوافعها، والحقيقة أنها كانت وبطريقة مفضوحة تضع البرنامج المحكم لتوزيع الشعوب المستضعفة بطريقة أخرى غير التي تمت أواخر القرن 19 وأوائل العشرين.

إن اعتبارنا لفرنسا وتاريخ الجيش الفرنسي وقتها لا يعتبر عاطفيا،بل بالنسبة لما حصل يجب أن يقف المؤرخ حتى يبحث عن كل ألفاظ الحقار، والدناءة، والخزي، والسقوط،والرذيلة، والجبن والانحطاط، بل وعن كل وصف حقير في لغات العالم ولهجات الشعوب، ليلطخ به صفحة تاريخ كل من فرنسا وأسبانيا وإيطاليا(233) في شمال إفريقيا، فقد جمعت فرنسا وإسبانيا من أجل خوضهما لمعارك التصفية من جنرالاتهما وضباطهما وقواتهما الثقيلة برا وجوا ما أمكنهما،ولتحارب ماذا؟ لتحارب رجالا تمسكوا بحريتهم في وطنهم، لا يزيد عددهم على ستين ألف رجل 60000 وفي مساحة تقدر بـ50000كم حيث أضيفت شمال منطقة تازة إلى الحرب في منطقة الحماية الأسبانية التي كانت مساحتها 28000كلم، بل ومن بين أولئك الأبطال الذين أذلوا فرنسا وجيشها من كان

(233) لقد تعرفنا على فظائع هذه الدولة حين كلامنا على ثورة عمر المختار رحمه الله في ليبيا.

يقاتل بسلاح الماضي البعيد جائع البطن حافي القدمين منهك القوى إلا من إيمانه بدينه وتعلقه بوطنه.

ولنسلط على رسم فرنسا وقتها كل الألوان الموضحة نشير إلى أن أوروبا وقتها كانت تعيش ما بعد نهاية الحرب العالمية التي لا يزال تاريخ وقائعها بعد طريا يتذكره الشبان والشيوخ على حد سواء، وبلاشك كانوا يرددون فيما بينهم ما حصل من هجمات القائد الألماني" "لودندورف" خصوصا قبل يوم الفصل الذي هو يوم 8.8.1918 وبالأخص هجوم 3/30 من نفس السنة وهو الذي ضاع للحلفاء فيه 250.000 جندي قتلوا في معركة واحدة دارت في جبهة "إميان" ضد الجيش الأنجليزي، ثم هجمات لودندورف أيضا يوم28 مارس كذلك و27 ماي على جبهة الفرنسيين التي أذلها في مديان "الأين" حيث هبط بأربعين فرقة على سبع فرق في جبهة طولها ثلاثون ميلا، فزحف عليها طبعا وساقها أمامه كالأغنام إلى ما وراء نهر المارن، وبالتالي كانت آخر هجمات لودندورف كقائد عام للجيوش الألمانية في المعارك الختامية من الحرب العالمية يوم 7/15 شرقي ريمس فصد الحلفاء هجومه، لكن بماذا؟ صدوه بجل جيوشهم وبأكبر ما كان عندهم من الجنرالات الذين كان على رأسهم الفرنسي الجنرال "فوش" الذي كانت قيادته تتكون من:

1) قائد الجيش الأمريكي العام الجنرال جون بير شنغ.
2) قائد الجيش الأنجليزي العام" الفيلد مارشال هايج.
3) قائد الجيش الإيطالي العام: الجنرال دياز.
4) قائد الجيش الفرنسي العام المارشال فيليب بيتان.

ولولا حساب لودندورف الخاطئ أن هجوم الحلفاء لن يكون إلا في سنة 1919 لما كانت النتيجة ما حصل يوم 8.8.1918م ولما بقي بيتان إلى أن يخوض المعارك الفاصلة ضد الريفيين واجبالة وبني وراين، وغيرهم بزعامة محمد بن عبد الكريم، بل وكذلك لولا خطأ حساب محمد بن عبد الكريم واعتقاده أن في استطاعته إنشاء دولة في شمال المغرب واكتفى بمقاومة المد الأسباني الحاقد الذي طرده إلى الساحل، ولم يشترط على الفرنسيين الذين إتكأوا على السلطان ما إشترط حين إندفع بنشوة الانتصارات، إلى ما وراء خطوط وادي ورغة ثم أخذ يتطلع إلى مدينة فاس، بل وحتى حين فعل لو أعلن

تمسكه بالوحدة في ظل العرش، لما كانت هناك وسيلة لاتفاق الدولتين واتحاد القوتين، أو بالتالي لخفف على منطقة الشمال، ولما حصل فيها ما أقدم عليه الأسبان من أعمال إنتقامية. ومهما يكن فقد واجهت كلا من فرنسا وأسبانيا أحرار قبائل المغرب التي ساهمت في حرب الريف بزعامة محمد بن عبد الكريم بمثل بل أكثر إذا قمنا بمقارنة ما واجه به الحلفاء الجيش الألماني بقيادة لودندورف الذي وإن كان قد أذل الفرنسيين فإنه كان يتوفر على أقوى وأحدث مخترعات الأسلحة من جانب، وأقوى وأعنف جندي أوربي وقتها من جانب آخر، ومع ذلك فإن لوندورف في نظر القادر على المقارنة وبالنسبة للتاريخ السياسي تاريخ المقاومة الوطنية من جهة، وتاريخ شرف الجندي الفرنسي من جهة أخرى، يعتبر دون مقام محمد بن عبد الكريم، البطل الذي رغم الأخطاء فإنه أذل فرنسا ومرغ تاريخها في الوحل، وليس هو فحسب بل قبله فعل مولاي أحمد الحسن السبعي ومحمد أحمو الزياني 1914م ومحا وسعيد الوراوي، وعلي امهاوش، وغيرهم، بل وإذا قمنا بمقارنة بين القوتين قوة الحليفتين المتحدتين، فرنسا وأسبانيا، وقوة المغاربة وقتها، يحق للمرء مهما يرى لنا من دفاع عن المستضعفين الذين ذاقوا مرارة الظلم والاعتداء، أن يقول إننا قصرنا ولم نفعل كما يقتضي ويجب أن يفعل ضد الفرنسيين والأسبان، وما يجب في حقهم من أرذل وأوسخ وأفحش النعوت، ولم يعرف التاريخ دولة تستحق ذلك إلا دولة روما وقت ان سجل التاريخ في حقها كذلك ما فعلته مع البطل المغربي يوغرطة كما سبق. وما ستفعله فرنسا مع محمد الخامس بعد ربع قرن.

كان عدد قوات المجهادين الذين تجمعوا بعد الاتفاق وقبيل بدء المعارك، أي يوم بدء الهجوم الذي كان يوم 10 سبتمبر 1925 لا يزيد على35000 خمسة وثلاثين ألف رجل مقاتل خمسة وعشرون ألفاً منهم من مختلف جهات المغرب ومن الريفيين وعشرة آلاف من الجبليين، ثم ارتفع العدد إلى ستين ألف بعد الاستنفار العام، وأما قوات الدولتين، فقد بلغت مائتين وثمانين ألف جندي نظامي، وعشرات الآلاف من المجرورين بقوادهم "برطيزة".

ولقد أعلنت الحكومة الفرنسية أمام البرلمان يوم 21ـ10ـ1925م أن قوات فرنسا في المغرب الأقصى بلغت وقتها 158000 جندي لم يكن منهم سوى 12000 فرنسي و12800

أوربي من أجناس أخرى ثم 132200 من المجندين في المغرب العربي وغيرهم من مدغشقر، والسنغال، ومعنى هذا أن نسبة أبناء المغرب العربي الذي حاربوا إخوانهم بلغت 85٪ بخلاف الجيش الأسباني الذي لم يعرف وقتها كثيرا من المجندين بسبب ما حصل في معركة أنوال فقد كان في هذه المعركة من الأسبانيين ماعدا خمسة عشر ألف من مجموع مائة وثمانية عشر ألف 118000 تكفل بالإشراف عليهم بعض الضباط الأسبان من وراء المسمى سليمان الخطابي، الذي سيصبح بعد الحاكم العام لقبائل الريف، وبالتالي وحسب التنظيم العسكري فقد كانت قوات فرنسا تتكون مما يلي:

1) 11 كتيبة أوربية
2) قوات كبيرة من وحدات المدفعية
3) القوات المساعدة
4) قوات المجندين من الجزائر وتونس والسنغال، ومدغشقر ، والمغاربة.

كما كان على جبهة القتال سبع فرق، اثنين في كل قطاع، وواحدة تمثل القوات الاحتياطية في فاس، وقوام الجميع 114 كتيبة من الفرسان، و22 سرب من الطائرات كل سرب يشتمل على ست طائرات، فيكون مجموع الطائرات 132.

أما قوات الأسبان فإنها بلغت بعد الانسحاب المشار إليه قبل من سنة 1924م ما قيل عنه 169290 جندي أسباني و15000 من المغاربة المشار إليهم ثم زادت فبلغت 18000 جندي، لكنهم في الواقع ورغم معداتهم الهائلة، كانوا بحكم انعدام التنظيم والانضباط كغثاء السيل، بل ما تمكنت كل هذه القوات، فرنسية، وأسبانية، في الواقع مع التغلب على المجاهدين، إلا بواسطة جموع رجال القبائل التي سنتعرض لها بعد، ومع ذلك فقد دامت الحرب من 10-9-1925 إلى يوم 26-5-1926 وهو اليوم الذي استسلم فيه محمد بن عبد الكريم الريفي للفرنسيين، أي دامت الحرب سبعة أشهر ونصف، بين 280000 وعشرات الآلاف من رجال القبائل بقواتهم وسلاحهم المتطور ومدافعهم الثقيلة وطائراتهم مقابل 60000 مجاهد، ومع ذلك فقد كانت خسارة الفرنسيين ما بين يوليوز وأكتوبر من عام 1925 حوالي 2176 قتيل ومن الجرحى 2991. وأما عن الاسبانيين المنهارين فلا تسأل، وما بعد أكتوبر إلى آخر المطاف فذلك جرح لم ولن يندمل من تاريخ الاستعمار الفرنسي

الاسباني في هذه الديار، ومع ذلك وقف رئيس الحكومة الفرنسي، "اريستيد بريان" كاذبا ومحقرا لشرف فرنسا أمام البرلمان، وتحت ضغط اليساريين ليصرح ويقول: إن فرنسا لا تخسر رجالا في هذه الحرب، ولأن الحرب قوامها أبناء المغرب أنفسهم، وإذا كان في هذا القول شيء من الحقيقة المؤلمة فإن فيه دلالة على حضارة فرنسا "الانسانية" التي قدمت من وراء البحار ظالمة ومعتدية على شعبَ آمن ثم لتدفع المواطن المسلم المغربي ليقتل أخاه، وليس هذا فحسب، بل أثقلت فرنسا كاهل المغرب بديون لا قبل له بها، وقد عطلت نموه الاقتصادي وازدهاره، ذلك أن كل ما صرف على هذه الحرب وغيرها، كان على حساب الشعب المغربي، فقد بلغت تكاليف هذه الحرب فقط، يوم 21-10-1925 ما قالت عند فرنسا مبلغ 950.000.000 فرنك، ثم عن معدات أرسلت من فرنسا بمبلغ 400.000.000 فرنك، فيكون المجموع 1.350.000.000 بقي دينا على الشعب المغربي لم يتمكن من أدائه إلا بعد استقلاله بأكثر من عشرين سنة.

ومهما يكن فلئن اشتدت المعارك في الشهور الثلاثة الأخيرة من سنة 1925م فإنها بالتالي كانت قاسية على المجاهدين المغاربة الذين ألفوا فرض إرادتهم قبل في الميدان، حين كانت الحرب فقط مع الاسبان، بحيث كانوا يختارون لمعاركهم غير فصل الشتاء الذي تشتد قساوته بكثرة الثلوج في المنطقة، وإذا ما ظهر الإعياء على المجاهدين في هذا الفصل، فإن رغبة القوات الفرنسية مدفوعة بحقد الأسبان شددت في تكثيف القصف بالطيران جوا، والمدفعية الثقيلة برا، خصوصا وأن المخابرات العسكرية والسياسية التي كان من ورائها بعض الريفيين من رجال سليمان الخطابي، وأحمد المذبوح والبشير بن محمد بن صالح الزمراني والخلادي، ومن وراء هؤلاء الخونة الأربعة حاكم تاوريرت الفرنسي جابريلي، كما كان سليمان الخطابي يعمل في ركاب الاسبان بحقد على ابن عمه، الأمر الذي دفع المخابرات المشار إليها أن تعطي الرأي مؤيدا بالبراهين على تحقيق الانتصار تلو الانتصار الشيء الذي دفع الزعيم محمد بن عبد الكريم إلى محاولة الدخول مع الفرنسيين في مفاوضات من أجل الصلح بالاتصال مع "جابريلي" حاكم تاوريرت، وإذا أكد الرغبة في ذلك فإن أحزاب اليسار الفرنسي، خصوصا الحزب الاشتراكي بزعامة "بلوم" اشتد نشاطها ضد الحكومة، بل وحتى كامبو زعيم الحزب الكتلاني قام

هو الآخر داعيا حكومة بلاده إلى قبول التفاوض من أجل الصلح، وقد كتب بذلك إلى الماركيز دي إستيلا بتاريخ 16-10-1925م، لكنه رفض وتشدد مما أدى إلى تصادمه مع كثير من الآراء حيث أصبح يطالب بسحق المجاهدين، وأخيرا استقال دي استيلا من منصب المندوب السامي والقائد العام للجيش الأسباني ليحل مكانه في قيادة الجيش "سان خورخو" كما أسند منصب الشؤون المغربية والمستعمرات في رئاسة مجلس الوزراء إلى الجنرال خوردانا، ولم يكن هذا التغيير إلا من أجل التشدد والزيادة في حدة الحرب، وبالمثل في المنطقة الفرنسية فقد تغيرت القيادة العسكرية وأسندت يوم 28-12-1925 إلي الجنرال "بواشو" بدل الجنرال "ناولان" الذي ربما هو الآخر قيل إنه لم يوفق في اتباع سياسة اليوطي الحربية والذي كان يعتمد على دفع المواطن لقتال أخيه المواطن، وفعلا نشطت السياسة الفرنسية أكثر في هذا الإتجاه بالإضافة إلى التشديد في الحملات العسكرية، فعرفت الشهور الأخيرة من السنة التراجع الكبير لبعض القبائل التي كانت منقسمة على نفسها، جانب منها مع ولاتها ضد المجاهدين، والآخر مع المجاهدين وكانت هذه القبائل هي مصباح، وصنهاجة، واجزناية والتسول، والبرانس، والجاية ومرنيسة، وحتى إذا ما تراجعت هذه القبائل واستسلم الجانب الثائر منها فإن الفرنسيين قبل وبإكراه من عملائهم أمثال المجرم الحقير البشير بن محمد بن صالح الزمراني(234) فرضوا على كل أسرة غرامة عبارة عن بندقية و3000 فرنك يجب أن تؤديها في خلال أسبوع، إلى غير ذلك من الشروط كما نشرت وقتها(235) مما جعل الكثير من القبائل تنهار معنويات رجالها، خصوصا وأن الفرنسيين وعملائهم استغلوارغبة الزعيم الريفي في التفاوض من أجل الصلح خصوصا وقد تبدلت الموازين وأصبح الزعيم الريفي يدرك أن الاستمرار في الحرب معناه الانتحار فقد طالت مدة الحرب وأخذت الإمكانات التي بأيدي المجاهدين تتناقص وتقل، والحصار يشتد، وقوة العدو وإمكاناتها الضخمة، وعددها وعدتها غير ما كانت عليه، خصوصا سلاح الطيران الفرنسي، وتكاثر القبائل

---

(234) راجع ترجمته وما قيل عن نصحه وإخلاصه للفرنسسين في كتاب "أعيان المغرب الأقصى" ص 22-820 باريز 1939 مصدر سابق.

(235) جريدة الطان الفرنسية 5-1-1926م.

التي انقلبت ثم إنحازت إلى الفرنسيين والأسبان، وحتى لا تكون الهزيمة أنكى، ويتعرض الناس للقتل والنهب والسلب وظلم المنتصر الناقم، اختار الزعيم الريفي الاتصال ثانية وألح من أجل التفاوض حتى يتم الصلح ويتوقف القتال، واتخذ واسطة لذلك أيضا "جابريللي" حاكم تاوريرت الذي أرسل إليه، ثم القبطان الانجليزي "كانينج"، لكن كلاهما فشل، خصوصا وأن بعض القبائل سواء في القطاع الفرنسي أو الاسباني حين علمت بمحاولات الزعيم الريفي بدأت هي الأخرى إتصالاتها مع الفرنسيين والأسبان ، مثل أمتيوة والأنجرة وغيرها، بل انقلبت أغلبها ضد الزعيم محمد بن عبد الكريم الذي لم تثمر إتصالاته من أجل الصلح، والتي استغلها الفرنسيون والأسبان أفحش استغلال، مما أدى بالقنصلية الأنجليزية إلى أن تأمر القبطان كانينج الذي تطوع لمساعدة الزعيم الريفي، بمغادرة البلاد، كما نشرت فرنسا بتاريخ 30-12-1925 أن سلطة محمد بن عبد الكريم إنما تعتمد على القسوة والاستبداد، وما يستعمله المقربون إليه من قومه من الشدة والعنف ضد القبائل، ولذلك لما وجدت من يحميها سرعان ما تفرقت وانفضت من حوله، وبذلك صرح رئيس الحكومة الفرنسية أيضا أريستيد بريان" الذي قال في مجلس النواب إن فرنسا على إتصال مع القبائل التي أخذت تطلب حمايتها، ومثل ذلك حصل في اسبانيا، وما كاد شهر أبريل 1926 يحل حتى أعلنت الدولتان أنهما اتفقتا على تأكيد الاستمرار في نهج سياستهما بالمغرب، وأمام إلحاح ابن عبد الكريم على التفاوض الذي أخذ له دورا في الصحافة الفرنسية والأنجليزية ومجالات أحزاب المعارضة(236) وأمام ذلك أعلنت فرنسا إفتعال قبولها للتفاوض بعد إنعقاد مجلس للوزراء بتاريخ 9-4-1926م، ثم كونت وفدا لها من أجل ذلك بعدما أعلنت عن شروط التفاوض بتاريخ 12-4 منه بل وأعلن مكان التفاوض الأول وهو أحد المعسكرات الواقع ما بين تاوريرت وتارجيست، وأما المكان الثاني فسوف يكون هو مدينة وجدة، وحدد يوم إلتقاء الوفدين، وهو يوم 18-4 منه.

وفعلا تكون الوفد الفرنسي الأسباني برئاسة الجنرال سيمون، وعضوية لوبير وغيلان وميكل، وتكون وفد الزعيم الريفي برئاسة صهره محمد أزرقان وعضوية أحمد شدى الورياغلي، ومحمد البقيوي، والقائد حدو، أما الشروط التي حملها الوفد الفرنسي

(236) راجع رسالة ابن عبد الكريم التي سلمت إلى مراسل التايمز الانجليزية ثم نشرت بتاريخ 17-3-1926.

الأسباني فقد كانت كما يلي، وهي سياسية كما أعلن الفرنسيون:

1) الاعتراف بسيادة السلطان..؟..

2) نزع السلاح

3) الانسحاب من مواقع القتال.

ومقابل ذلك تحصل القبائل على:

1) هدنة مقابل ضمانات عسكرية

2) تبادل الأسرى

ولما حضر المتفاوضون إلى المعسكر الواقع بين تاوريرت وتارجيست، وحتى يظهر المندوب الفرنسي أنهم الغالبون اقترح قبل كل شيء أن يحصل التفاوض على المسائل العسكرية وهي:

1) تبادل الأسرى

2) تحديد الخط الفاصل بين المنطقتين الفرنسية والأسبانية.

ووقتها أعلن وفد الزعيم الريفي أنه لم يحمل تعليمات بذلك قبل التفاوض على المسائل السياسية وانفض الاجتماع ثم حصلت الاتصالات بين الطرفين بعدما أعطى ابن عبد الكريم رأيه في تلك الشروط، حيث أعلن أنه سيقبلها بعد إدخال تعديلات عليها، والتعديلات هي "بدلا من النص الخاص بقبول سيادة السلطان كما جاء في النص الفرنسي إقتراح "الإعتراف بسلطة السلطان الدينية والزمنية" وفيما يخص الانسحاب شرح أن "الانسحاب المفاجئ سيتسبب في نشر الفوضى بين القبائل، والمطلوب من الجميع هو إقرار الأمن "وفيما يخص نزع السلاح بين أنه "من الصعب جمعه بواسطة الفرنسيين، والأسبانيين، قبل تأسيس قوة وطنية مقبولة وتهيئ النفوس لذلك وفيما يرجع إلى تبادل الأسرى أنه :من المقبول عقلا ومنطقا أن يكون بعد إعلان عقد الصلح.

لكن الجنرال سيمون رفض كل هذه التعديلات ورجع إلى حكومة بلاده والحكومة الاسبانية، لكن الحكومتان وجدتا أن ليس فيما ذهب إليه ابن عبد الكريم ما يحول دون التفاوض، وأعيد الوفد الفرنسي بعد إعلان سحب الشرروط بتاريخ 1926.4.26 كما عاد وفد الزعيم الريفي، وكان الموعد مدينة وجدة التي حلا بها في اليوم التالي 4/27

ومع ذلك عادت نقطة جمع السلاح فاحدثت الأزمة يوم 29 منه، بحيث تمسك الوفد الريفي بوجوب قيامهم دون غيرهم بجمع السلاح مع قبول مراقبة الضباط الفرنسيين والأسبان، كما اعترضتهم مسألة إطلاق سراح الأسرى وغيرها من النقاط، وتوقفت المفاوضات للتشاور وحدد يوم 6-5-1926 كموعد للافراج عن الأسرى، وإذا لم يتم يستأنف القتال صبيحة اليوم التالي، وذلك ما حصل بعد ما عاد المندوبون، ولم تكن تعليمات ابن عبد الكريم لمندوبيه كما أراد الفرنسيون والأسبان، ولذلك أستؤنف القصف بواسطة الطائرات والمدافع يوم 7-5-1926. لكن ذلك لم يجدي واستسلم إبن عبد الكريم.

الجنرال سيلفستري مع رئيس الحكومة الاسبانية كانا ليخاس

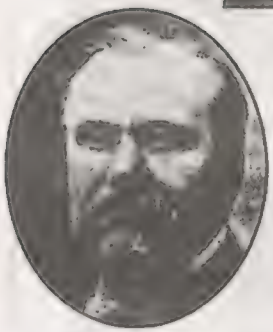

صورة رئيس الوزارة الفرنساوية مع الخينيرالين بريمو دي ريبيرا وغوميز خوردانا الذين تفاوضوا حول قضية طنجة

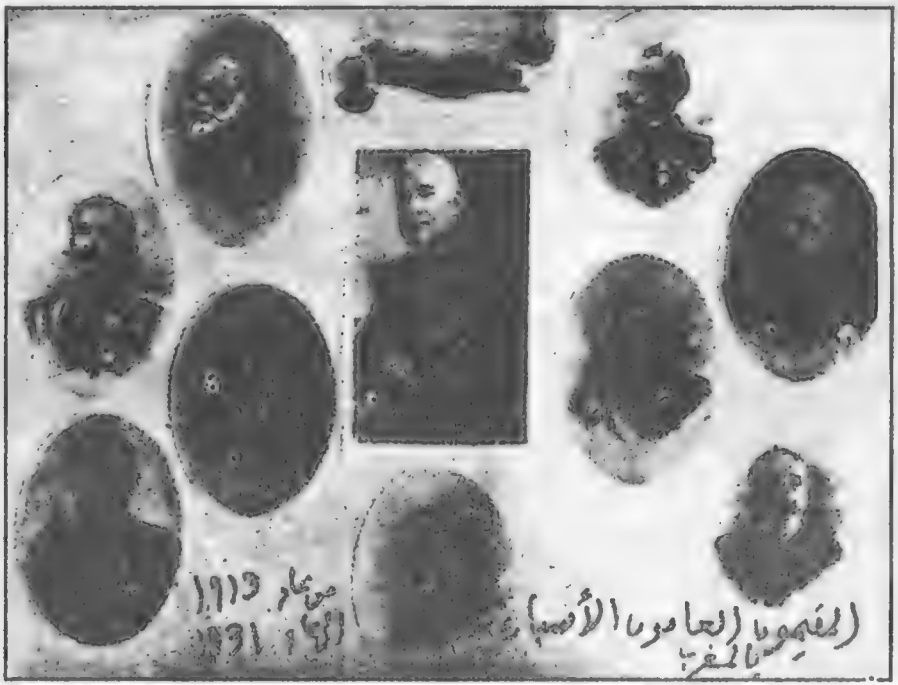

العسكريون الاسبان أمام الخريطة التي وضعوها لمنطقة نفوذهم شمال المغرب

المتفاوضون من الفرنسيين والإسبان في مدينة وجدة

اليوطي وخوردانا

المارشال بتان

الفصل السابع والثلاثون بعد المائتين

محمد بن عبد الكريم وظروف الإستسلام

رأينا كيف وضعت خريطة ميدان المعارك الأخيرة من طرف الفرنسيين حسب إتفاق ثلاث ماريشالات، واختيار الضباط الذين ستطول أعمارهم ما شاء الله وستلعب أحذية الألمان مختلف أنواع الرقصات على وجوههم وظهور الأبرياء والبريئات، من الفرنسيين والفرنسيات، وكان في طليعة الذين أشرنا إليهم قبل مضافا إليهم من هيآة الأركان أولئك الذين سيرد ذكر أسمائهم بعد وقد رسخت في ذاكرة التاريخ السياسي للمغرب الأقصى، وعلى أوسخ الصفحات من تاريخ الاستعمار الفرنسي لهذه الديار، لأنهم جميعا وبدون استثناء اتخذوا الإنتقام وسيلة التعامل مع المغاربة بعد حرب الريف، حتى إن من كان إسمه عبد الكريم أو محمد عبد الكريم، كان يلاقي من صلف وعجرفة الكورس، والألزاس، مثل ما يلاقيه من الأسبان الذين خلد تاريخهم وبكل مرارة ما عرفوه أثناء وبعد معركة أنوال.

كانت أيام ما بعد اليوم السابع من شهر ماي 1926 من أشد أيام الحرب قسوة على المجاهدين المغاربة الذين بقوا في الميدان إلى آخر نفس، وللحقيقة والتاريخ، فقد كانوا من أغلب القبائل غير المذكورة قبل من تلك التي انضمت إلى صفوف الفرنسيين والأسبان، في تلك الأيام اشتدت المعارك وحمي الوطيس إلى درجة فقد الفرنسيون والأسبان فيها كل شعور إنساني، بل وإلي درجة أن القادر على التخيل والتصور، يظهر له محمد بن عبد الكريم رغم كل ما حصل بل وفي اعتبار المعتز بالبطولة الوطنية، وكأنه هانيبال أو يوغرطة الذي تحدى رومة ولم يستسلم رغم قوة الحديد والنار، أو كأنه ذاك الذي استحضرناه قبل بالمناسبة، وهو القائد الألماني لودندورف الذي واجه جيوش الحلفاء السبعة.

بقيت القيادة العامة للجيوش الفرنسية في المغرب لمدة أسبوع كامل، وهي تجمع الجيوش من مختلف الجهات التي كانت تحسب أن المعارك فيها غير ساخنة، كما جمعت من رجال القبائل الذين تسلط عليهم العملاء من المجرمين في حق شعوبهم، أولئك الذين نصبهم الفرنسيون ولاة، وبالتالي فقد حشدت القيادة العسكرية من الجيوش لتصفية الحساب مع المجاهدين في الشمال مايلي:

1) مجموعة تازة: وكانت من ثلاثة فيالق، واحدها يرابط بين تازة على وادي كرت، أمام جبل الحبيب، وكانت مهمته الربط مع جيش أسبانيا ناحية أجدير، والذي كان موقعه بالقرب من عزيب ميدر، كما كان في الوسط الفيلق المكون من المجندين المغاربة المطلق عليهم "الچوم" وكان موقعه المرتفعات من جبل أزرو إلى بورد، وأخيرا على اليسار الفيلق الأول المتصل بمجموعة فاس، وموقعه التلال الغربية لقبيلة بني مسارة.

2) مجموعة فاس: وكانت مهمتها إقتحام بلاد بني زروال حيث القبائل التي سيستمر جهادها حتى بعد إستسلام ابن عبد الكريم كما يخبرنا الكولونيل فوانو في كتابه "الاثار المجيدة لفاتحي المغرب" ص 37 وقد وجهت هذه الفرقة إلى غفساي وسوق أحد بني إبراهيم، حيث اشتبكت مع قبائل بني ورياغل والجاية وبني زروال واستولت على تماسينت يوم 16ـ5ـ1926م.

3) الجيش المرابط حول وزان، وكانت مهمته محددة بالقرب من المنطقة الدولية، وكعادة الفرنسيين في مثل هذه المواقف التي كان الجيش فيها يحطم كبرياءهم رغم كثرة الأسلحة والتغطية الجوية وراء رجال القبائل الذين ساقهم الجهل وعدم الوعي إلى المذابح كما تساق الأغنام يقودهم أشباه الرجال من الذين نصبوا كولاة بعدما تركوا أسرهم كرهائن تحت رحمة الحكام الفرنسيين العسكريين الذين تسلطوا عليهم بقوة الحديد والنار .

ولقد كان من أكثر الذين نشطوا في هذا الميدان بين قبائل شرق المغرب وشماله الخونة المجرمون التالية أسماؤهم:

1) أحمد المذبوح، وكان يقود رجال قبيلة إجزناية، وقد فعلوا في قرى المجاهدين وقبائل الريف من المخازي ما لم يفعله الأسبان وذلك بواسطة أولاد زيان، وبني بوجطو

وأولاد الطير، والمذبوح، هذا هو الذي أصبح ولده جنرالا في عهد الاستقلال وقد قتل في حادث الصخيرات يوم 10 يوليوز 1971 ولما قتل كان جنود عبابو "يصيحون" أونزامور" أي قتل رقم 11؟؟؟. مما يدل على أنه كان ضمن عصابة المؤامرة وله رقم معين.

2) البشير بن محمد بن صالح الزمراني، وكان يقود رجال قبيلة التسول وكان هذا المجرم الحقير قد بدأ عمله الدنئ مع الاستعمار الفرنسي يقول ادموندا قبل الحماية – وكان في أول حياته عطارا يتجول على حمار فجعل الفرنسيون منه حاكما بعد ما مر بالمراحل التالية– أي منذ عام 1911 جندي مقاتل في صفوف الفرنسيين ثم كجاسوس في صفة عطار ثم بعد "شاوش" في غفساي، وفي كل وظائفه كان مثال المخلص المتفاني في خدمة الاستعمار الفرنسي ضد الشعب المغربي، مما دفع الجنرال غورو إلى تنصيبه كقائد على قبيلة الدسول التي شقيت بتصرفاته وفي معارك التصفية ضد الشعب كان يعمل لصالح العدو تحت حماية السلاح الفرنسي بكل قسوة وخبث، وتحقير لبطل الريف أرسلوه إليه وقت استسلامه .

3) محمد الخلادي، وكان يقود رجال بني بويعلا من قبيلة البرانس ولم يختلف عن سابقيه.

4) محمد بن لزرق أفقير، الذي كان يقود بني بوياحي وأولاد عثمان وأولاد عبد السلام، وأولاد علي، وأولاد زمور، وأولاد سالم، وقد ترجم له في كتاب اعيان المغرب الأقصى مصدر سابق 824 وهو غير محمد افقير صاحب عين الشعير.

5) أحمد ولد عيسى، قائد لمطالسة لعبادة.

6) حماد ولد باعلي وكان يقود رجال قبيلة مكناسة.

7) الشيخ حدوش، وكان في مقدمة أولاد عثمان.

9) سليمان الخطابي، وكان يقود رجال بني ورياغل، وهذا لم يقتصر على محاربة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، بل تطوع لمحاربة الذين لم يستسلموا حتى بعد استسلام الزعيم الريفي، واللائحة طويلة جدا(237).

---

(237) راجع المصدر السابق الاعيان ص 797.806.823.826 وهنري دوبوردو في كتابه عن بورنازيل فصل "نهاية عبد الكريم".

هذه القبائل وغيرها من التي جرت بالإكراه هي التي اقتحمت معاقل المجاهدين، خصوصا إجزناية الذين بالغوا حتى اضطر الفرنسيون لإيقافهم خوفا من غضب القوم وبأسهم فيعملون السيف في الأسرى من الفرنسيين والأسبان مقابل اجرام جزناية.

ولقد كان من القواد الفرنسيين كما يخبرنا هنري دوبوردو، نقلا عن مراسلة ابن أخيه، دوبورنازيل والجنرال "بيشوت"الذي كان يقود الجيوش التي توجهت إلى تارجيست والجنرال "إيبوس" على رأس فيلق المجندين من المغاربة ومعهم الفرقة 14 للمدفعية التي كان يقودها العقيد "جيرو"، وضمنها أيضا العقيد "كوراب" وفرقة من الفرسان، والفرقة الثامنة المختلطة ثم الملازم "بورنازيل"الذي كان يقود الفرقة 33 من المجندين المغاربة "الجوم" و1200 من قبيلة البرانس، كما كان القبطان "شميت" مع فرقة "الجوم 16" ورجال قبيلة إجزناية بقيادة أحمد المذبوح

أما الأسبان الذين كان الرعب قد أنهك قواهم وحطم معنوياتهم، فقد جهزوا جيشا عرمرما، وتحقيرا له أهملنا ذكر تنوع فرقه وإن كان في مجموعه قد بلغ 118000 كما سبق، حشدوه حشدا بقياد الجنرال "سان خورخو" جنوب أجدير وشماله أفراو، وإذا ما احتلت الجيوش الفرنسية جبل بوزينب فإنه تقرر أن يكون الهجوم الشامل بتاريخ يوم 23/ماي/1926م وتقدمت الجيوش كذلك على جميع المنحدرات المطلة على وادي غيث، إلا أنهم كانوا يتقدمون على جثث الضحايا ولم يقفوا على تيزمورين مطلين على تارجيست إلا بعدما دفعوا الثمن غالي، لكنهم كذلك وقد كانوا تحت غطاء المدافع الثقيلة والطيران، ألحقوا بالقرى المحيطة بتارجيست وأهلها من النساء والأطفال ما يحفظه التاريخ كبصمات للإجرام الفرنسي في هذه الديار تتقزز منها النفوس وتطل من خلالها علي وجه الحضارة الفرنسية، بل وجبن الأسبان وحقارتهم، خصوصا وقد شددوا على الطريق من تيزمورين إلى اسنادة حيث الشريف أحميدوا الوزاني الذي كان قد سارع إلى الاستسلام للفرنسيين، يوم 24ماي، ولذلك شاع أن الزعيم محمد بن عبد الكريم سيلتحق بقرية أسناده، بعد ما وجه رسالة إلى المقيم استيج، حتى يوقف القتال ويقبل التفاوض، وكان الذي حمل الرسالة إلى الرباط هو بيرباران" كما أرسل أخرى إلى الجنرال الاسباني سان خورخو تحمل نفس الاقتراح، وقبل تلقي الجواب اتصل ببعض الضباط

الذين كانوا في المنطقة ومنهم الكولونيل كوراب الذي بعدما اتصل بقيادته تلقى الأوامر بترتيب ما يجب من أجل التمهيد لاستسلام محمد بن عبد الكريم الذي فعلا كان قد توجه إلى أسناده وقت أن كان من معه من الرجال في مواجهة إنتقامية مع أجزناية بقيادة أحمد المذبوح، وسليمان الخطابي ومن معهما، وذلك في الليلة ما بين23-24 ماي(238)، وقد بقوا كذلك إلى أن تلقوا الإشارة بما انتهى إليه رأي محمد بن عبد الكريم مع القبطان كوراب الذي توجه إليه عشية اليوم المذكور، رفقة أحميدو الوزاني الذي كان قبل قدم عليه بطلب من ابن عبد الكريم، إلى زاوية أسنادة بعدما وافق هذا الآخير على تسليم نفسه إلى الفرنسيين. ولذلك قدم عليه القبطان كوراب حاملا رسالة الاتفاق صحبة ثلاثين من الضباط والجنود فيهم: القبطان سوفران"(239) المسؤول عن القسم السياسي بتازة، ومونطاني"(240) من إدارة الشؤون الأهلية والملازم "دولاروسبير" تحيط بهم كوكبة من الجنود، وكانت الرسالة تتضمن الموافقة على أن يسلم الزعيم الريفي نفسه للفرنسيين حسب اختياره وأن يصدر الأمر بإطلاق سراح المعتقلين، والمحافظة على أرواحهم مقابل الوعد باحترام سلامة أسرته، وكل من يريد الإلتحاق به.

وإثر ذلك وبعد الإتفاق على تبادل الأسرى أرسل محمد بن عبد الكريم القائد حدو، وكان هو المسؤول عن حراسة الأسرى للتفاوض حول تسليمهم، وبعد الإتفاق عاد وبرفقته القبطان "شميت" والفرقة 16من الجوم والفرقة 33 يقودها الملازم بورنازيل الذي سوف نتعرف عليه حين يقتل بأيدي العطاويين حيث إتجه الجميع إلى الطريق المؤدية إلى كمون، وهناك إنتظروا إحضار الأسرى حسب وعد القائد حدو الذي تواعد معهم وقت الفجر، «وعلى الساعة الرابعة صباحا، يقول هنري دوبوردو، نقلا عن القبطان شميت الذي كان على رأس القافلة، رأى رتلا من الرجال قادمين يتقدمهم فارسان ريفيان، وعند عدهم أنا وحدو، تبين لي أن من بينهم 42 فرنسيا و111 اسبانيا و112 من الأهالي وبقي 37 مريضا

(238) هنري دوبوردو مصدر سابق.

(239) أصبح بعد جنرالا ثم عين في الخمسينات حاكما لمنطقة فاس وقد اتشهر بفضائحه الأخلاقية وشذوذه الذي دنس به بعض العائلات التي غرر بها وبأولادها الذين اشتهروا معه في مدينة فاس.

(240) وهو غير ذاك الذي له كتاب حول الزوايا والطرق الصوفية في المغرب الكبير والذي ترجم فيه لأول مغربي خان الدين والوطن وهو عبد السلام الوزاني ص 290 مصدر سابق لأن هذا قتل قبل في شنقيط 1907م.

أسبانيا أرسلت في الحين بغالا لحلمهم ثم يزيد قائلا، وقد ظهر لنا أن روايته أصح من غيره من الذين وضعوا لها البهارات فأكثروا فيها الفساد.

"رغم ما أبداه إبن عبد الكريم من تماطل في البداية فإنه قرر في ليلة ما بين 26ـ27 ماي مغادرة أسناده، وكان يرافقه الضباط الفرنسيون المبعوثون لديه، وفي صباح يوم 27 ماي وصل إلى المراكز الأمامية لتزمورين، واستقبله الجنرال "إيبوس" والكولونيل"كوراب" أمام الفرقة المتجمعة.

وأرسل اليوطنان كولونيل جيرو إلى كمون لنقل عائلة ابن عبد الكريم ومتاعه، وفي 29 ماي غادر تارجيست هو وحاشيته، وتوجه إلى تازة ثم نفي(241).

وإلى هنا أسدل الستار على المسرح الذي مثلت فيه قصة بطل من أبطال المقاومة المغربية، وهو محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي، الذي اختفى من الميدان، واقتيد إلى المنفى السحيق بجزيرة ريونيو، ومع ذلك فسوف يكون له دور آخر نلتقي به إن شاء الله في القاهرة التي سيهرب إليها عام 1947م.

وأخيرا وبعد إخماد صوت الثورة، قال الفرنسيون إنهم استولوا على ما يقرب من30000 بندقية و135 مدفع و240 مدفع رشاش، وبعدها كان مؤتمر باريس بين الفرنسيين والأسبان ما بين 14 جوان و10 جويي 1926 من أجل تصفية ما نشأ وتخلف عن الثورة التي مزقت ما كان قد تم بين الدولتين بواسطة معاهدة 1900ـ17ـ11ـ1912، وفي باريز تم الاتفاق الذي وقعه الرئيس ارستيد بريان، عن فرنسا، ودى استيلا عن اسبانيا يوم 13ـ7ـ1926 ومضمنه،

1) تحديد خط الحدود بين المنطقتين الفرنسية، والاسبانية، على أساس إتفاق 17ـ11ـ1912.

2) ضرورة المحافظة على التعاون بينهما في ميدان الرقابة البحرية لسواحل المغرب.

---

(241) هنرى دوبوردو المصدر السابق ثم راجع القاموس الإسلامي ج 620/2 والموسوعة العربية 1184 ط 1965 وتاريخ المغرب الكبير ج 190/4ـ98 والاثار المجيدة لفاتحي المغرب للعقيد ڤوانو آخر فصل 71 ترجمة خاصة محمد أبو وكيل الأستاذ بكلية الحقوق جامعة محمد الخامس. وبالتالي فإن خسارة الفرنسيين في حرب الريف كانت 1000 قتيل 3100 جريح و1000 مفقود كما ورد فيما كتب هنري دوبردو.

3) التعاون الحربي والإداري على الأراضي الواقعة على الحدود.

لكن هل إنتهت المقاومة في المنطقتين، ففي المنطقة الأسبانية سوف لاتقف إلا بعد استسلام المجاهد السليطن(242) ورجاله عام 1927م بل وفي المنطقة الاسبانية أيضا لم يتسلم الاسبان السلاح من المواطنين فيها إلا بعد مآسي دامية يحتاج سردها وتدوينها إلى كتاب خاص مجاله ومصادره الدراسة الميدانية التي تنتظر أبناء المنطقة كما تنتظر غيرهم في مختلف جهات المغرب.

وأما عن الفرنسيين الذين نزلوا بأكبر قواتهم في منطقة وازان التي قصدها الماريشال بيتان نفسه، فإنها لم تسلم، وخصوصا بني مسارة إلا بعد معارك دامية ودامية جدا، كما اشتدت المعارك في جبهة تطوان، والشاون موطن الرجال الأحرار حيث دامت مدة لم تتوقف لأنها فقدت الرائد، فقد مات الريسوني، وولد احميدو السكان(243) وأبعد محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولم يبق غير السليطن الذي لم يستقطب ولم يتجمع حوله من رجال القبائل ما يجعله يستمر أكثر رحمه الله، وإذا ما استسلم هو الآخر فإن الميدان أصبح مواتيا للأسبان الحاقدين كي يشبعوا غريزة الانتقام الذي أكل صدورهم وضيق أنفاسهم، أما الفرنسيون فإنهم إنقلبوا بسلاحهم الفتاك لقتال ما تبقى من الجهات التي لم تكن بعد قد خضعت لحكمهم، خصوصا في الجنوب تافيلالت، والأطلسين المتوسط آيت يحى ويوسف أدارسة تونفيت وقبائل آيت عطا صاغرو، ثم أدارسة آيت أحديدو بقيادة سيدي ابن احماد، وخاتمتهم زايد اسكنتي وزايد واحماد المرغاديين، كما سنرى بعد إن شاء الله فيما يلي من الفصول ثم آيت حمو وسعيد الذين ادكوا حروب آيت باعمران إلى جانب بعض آيت عطا والذين هم لا يزالون بالمنطقة إلى اليوم كما سنرى.

---

(242) نسبة إلى السلاطنة فرع من قبيلة بني عروس الجبلية، ويعرفون أيضا بالكلاعيين.

(243) راجع ما كتبه حوله محمد بن عزوز حكيم بعنوان "شهيد معركة السلالم" ط الرباط 1982 ثم ڤوانو المصدر السابق وبالتالي فقد كانت آخر المعارك في المنطقة هي تلك التي خاضتها قوات الغزو بناحية تازة بقيادة الجنرال دوفيو.

صاحب السمو المعظم مولاي الحسن بن المهدي خليفة منطقة الحماية الاسبانية بالمغرب
راجع الندوة التكريمية التي نظمتها حوله المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بتاريخ 1996/4/8

مولاي المهدي بن اسماعيل أولُ خليفة بمنطقة الحماية الاسبانية بالمغرب والذي حل بها يوم 1913/5/27 وعن يساره المقيم العام الاسباني الجنرال مارينا وخلفه الصدر محمد بن عزوز

الجنرال الفار أول مقيم في المنطقة الشمالية

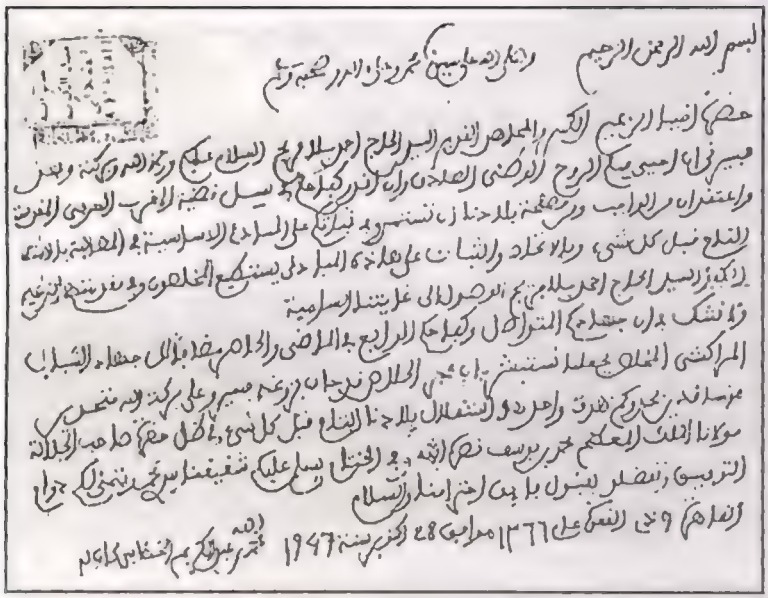

رسالة كتبها محمد بن عبد الكريم بخطه موجهة إلى الحاج احمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال

جرائم الجيش الاسباني ضد المجاهدين الريفيين: قطع الرؤوس والتمثيل بها

صورة سمو الخليفة المعظم الأمير مولاي الحسن
بن المهدي بن اسماعيل

سمو الخليفة على فرسه وتحت المظلة
والصورة بتاريخ ابريل1927

وفود مدن وقبائل منطقة الحماية ويتقبل منهم الهدية على الطريقة التقليدية

سمو الخليفة مع كل من المقيم العام الاسباني والسيد
محمد ابن عزوز والنايب العام والكوندي دي خوردانا

زيارة الخليفة وقد توفي رحمه الله
يوم 1984/11/1

صورة صاحب السمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي العلوي خليفة جلالة ملك المغرب الأقصى، وباعث النهضة العلمية، ومؤسس المعهد الخليفي بتطوان وبيت المغرب بمصر، وهو الآخر لم يغادر هذه الدنيا إلا بعد ما تعرض لنكران الجميل بعد موت محمد الخامس رحمه الله، كما تؤكد ذلك بعض مذكراته التي سجلت صفحات منها في اخريات حياته ممزوجة بتدخلات كل من سمو الأمير الحسن السلطان المولى عبد العزيز وسمو الأمير يونس بن السلطان المولى عبد الحفيظ أيام سهراتنا

صاحبة السمو الأميرة فاطمة الزهراء كريمة المولى عبد العزيز بن الحسن بن السلطان محمد بن عبد الرحمن وزوجة سمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن

السيد محمد بن عزوز سفير السلطان المولى عبد الحفيظ إلى ألمانيا 1910 بعد انفصاله عن بعثة المقري بفرنسا وقتها اكتشف خيانة المقري وعبد الله الفاسي فكتب بذلك إلى السلطان المذكور كما كانت الوثائق توجد بملف السلطان عبد الحفيظ بخزانتنا وفيه من الوثائق 870 راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلال بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق

أعضاء حكومة منطقة الشمال برئاسة محمد بن عزوز

صورة مدخل المشور السعيد ورجال المخزن بتطوان اثناء ساعات العمل

محليات

خبر هام

تعيين رئيس الاستئناف المخزني بتطوان

مولانا الحسن المعظم خليفة جلالة ملك البلاد يسند هذا المنصب الكبير الى الفقيه الاجل الشريف الحاج محمد بركة

صدر ظهير خليفي شريف بتعيين الشريف سيدي الحاج محمد بركة رئيسا لمحكمة الاستئناف العليا بتطوان وكان يوم السبت 21 يوليو المنصرم 1951 موعد استلامه امهام هذا المنصب الخطير في المجتمع

وبهذه المناسبة السارة نذكر بان الرئيس الجديد ينتمي الى أسرة نبيلة مغربية من أسر أشراف بني عروس ويتمتع باحترام كبير في وسطه. ومنذ انتقل الى تطوان وهو يتقلب في مناصب ادارية كبرى وقد قام بها جميعا خير قيام مما أهله لهذا الارتقاء الذي ارتآه حضرة صاحب السمو مولانا الحسن المعظم خليفة صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله. وقد كان هذا الحدث التاريخي متوقعا من الجميع وهو رياسة المحكمة العليا الشريفية بعاصمة المنطقة الخليفية

ولم يكد نبأ تعيين الرئيس الجديد الشريف سيدي الحاج محمد بركة على رأس العدالة حتى انهالت على مقامه آلاف الرسائل والتلغرافات تهنئه بمنصبه الجديد الذي ناله عن جدارة واستحقاق راجية له دوام التوفيق في خدمة مجتمعه.

عن مجلة المغرب والفنون عدد 6 مارس غشت 1951

لقد كان سمو الخليفة مولاي الحسن يعين في الوظائف العليا بظهير خليفي في مستوى الظهير السلطاني

الفصل الثامن والثلاثون بعد المائتين

الجيوب الدامية والمجهولة في تاريخ المقاومة 1926ـ1933.

إنها مقاومة الزحف الاستعماري في الأطلس المتوسط من آيت يحيى ويوسف أدارسة تونفيت وآيت شخمان إلى آيت مرغاد كلميمة وتاديغوست وتينغير.

كان قادة هذه المعارك في تازكزاوت وما قبلها، هم آل امهاوش الذين عرف كبيرهم المجاهد علي أمهاوش الذي طالما تغنى ببطولاته شعراء اللهجة البربرية حيث قال أحدهم في قصيدة مطولة.

"هاتغربي دايس سيدي اعلي إتلكم أوفت إيمهيواش

أفاداوت أرومي"

ومعناه: نطلب من الله العون والقوة لسيدي على امهاوش في حربه وجهاده ضد الفرنسيين. وللفصل تاريخيا بين المعارك التي وقعت عام 1931 و32 وعلى جبهة لقصيبة في منطقة وادي أدرانت ووادي العبيد وأسيف أو يرين، شيد الفرنسيون نصبا تذكاريا في أغبالا قرب ساقية نيتغانمين على بعد أربع كيلومترات شرق أغبالا، وقد كتبوا عليه العبارات التالية:

وهو نفس ما كتب على النصب الذي شيد في فج تيزي وغنيم، ما يخلد ذكر المعارك التي وقعت بجبهة بني ملال، في مناطق وادي العبيد ووادي أحنصال في الفترة ما بين1921ـ1932 ما يلي:

"إلى أرواح الضباط وضباط الصف والجنود، والمساعدين، والمتطوعين، الذين سقطوا في سبيل تهدئة تادلة "وقد أشرنا قبل إلى نصب قصبة تادلة الذي أرخ للموتى من جنود الفرنسيين وعددهم 1347 في المعارك التي وقعت ما بين 1912ـ33.

وقد كان النصب في الوسط جنوب غرب المدينة قرب طريق خنيفرة، وكان النصب يحمل ثلاث لوحات كتب على اليسار منها "لقد تم حل الفيلق المتنقل لتادلة في فاتح أكتوبر 1933 بعد أن شارك مدة 20 سنة في تهدئة جزء من المغرب، وخاض 77 معركة".

وتحمل لوحة اليمين أسماء الضباط الذين سقطوا في الميدان وعددهم 84(244).

بعد نهاية حرب الريف واحتلال الأسبان والفرنسيين لقبائل الشمال والقبائل الشرقية نهائيا، تفرغت كل من قوات الدولتين للتصفية وتركيزا لاحتلال كل دولة في المنطقة التي تعنيها، ولقد كانت فرنسا وقد تبدلت قيادة إدارتها العامة في المغرب، من عسكرية "اليوطي" إلى مدنية "استيج" بحيث كان على هذا الأخير أن يبرهن أنه أقدر من سلفه على تطويع المغرب وإخضاع قبائله حتى تستغل فرنسا كل إمكاناته التي دفعتها إلى تخطي البحار، وإراقة غزير الدماء، خصوصا وأن العسكريين بالمغرب بعد حرب الريف استطاعوا إقناع أستيج بالتأكيد على الحكومة الفرنسية حتى تقترح على البرلمان كي يوافق على تخصيص الاعتمادات اللازمة لإتمام ما بدأه اليوطي، حيث كانت البلاد بعد لا تزال غير خاضعة كلها للحكم الفرنسي الذي لم تكن له السيطرة إلا في الساحل، وأما غيره من تادلة والأطلس المتوسط إلى تافيلالت جنوبا، ثم إلى وادي درعة غرب سوس، إلى آيت باعمران، كلها كانت لا تزال تحمل السلاح في وجه الزحف الفرنسي الظالم.

كانت القيادة العسكرية بزعمها قد حددت لإنهاء الاحتلال وقتها ـ 1926ـ سنة واحدة وتنتهي من كل حرب أو مقاومة، وكان في هذا دلالة على الفارق الكبير بين ما كانت عليه إدارة اليوطي من خبرة إستعمارية، ومعرفة لقدرات البلاد، وما تحولت إليه إدارة استيج من فوضى ومسايرة للعسكريين الذين تولوا بتدبير من بيتان الذي كان معاكسا لليوطي،

---

(244) المصدر كتاب "الآثار المجيدة لفاتحي المغرب" للكولونيل فوانوا مصدر سابق وأشيرهنا إلى أن بعضهم وفاء لجميل المستعمرين عمل على طمس تلك المعالم بهدمها حتى لا تبقى شاهدا على فظائع الفرنسيين ودليلا على حضارتهم التي نقلوها إلى المغرب ومن الذين غالوا في ذلك محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي ولد خناثة الشركية، المعروف بأحمد العلوي، فهو الذي تطوع لذلك ودفع إليه غيره خدمة للذين عمل في ركابهم كمخبر بباريز كما بينا سابقا. راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية، ملف "باريز والحركة الوطنية" تقرير المهدي بن بركة لمكتب المغرب العربي بالقاهرة 1950ـ ومراسلة عبد الرحمن اليوسفي لعلال الفاسي 1953.

ونسي هؤلاء أن إستسلام محمد بن عبد الكريم الريفي لم يكن له أي أثر في إضعاف شوكة المقاومة الوطنية في الأطلس المتوسط وغيره من الجهات التي اشتدت فيها المقاومة، بل إزدادت ضراوة، وسوف تكلف فرنسا فوق ماكان العسكريون وإدارة أستيج يتصورون، بل سوف لا تنتهي كلية، وأنها في مجموعها سوف لا تتوقف إلا بعد ثمان سنوات أي بعد معارك آيت عطا في صاغرو وبوغافر.

كان على العسكريين بعد حرب الريف أن يربطوا بين قوات الشرق جبل بادو بآيت حديدو وقوات الجنوب، وقد كلفهم ذلك معارك جد ساخنة، دارت لمدة عشرين يوما في أماكن وعرة هي أرض بني زكون، كيلت فيها الضربات القاتلة لقوات الغزو الفرنسي قبل أن يتم الربط بين الجيشين الشرقي والجنوبي، بتاريخ 10-7-1926م كما تم الاستلاء على الجنوب الغربي لمدينة تازة نهائيا، ووقتهاعادت التعزيزات التي استقدمت لمواجهة حرب الريف واجبالة إلى مراكزها بفرنسا والجزائر وتونس.

كانت مناطق الأطلس المتوسط والجنوب تغلى كالمرجل وقبائل آيت ورا وآيت شخمان وآيت احنيني وأدارسة آيت يحيى ويوسف بتونفيت إلى آيت حديدو، وآيت مرغاد، ثم تافيلالت وآيت عطا صاغرو، كلها تعمل مستعدة لمواجهة المد الاستعما ري ومقاومة الغزاة الفرنسيين، وبالتالي فإن حكم الفرنسيين رغم الغزو المركز لمختلف الجهات طيلة ثلاث وعشرين سنة، أي منذ حرب وادي زوزقانة 1903 لم يتمكن من احتلال غير مناطق الساحل الشمالي للمغرب، وما حول المدن من أعالي ملوية إلى مدينة مراكش وأجادير، بل كان الذي يزعج إدارة الحماية ويجعلها قلقة غير آمنه، هو عدم تمكنها من الأطلسين المتوسط والكبير، حتي يتفرغ المستعمرون الذين أستجلبوا لإستثمار الأراضي التي أغتصبت من أهلها خصوصا في دائرة مكناس التي وزعت فيها الأراضي بحيث بمجرد ما تمكنت القوات العسكرية من المنطقة حتى أخذت تصادر الأراضي التي وزعتها بطريقة لا تزال معالمها واضحة حتى اليوم، بل أكثر من ذلك فقد كانت بواسطة سلطة القهر تخصص لكل أسرة من المعمرين من يقوم على حراستها من رجال القبائل التي جردت من السلاح، ثم فرضت عليها الخدمة الإجبارية في تلك المزارع التي طوعت أراضيها بواسطة الرجال الذين كانت الإدارة العسكرية في المناطق المجردة من السلاح تعينهم

لذلك بعد ما تضع نساءهم وأطفالهم رهائن تحت رحمة القوات العسكرية في المنطقة، ومسؤولية الحاكم المغربي عن القبيلة، وهكذا طبق عمل السخرة بطريقة مزرية وعنيفة في المناطق المجاورة لمنطقة مكناس، وكلما استسلمت قبيلة تحت قوة القهر وسلمت سلاحها كانت تلحق بمن يسبقها، حتى إن بصمات المعمرين وآثار تعذيبهم للمواطنين من أجل إستصلاح الأراضي التي استغلوها بعدما طردوا منها أهلها في مختلف مناطق المغرب من وجدة إلى أجادير، لا تزل شاهدة على ما عرفه المغاربة من آلام، حتى كان بعض المواطنين في مناطق مختلفة يفر الرجل منهم إلى جهة مجهولة تاركا الأرض والأهل والولد من شدة ما كان يلاقيه من نكال وعذاب، وبعد الاستقلال أصبحت تلك الأراضي بيد مستعمرين جدد ومنهم الدخلاء الذين اسندت لهم السلطة العليا فتوسعوا في التملك إلى حد التخمة أمثال الغريب أحمد عصمان الغير المغربي الأصل والذي جيء به من ملجأ خيري بتازة ثم أصبح يملك مما خلفه المستعمرون أرض وعمارات من وجدة إلى أجادير ومن الرباط إلى كاب نيگرو مرورا بأصيلة إلخ.

كانت قوات الغزو الفرنسي للمغرب في عهد المقيم أستيج لم تعد تتوفر على ما كانت عليه زمن اليوطي الذي خبر كل أساليب الاستعمار، والذي كان قد تدرب على استجلاب واستمالة كبار القوم بواسطة أساليب الزجر والقهر والتدليس والاغراء التي كان بارعا فيها، والتي اعتمد فيها أكثر على تسخير نفوذ المخزن الروحي الذي كان يسلطه على الفضوليين من المتملقين المتطلعين إلى السلطة واختلاسها في كل قبيلة استسلمت وسملت سلاحها، وقد اتخذ لتطبيق أساليبه تلك، عمالة وتملق محمد كاباص "الجباص" الذي نصبه "صدرا" بمقتضى مرسوم الجمهورية الفرنسية الذي صدر له بتاريخ 11-5-1912(245) والذي جعله الممثل للدولة الفرنسية الحامية، بل والذي بيده كل سلطاتها في المغرب، يقترح وينفذ ولاراد لما يفعل ويريد، وأن مرجعه الوحيد هو وزارة الخارجية الفرنسية التي تعتمد وتنساق في مخططاتها على ما يقدمه لها من بنات أفكاره

(245) عدل بتاريخ 19-5-1919 بما هو أوسع، ثم بتاريخ 20-7-1920م راجع الجريدة الرسمية المشار إليها قبل، وكان ذلك جزاء خدماته التي قدمها بإخلاص للاستعمار وهو الدخيل منذ كلف برسم الحدود شرقا 1902م والاتفاق مع الفرنسيين في الجزائر، فكان منه ما كان مما سبق وما سيحاسبه الله عليه لا محالة.

وأفكار دهاقنة الاستعمار من زبانية إدارته التي عرف كيف يقيمها على مجموعة من خصوم الإسلام والمسلمين الذين تدربوا ثم تكونوا في الجزائر، وتونس، وإذا كان اليوطي غير استيج، بحيث كان أيام سلطانه هو صاحب التخطيط العسكري لغزو الجهة التي يعرف ويتأكد من وجوب أسبقيتها، وبعدما يخضعها ويحيط بجميع أحوالها ينصب عليها من يختاره ويزكيه العملاء الذين تأكد صدق ولائهم وإخلاصهم لفرنسا قولا وعملا، وهذا لم تتوفر عليه سياسة إستيج ولاكفاء المستجدين العسكريين الذين قدمهم بيتان، ومن رافقه من الذين حاسبوا زبانية اليوطي، ثم أخروا كبارها عن الصفوف الأمامية، وإن كانت الإدارة ومصالح الإقامة العامة في مجموعها والحكام العسكريون الذين نصبوا على المناطق التي تم غزوها، واستسلم أهلها، ثم جردت من السلاح بطريقة كلها عنف وزجر، بل وإن كانت كذلك سلطة إستيج السياسية والإدارية بالنسبة لتلك المناطق المستسلم أهلها لم تختلف عن سلطة اليوطي إلا أن حكامها لم يكونوا ينظرون إلى إستيج نظرتهم إلى اليوطي الذي قضى في المغرب وعلى أبوابه قبل الحماية وبعدها مدة إثنين وعشرين سنة تمكن أثناءها من صنع الكثيرين جدا من العملاء المغاربة والحكام العسكريين للمناطق، وبذلك بقيت عقلية وتفكير اليوطي مستمرة حتى بعد رحيله، وهي في جوهرها لم تكن غير العمل على محو الذاتية المغربية تدريجيا وعلى المدى الطويل طبعا وحسب مخطط ماكر كما سنرى بعد.

أشرنا قبل إلى أن العسكريين أقنعوا إستيج بمخططهم الرامي إلى أن حروب الغزو والقضاء على المقاومة التي كانوا يطلقون عليها التمرد، يجب أن لا تزيد أكثر من سنة، وحتى يتم لهم ذلك، كان على المقيم أن يقدم إقتراحهم للحكومة الفرنسية التي قدمته بدورها إلى البرلمان حتى يوافق على الاعتمادات والتعزيزات اللازمة لذلك، وحتى تنال إقتراحات العسكريين تلك، ما كانوا يؤملون لها، تقدمت قوات الغزو بالمغرب في جهات متعددة في منطقة زايان، وبني ملال، وناحية وادي زيز تافيلالت، وأجادير بسوس، وفي كل هذه المناطق كانت تعتمد أكثر على العملاء يتقدمهم حقير أكابر مجرميها التهامي الجلاوي وصنويه حمو والمدني الذين تطوعوا إلى جانب جيوش الاستعمار التي كانت قد وضعت لها مخططا هجوميا في منطقة الأطلس المتوسط والكبير، ومع ذلك فقد كان

المغرب كما وصفته كتاباتهم(246) وقتها، وأن من يقوم بجولة إستطلاعية على متن طائرة يتضح له الفرق الموجود بين وادي ملوية الذي يسهل الدخول إليه، وبين الفجاج الضيقة لوادي العبيد الذي يعتبر عرقلة للوصول بين الأطلسين المتوسط والكبير، وأن حوض جبل درن المحصن بوعورة مسالكه يحتضن قبائل آيت يسرى، وآيت والال، وآيت عبد اللولي، التي يظهر أنه يصعب إخضاعها، وفي المنطقة الصحراوية التي تمتد من المراكز الجزائرية ما بين وادي الساورة وبني جيل، إلى تافيلالت، حيث كانت تتجمع قوات المقاومة التي ستضطر قوات الغزو الفرنسي إلى أن توحد قيادة القوتين العسكريتين التي في المغرب، ومثلها التي في التخوم الشرقية للمغرب وغرب الجزائر، من أجل إخضاعها، وفعلا حصل ذلك التوحيد بتاريخ فاتح مارس 1930م وأصبح يتضمن مركز بني ونيف، ودائرة كلوم بشار، ووادي الساورة، مرورا على وادي گير، والحمادة، للإحاطة بتافيلالت جنوبا، وفي الشمال الجنوبي كانت مراكز أرفود، بوذنيب، قصر السوق، الريش، مبدلت، أزرو، الحاجب، ثم مكناس، التي هي المركز العسكري والإداري لمنطقة الجنوب.

ولقد كان على هذه القيادة العسكرية التي أحدثت أن تواجه تحركات المقاومين من رجال قبائل المجموعتين الكبيرتين آيت عطا وآيت يافلمان وهما الحلفان المشار إليهما قبل، إلا أن هذا الأخير منهما وهو آيت يافلمان تعرض للتصدع الشديد بسبب ما عرفته قبيلة آيت إزدگ من تمزيق أدى بكثير منها بل الأغلب إلى أن أصبحوا أدوات غزو مع الفرنسيين ضد بقية القبائل المقاومة، ولو كانت من قبائل حلف آيت يافلمان مثل آيت مرغاد وآيت حديدو، وكان الذي نشط أكثر في هذا المجال الخاين المجرم الساقط الأصل "به آيت ارهو" و"الدعدي وبه" الذي كان قبل أجيرا لرعي أغنام القوم، ولما ظهر الغزو الفرنسي تطوع لخدمة الغزاة كدليل في المناطق الوعرة وجاسوس، ولما تمكنوا من السيطرة على المنطقة احتقارا لأهلها نصبوه حاكما عليها، وقد مكنوا له ولخلفه من بعده الذي هو "عدى وبه"- صاحب فضائح ما قبل الاستقلال وبعده(247) مكنوا له بقوة الحديد

---

(246) لوليستراسيون وهنري دوبوردو وفوانو، ومذكرات الجنرال كاترو وغيرها.

(247) راجع ما سبق مما هو معلوم بين قومه حول قصة يطو لقضيب حيث أشرنا أثناءها إلى قصة المرأة الفاتنة بدا على بنت اسعيد نايت علي، من آيت موسى وعلي التي إختطفها "عدى وبه" بحكم سلطته كقائد من بيت زوجها، سكو وعياش من آيت موسى وعلي، شبه عارية، ثم إتخذ منها خليلة بعد ما منع منها زوجها، ولم يقف الأمر =

والنار منذ غزوهم الأول للمنطقة من 1916 إلى 1932م ولم يكن "به" ولا ولده "عدى" وحدهما اللذان إختارا جانب الفرنسيين، بل وكما أشرنا قبل كان هناك عبد الرحمن بن عمر الحمزاوي والتقي ولد الشيخ محمد العربي الذي أثر في أسر الجهاد قبل من مريدي والده الشيخ محمد العربي وغيرهم مثل الغالي لمراني في بوذنيب وحبيبي بن هدى "العوني؟" الذي نصب على أهل المعاضيد مكان بابا بن عبد الكريم، وذلك بواسطة خدمات أمه صانعة الجلاليب للقبطان تيابو والمركوب الأسود المسمى "بابا ولد الحاج عمر الذي نصب على عرب الصباح تيزيمي والذي طول حياته كانت له مواقف جد خبيثة حتى عام 1953 حيث تطاول فيها أكثر مما يريد المستعمر وذنبه الجلاوي الذ ي استدرجه وغيره من كلاب صيد العسكري المستعمر الذي عين كأول حاكم للمنطقة وهو القبطان تيابو حاكم ارفود وجماعته بحيث كان هذا العبد الابق أسود الوجه والأفعال المسمى بابا ولد الحاج عمر(248) الذي نصب هو الآخر بدون أصل عريق حاكما على قصور تيزيمي وعرب

=عند هذا الحد بل خلف معها في السفاح من الأولاد خمسة أمبارك، وفاطمة، ورابحة، وخدوج، ومحجوبة مما صيره أكبر مجرم في تاريخ قبيلة آيت إزدگ بل لهذا المجرم الخائن في حق الدين والوطن قصة أوسخ من هذه هي تلك التي مثلها مع الشاعر البربري عدى والمسعود، فقد عرف هذا الشاعر الماجن ببعض غيرته التي دفعت به أحيانا إلى وصف بعض ما كان لعدي وبه من مواقف مخزية وصفها شعرا مما أدى إلى ذيوع وانتشار تلك المواقف فما كان من عدى وبه إلا أنه جاء به هو الآخر ثم أمر أن يحفر له قبر يوضع فيه ثم ترك نافذة خاطبه من خلالهابقوله "من ربك" م وكان يقصد أن يجيب المقبور، بإسناد ربوبيته إلى المجرم، وفعلا أجابه بما قصد، ووقتها أمر برفع التراب وإخراج الرجل من القبر. بل تقول رواية قومه أنه دفنه واقفا في مزبلة إلى عنقه ولم يترك منه عاريا غير الرأس. ولعدي وبه في عهد الاستقلال موقف لايقفه سواه، ذلك أن الفرنسيين الاستعماريين في المغرب الكبير أرادوا إجهاض استقلال المغرب وتونس وقد خططوا لذلك بزعامة الجنرال سلان في الجزائر وتدبير المارشال إجوان والرادكاليين وعملاءهم فكان الذي حركوه لذلك في منطقة الأطلس المتوسط هو عدى وبه الذي زودوه بما يكفي من السلاح "12000 بندقية رشاشة من طراز متقدم، وكانت جديدة لم تستعمل سابقا بالإضافة إلى بنادق عديدة سريعة الطلقات ورشاشات خفيفة وثقيلة ومدافع الموتور، ومسدسات وقنابل يدوية ومئات الألوف من الخرطوش إلخ راجع كتاب التحدي ص110- 111، ط الملكية الرباط1983 ثم راجع مجلة الإذاعة الوطنية العدد 8 ص 4.5.6. وفيها عدى وبه ماسكا بندقية صيد تمثل السلاح الذي... إلخ مهلهلة مما يدل على الاستهتار والسفة الحقير، أما قصة "عدى وبه" أثناء المحاكمة ومدير التشريفات الحقير أحمد بن عبد السلام بناني الذي اتصل به أيام سجنه اتركها لنتونتها.

(248) نصب هذا المجرم الذي نشط جدا وولده العسكري المسمى لخلافة الذي كان على رأس المدرعات التي حاصرت القصر الملكي في المؤامرة ضد محمد الخامس رحمه الله في 20 غشت 1953 حتى قيل إنه ألح كثيرا في الاذن له بقنبلة القصر وقتها، كما عرف لوالده عبارات بذئية جلبت له اللعنة والخزى والتحقير بقية حياته التي ختمها الله له بالعذاب الأليم إلى درجة أن صار الدود من جسمه يزحف حوله فلم يجر رحمة ولا شفقة فيمن حوله حتى من أولاده ما عدا إحدى زوجاته فاطمة بنت البلال. في الوقت الذي كان له من الرجال خمسة أكبرهم هو لخلافة المذكور ساكن مدينة مراكش ترعاه عناية الفرنسيين الذين رتبوا له معاشا حرم منه الأحرار الذين قاوموا الاستعمار حتى عائلة علي أقلا الذي قتله الجلاوي يوم قنبلة الحقير ابن عرفة بجامع بريمة قتله برصاصات من مسدسه.

الصباح الجنوبيين، ومثله حماني بن الهاشمي الجرفي الذي حل مكان حماني بن قدور، الذي قاوم الفرنسيين والذي عرف النفي إلى أن مات في مدينة سلا رحمه الله.

هؤلاء الذين فعلت بعقولهم رسالة اليوطي ـ كاباص "محمد الجباص" ما فعلت هم الذين كانوا في خدمة جيوش الغزو الفرنسي في المنطقة لمدة سبعة عشر عاما، والذين جمعوا حولها كرها من رجال قبائل المنطقة الذين أتخذت أسرهم كرهائن ثم دفعوا بهم لمحاربة إخوانهم في المناطق التي كان عليهم أن يحتلوها في الأطلس المتوسط تمهيدا لاحتلال تافيلالت ومحاربة آيت عطا في صاغرو، وهي مناطق قبائل آيت شخمان، وآيت احنيني، وآيت يحيى ويوسف آدارسة تونفيت، وغيرها من قبائل آيت مرغاد وآيت اسنان وغيرها بتينغير.

ومهما يكن فقد وافق البرلمان الفرنسي على إعتمادات الغزو للمناطق التي لم يستسلم أهلها في المنطقة، ومن تلك المناطق التي كانت حامية منطقة الأطلس المتوسط، ومنها منطقة تونفيت التي كانت جيوش الاستعمار قد بدأت غزوها منذ 1922م بعد إحتلال أبو الدراع بآيت عياش، وأودغيس،. وبعد ما استسلمت زايان وأصبح أولاد محمد أحمو في ركاب جيوش الغزو، يتقدمهم حسن الذي حارب والده، وتقول الرواية إنه الذي قتله كما سبق، حسن هذا هو الذي عمل بدوره كسمسار لصالح الغزاة في المنطقة التي نهج الفرنسيون في حربهم مع أهلها سياسة الابتزاز والاضعاف بواسطة الهجمات الخاطفة وبواسطة الطيران، ولمدة أكثر من سبع سنوات، كان عملاؤهم في المنطقة أولاد محمد أحمو الزياني يتقدمهم حسن الذي اغدقوا عليه كل ما عندهم من الأوسمة وباعدي مثله، وفي شهر يونيه من عام 1929 أشرفت قواتهم على منطقة تونفيت التي ركزوا عليها القصف الشديد بواسطة الطيران والمدافع الثقيلة، للفصل بينها وبين قبائل آيت ورا وتادلة، التي سوف لا ينتهي القتال فيها إلا عام 1934م، ومع ذلك فقد كانت المعارك في منطقة تونفيت جد ساخنة وعنيفة، حيث إمتدت في مساحات شاسعة وأماكن وعرة، كانت الجولات فيها بإختيار المجاهدين من الأبطال آيت شخمان وإيشقيرن، وآيت احنيني والأشراف الأدارسة من آل يحيى ويوسف الذين كانوا يعرفون كيف يراوغون ويجرون قوات الغزو إلى حيث يتنافسون في تمزيقها وإذلال جنرالاتها وتحطيم كبريائهم في

الأماكن الوعرة، كما تشهد بذلك مذكرات الذين ذاقوا المرارة بما عرفوه من إقدام أولئك الأبطال وجهادهم في سبيل حريتهم وعزة وطنهم مثل الجنرالات كاترو، وگودو، وجيرو، ونيجر، وغيرهم من الضباط الذين يحفظ تاريخ المغرب السياسي جبنهم وكيف كانوا في تلك المناطق إذا لم يحاربوا بالطيران يمشون ومن بعيد وراء المجندين من الجزائريين، والتونسيين، والمغاربة، ومن كانوا معهم من رجال القبائل الذين حشروهم بإشراف حسن، وباعدى اللذان أوحيا إلى الفرنسيين بسياسة السرقة والنهب ضد المجاهدين، فأخذوا يصادرون ماشيتهم وأغنامهم التي هي مصدر عيشهم، فأصبحت جيوش الاحتلال في المنطقة وقد ارتفع عددها إلى عشرة آلاف، لا يعتمد في تموينها باللحوم على غير ما كان ينهب لتلك القبائل من الأغنام التي بلغ ما نهب منها، كما تحفظه ذاكرة الاحياء منهم ويرددونه بمرارة إلى جانب أسماء شهدائهم،(249) فما نهب لقبيلة آيت شخمان 5600 رأس من الغنم وآيت احنين 2200 وآيت يحيى ويوسف 12000 وآيت ورا 7000 ولقد وقعت في قرية سيدي يحيى ويوسف على مذكرات حية تحتفظ بها ذاكرة مجاهد طال عمره ويعيش حتي اليوم 1968 في بؤس وحرمان بعدما فقد بصره وقد انقطع للعبادة في داره المحرومة حتى من الفراش اللائق وقد جاوز المائة من عمره، ذلك هو الشريف الزبير بن محمد بن احماد فرع يشاون آيت سيدي احماد، الفرع الثاني من آيت يحيى ويوسف،(250) فقد قدر لهذا الرجل وكما يعلم كل الذين دلوني عليه لأروي عنه أسماء بعض الذين أطروا المجاهدين من قومه أنه قضى نحو الثمانية عشر يوما مختبئا في غار مع بعض رفاقه في الجهاد بلا طعام إلا ما كان من العشب الذي كانوا يتناوبون في الحصول عليه ليلا، وأكثر من هذا حصل لعبد الكريم ولد البطل المجاهد علي

(249) يذكر سكان تونفيت يتقدمهم الشريف مولاي العربي رئيس الجماعة القروية وقد قمت بدراسة ميدانية في المنطقة حيث اتصلت بالمجاهدين من رجالها يتقدمهم الشيخ المفضل عندهم السيد الزبير حفظه الله والذي قضى 18 يوما في غار فرارا من طيران العدو، وبواسطته وغيره كونت لائحة بأسماء المجاهدين كان القصد بعد تنظيمها حسب حروف المعجم أن أضعها في هامش يتعلق بمعركة تازكزاوت. ولكن صادرتها الشرطة ضمن ما صادرته من وثائق ومؤلفات يوم 1968/6/14.

(250) يحيى ويوسف هذا كما سبق أن تعرفنا عليه حين جمعنا لشتات الادارسة قبل هو يحيى بن يوسف بن يوسف بن يحيى بن إدريس بن عمر بن ادريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمهاوش، فلما إنتصر عليهم الفرنسيون واحتلوا أرضهم لجأ عبد الكريم المذكور مع بعض المجاهدين إلى كهف معلوم عند قومه كذلك، حيث بقي به محاصرا لمدة ثلاثة أشهر لم يخرج منه رغم نفاذ الزاد إلا بعدما إستعمل الفرنسيون بقيادة الجنرال گودو ومساعدة ولدى محمد أحمو الزياني حسن، وباعدي، ورجال القبائل الموالية للفرنسيين وسائل الضغط والتنكيل بأهله الذين كانوا يدفعونهم للمحاولة معه حتي يخرج من الكهف، وإذا لم يفعل فإنهم لجأوا إلى إشعال النار بواسطة العشرات من أحمال الحطب التي تجند لحطبها واشعال النار فيها العشرات من الرجال الذين كانوا يدفعون دخانها نحو الغار وقد دام ذلك أياما دون جدوى. وتلك لعمري بعض الجيوب المجهولة في تاريخ المقاومة الوطنية.

كانت المعارك في المنطقة ولسنوات ثلاثة ساخنة جدا، حيث أحيطت المنطقة بجيوش الاحتلال من جهة الشمال، والجنوب، فقد كان الذي قاد قوات الغزو الفرنسي من مكناس إلى تونفيت هو الجنرال نيجر الذي إحتل منطقة سيدي يحيى ويوسف في شهر يوليوز 1931 بعد معركتين عنيفتين، هما معركة أنفگو، وتازكزاوت، وحتى يستمر الاحتلال الذي لم يركز رغم قوة الحديد والنار. والتي أخضعت لحكم العبد الآبق التهامي الجلاوي(251) وصنوه وبذلك إحتل الفرنسيون، تدغة في نهاية شهر فبراير 1932 كما سنرى بعد حين كلامنا عن معارك آيت مرغاد في كلميمة وتاديغوست ذلك بعدما تركزت قوات الغزو في فركلة بتاريخ 11 من الشهر المذكور، وفي أعالي زيز إلى ينابعه بناحية وتربات، التي شهدت أعنف المعارك في شهر غشت من نفس السنة، وذلك من أجل إستطلاع ناحية أسيف ملول بآيت احديدو، إلا أن الغارات التي كانت تهب من حين لآخر من رجال آيت عطا جعلت القيادة الفرنسية تفكر في جلب أكبر قوة للمنطقة التي بدأ يتجه نحوها الأحرار من آيت مرغاد وآيت احديدو، وآيت حمو، بل وكل من عقد العزم على الجهاد

(251) كانت مهمة الجلاوي بالإضافة إلى ذلك هي تعرية ظهر الفيلاليين الذين كانت منطقتهم مستهدفة للغزو حتى يتفرغ الفرنسيون لآيت عطا، راجع مجلة لوليستراسيون حيث صورة التهامي وحمو في مخيمهما لقيادة معارك الغزو الفرنسي الذي أصبح تاريخ القوم الفاسقين جزء منه عدد 26 ماي 1928 رقم 4447 ص 542.

والمقاومة ضد الغزو الفرنسي، مما سيشد أزر العطاويين بعد في صاغرو وبوغافر كما سنرى 1933م.

كان المقاومون رغم ذلك قد طوقوا قوات الغزو الفرنسي في آيت يعقوب التي رأى الفرنسيون الشدائد قبل فك الحصار الذي قتل فيه من ضباط الفرنسيين ما سنتعرض لذكرهم بعد، ولئن كانت المعركة الفاصلة في حرب المنطقة هي "معركة تازكزاوت" وأنفگو، والتي بعدهما احتلت تونفيت واستسلم المجاهدون من آل يحيى ويوسف الادارسة، فمن هم هؤلاء ومن الذين أطروهم وقد تعرفنا قبل على آيت شخمان وزعيمهم علي أمهاوش، وأن الذي قاد المجاهدين في معركة تازكزاوت هو ولده المهدي أمهاوش وصنوه المكي.

الا شراف من آيت يحيى ويوسف أهل تونفيت الذين تبربر لسانهم ينقسمون قسمين:

- إيشاويين
  - آيت سيد أحماد
  - آيت الحاج
  - آيت سيدي اعلي
- العزاويين
  - آيت ابراهيم
  - آيت اعلي اعثمان
  - آيت احماد

ومن هؤلاء وغيرهم من القبائل كان المؤطرون للمجاهدين نذكر فيهم بعض الذين استشهدوافي المعارك وهم حسب رواية الزبير : علي أوليمام، والفقيه أوليمام، وعبد الله أوتكرات، وبلقاسم بن لحسن، وأحماد، ومحمد عبد الرحمن، وعلي بن محمد بويكلاس، وآيت أقجي محمد واسعيد، والحاج انهونا، وازاييى محمد، ومولود انعيشة بن أعزيز ومحمد أولحسن نايت الدرمون وغيرهم وغيرهم كثيرون جدا فقط من آل أمهاوش الحبيب، والمرتضى بن علي ومحمد بن علي والمكي بن علي والمصطفى بن علي، إذ هذه الأسرة هي التي قادت المعارك في المنطقة، لأنهم ورثوا روح الجهاد من الشيخ محمد العربي الدرقاوي رحمه الله، وهو الذي تعرفنا على جهاده وجهاد علي أمهاوش مع رفيقه م أحمد

الحسن السبعي رحم الله الجميع، على أنه لا يفوتني أن أشير هنا إلى أن لوائح الشهداء من آيت يحيى ويوسف آيت شخمان وآيت بومريم والتي رويتها في عين المكان بواسطة مجموعة من الأشراف ركز عليهم مولاي العربي رئيس الجماعة القروية حيث قضيت وقتا طويلا بينهم وفي منزل السيد الزبير المذكور.

ولقد أرخ الفرنسيون لمعارك المنطقة بما وضعوه فيها من نصب تذكارية في منطقة تونفيت، بما في ذلك المركز وما أحيط به، فقد كان في مركز تونفيت نفسه نصب كتب عليه :إنه أثناء شهر يوليوز 1931 بدأت عمليات تهدئة الأطلس الكبير التي استغرقت ثلاث سنوات وذلك بالاستيلاء على تونفيت، وسيدي يحيى ويوسف، إن أول غارة على تونفيت كانت في شهر يونيو 1929م، وكان الغرض منها فك الحصار على جنودنا في آيت يعقوب".

كان النصب الذي كتبت عليه تلك العبارات قد بنى في ملتقى الطريق ما بين تونفيت واقصيرت أوبركا، وبين سيدي يحيى ويوسف، كما كتبت العبارات التالية على النصب التذكاري الذي كان في أنمزي بنفس المنطقة.

"إلى أرواح الذين سقطوا في سنوات 1932 من أجل أن يشمل الأمن الفرنسي الأطلس الكبير "وقد كان النصب الذي يحمل هذه العبارات مشيدا في أنمزي قرب الطريق المؤدية من قصيرة أوبركا "تصغير قصر" إلى أنفگو وفي الواجهات الأخرى من نفس النصب كتب ما يخلد بعض المعارك ومنها: في الشرق عمليات 1931" معركة تونفيت وسيدي يحيى ويوسف.

والجنوب عمليات 1932 معركة أنفگو، وعلى بعد قمة العياشي امسگر غربا، عمليات1933" معركة تاغيغشت وتانغورت، وأسيف ملول واسكرسو، وحمدون وبادو.

وعلى النصب التذكاري الذي كان بالقرب من أنفگو، وعلى بعد كيلومترين شماله، بجانب الطريق المؤدية إلى تيزينت آقا، كتب ما يلي: "إلى أرواح الذين سقطوا أثناء المعارك القاسية لصيف 1932 التي أدت إلى إجتياز قمة جبل العياشي أمسگر، واحتلال انفگو وتاغريست وتازكزاوت "أيها الفرنسيون اعتزوا بالجنود الذين سقطوا تحت رايتكم وخاصة في معارك أنفگو وتازگزاوت، حيث حطموا المقاومة اليائسة لآلاف المتمردين".

ذلكم هو رثاء دهاقنة الاستعماريين المعتدين لذويهم. أما القبائل التي قاومت من أجل المغرب وكرامة المغاربة، بل وأبطالها الكرام فقد ضاعوا وضاع ذكرهم في الجيوب المجهولة، لكن تشاء قدرة الله وما قدموا لأنفسهم مما يجدوه عند الله إلا أن تكتب لهم الحياة بالذكر الجميل ولو بعد عشرات السنين من النسيان. وإذن من هي القبائل التي أذلت الفرنسيين في تلك المعارك التي كتب الفرنسيون لها من النصب التذكارية ما سبق، إنها قبائل آيت شخمان وأبطالها بقيادة علي امهاوش وأبنائه الذين هم المكي ومحمد المهدي، ومحمد المرتضى ومحمد المصطفى، وعلي بن يقطاه وعلى النساء للاعتو امهاوش.

أما المساعدون للقيادة من فروع آيت شخمان فهم محا وسعيد نايت المكي، مبارك نايت المكي محمد وعلي. محمد الحاج نيارش خو بواضيل، سعيد أعلي، سيدي العربي، سعيد ومن أيت شخمان كذلك: اعلي أداود وشقيقه إخلف، وباسو والغازي ويبّا وحمد والغازي وأهنين أمْزيل.

أما القبائل التي أطرها هؤلاء الرجال والتي خاضت معركتي تاركزاوت وأنْفكوفهي أيت سيدي بن علي امهاوش قرب سيدي يحيى أساعدْ وأغبالا، وسيدي يحيى أو يوسف ثم آيت سيدي يحيى أو يوسف الزاوية قرب تونفيت، ثم إيشقرن لقباب، وآيت أحمد قرب لقباب، وأيت علي ابراهيم بتونغيت، وآيت الحسين بتونفيت، وآيت فضول بتونفيت، وأيت عمرو قرب تازيزاوت تونفيت، وآيت سيدي احسين قرب تازگراوت غبالة نايت شخمان، وآيت احيني، والمهاجرون وعلى رأسهم موحى أزكاع، وأهل تاگزيرت دائرة لقصيبة موحى وسعيد آيت ورّا إلخ ولقد رويت هذه الاسماء الأخيرة عن الشريف السيد محمد القرطبي من آل يحيى يوسف وهو على جانب من المعرفة.

قبل أن تنتهي المعارك في منطقة القبائل المذكورة، انطلقت إلى منطقة آيت مرغاد التي كان العبد الآبق الجلاوي قد حل بمنطقة آيت اسنان تينغير، وقد ركبه الجنرال كاترو من مراكش إلى تدغة التي حل بها، كما حل الجنرال جيرو قبله، ولذلك تحركت قبائل آيت مرغاد من تينغير إلى گلميمة وتاديغوست، وگلميمة اليوم هي المركز الحضري لقبائل آيت مرغاد التي يوجد بينها كثير من الأشراف الأدارسة المعروفين بشرفاء آقا بمد الآلف وتشديدها، ومن العلويين خصوصا البلغيثيين أبناء عبد الواحد الملقب بأبي الغيث، بن

يوسف بن علي الشريف، وهم من أنبل العلويين خلقا واستقامة، يليهم لمرانيون من أبناء عمومتهم، وهؤلاء خير ما في العلويين.

وأما قبائل آيت مرغاد التي خاضت المعارك ضد الغزو الفرنسي قبل وفي هذه المرحلة 1931 فهي" آيت اعمرو امنصور، وآيت امحمد، وإربيبن، وآيت أيوب، وأكراض إيغسان، وآيت الزين، وآيت عيسى إيزم، وآيت اعمرو وگاحي، ومن "الحراثين" آيت ازباط وآيت وانكرفو، وآيت تيليوين، وآيت البرج ثم قبائل الناحية الغربية تيزكي، وآيت اسنان، وآيت إيگرطال، وتينغير، وتاكماست والحارث إيگرار من، وإمزاورو وهي غير إمزوارت، وقد سبق لنا ذكر مثل هذا الإسم وهو اسم مكان في قبيلة تمساهان بالريف، وفيها كان مركز مجاهدي الريف مع محمد بن عبد الكريم، ثم قبائل آيت عيسى وإبراهيم وإيماونو قدار وإيميطر.

كل هذه القبائل خاضت أعنف المعارك ضد الغزو الفرنسي، وقد أطرها مجموعة من الرجال لايزال ذكرهم يتردد على الألسنة، حيث ما حل الزائر لمنطقة قبائل آيت مرغاد، وحتى لا نقع في التكرار بذكر أسماء أولئك الأبطال الذين جاهدوا منهم تحت إمرة شريف العلماء وسيد الشهداء بالمغرب المولى أحمد بن لحسن السبعي المترجم له قبل، سوف لا نذكر غير أولئك الذين تعرض لهم صاحب المعسول(252) وهو محمد المختار السوسي العباسي الفيلالي رحمه الله والذي زار المنطقة عام 1958 ثم قام بدراسة ميدانية حيث روى عمن روى والعهدة على نزاهته فقد أورد أن الذين أطروا قومهم هم:

محمد أوعسا، وعثمان امنصور، على رأس آيت اعمروا منصور، ومحمد وارخو عن آيت محمد، ومحمد بن لحسن بعوان عن آيت إربيبن، وباسو وعدي ومحمد أحاتي عن آيت أيوب، وسكو والحو، عن آيت اكراض إيخصان والصديق بن حدو عن آيت الزين، وحموبن

---

(252) ج20ـ289 هناك لوائح جمعتها ولم أرتبها كما كنت أقصد ترتيبها معجميا، لكنها صودرت من خزانتي بواسطة الشرطة مع بعض مؤلفاتي يوم 14ـ6ـ1968 وقد أشرت إليها في كتابي التاريخ المفترى عليه في المغرب ص 218 ط 1969 .

علي، عن أسرير، وسكو بوهوش(253) المدعو ختوش عن گلميمة وزايد واسكنتي عن آيت عيسى إيزم،وأعرجي عن آيت امحمد أيضا وأحجار عن آيت عمرو وگاحي.

ولقد كانت المعارك الساخنة بين آيت مرغاد ومن ساعدها من قبائل آيت حمو واسعيد، وآيت صغروشن، في إيسدرم وگلميمة، وتاديغوست التي إحتلها في مقدمة الفرنسيين العميل "عدي وبه آيت ارهو"، حيث إشتبك المرغاديون الأحرار مع الذين كانوا معه من غزاة الفرنسيين، وبعض آيت ازدگ بالسلاح الأبيض، وفي هذه المعركة مات بعض المؤطرين للمجاهدين من آيت مرغاد، أمثال سگو وعتو من آيت منصور، وعلى وبعلي، من آيت امحمد، كما خاضها بشجاعة كبيرة سگو ويدير من آيت البرج وقد بقي حيا إلى عهد الاستقلال حيث أخنى عليه الدهر وأصبح وقومه تحت رحمة عدي وبه الذي نصب عاملا على إقليم تافيلالت في أول عهد الاستقلال، ثم اندفع بغرور وجهل إلى المغامرة الفرنسية المدبرة يناير عام 1957 والتي لولا عناية الله لاجهضت الاستقلال لأن عدى وبه "يقول كتاب التحدي ص 110 ط 2 "زود من الفرنسيين بـ 12000 بندقية رشاشة" ولولا تدخل شيخ الإسلام وظهوره في المنطقة لما أكتشف التدليس، ولدخل المغرب في دوامة مهلكة عمقها ضده الفرنسيون وعملاؤهم يتقدمهم عدي وبه. فكان سكو ويدير من الذين شاركوه في مغامرته التي إنتهت به إلى ظلام السجن، ولما أستنطق أجاب بفطرة حيث قال يقول من حضر: نحن أطعناه لأنكم إخترتموه ثم قدمتوه، كما إختاره الفرنسيون وقدموه» فكان بذلك خلاص المسكين سكو ويذير الذي أقصى ما بلغ هو الحصول على وظيفة نفر في القوات المساعدة التي بقي بها إلى أن تقاعد وعهدي به آخر المطاف في وارزازات، يعاني البؤس والإهمال والحرمان، في الوقت الذي يتغنى ببطولاته المعاصرون من آيت مرغاد، وامغرباه ترى من الذي هو وراء هذه الموبقات التي أحرقت الشرف والمجد وتدفع إلى التحول الخطير الذي سوف تحترق الأجيال المقبلة بنار مفترياته زمنا..

---

(253) وقد قيل عن ختوش أنه كان قارون زمانه المصدر السابق المعسول جـ 289/20. والجهاد في هذه الدار قديم فهم من أتباع الشيخ محمد العربي إلا أن ميلهم للمخزن بتأثير من التقي بن محمد العربي عرضهم لنقمة بعض آيت مرغاد في فترة من الفترات كما سبق أن وضحنا ذلك في حينه في ترجمة الشيخ محمد العربي وحركة الرجل.

عندما أقبلت جيوش الاحتلال على منطقة قبائل آيت مرغاد، وكانوا قد علموا ما تقوم به تلك الجيوش من نهب وسرقة للمواشي، رحل بعضهم من الذين هم في دائرة المعركة، مواشيهم إلى كردوس، خصوصا بعض أهل تاديغوست، ثم رجعوا لخوض المعركة التي دارت بشدة وعنف عنيف، بين تيزرت ، وسيدي بويعقوب، وإذا ما إحتل الفرنسيون تاديغوست التي سبقهم إليها كلب، صيدهم "عدى وبه" ثم نصبوا عليها حاكما هو، وتبولي تحت إشراف القبطان دوماسري الذي أراد أن يتخذ مركزه بقصر نايت اهناش، ثم قصر الشريف، فإنه لم يدخله إلا بثمن غال وبعد مقاومة شديدة من يدير واعراب من آيت أزياض الذي لم يستسلم، بل قاوم إلى أن قتل تحت ردم القصف الشديد الذي قام به رجال المدفعية من الفرنسيين المعززين بالطيران، وإذا ما تماسكت قبائل آيت مرغاد واشتدت مقاومتها فإن الفرنسيين دبروا لها حيلة إستطاعوا بها أن يفرقوا بين المتماسكين ويضعفوهم، ذلك أنهم دسوا لهم شخصا فرنسيا إدعى الانتساب لآل البيت الذين كان لهم أكبر اعتبار بين قبائل الأطلس المتوسط وقتها، ولما حل بتاديغوست إستطاع أن يخلط بين العناصر المتماسكة فيها، وما حولها، فوقع القتال الذي أودى بحياة ثمانين شخصا وجرح مائة وعشرون، ولما سمع الخبر محمد والعرابي من تينجداد، قدم للصلح بين الطائفتين، لكن المدعى الذي كان عليه أن ينفد المخطط المرسوم أمكنه أن يبذر المال ويدفع الحطب للنار التي لم تطفئها محاولة المصلحين بين الطائفتين فاستؤنف القتال، لكن سرعان ما تكاشف القوم فتبين ما كان غامضا بينهم، وكان الذي فضح لهم حقيقة المجرم، هو يدير واعراب الذي إرتاب فيه ثم أشار على قومه بذلك، فلم يعملوا بما أشار عليهم إلا بعدما استشهد يدير واعراب، ولما تحقق المتلبس أن أمره تكشف إتصل بالفرنسيين بعدماأوصد أبواب القصر، لكنه تعرض لهجوم عنيف مزقه شر ممزق قبل أن تدركه نجدة الغزاة الذين تقاطرت قواتهم برا وجوا بشكل مهول، الأمر الذي دفع بالجنرال هورى القائد العام لقوات الغزو الفرنسي، أن يؤكد على التمركز في منطقة غريس وتاديغوست، بواسطة قوات التخوم التي إنتشرت في فركلة ووادي يفغ، وسمكات، وأمسيد، كما وجه الجنرال دولوستال وكاترو، للإستيلاء على المنطقة الشمالية إلى آيت إسحاق، بعدما طوق بلاد آيت يحيى ويوسف، وآيت شخمان، ثم آيت احنيني

وغيرها من قبائل تادلة. وذلك حتى يستطيع الجنرال گودو إجتياز المضيقين المجاورين لجبل العياشي، وسكرة، وحتى تتمكن قوات الغزو من التحرك نحو تافيلالت واحتلالها نهائيا قبل أن يتواصل المجاهدون فيها مع آيت احديدو الذين إشتدت مقاومتهم، مما دفع بالجنرال جيرو إلى أن يتمركز بقوات كبيرة في جبل وتربات الذي سيحتله بعد في شهر غشت 1932م، وبعد إتمام إحتلال تافيلالت، كما توجه الجنرال گودو بقواته حيث تمركز في أغدو شمال غرب آيت احديدو، وبذلك وضعت منطقة جبل بادو وأسيف ملول داخل الكماشة، حيث كان الهجوم العام بواسطة كل تلك القوات وبقيادة الجنرالات الأربعة گودو، وكاترو، وجيرو، ودلوشال، وغيرهم من الضباط بتاريخ النصف الأول من شهر يوليوز 1933 حيث إستولوا على أمضغاس، وتم لهم أخذ أمضغوس، وكردوس وجبل حمدون في شهر غشت من نفس السنة، وبذلك إستسلم آخر المقاومين من آيت احديدو، وفي شهر سبتمبر إستولوا على آيت وارنرگي، وهذا ما سنتعرض له قبل تاريخنا لاحتلال تافيلالت التي كانت وقتها مسرحا لايت عطا الذين تجمعوا حول بلقاسم النگادي الذي كون له سلطتة في المنطقة.

ففي ملتقى طرق أكديم أملاكو تاگنطتشا، كان هناك نصب تذكاري كتب عليه تاريخ المعارك التي حصلت في أعالي وادي زيز وغريس:

"معركة امزيزل 1921

معركة آيت فركان ماي 1929

معركة تاحيانت يونيه 1929

معركة جبل اعديلا يوليوز 1930

معركة تابوعريبت واد أسوفا يونيه ويوليوز 1932.

معركة تانغريفت ابريل 1929

معركة البرج ماي 1929

معركة آيت يعقوب يونيه 1929

معركة أمور أمجديدر ماي 1932

معركة أقانبو تافريست أكتوبر 1932.

معركة سيدي امحند ايوسف يونيه 1933م"

وكان في المنطقة أيضا ثلاث نصب تذكارية أخرى، وذلك في المنطقة بين تاحيانت وآيت يعقوب، الأول خاص بالملازم الأول "لومارشال" الذي قتل بتاريخ 8-5-1929 ومعه 30 جندي، والثاني يعني القبطان"كيتان" الذي قتل في أقانبو أفريست بتاريخ 25-10-1932 وكان هذا قد هدمه عن جهل آيت عيسى إيزم سنة 1933 والثالث يعني الملازم الأول "روجي فيليبون" الذي قتل بتاريخ 26-6-1934.

وفي كلميمة كان نصب تذكاري، في الطريق إلى تينجداد على بعد 800 متر من كلميمة وقد كتب عليه تاريخ المعارك التالية: معركة تاردة غشت 1930

معركة فركلة إفغ فبراير 1932

معركة كردوس وأسكرسو غشت 1933

معركة أغنبو(254) ولالا وليا 18 نفمبر 1931

معركة جبل بادو بآيت احديدو سبتمبر 1933 كما سنرى.

---

(254) وكان في أغنبو نصب يخلد ذكر الكولونيل لونوار الذي قتل في نفس المكان، وآخر على مقربة منه يخلد ذكرى الجندي زينان الذي قتل هو الاخر في نفس المعركة والتاريخ.

الفصل التاسع والثلاثون بعد المائتين

آخر غزو لتافيلالت و آيت احديدو

في أسف ملول و آيت مرغاد

لقد كان احتلال تافيلالت بواسطة حشد من الجنزالات الذين سوف تدوسهم أقدام الألمان ولا يرفعها عنهم إلا المغاربة.

تقول مصدارهم أعد الفرنسيون لهذه المعركة قوات غير عادية، سواء بالنسبة للقوات العسكرية وأدوات الحرب، أو بالنسبة للجنرالات والضباط المشرفين عليها.

فمن الدبابات والمدفعية ما يكفي لحماية ظهر خمسة عشر ألف جندي و25 كتيبة وسبع وحدات، محمولة، وست طائرات بالإضافة إلى الفرق المختلطة الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين، ولعل هذا الفصل هو تتمة ماورد في الفصول السابقة 225 26–27–28 من هذا الباب حسب تاريخ المنطقة لكن ترتيب المعارك زمنيا والذي التزمت به في منهجي حتى تتركز فكرة الوحدة التاريخية عند القارئ ثم يربط وبالترتيب بين معارك المقاومة المغربية شرقا وغربا ضد الاستعمار الفرنسي الاسباني جعلني أسلك هذا النهج في الترتيب منذ الغزو الذي خطط له نابليون بعد طرده من مصر وتخطيطه لغزو الجزائر، بإيحاء من محمد علي القولي حاكم مصر وقتها لكن ما هي الجموع التي حاربت في تافيلالت وجبل بادو والتي أذلت الفرنسيين وقتها. إنها كما يلي وحسب الجدول التالي وهم من غير آيت عطا الذين تعرفنا على بعضهم وسوف نتعرف عليهم بتفصيل في معركة صاغرو بعد.

أشـرنا في الفـصل الخـاص بمعركـة البطحـاء وسلطنة التـزونيني اليـهـودي الأصل

وبلقاسم النگادي بتافيلالت 1918ـ فصل 224 قبل إلى ما كان لقبائل آيت عطا مع الفيلاليين وقتها من جهاد ضد الفرنسيين الذين كانوا بعد إحتلالهم لتافيلالت قد إستقروا في تيغمرت التي قتل فيها الحاكم الفرنسي لويستري الذي قتله المرحوم يوسف أزمو الركي وما كان للعطاويين من أثر في التغيير وتبديل الحياة السياسية التي إختفى فيها إسم المخزن، وحل مكانه سلطة الفوضى التي كان قوامها بعض كبار آيت عطا الذين إستمروا حتى بعد مقتل التزونوني الذي حل مكانه محمد بن بلقاسم أزروال النجادي من آيت دادة الذي هو الآخر لم يحسن التصرف، والذي أرهق الفيلاليين بظلمه واعتدائه حين تسلط عليهم ومعه مجموعة من السفاكين حكموا فيهم الحديد والنار كما إستغل روح التنافر والتباغض فيهم، فأصبحت منطقة تافيلالت مرتعا للصوص والمجرمين أمثال الحرطاني "أب اعلى من تزارين" الذي تسلح بعصابة كثيرة العدد من اللصوص والمجرمين، ثم أخذ يسطو على القصور، حيث كان يقتل أئمة المساجد ويتزوج من كل قصر حل به، لمدة أسبوع، كما عرفت المنطقة من أمثاله، صنو بلقاسم المسمى القوبع، وأحمد الزربا والماحي، وغيرهم من الذين لا يزال المواطنون يرددون بمرارة ما قاموا به في المنطقة من أعمال النهب والسلب، شغلتهم عن قتال الفرنسيين زمنا وإذا كان هؤلاء الأفراد الغرباء قد إستطاعوا فعل ما فعلوه، فإن وسيلتهم في ذلك كانت هي جموع من آيت عطا الذين سجل التاريخ سهولة إنقيادهم لمن إستطاع أن يستميلهم ويستهويهم، ناهيك وأنهم كانوا سرعان ما يميلون ويقبلون على من يحرك فيهم روح الفروسية والغزو باسم الجهاد وقتال النصارى، بل وقتال الذين يخضعون لحكم المخزن والنصارى وإذا علمنا أن منطقتهم وأماكن وجودهم ما بين وادي درعة وبذنيب جنوب واحة تافيلالت أمكننا أن نتصور ما هم عليه من شظف عيش وظروف قاسية، مما كان يدفع بعضهم إلى محاولة تبديلها بما في يد الآخرين حلف آيت يافلمان ممن ليسوا من حلفهم، ولذلك كانت غاراتهم على سكان شمال منطقتهم خصوصا وادي غريس وتيزيمي وتافيلالت لا تنقطع إلا إذا هم وجدوا الرادع والموجه كما سبق، وعندما أصبح التزونوني وسيلة، تجمع سكان المناطق الشرقية منهم، ثم بعده محمد بن بلقاسم النجادي، وجدوا ضالتهم وماكانوا ينشدون باسم قتال الغزاة من الفرنسيين تارة، وأخرى ضد الذين إنحازوا

للمخزن، وأصبحوا يناصرون جيوش الاستعمارباسم السلطان الذي استعمله ليوطي والصدر كاباص، محمد الجباص وإذا لم يكن لا هؤلاء ولا أولئك، كانوا يثقلون على الفيلاليين وما حولهم باسم وجوب تموينهم للمجاهدين، وحتى إذا ما تراجع الفرنسيون منذ 1918 وبعد معركة البطحاء عن تافيلالت إلى أرفود التي تركزوا فيها، فإن الذين كانوا مع ابن بلقاسم من العطاويين وأهل تافيلالت، خصوصا أحلافهم وأهل أبو عام كما سبق، كانوا يفزعون إلى أرفود حيث كانوا يقلقون راحة الفرنسيين، بل كانوا يقومون بغارات هنا وهناك وعلى أيديهم قتل الكثير من الضباط والجنود في المنطقة اغتيالا، الأمر الذي دفع قيادة الجيوش الفرنسية في المغرب إلى أن تضع جنوب تافيلالت في دائرة نفوذ الجنرال جيرو الذي كان وقتها قد تمكن من ربط صلة الود مع جماعة كبيرة من العمداء "القواد" الذين نصبوا في المنطقة كما بينا قبل، وفعلا ما كاد الجنرال جيرو يخبر بذلك حتى وضع مخططا للقضاء على تلك الغارات التي راح ضحيتها العشرات من الجنود الفرنسيين ما بين وادي الساورة وبوذنيب وأرفود في مقدمتهم الجنرال Clavery كلافري والسرية التي أبيد خمسون منها في جيهاني وكذا معركة المنابهة التي صال فيها المجاهد المؤمن والعالم الجليل مولاي أحمد بن الحسن السبعي كما سبق.

وهكذا ركز على إحتلال الطاوس حيث جماعة آيت خباش فرقة من آيت عطا كما سنرى، وذلك بتاريخ أوائل مارس 1931 بعدما إستسلم كبار الجماعة المذكورة بتاريخ فبراير في امغيميم، ثم بدأ جنود الغزو الفرنسي سيرهم نحو الطاوس في اليوم التالي، وبذلك طوقت واحة تافيلالت من الجهات الثلاث، ناحية الشرق والشمال والجنوب، بل وبذلك أصبح ميسورا للجنرال جيرو أن يخطط لغزوها من مركزه في بوتاريت الواقع في سفح هضبة الحمادة فوق الواحة، وحيث جمع وحدات جيشه في امغيميم، ثم أخذ يوزع الأدوار على من كان تحت قيادته من الضباط الذين كان من بينهم دوبورنازيل الذي تعرفنا على ما قام به في حرب الريف، والذي بعدها إنتقل إلى بوذنيب مرورا بميس بولمان وبوخموج ومن بوذنيب نقل إلى أرفود التي أسندت له فيها قيادة أربع فرق من الچوم "المغاربة" يقول عمه هنري دوبوردو، وتمركز بها في الضواحي إستعدادا للمشاركة في عمليات نفمبر وديسمبر 1931م كما شارك في عمليات التطويق لواحة تافيلالت من

الشمال على وادي غريس، وربط الاتصال بين فركلة وتدغة، وبين القادمين من جنوب مراكش والوحدات المتجمعة على خط تاردة، لگفيفات شرق أرفود "وفي ليلة ما بين 17ـ18 نفمبر 1931 يقول هنري دوبوردو، نقلا عن مراسلة إبن أخيه بورنازيل ـ تم الاتصال على خط المرتفعات التي تطل على نخيل غريس وتاديغوست" وكانت مجموعة بورنازيل تستهدف نخيل توروگ، وبحكم ما آلت إليه الأوضاع من تذمر التروگيين، وأهل الجرف من بن بلقاسم، وجماعة "القتاليں واللصوص" ممن حوله، مثل أب اعلي وأحمد الزربة وجماعة اللصوص يتقدمهم الماحي الذي قتله أهل مسيفي بالغرفة الأمر الذي جعل المواطنين يملون من تصرفات بلقاسم وجماعته ولذلك لم تواجه تلك القوات التي كان على رأسها بورنازيل غير مقاومة بسيطة، وإن كان قد قتل في المنطقة القبطان "دوماسري" والملازم "دورجي" والأول سبق أن تعرفنا عليه في تاديغوست، والمعارك التي خاضها الشهيد المرحوم يدير واعراب الذي قتل ردما تحت قصف الطيران والمدافع الثقيلة بقصر الشريف ونايت اهناش.

بعد هذا الحصار تقرر أن يكون الهجوم على تافيلالت يوم 15 يناير 1932 خصوصا وأن الجنرال جيرو بما دبره من صنع للكماشة حول تافيلالت إستطاع أن يحكم حولها الحصار حتى يتمكن من إحباط أي هجوم، وحتى يتمكن من القبض على بن بلقاسم النكادي ومن معه من رجال آيت عطا وآيت حمو وسعيد، وغيرهم من الذين كانت منطقة تافيلالت مكان تجمعهم من أجل مقاومة الفرنسيين، ومن أجل ذلك قام الجنرال جيرو بتضييق الحصار على منطقة تافيلالت التي هي قصور بني محمد، والسيفة، واسفالات، ووادي يفلي، والغرفة، بحيث ضيق الكماشة من وادي أمربوح على الحد الشرقي للخط الرئيسي گاوز ثم جعل المسؤول عنه الكولنيل :اترينكي"، ومن وادي أغريس على المرتفعات إلى الحد الغربي لخط الريش گاوز، تحت قيادة الكولونيل "دونيس" ومن كارث وبني عدي تحت قيادة الكومندار "لويي" أما مجموعة "كورني" فقد قرر أن تحتل قصر الدار البيضاء تافيلالت وأما إحتلال الواحة نفسها فقد أسند إلى الكومندار "شميت" على رأس وحدتين، الوحدة"ج" تحت قيادة القبطان بورنازيل والوحدة س بقيادة القبطان تْيابُو الذي عُين له مركزه يَزْوينت إلى السيفة ثم الريصاني، وبني محمد، معززا بالكومندار "شميت"

وفعلا انقضت القوات التي كانت مع بوزنازيل على منطقة الغرفة وزاوية الماطي، وقصر "سيدي الغازي" ثم تمركزت بقصر الجديد بالغرفة، بحيث لم يقتل أي جندي ممن كانوا معه لأنهم كانوا معززين بالطيران، ولأن روح الحماس بين المجاهدين قضت عليها تصرفات بلقاسم الجاهل وجماعته المتهالكين من الخليط العطاوي وغيره ممن كانوا مع الغرالغبي بل العميل المتحول بلقاسم الذي أرهق أهل الغرفة بشكل جعلهم يستريحون للخلاص منه وممن معه، أما القبطان تيابو، فإنه لقي مقاومة عنيفة في تيزوينت، وأما قصبة الريصاني فإنها تعرضت لقصف الطيران الذي دمر معاملها وحولها إلى خراب فرعنه بن بلقاسم وجموع آيت عطا وآيت حمو، مخلفين وراءهم كل ما جمع من مال كان قد حفر له ابن بقاسم في مكان بقي مجهولا حتى اليوم، وإن كان قد أخبر به بعض معارفه أيام كان بتاندرارة أخريات حياته، وإذا ما دخلت جيوش الغزاة قصبة الريصاني في الساعة الثانية بعد زوال يوم 15ـ1ـ1932 فإنه في المساء قدم أحد أعيان زاوية علي بن زاينة على بورنازيل ثم أخبره أن خليفة بن بلقاسم محمد ولد محما يوجد في أحد القصور فأسرع إلى تطويق القصر حيث إعتقل الخليفة المذكور ثم احتجزه بورنازيل مع جماعة من العطاويين وغيرهم في القبة الصغيرة التي بقيت سليمة في قصر الريصاني الذي كان قد بناه المولى سليمان أيام خلافته لوالده بتافيلالت عام 1203هـ/1788م وهو العهد الذي كان فيه أبو القاسم الزياني عاملا على الإقليم حيث تعرف داره حتى اليوم بدار الزياني، والتي تعرضت هي الأخرى للقصف والتدمير، وفي مدخلها تجمع الذين جاءوا لتسليم اسلحتهم كما نرى في الصور المنشورة في الكتاب.

وهكذا ففي صباح يوم 16ـ1ـ1932 تأكد بأن بن بلقاسم كان قد فر بعيدا ناحية الغرب إلى قصر تانيجويت، وأثناء مطاردته قتل أخوه القويع الذي ترك ولدا هو اليوم لحام بتاندرارة بينما إستطاع هو أن ينجو مرة أخرى، وفي اليوم التالي 17 يناير وصل إلى منطقة رگ حيث أخذ طريقه صحبة الذين فروا معه إلى منطقة درعة ويقول المرحوم محمد المختار السوسي في كتاب المعسول(255) "أنه فر إلى سوس في سنة 1349هـ(256)

---

(255) ج 16ـ305 كان رحمه الله بدافع شهامته قد تحمل المشاق وقام بدراسة ميدانية عام 1959.

(256) وهذا التاريخ غير صحيح لأنه يوافق1930 وإذا كان المرحرم محمد السوسي طيب الله ثراه في دراسته الميدانية يتلقى الروايات من أهل البلد معتمد ين على الذاكرة وقل أن يخطؤا. فإن المعارك التي لها تاريخ سواء عند الغزاة أو بعض الفقهاء أصبحت معروفة بدقة: مثل احتلال تافيلالت وفرار بلقاسم منها.

وجاءت معه طائفتان من آيت خباش وآيت حمو، فنزل في تامانارت ثم تاغجيجت ثم "يفران" وكانت تلك الجهة إذاك لاتزال تدافع الاستعمار، وهي تلتف حول مربيه ربه، ابن الشيخ ماء العينين فلم يلبث من كان مع النكادي أن تسلطوا على "إيشت: إذ ذاك فاحتلوها بعدما قتلوا ونهبوا وأجلوا من فيها، ثم لم يزالوا فيها إلى أن جاء الاحتلال لتلك الجهة في آخر 1352 و1934"فهرب النكادي وهاتان الطائفتان إلى جهة آيت باعمران فلحقتهم الجيوش الفرنسية والطيارات فردتهم، فأما آيت خباش "و"آيت حمو" فقد أرجعهم الفرنسيون إلى بلادهم وأما النكادي فقد ذهب إلى قبيلة "أنكاد" حيث بقي نحو عشرين سنة ثم لم يمت إلا بعد الاستقلال بسنتين هذا ما ورد في المعسول، والواقع أن بلقاسم النكادي ألقي عليه القبض في بداية مارس عام 1934 ثم أخذ منفيا إلى قرية العيون ثم نقل إلى تاندرارة التي بقي بها إلى أن توفي عام 1952م وكم لمعارفه بها من نوادر كان يمضي بها الوقت مع كل من مولاي أحمد الصغير والحاج عبد القادر التنوري وهي نوادر تدل على خرافة الرجل وما كان عليه عقله الصغير من جهل وغباء وبتلك الخرافات سيطر على العطاويين كما سبق بل واستعملهم حسب هواه وهو الخرافي الذي كان ينتظر عودة "مولاي محمد" أبو حمارة فوجده في المسمى لحسن بن امبارك التوزونوني وهو المشعوذ الذي ما كاد بلقاسم يراه حتى قال وبلا شك بطريقة بهلوانية، إنه مولاي محمد.. قيل أنه كررها ثم كررها ومن يومها أصبح حفيد اليهودي الذي كان بشعوذته يبحث عن السلطة فحققها له العطاويون الأشاوس ماديا السذج البسطاء عقليا، لكنه لم يكن بالنسبة للرجل إلا مطية سرعان ما قتله ثم حل مكانه بطريقة كلها ريب وحيل وبهتان تكشفت بتعدد زوجات الأول والثاني وتلهفهما على المال بطريقة نشرت الفقر والحرمان والفتن بين الفيلاليين.

ومهما يكن فإنه بتاريخ 18ـ1ـ1932 إستسلمت جماعات تافيلالت واحدة تلو الأخرى بمحضر جماعة من الجنرالات يتقدمهم الجنرال هوري وجيرو، ثم أخذ الرجال يسلمون أسلحتهم التي كانت تجمع ثم يلقى بها في حفرة، ويصب عليها وقود البنزين ثم تشعل فيها النار، وبعدها تجمع مواسيرها التي كانت بعد دقها تباع للحدادين الذين كان يشترط عليهم أن يحولوها إلى صفائح للبهائم، ووقتها تم تعيين القبطان، بورنازيل حاكما

لإقليم تافيلالت، في الوقت الذي كان فيه القبطان اثيابو حاكما لأرفود، وهو الذي تقول عنه الأغنية الشعبية: تيابو مع اصحابو في جهنم ينصابو إلخ

لكن هل إنتهى كل شيء بعد غزو تافيلالت واحتلالها، وهل أمكن للفرنسيين أن يحكموا المنطقة دون استعمال قوة الحديد والنار وتحكيم السيف في الرقاب، وهذا ما كان على الحكام الجدد في المنطقة أن يقوموا به وأن يصبح كل واحد منهم في المنطقة التي نصب عليها، عبارة عن اليوطي في زمانه، بل بعقلية قليلة التجارب عنيفة السلوك، حاقدة لا تعتقد أن عليها القيام بمهمة غير الانتقام من الذين كانوا السبب في قتل الضباط والجنود الذين أقيمت لهم النصب التذكارية هنا وهناك، ولقد زاد نار الحقد إشتعالا في نفوس الطغمة المذكورة عودة النضال إلى منطقة آيت أحديدو حيث بدأت حركة جديدة يقودها أحد الأشراف الأدارسة من الذين تبربرت ألسنتهم وهو المسمى سيدي بن احماد نايت سيدي من قصر تيلمي(257) والذي تجمع حوله كبار آيت احديدو من جديد، بما فيهم أهل أگدال وأسول وإميل شيل، وتربات، وأنفگو، وأموگر، ثم صعدوا إلى جبل حمدون وبادو، ولئن كانت هذه المنطقة قد جمعت بين مجموعة من الجنرالات الذين إتفقوا على وجوب إقبار المقاومة فيها قبل أن يتجمع فيها المقاومون من قبائل آيت شخمان وآيت يحيى وزايان، وآيت مرغاد، وتادلة، ثم آيت ورا وآيت صغروشن، وآيت حمو، وهي القبائل التي حصل الربط بين زعمائها ثم توجه بعضهم للمنطقة مما دفع قوات الغزو وكما أشرنا قبل إلى حصارها بواسطة وحدات الجنرال جيرو شرقا وغربا، والجنرال گودو، من ناحية مكناس والجنرال دولوسال من ناحية الشمال.

لكن هذه المرة كانت القيادة ورجال المقاومة قاصرة على آيت احديدو، حيث تجمع حول الزعيم المذكور سكان قصور أگدال أسيف ملول تيماريين، وأگديم وآيت اعمرو

(257) عرف في هذه المعركة أكثر "زايد اسكنتي" رحمه الله، ولم يكن في الواقع غير تابع للزعيم سيدي بن احماد نايت سيدي السوسي الأصل كما هو ثابت ومؤكد عند الكثيرين جدا من الذين خاضوا تلك المعارك (1933) وهم اليوم على قيد الحياة، 1959 وبالتالي إذا كان اسكنتي مرغادي من آيت الطالب الرحالة فإنه ليس من المقبول أن يرضى قيادته كبار آيت احديدو حسب تقاليدهم خصوصا الأدارسة منهم وهم آيت ابراهيم إلا إذا هو برهن عن جدارة واستحقاق، وتقول الرواية إنه كان رجل مروءة ودين وشجاعة رحمه الله ونعرف بعض خلفه الذين هم حتى اليوم يتصفون بذلك.

ولغنى، وألمعو، وإيملوان، وهم المشار إليهم في الجدول أول الفصل والذين أطرهم إلى جانب الشريف السوسي سيدي ابن احماد، كل من السيد محمد بن الطيب شيخ قصر سيدي الهواري وآيت احمايو محا واحمايو كبير المحلة، وأرهو واحمايو، وكلاهما من قصر تيماريين، وعلى خلفى من قصر وتربات يحيى والصغير، ولقد كانت المعارك ساخنة جدا في هذه المرة، ولولا أن الزعيم سيدي بن احماد تعرض للقتل غدرا في تيزينت امغورت مقابل قصر تيلمي الواقع بعد أنفكو، وهو يصلي العصر، حيث قتله بعض المجندين مع الفرنسيين الذين تسللوا للمنطقة وكانوا تحت إشراف الكولونيل "بيرطة" قائد حامية ميدلت، كما قتل في معارك قبل وبعد كل الذين أشرنا إليهم قبل وغيرهم أمثال علي احداش وإخوته إبراهيم وعثمان، ومحمد وسعيد، وكلهم من آيت احداش أسرة عرفت بالشهامة والاعتبار في قصر أسيف ملول، وغيرهم من الأبطال الشهداء الذين لا يزال ذكر أسمائهم على ألسنة الأحياء منهم وهم بالمآت كما يؤكد أهلها، وكم أتمنى أن ينهض من أبنائها المحرومين اليوم كما كانوا بالأمس من يتعلم ويقوم بدراسة ميدانية في المنطقة المهملة والضائع أهلها حتى اليوم.

كانت آخر المعارك في فاتح يوليوز 1933 بإشراف الجنرال هوري، وهي تلك التي تم الاستلاء بعدها على قلب آيت احديدو حيث قام الجنرال كاترو، والجنرال جيرو بالمسح لمنطقة أمضغاس بمساعدة الجنرال گودو، الذي إستولى على أمضغوس، وكردوس وجبل حمدون، أثناء شهر غشت، وفي آخر الشهر إستسلم آخر المقاومين الذين كانوا قد التجأوا إلى جبل بادو بعد مقتل سيدي بن احماد الزعيم الروحي للمعارك رحمه الله، وبذلك أصبحت القصور التالية تحت رحمه القوات التي أطلقت يدها في تلك القصور التي سكانها ما بين آيت مرغاد وآيت احديدو وهي: آيت داود أعزي، وسكانه آيت احديدو، وتومليلين، وسكانه آيت مرغاد، وآيت لحسن وسكانه أشراف أدارسة وتيمولا، وهم من المرابطين، وإيقدمان، وسكانه آيت مرغاد ومنه زايد واحماد، الذي سنتعرف عليه بعد، وآيت هاني وسكانه آيت احديدو، وتيزگاغين وأسينگ وسكانهما آيت احديدو، وتيدرين آيت مرغاد، ثم قصور تامتوشت الخمسة وقصر يطو افزو في جبل حمدون.

ولقد عرفت منطقة الأطلس وجنوب المغرب من النصب التذكارية ماشيده الفرنسيون

منها في كل مكان بحيث ما كادت المعارك تنتهي حتى زركشوا المنطقة بتلك النصب لتبقى دائما كمنبه على ما يجب على الحكام العسكريين أن يتصفوا به من حقد نحو الأهالي، ذلك الحقد الذي كان يتجدد وترتفع حرارته كلما استبدل حاكم في منطقة أو حصل ما يدعو إلى الضغط والكبت عندما يعرف أن منطقة ما من مناطق البادية ظهر بين أفرادها تحرك في إتجاه مضاد، وهكذا بالإضافة إلى ما سبق تسجيله من نصب في المنطقة من تادلة إلى كلميمة بعد إحتلال تافيلالت وآيت احديدو فقد شيدوا من تلك النصب التي كتبوا عليها تواريخ المعارك ما يلي:

1) في باب قصر المعاضيد وعند المدخل الشمالي منه كان هناك نصب كتبت عليه تواريخ المعارك التالية معركة المعاضيد نفمبر 1916

معركة كاوز تافيلالت غشت 1918

معركة جيهاني أكتوبر 1929

معركة حاسى مرضاني ماي 1930

معركة زوكة ابريل 1931

معركة رأس لحمادة يونيه 1932

معركة تيغمرت سبتمبر 1918

معركة الصفصاف إبريل 1930

معركة امغيميمة الفوقانية يوليوز 1930

معركة ميدر، مارس 1931

معارك تافيلالت من 6 إلى 15 يناير 1932.

معركة تاغيا يناير 1933

معركة ايت الغازي 1933

معركة تيمدومين يناير 1933

2) وبالإضافة إلى ما كتب على النصب الذي شيد.في أنمزي مما يعني الفيلق المتحرك لمكناس، مما أشرنا إليه قبل حين كلامنا عن معارك آيت شخمان وآيت يحيى ويوسف تونفيت، فقد شيدوا نصبا تذكاريا آخر خاص بمعارك 1932ـ1933في المنطقة

الممتدة بين الضفة اليسرى لوادي أحنصال، والضفة اليسرى لوادي العبيد، ثم الضفة اليمنى لأسيف أغدو، ووادي أسيف ملول ـ شيد النصب في باب النوياد ببلاد آيت احديدو، وقد كتبوا عليه ما يلي:

"إلى أرواح الضباط، وضباط الصف، والجنود، والمساعدين والمتطوعين الذين سقطوا في سبيل تهدئة الأطلس الكبير".

3) وفي الطريق الرابط بين آيت هاني وأسول على مشارف اغبالون كردوس، كان هناك نصب تذكاري كتب عليه ما يلي:

"هنا تم خرق مضايق غريس يوم 6 غشت 1933

4) وفي أسكرسو بجبل بادو، وكان هناك نصب كتب عليه ما يلي:

"يوم 26 غشت 1933 صعد المساعدون التابعون لمجموعة مراكش "أسكرسو" واستولوا على جبل بادو، آخر معقل للمتمردين"

5ـ10) كان في نفس المنطقة ست نصب أخرى تخلد ذكرى القبطان "روسو" الذي قتل في كردوس يوم 5 غشت 1933م وبتاودات آخر يخلد ذكرى الملازم أول "دوفر فراكنيو" الذي قتل في كردوس بتاريخ 7 غشت 1933م على بعد كيلومترين، وآخر جنوب آيت عبد السلام، يخلد ذكرى الملازم أول "دوسوراس" الذي قتل أيضا في كردوس بتاريخ 9 غشت 1933، وفي تاغنبوت آخر يخلد ذكرى الملازم أول "كينيد" الذي مات متأثرا بجراحه في معركة كردوس، بتاريخ 9 غشت 1933 وفي اغبالون كردوس كان هناك نصب يخلد ذكرى القبطان دوبير الذي سقط في كردوس بتاريخ 11 غشت 1933، وتقول رواية بعض الذين كانوا ضمن قافلة المستسلمين أنه لما ألقى القبض على شقيق الزعيم المذكور مهدي بن احماد وهو المسمى "سيدي لمقدم" الذي خاطبه الجنرال لوسيان سان بواسطة الترجمان قائلا لقد ضيعتهم أنفسكم وضيعتم رجالنا معكم، فأجابه بقوله: نحن لم نضيع لأننا مجاهدون في سبيل الله. قيل فتبدل وجه الجنرال لوسيان سان ورغم ذلك طأطأ رأسه، احتراما للرجل كما يظهر في الصورة. وأما الجنوب فقد كانت النصب التالية:

11) في امسيسي كان هناك نصب يخلد ذكرى الملازم فرومانتان الذي قتل بتاريخ 11ـ2ـ1932 وفيها قتل العميل المسمى حبيبي بن هدى الذي نصبوه قائدا على المعاضيد ثم

مات على ملة الكفر فلم يذكروه احتقاراً لأنه كلب من كلاب صيدهم.

12) وفي مركز النيف كان هناك نصب يخلد ذكر الملازم أول بيني الذي قتل في صاغرو بتاريخ يوم 28ـ2ـ1933.

13) وفي آيت سادن كان هناك نصب يخلد ذكرى الملازم أول "برانكلي" والرقيب أول "بولوني" والعريف أول :رولو" وكلهم قتلوا بصاغرو ما بين 21ـ2ـ1933م.

14) وفي للاّ وليا بآيت مرغاد، كان هناك نصب يخلد ذكرى الملازم "دوميستر"، والملازم "دورجي" اللذين قتلا في نفس المكان بتاريخ 18ـ7ـ1931م.

15) وفي أزگين كان هنا نصب يخلد ذكرى الملازم الأول "دارو" الذي قتل بتاريخ 29ـ5ـ1932م، وإلى هنا نكون قد إستوفينا الكلام عن آخر المعارك بإقليم تافيلالت وآيت احديدو، ثم آيت مرغاد، وغيرها من المواقع التي أقبر فيها المعتدون وبقي لنا الحديث عن آيت عطا الذين لم يسجل التاريخ على قبيلة ما في المغرب ما سجله على هذا الحلف وقبائله التي شرفت إسم المغرب وأعطت صورة جميلة عنه بمواقفها التي ستبقى ما بقي التاريخ شاهدة على أن الشعوب لم ولن تكون قط بضاعة يتاجر فيها الأقوياء، ومن يخونوا الأمانة من عبيد الشهوات وساقطي الاخلاق، والدخلاء ، الذين لا يخلو منهم زمان ولامكان، أشير هنا إلى أنه مامن ضابط قتل إلا ومعه المآت من الجنود.

وأعود فأكرر أنه بعد الاستقلال وحتى اليوم وقد مضى على إستقلال المغرب أكثر من عشرين سنة. لم تعرف منه هذه المناطق غير سلطان القهر بتزوير الإرادة والإفتراء على الديمقراطية. أما في مجال الاجتماع والاقتصاد والثقافة فذلك مجال تاريخ مرحلة ما بعد الاستقلال التي خلد القوم، المفلسون فيها من المآسي ما سوف يذكرهم التاريخ بما سجله في حقهم في هذه المرحلة التي تعددت مصادرها بشكل ما كان المرء يتصوره ولايظن أنها ستكون بهذه الغزارة والقوم رغم ذلك في غيهم يعمهون، وصدق الله العظيم."فسوف يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" بفنادقهم وخمورهم وشركاتهم ومزارعهم وبنوكهم والأموال التي إختسلوها والحقوق التي اغتصبوها من شعب أصبح يتعقد ويتمزق بسبب ما يعيش ويرى من مآس ويحيى من ويلات ويقاسي من أزمات، بل تتكاثر أعداده بلا أمل في استقامة القوم.

إن الحياة مهما طالت بالنسبة للأفراد لها نهاية وبالنسبة للشعوب فهي دقائق وثوان، وبالنسبة للتاريخ فهي خلود وبقاء ولكل ما يختار ويريد وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أرخ مؤمنا فكأنما أحيا" وبالمثل من أرخ فاجرا ظالما فاسقا فكأنما أحياه. إذ المرء حي مادام يذكر، إن بالخير أو بالشر، وحكم التاريخ الحق لا يعرف التقادم، بل ولا يعرف النقض، وبالنسبة لمن يتولى الشؤون العامة فإن القاعدة التي قررها الشارع رحمة بعباده في قوله تعالى "إن الحسنات يذهبن السيئات" لا مجال لها مع إرادة الغدر التي يقدم عليها المرء وقد أسندت إليه المسؤلية العامة لأنها تتعلق بالناس وحياتهم ومصائرهم. ولعله للتفصيل في هذا الموضوع مجال آخر لم التزم به في المنهج الذي قررت.

وآخر ما أقوله للذين يغدرون بالشعوب ولا تقف شهواتهم الحيوانية عند حد، في الوقت الذي يرون شعوبهم المقيدة المحرومة تتكاثر أعدادها للفقر والجهل والمرض أقول لاولئك المعتدين والله وبالله وتالله لابد وان تدفعوا الحساب في هذه الحياة إن عاجلا أو آجلا، وأنه لا يبقى لحساب تلك إلا إثنين في المائة حسب مفهوم الحساب الذي تعارف الناس عليه، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولكم في التاريخ تاريخ الماضي القريب والبعيد من عبر وصدق الله العظيم "فاعتبروا يأولى الأبصار"، ومن لم يعتبر لا داعي لقراءته لعلم التاريخ. ولقد ختمت هذا الفصل بما لم يسبق لغيره وذلك بدافع ما أعرف وأعيش من مرارة ما يحياه أولئك الضعفاء الذين لم يرحمهم الاستبداد حتى انه نصب عليهم ولد اخناتة الشرقية بعد ما ذل هو وأهين خطرى. كنائب عليهم في البرلمان وهو لم يعرفهم من غير أن يكون لأي منهما ما يبرر نيابته شرعا وعادة ولم يعرفوه وهما اللذان لا محالة سينفد فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "اياكم وشهادة الزور فإنها تذر الديار بلاقع" أي بخرب البيوت، وأشد منه خراب الأبدان. وقد حصل للاول وينتظر الثاني وعد الله الذي ليس لنا ملجأ إلا إليه وهو الوعد الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم.

معسكر فرنسا في معركة أسيف ملول بأيت احديدو لوليستراسيون 1923/9/2 ع 4722 ص7

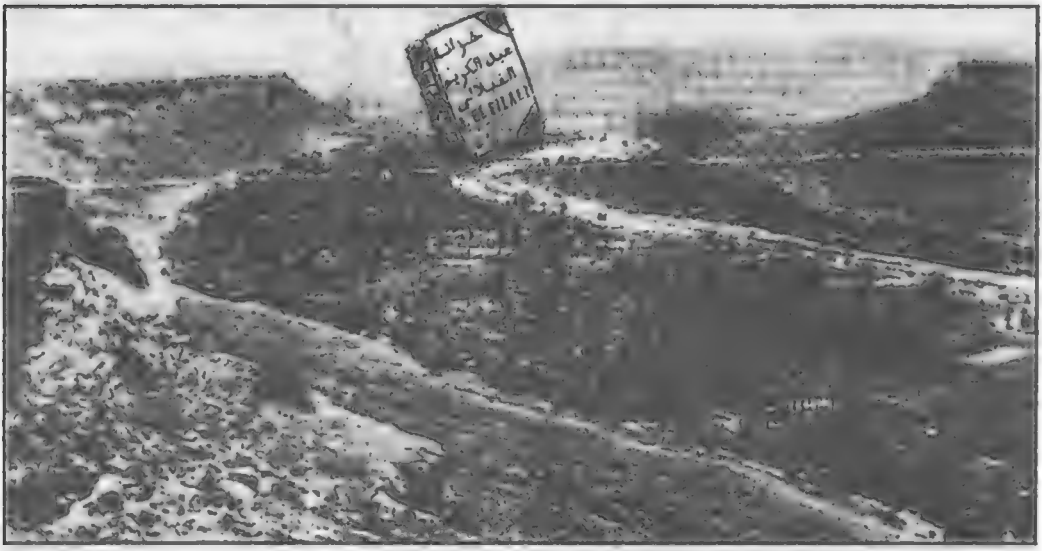

الدخول لمدينة الرفود لوليستراسيون

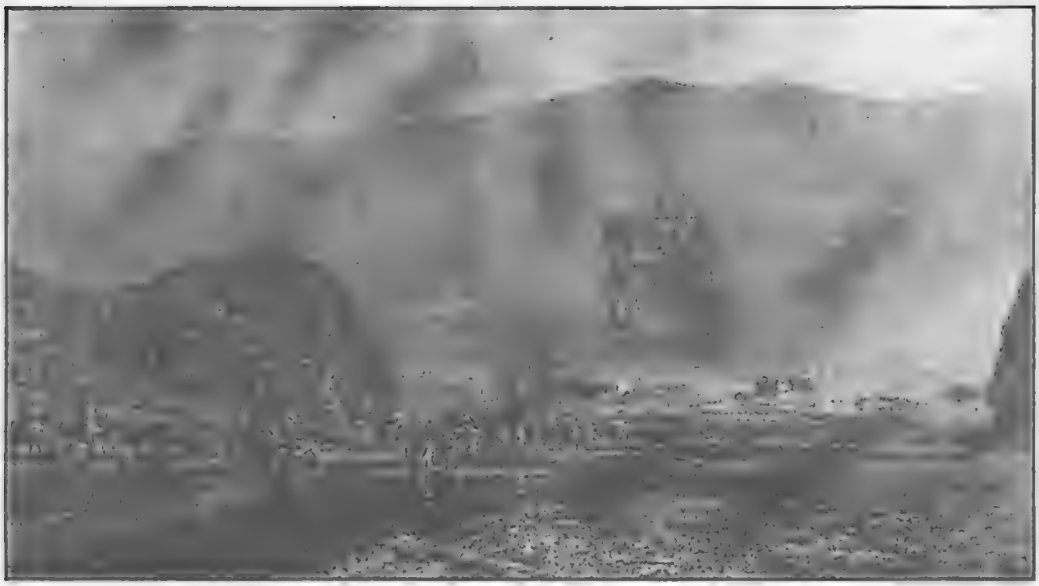

قوافل معركة آسيف ملول بايت حديدو اكدال راجع لولستراسيون 1933/9/2 ع 4722ص7

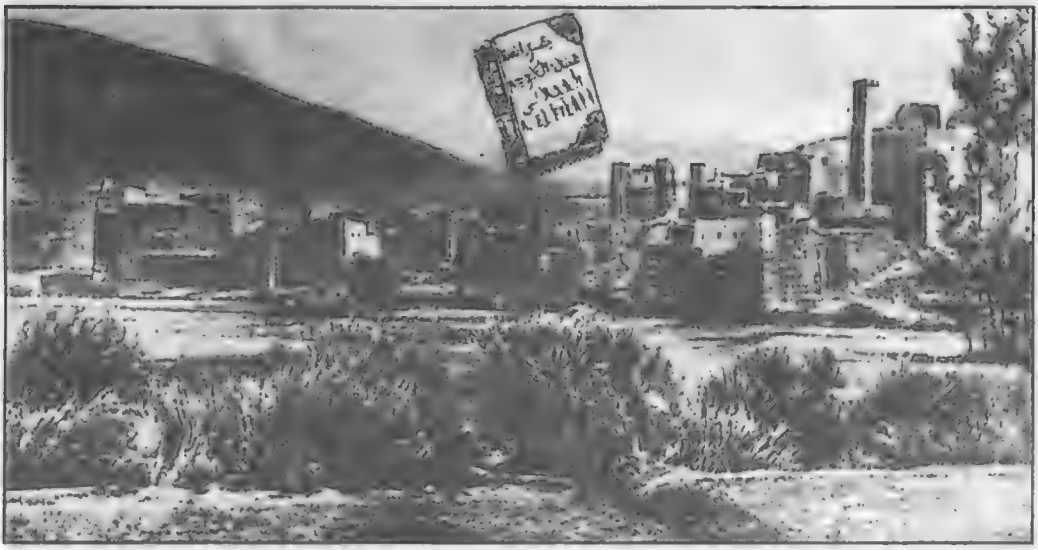

القصبة قصر من قصور آيت حديدو والتي تعرضت لوابل من القنابل بالطيران 1933/9/2 ع لوليسراسيون 4722ص 8

أسيف ملول بآيت حديدو لوليسراسيون 1933/9/2 ع 4722 ص7

جيوش الاحتلال الفرنسي وقد اتخذت أكدال بآيت احديدو مقرا لتركيز الغزو وتوجيه قوافل الاستكشاف لوليستراسيون 1933/9/2 ع 4722

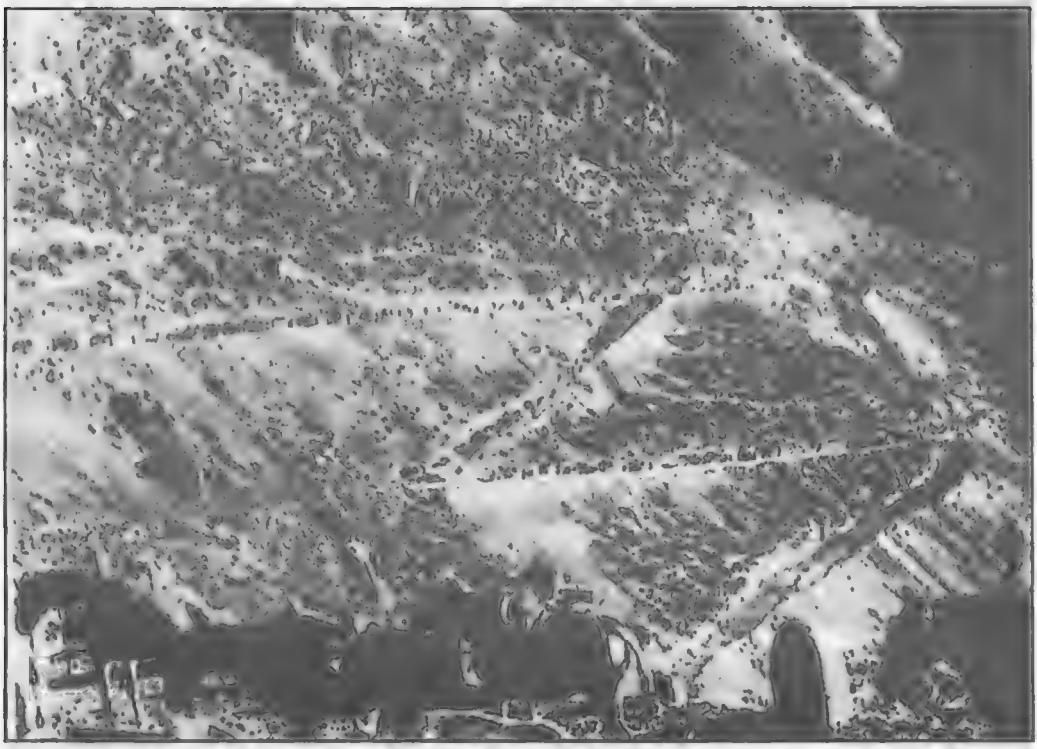

قوافل الغزو الفرنسي للمغرب في أسيف ملول وجبل بادو بايت حديدو آخر معقل استسلم بعد صاغرو وكانت القيادة لسيدي بن احماد من الأشراف الأدارسة الذين قدموا من سوس قصد الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي ويعرفون بـ آيت اكرات. الاخوة الثلاثة لوليستراسيون 1933/9/2 ع 4722 ص 7

الفصل الأربعون بعد المائتين

عروبة آيت عطا بين أصول وفروع

تعرضنا كثيرا لذكر آيت عطا منذ البداية، ورددنا ذكر هذا الحلف القديم الذي يجمع الكثير من القبائل الأطلسية التي حاول الاستعمار الفرنسي إذلالها بقوة الحديد والنار فلم يتمكن، وحاول العملاء الذين إندسوا بعد الاستقلال فتمكنوا، لأنهم لبسوا المسوح وافتروا عليهم وعلى غيرهم باسم البربرية التي هم منها براء، ويعلم الله ما سيكون جزاؤهم يوم يصبح الصباح ويسطع النور ويمزق الستار الأسود، وتزول المساحيق وتتكشف الأراجيف ويعرف العطاويون أنفسهم بواسطة التاريخ والمعارف التي حرموا منها منذ قرون، أن أكثرهم عرب تبربروا كما حصل لكثيرين غيرهم من سوس الأقصى إلى واحات الجغبوب وسيوة وأرض النوبة(258) لكن من هم آيت عطا وما هي القبائل التي تكون منها هذا الحلف الذي وجب أن نتعرف على فصائله قبل أن نتعرف على آخر ملاحمه التي كانت خاتمة لأكثر من سبعين سنة من الحروب ضد الاستعمار الفرنسي منذ أول محاولة في أرض توات وقت وإثر حرب إيسلي وتطوان 1844ـ1859ـ60.

جاء في طبقات الأنساب عند القلقشندي(259) (756ـ821هـ 1955ـ1418م) أن "الطبقة الثانية من طبقات الانساب بعد الطبقة الأولى التي هي الشعب، هي القبيلة وهي ما إنقسم فيها الشعب كربيعة، ومضر، قال الماوردي وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، وتجمع القبيلة على القبائل، وربما سميت القبائل جماجم أيضا كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال" وجماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون.

---

(258) راجع ترجمة الشيخ محمد العربي الهاشمي الدرقاوي قبل في هذا الكتاب.

(259) نهاية الأرب فصل 3 ص 13 ط القاهرة 1959 تحقيق ابراهيم الابياري، وبالتالي عن صنهاجة راجع نشر المثاني م.خ.ع لمحمد بن الطيب القادري 1453ـ2308 د و ط الرباط 1977 جـ 1 ترجمة أبي بكر الدلائي ص 163 ـ 166.

وإذا كانت كما سبق فقبائل من آيت عطا بعد أن نفصل عنها بعض القبائل التي إنضمت إلى الحلف وهما بني محمد معقل والذين توجد مواطنهم في اكتاوة بوادي درعة وتافيلالت، ثم آيت العريب أيضا نستطيع أن نرجع بقية أقسام آيت عطا إلى أصل واحد كما عرفهم بذلك العالم الجليل أحمد بن يعقوب الولالي العطاوي المشار إليه قبل حيث قال: "قبيلة بني ولال هم قومنا الذين نشأ أجدادنا منهم وأصلهم من بني عطا، قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم بني والال أيضا، وبنو عطا مشددا بوزن فعال أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في كتاب أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة، بل أخبرني بعضهم أن بني عطا أصلهم من أخص العرب وهم قريش، وكل ذلك لا بعد فيه لتبدل أحوال القبائل العربية وتنقلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتبدل الألسن بتبدل البلد(260) هذا ما قاله أحمد بن يعقوب، وأما غيره من المؤرخين فإنهم نسبوهم إلى صنهاجة وإذا لم يكونوا كلهم فجلهم، ومهما يكن فإن فروع قبائل آيت عطا خمسة أخماس وهي كما يلي وكما هي في عرفهم حتى اليوم.

أخماس آيت عطا

1) آيت والال، وآيت أنير
2) آيت واحليم
3) آيت اسفول وآيت علوان
4) آيت إيعزا، وآيت اخليفة وآيت الفرسى بالسين المهملة.
5) آيت انبگى
   - آيت خباش
   - آيت امناصف

(260) من مقدمة عن شرحه للسلم في المنطق مخطوط خاص وعنه نقل ابن زيدان في الاتحاف 1ـ340 ثم راجع ت 37 ج 1 من هذا الكتاب، جاء في معجم القبائل لعمر كحالة 2ـ787 أن "عطا عشيرة من اللياثنة بوادي موسى تتبعها الفرق التالية" السلامين ـ الفضول ـ الفلاحات الفرجات"، وعن تاريخ شرق الأردن وقبائلها لبيك 264 هم أيضا من المردان من عبدةمن شهر القحطانية، ولقد كتب عن آيت عطا بعض الفرنسيين بطريقتهم المعهودة مثل هاروث ـ مونطان، وحتى لا ننزلق في الدروب المظلمة التي يريد الاستعماريون وعملاؤهم من الاصهار المغاربة أن يندفع الناس نحوها، وجب أن نتعرف على أحمد بن يعقوب الولالي العطاوي، الذي قال بعروبة آيت عطا فمن هو حتى يكون =

تلكم هي اخماس آيت عطا وبقي لنا أن نتعرف على كل خمس وفروعه، والمواطن التي توجد فيها تلك الفروع، ولتكن بدايتنا بآيت والال وآيت أنير وأصولهما الستة، وفروعهما الثمانية والثلاثون وأماكن وجودهم:

(1) خمس

آيت والال

آيت أوزين	آيت أعمرو اعيسى ويوجدون ناحية نگوب السفح الجنوبي لصاغرو. آيت تمليس ويوجدون في دادس
آيت الربع	إيزخنيون ويوجدون ناحية تازارين آيت الشايب
آيت ملال	آيت مسعود، ويوجدون في اجمو تنمروت "نگوب" وآيت زرى بذرعة إمسوفا يوجدون بفزواطا في وادي درعة
آيت بوبكر	آيت بوبكرنوبرا يوجدون في داداس ملال بين نگوب وتازارين وتيجيت وتينزولين بدرعة آيت بوبكر نوگنسو، يوجدون في أرگ نايت وازيگ بين تازارين وترناشا

= لتعريفه في النفوس ما يستحق من الاعتبار، فهو أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي بفتح الواو وتشديد اللام، والذي توفي بمكناس يوم 2 رجب 1128 هـ 1715 ويعتبر من تلامذة الدلاء وقد درس على أبي علي اليوسي علم المنطق، ومنظومة الأخضري، في البيان، وقد تخرج عليه أيضا كثير من العلماء منهم:

1) أبو القاسم بن سعيد العميري 2) والعلامة المعروف الطبيب عبد القادر بن العربي بن شقرون، المكناسي، وقد أخذ الأول عنه منظومته في علم الكلام، وأما مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون فهي:

1) شرح على مختصر للسنوسي
2) شرح على منظومة الأخضري المعروفة بالسلم
3) شرح على جمل الخونجي
4) شرح على رسالة الجرجاني
5) شرح على تلخيص المفتاح
6) شرح على مختصر السعد
7) شرح على لامية الافعال
8) حاشية على المحلي
9) شرح على روضة الازهار للجادري في التوقيت
10) مباحث الأنوار في سلسلة الاخيار

راجع الاتحاف لابن زيدان ج 340/1 والخزانة العامة أوقاف 1085، والترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني ص 55 راجع "أنيف" في الفصل الخاص بمعركة البطحاء، وامبارك التزونيني ومافي الهامش من مصادر، ومهما يكن فإن التاريخ بالمرصاد للذين يعملون اليوم على تمزيق المغاربة والتفرقة بينهم بحيث حققوا فيهم ما عجز عن الاستعمار الفرنسي، وذلك من أجل الحكم واختلاس السلطة والنفوذ في غياب الديمقراطية المفترى عليها، حتى أننا أصبحنا اليوم نرى أزواج وأبناء المومسات وبائعات الهوى من المبتذلات الفرنسيات اليهوديات والإيطاليات.. =

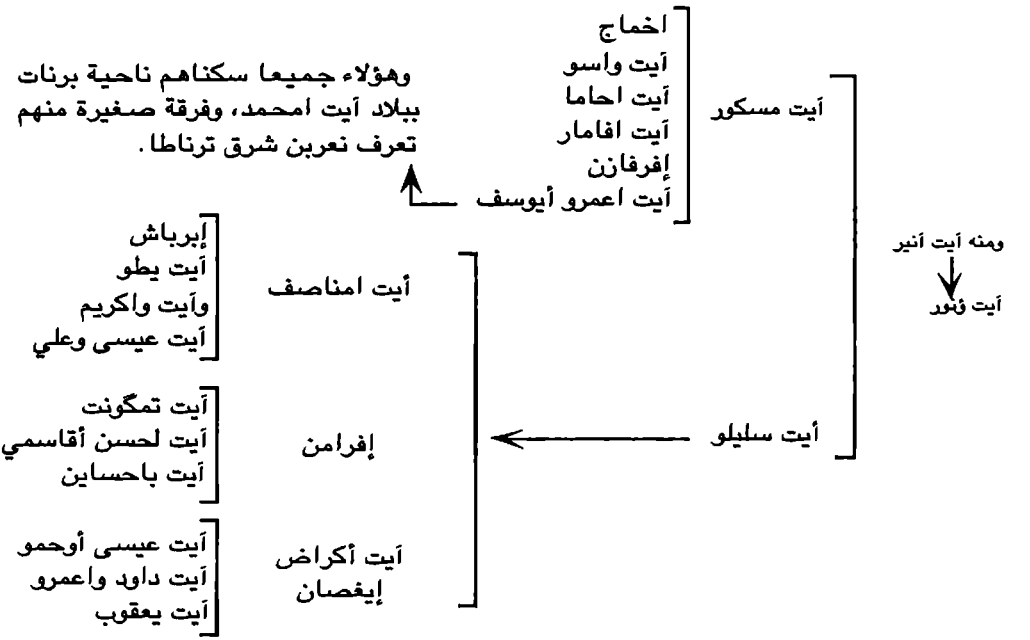

= الذين فسح لهم المجال ثم دفعوا بقوة وحراسة فأصبحوا يتزعمون الصفوف بدعوتهم هذا بربري، وهذا عربي، وهو ما سنتعرض له بعد إلخ، بل والقلقشندي نفسه بربري من غمارة بطن من معمورة من البرانس راجع المصدر المذكور ص 389 نهاية الأرب مصدر سابق تعليق(249).

حيث قال المؤلف عن نفسه ومن هذه القبيلة ـ أي غمارة ـ جدنا الشيخ عبد الله الغماري خادم أبي العباس البصير الخزرجي الأندلسي البلنسي إلخ، وقد نقل هذا عن إبن خلدون في كتاب العبر 21/6 ومهما يكن فإن "خليط" آيت عطا كحلف يتكون أغلبه بالإضافة إلى ما سبق، من عرب المعقل لذلك وكما سنرى من خلال الأخماس الأربعة، وخصوصا الخامس الذي هو آيت أنبگي.

نضيف هنا ملاحظة أن كلمة "آيت" معناها بني، ذوي كما نضيف أن من يعتمد على تقارير المتجسسين من الفرنسيين إنما يعتمد أفكارا مضطربة مشوشة لا أساس لها " متين وهذا ما حصل للذين كتبوا في الموضوع ظانين أنهم فعلوا شيئا مثل سبيلمان، وهنري، دوبوردو، وفوانو وغيرهم من الذين كتبوا مالا يهمل كله ولا يعتمد كله وإن كان بعضهم من الحاقدين الذين تطرقنا لذكرهم وقت دراستنالسياسة فرنسا البربرية، ومهما يكن فإننا لا نجادل في أن صنهاجة التي فيها لمتونة ليست بربرية بل هي من حمير كما قال بعضهم وللزياني كما رأينا قبل في هذا الموضوع حجة كما سبق.

راجع الترجمان المعرب مخطوط خاص 273 راجع تاريخ القبائل التالية وهي دالة ومسوفة، صنهاجة، وتاركة.

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن بطون آيت عطا نجدها بين كثير من قبائل المغرب. فمثلا جروان التي نقلها المولى إسماعيل كما أشرنا من الأطلس المتوسط إلي جوار مدينة مكناس عام 1104هـ نجد من بين بطونها " آيت لحسن وعزيز، وآيت امناصف، وآيت والال وايعزوزن، وآيت وداد، وآيت عيسى عدي، وآيت يش ولحسن، وآيت مخشون، وآيت اكراض، وآيت عدي وآيت عبو، وآيت إخبازن وبعض هذه الأسماء تشترك فيها مع آيت عطا، ولعل القاسم المشترك بينهما تحتاج إلى دراسة أولي بها الأجيال الصاعدة من كلا الجانبين، وإن كنا سنقف على شيء من ذلك حين دراستنا لأخماس آيت عطا في هذا الفصل.

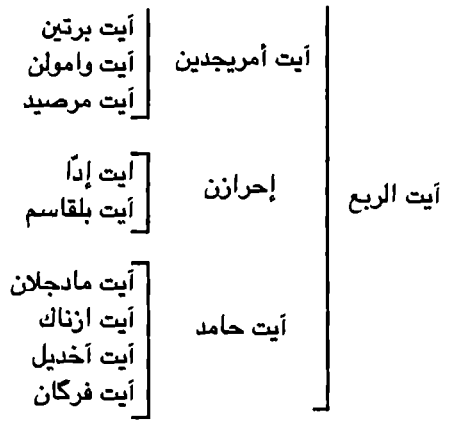

هذه الفروع مع أصولها توجد في برنات وبومالن والنكوب، وتينزولين وترناطا

إن واقع هذا الخمس وتاريخه المتداول قد وضعه بعض المؤرخين ضمن صنهاجة الجنس الثاني حيث إعتبروا إمسوفا بفزواطا منحدرين مباشرة من مسوفة المرابطين، مثلهم مثل آيت مشدوف بالساحل السوداني حيث أكد بعضهم أن إمسوفا كانت في القرن السابع الهجري الرابع عشر الميلادي، تكون أغلبية سكان مدينة والتا، التي توجد قبيلة مشدوف بالقرب منها، كما نجد فرقة آيت ترهلا من آيت بوبكر التي ترجع إلى آيت خباش من آيت والال في الجنوب والشمال من فزواطا إلى واويزغت، مرورا بتازارين ونكوب صاغرو "إيكنيون" ودادس، وهم مع آيت انير يكونون أغلبية قبيلة آيت عطا نمالو بالأطلس المتوسط، كما نجد فرقة منهم رحلها المولى إسماعيل ضمن گروان 1104هـ/1692م إلى ناحية مكناس ثم انتقلوا بعد إلي وسط قبيلة بني مطير العربية التي تبربرت هي الأخرى، بحيث لا تزال قبيلة مطير معروفة حتى اليوم بأرض الكويت في حدود الخليج ناحية القصيم غربا(261) إلخ كما توجد مطير في مصر والحجاز والعراق وغيرها.

أما آيت الربع، وآيت بوبكر، وآيت مسعود، فإنهم إختاروا سكنى القصور بدل الخيام، بخلاف آيت أوزين، وأمسوفا، فقد بقوا على حالهم ينتقلون بين النجوع ما بين

(261) راجع قبائل العرب ب ع كحالة 3/1112ـ13 والقلقشندي 160ـ423 مصدر سابق.

صاغرو غربا بالأطلس الكبير، وأحيانا تتوجه قطعان إمسوفا جنوب الأطلس الصغير، ثم صاغرو ناحية تارهالت إلى فم أزكيد، لكنها تتجاوز الخط الموازي للمحاميد والمجرى السفلى لوادي درعة.

وأما آيت والال وآيت أنير مع إمسوفا بفزواطا، فإنها بقيت على ما كانت عليه من عداء، كما نجد العلاقة طيبة بين آيت واحليم والال وكلاهما ضد آيت اسفول حلفاء آيت أنير في حين أن لأمسوفا مع أوزين علاقة طيبة، وإن كان هؤلاء قد عرفوا بخضوعهم نوعا لآت أسليلو بالنكوب، وهؤلاء يعتبرون من آيت أنير، في الوقت الذي نجد فيه أن المشيخة العامة يحتفظ بها آيت وزين وأمسوفا، ذلك بأن هؤلاء وحدهم يساوون ما يقرب من نصف آيت والال، ومثلهم آيت أوزين، ولذلك يحصل التقارب بين الفريقين، أما آيت الربع وآيت بوبكر، فإن قلة عددهم بالنسبة للآخرين أدى بهم إلى التفكك وعدم الإنسجام، ولذلك دخلوا في دائرة آيت حسو بتازارين بإستثناء بعض الخيام المقيمة في دادس.

وأما في المرحلة التي نحن بصدد التدوين لتاريخها وهي فترة ما بعد الحماية إلى نهاية العقد الثالث، فقد عرفت سياسة هذا الخمس من آيت عطا نوعا من الإرتباك والاضطراب، بسبب دسائس العملاء أمثال التهامي الجلاوي الذي عرفنا منذ البداية أنه إختار جانب الكفر على الإيمان،(262) ولذلك عمل ما وسعه العمل على تمزيق وحدة كل الذين إستطاع أن يتمكن منهم.

كان من أعيان آيت الربع وآيت بوبكر: احمد وعلي وعطيش من آيت الشايب، الذي إستطاع الظهور إعتمادا على ثروته، وإذا كان آيت والال بصفة عامة قد إنضموا إلى المخزن عن طريق يدير والحاج المسوفي، الذي إتصل به الجلاوي بحكم أنه كان الشيخ العام لآيت عطا سابقا، كما اتصل بامبارك الفضايل وعلى، من آيت تلين بدادس، فإن الجلاوي لم يتمكن من جموع آيت والال الذين كانوا في تازارين وناحية الجنوب، الذين

(262) هناك فئة من المغاربة الضالين كانوا يريدون فقط أن يذكرهم التاريخ ولو بلعنة الله والناس ومنهم آل الجلاوي.

وإن سالموا المخزن منذ 1927 فإنهم لم يخلصوا الولاء ولم يتأطروا لصالح إدارة الحماية، وحتى هذه المسألة فقد كانت بسبب ماآل إليه أمر آيت أنير ببرنات الذين إنضموا إلى المخزن منذ 1916 ثم إستسلموا بصفة نهائية عام 1922 أما آيت أنير بومالن فقد قاوموا تسلط الجلاوي، ومثلهم الذين كانوا بالنكوب، وإن كان لكبار هؤلاء علاقة مراوغة مع الجلاوي، ومثلهم الذين كانوا في درعة فرغم أنهم تعاطفوا مع إخوانهم الذين راموا للمخزن إلا أنهم سرعان ما إنقلبوا عليهم وقاموا إتجاههم عام 1924 وبهذه التفرقة التي دبت في صفوف آيت أنير حيث إنقسموا إلى بومالن برنات والنكوب درعة فقدوا المشيخة العامة التي إنقسمت إلى مشيخات لكل فريق شيخه الذي يختاره، وإن كانت روابط القربى وعلاقات الود لم تنعدم بينهم، حيث وجدوا وأنى رحلوا رغم تباين المواقع وتباعدها.

ومن الأعيان الذين كان لهم تأثير على آيت أسليلو وآيت أنير بومالن، باسو وميمون نايت الغماز، وهو ولد خويا وميمون الذي كان خليفة قائد لآيت عطا من قومه في عهد الاستقلال، وقبل الحماية، والذي كان يعارض كل تدخل أجنبي في شؤون قبيلته سواء كان هذا التدخل من المخزن قبل عهد الحماية، أو من الفرنسيين بعد فرض الحماية، ومن أجل ذلك كان إلى جانب قومه حين إنضموا إلى إخوانهم آيت اسفول الذين حاربوا خليفة الجلاوي 1927 بترناطا، كما ناصر القائد باسو ميمون أوخويا آيت سدرات لما قاموا لحرب الجلاوي وآيت يحيى عام 1929م.

ومن دهاء باسو وميمون نايت الغماز هذا أنه حين أدرك أن قوة الفرنسيين لا محالة ستتمكن، تظاهر بالخلاف مع والده ثم نسب له ما كانت عليه القبيلة من عناد وتصلب، ثم رام جانب المخزن عن طريق الجلاوي، ولذلك غادر النكوب ليقيم عند آيت اسليلو بدادس، ولما قام والده وقومه بحرب الجلاوي كماسبق 1927 ذهب باسو في خمسين نفرا من قومه إلى درعة، وإذا كان قد أشرف على الأربعين. وقتها لأنه من مواليد 1311هـ 1893م تقول وثائقهم التي منها عقد نكاح فإنه في إمكانه القيام بدور التقريب بين قومه آيت انيروبين الجلاوي الذي كان مبالغة في الخيانة المتأصلة يقوم بدور دركي للفرنسيين في المنطقة،

يتقدم صفوف جيوشهم ويوجه قواتهم الثقيلة كدليل، وإذا هو - أي باسو - إستطاع القيام بالدور الذي تقول الرواية أن الذي أشار عليه به هو والده الذي علمته التجارب، فإنه في سنة 1930 عاد باسو إلى الصلح مع والده ثم سكن معه بالنكوب، كما كان من قبل، وإن كان لم يسلم من كراهية إخوانه بدرعة لأنهم حملوه مسؤولية عدم تحقيق أهداف إنتصارهم الأول على خليفة الجلاوي.

وإذا نحن علمنا مدى التنافس الذي كان بين كبار آيت عطا في سبيل التسابق إلى النفوذ، فإن باسو وميمون ما كاد يحقق ما حقق من ترابط مع الجلاوي، وبالتالي مع المخزن، حتى نقم آخر هو موحى احمو امارير، الذي جمع حوله آيضا كل الناقمين على كل علاقة مع المخزن، وكان هؤلاء هم فريق آيت آنير بدرعة في غير قبيل باسو اميمون، وإذا كان موحى آحموا مارير من حيث السن أكبر من باسوا ميمون بحيث هو من مواليد1298 هـ/1880م فإن لذلك إعتباره عند العطاويين الذين وجد منهم محا وحمو إستعداداً للمقاومة ليس فقط ضد الفرنسيين وعملائهم، بل وضد الذين سالموهم كذلك.

ذلكم هو واقع خمس آيت والال وما كانت عليه العلاقة بين فروعه قبل معارك صاغرو بوغافر التي سيخوضها الثائرون غير المسالمين من آيت والال مع إخوانهم الذين سنتعرض لذكرهم، وبعد فمن هو الخمس الذي هو آيت واحليم، وما هي الأصول والفروع المتدة منه، وآين توجد أماكنها؟.

وفرق خمس آيت واحليم هذه يقسمها آيت عطا إلى ثلاثة أثلاث، حسب الروابط التي تربط بين تلك الفرق، وهذه الأثلاث هي : آيت بوكنيفن، وعيسى وابراهيم، وإيلمشان ، واگناون، وآيت حسو، ورغم أن آيت بو إيكنيفن قد نص غير واحد على أنها من عرب معقل، فإنها في عرف آيت عطا تلحق بما ألحقت به آيت والال، إذ هم عندهم من الجنسين الثاني والثالث من صنهاجة، في حين أن إگناون يستدل من إسمها أنها ربما تكون أصلا من السودان "اكناوة"

إن آيت أنير وآيت والال وآيت واحليم، يعتبرون من أقدم آيت عطا المقيمين

بالصحراء، فلقد كانوا يمثلون فيما سبق الخمس القوي في الحلف ويفرضون بذلك إرادتهم على الباقين، وكانت سيطرتهم تمتد إلى تدغة، وأوسكيس، ودرعة، إلا أن الحروب الداخلية ومناوشات القبائل العطاوية الأخرى الصاعدة والأكثر إلتحاما والأحسن تنظيما، أنهكت آيت واحليم الذين يجدون صعوبة في المحافظة على مركزهم، ففي درعة أرغموا على التخلي عن بعض القصور مع آيت اسفول، في الوقت الذي لم يكن لهم وقتها أي شيخ عام مشترك، بل وحتى في الاجتماعات العامة التي كانت تعقد في هذه الفترة، لم تبق لهم المكانة التي كانت لهم قبل، وذلك بسبب تورط بعض أعيانهم في مساومات مع اگلاوة، حيث ساروا من جملة مساعديهم الأوفياء وبذلك لم يبق لأولئك الأعيان أي إعتبار، سواء بين قومهم أو عند الآخرين، ذلك لأن هؤلاء الأعيان كانوا منذ عهد قديم ما يقرب من الخمسين سنة، نافرين، لكن النفور والتطرف إزداد حدة منذ سنة 1926، ومع ذلك فإن آيت واحليم كان لهم الأكثرية التي يجب إعتبارها، بحيث كانت آيت بو إيكنفن، وآيت عيسى وابراهيم الرحل وإيلمشان، يعتبرون من المحاربين الشجعان، أما علاقة آيت واحليم بغيرهم، فقد كانوا بصفة عامة يعادون آيت آنير، وآيت اسفول وآيت إيعزا، وفي الوقت الذي كانت لهم علاقة طيبة مع آيت والال وآيت حسو منهم، كانوا على علاقة جيدة أكثر مع آيت خباش، وهؤلاء وأولئك جميعا كانوا يحتقرون آيت علوان، أما مناطق النفوذ فقد كان وادي إميضر يعتبر منطقة نفوذ آيت بو إكنيفن أما آيت عيسى وابراهيم، آيت إيلمشان، فقد كانت لهم السيطرة على صاغرو الأوسط.

كما كانت لهم مصالح هامة في تدغة في الوقت الذي كان آيت بوداود يتمركزون في ناحية تازارين، وآيت إورار في تارحبالت، وآيت حسو الذين كانوا يملكون ممتلكات في درعة، مثلهم آيت عيسى وابراهيم، وإيلمشان، بعض القصور في نفس المنطقة، هذا في الوقت الذي تعتبر فيه إيلمشان وآيت عيسى وابراهيم، وآيت بو داود أغلبهم رحل، وأما القصور المشار إلى ملكيتهم لها،فقد كانوا يتخذونها مخازن لمدخراتهم في الوقت الذي كانت قطعان أغنامهم تتجول في تازارين، وتارحبالت وصاغروا الأوسط، وفي الصيف يذهبون للرعي في الأطلس الكبير، على نجد إزورار وعلى الظهر الشمالي لجبل إيزورگى.

بقي لنا أن نشير إلى من هم الأعيان الذين بقوا محافظين على مراكزهم في آيت واحليم، وكيف كان التنافس بينهم قد إنتهى ببعضهم إلى رفع السلاح في وجه المستعمرين الفرنسيين، وقد كلفهم الكثير، خصوصا بعدما إتحدت صفوف آيت عطا التي شارك منها الكثير من الرجال كما سنرى.

كان هناك ثلاثة من الأعيان عند آيت واحليم وحسب العادة عندهم، لا نتقيد بمراعاة السن في الترتيب وهم كما يلي:

1) موحداش ولد الحاج فاسكا من آيت بو إيكنيفن، والذي كان وقتهافي العقد الخامس من عمره، والذي بحق كان يعرف كيف يحافظ على العلاقة مع قومه آيت بو إيكنيفن، من جانب ومع المخزن عن طريق الجلاوي من جانب آخر، بحيث لم تقطع العلاقة بينه وبين قومه، ولا بينه وبين الفرنسيين الذين كانوا يمثلون المخزن محافظة على قومه.

2) عسو باسلام من إيلمشان وسنه وقتها عام 1934 اثنان وأربعون وكان هذا الرجل على جانب مهم من الخلق والدين، بحيث كانت أسرته كلها رجالا ونساء من أتباع محمد العربي الدرقاوي ساكن مدغرة وكان عسو باسلام من الذين يعادون موحداش ولد الحاج فاسكا بسبب ميل هذا الآخير إلى جانب الجلاوي الذي كان منذ 1919 قد أخذ يرمي شباكه لفائدة الفرنسيين على ناحية دادس وتدغة، وكان عسو باسلام وآخرين مثله ينظرون إلى الجلاويين الحراثين على أنهم كلاب صيد للفرنسيين ضد الإسلام والمسلمين، وإذا ما إنتحى جانبهم موحداش، فإنه بذلك أجج تلك العداوة في صدور الكثيرين، ومنهم عسو باسلام الذي عرف بكل الصفات الكريمة(263) من دين وخلق وشجاعة وعزة نفس مما سيدفع به إلى الثورة والاعتصام مع آخرين سنتعرف عليهم بجبل صاغرو بوغافر، بعد، وعسو باسلام هذا من مواليد 1292ـ1875 وتوفي بعد الاستقلال بتاريخ 16 غشت1960.

3) أما الثالث فهو حمو ولد لحسن أمورغى الذي كان موطنه منذ 1339 هـ/1920م في قصر أمراد اجمو بآيت بوداود، والذي هو من مواليد 1277هـ/1860م وهو شخص ذكي سبق له أن تولى منصب الشيخ العام لآيت عطا أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنه رجل

(263) حاول الجلاوي إذلاله بجلب صنوه الحاج لحسن باسلام الذي نقلوه إلى مراكش ومنها أركبه الفرنسيون الطائرة ثم حلقوا به حيث حومت الطائرة على مناطق آيت عطا.

متقلب وبذلك يمثل حقيقة وواقع الطبع العطاوي، ففي سنة 1338هـ/1919 تزعم حركة ثورية لآيت عطا ضد الجلاوي ومحاولاته الرامية لخدمة الاستعمار، وفي السنة الموالية 1920 إنقلب ليناصر أعداء الأمس، وفي سنة 1921 ذهب في جماعة من آيت عطا إلى مراكش من أجل تقديم الولاء للمخزن، لكنه عاد 1927 لينضم إلى الذين حملوا السلاح من أجل حرب أكلاوة، وقد طال به العمر رغم إلى خارت قواه، كل ما سبق له من تقلب لم تكن له أية علاقة مع الفرنسيين ومع ذلك بقي صاحب نفوذ أدبي في قومه، ويقوم بأدوار غريبة وعجيبة، لا في ناحية تازارين وتاغبالت بل وفي درعة نفسها وربما في سنة 1348هـ/1929 يكون قد تدخل لفائدة المحاربين في تافيلالت أيام بلقاسم ضد الفرنسيين مقابل إنتصار آيت خباش لآبت حسو ضد آيت اسفول، وحمو ولد لحسن أمورغى هذا رغم كثير من محاولاتهم بقي إلى آخر حياته يكن لهم الكراهية والعداوة إلى درجة الحقد، ولم يقبل أن تكون لهم أية سيطرة على قومه في تازارين ودرعة، وبذلك كان له إعتبار وتقدير بين قومه آيت واحليم الذين كانوا جميعا يكرهون الفرنسيين المستعمرين ويحتقرون الجلاوي والجلاويين ويحسبونهم من عبيد سوق النخاسة، وفعلا كانوا هم كذلك لا في إعتبار العطاويين فقط بل في اعتبار كل قبائل الأطلس الكبير، وقد كان هذا التحقير من أقوى الدوافع لارتمائهم بكل ما يملكون من الوسائل وتمسحهم في ساحة الفرنسيين الذين حين تعرفوا على واقعهم وما يقصدون استغلوا فيهم المركب الدافع ثم استعملوهم ضد المغرب والمغاربة. بل ضد الإسلام والمسلمين إلى أن ذهب الله بريحهم.

3) خمس آيت اسفول وآيت علوان

إن عروبة آيت اسفول لا جدال فيها، بل هم من عرب معقل، وفيهم إن صح ما قيل ودونه اليوتنان كولونيل نويل(264) رئيس مكتب قصر السوق 1919 أن بين آيت اسفول بعض ذرية محمد بن علي الشريف جد العلويين بتافيلالت وهذا شيء لم نحقق فيه، ولم

(264) المصدر دراسة للضابط المذكو والترجمان الكومندار الكسندر دونو، قدمها إلى الإقامة العامة. راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية ولعل الذي يدفع بنا إلى عدم تأييد أو تكذيب ذلك القول هو ما عرفنا من عداوة المحمديين لأبناء عمومتهم اليوسفيين إلى درجة أنهم كانوا يميلون لكل من يناصب اليوسفيين العداء كما عرفنا قبل ومن الذين لم يخضعوا قط للدولة العلوية آيت عطا كما سبق.

نتعقب ترحال فروع أبناء محمد المذكور، الذي هو صنو يوسف، والذي خلف ما عرفنا له من الولد كما سبق لنا في الجدول الخاص بخلف على الشريف، فقد خلف محمد المذكور أربعة من الأولاد هم الحسن وعبد الله وعلي والقاسم، ولقد سبق لنا أن بينا أن المحمدين كانوا ولا يزالون من بين العلويين هم أشد أنفة وعدم وفاق مع أبناء عمومتهم من آل يوسف بن علي الشريف، ومع ذلك يبقى الموضوع معلقا لأن الضابط المذكور نص أن ما ذكره "حسب إشاعة سمعها 1919"(265) وبذلك يكون هذا الضابط الاستعماري أصدق رواية وأسلم قصدا من موسخ المملكة الذي هو الجاسوس المشهور التلمساني عبد الوهاب بن منصور الذي شوه تاريخ الأدارسة والعلويين فيما كتب مما سماه "أعلام المغرب العربي(266).

ومهما يكن فإن ما تلقفه الضابط المذكور من إشاعة أشار حسب الرواية إلى أن بنوة بعض آيت اسفول لال محمد بن علي الشريف يمكن أن يكون محمد المذكور قد تزوج بفتاة من مرابطي زاوية جماعة آيت ابواريك(267) والتي انجبت له ولدا وبنتا وبعد وفاته تكفل آيت علوان بالولد، وتكفل إكناون بالبنت.

ولقد كان العطاويون قبل يطلقون على آيت اسفول " آيت الحرام" وهو يعني الشيء المحرم أو ما تلتزم حميته وفي اللغة" احرم : الرجل دخل في الحرم أو البلد الحرام، أو في الشهر الحرام، أو في حرمة من عهد أو ميثاق وبفلان نزل في حرمه احتماء به، ومما يستدل بذلك على استمرار عروبة آيت اسفول ما يعرفون به وسط آيت عطا من شجاعة ومحافظة على العهد، ووفاء، وحلفاؤهم التقليديون آيت آنير حسب عقد مكين عرف بعقد

---

(265) من تقرير غير مطبوع راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط.

(266) ترجمة أحرطان جـ 2/215-220 الذي شرفه وهو اصلا من تلوين نقل قومه مع اسيادهم كرها وبأمر من المولى محمد بن عبد الله عام 1197هـ/ 1782م إلى أرض زعير حيث لا يزال أسيادهم بها وهم جماعة بن قدور بعين اسبيت من أرض زعير والتي رحلوا منها إلى ولماس بسبب قتلهم لشخص وبدافع الخوف من الثأر وفي عهد حروب الغزو الفرنسي تطوعوا لخدمته، وكعادة الفرنسيين في تقديم عديمي العصبيات كلما حلوا بمنطقة كنوع من الاختيار سياسيا فكان جماعة احرطان من الذين استعملوا بتلك الطريقة بين أهل ولماس إلخ.

(267) سبق لنا أن تعرفنا على آيت اعلى وبورك بكرامة وأنهم إخوة السبعيين الأدارسة بتالسينت وهم غير آيت ابْوَاريگ بالكاف المعطشة بعد باء مسكنه وواوذات مد وهؤلاء آيت أبواريك قيل من مسلمة اليهود كما سنتعرف على ذلك بعد من أقوال بعض الأجانب وهو زعم باطل ربما استقاه قائله من عدولهم.

تافركانت، كما أنهم يلتزمون بحماية آيت علوان الذين يعتبرون غير محاربين، ولا هم قادرون على حماية أنفسهم، كما أنهم يخاصمون آيت واحليم، خصوصا منهم آيت حسو ولهم علاقة طيبة مع آيت إيعزا، ولقد كان آيت اسفول بتدغة يخضعون لنفوذ گلاوة بإسم المخزن إلا أن آيت اسفول بدرعة تارغبالت، كانوا يناهضون گلاوة، ويحقرون من شأنهم، ويرفضون سلطة المخزن، وآيت اسفول يوجدون تدرجا من الجنوب إلى الشمال، من أكتاوة إلى تدغة مرورا بفزواطا وتارغبالت، وناحية بودنيب، وعلى الظهر الجنوبي لوگنات، ونجد كذلك أثرهم بأوسيكيس، والرتب، وعند آيت أخليفة بآيت يوسي، وقصر الشراعية بتابلبالت، أما أكثرهم ففي مركزهم باكتاوة وإن كانت الرابطة ضعيفة بين الرحل وسكان القصور منهم، ورغم أنهم يتوفرون على عدد من الأعيان إلا أن أحدا من هؤلاء الأعيان لا يتمتع بالنفوذ عليهم ،وهذه أيضا من مميزات العرب بحيث مجموع الفرق والعصبيات الداخلية لا تقوم فيهم بأي دور سياسي باستثناء فرقة آيت مشكوكوط المقيمة ببوذنيب واميواسن بتازارين التي لها شخصيتها الخاصة بسبب بعدها عنهم وأن هذه الفرقة لها علاقة حسنة مع آيت إيعزا وتتفاهم مع آيت خباش، على أننا لا نهمل أنه وقتها كانت حوالي مائة وخمسين عائلة من آيت اسفول يعتبرون من الرحل، وكانوا يملكون وقتها منازل باكتاوة، ومناطق تجوالهم كانت ما بين زيز شرقا، والداورة غربا وتيسينت، وشمالا اگنات وصاغرو، ومرتفعات أولاد يحيى جنوبا تمجوك، وأن إكتاوة توجد وسط هذه المنطقة.

وقد قيل إن هؤلاء آيت علوان كذلك هم من معقل تبربروا، وهم كذلك مع آيت انير وآيت والال وآيت واحليم من أقدم العناصر التي كونت الحلف العطاوي، وإن كانوا أقل شدة في الحرب ثم هم متقلبون، وبذلك كانوا مهمشين سياسيا وقت الغزو الفرنسي، حتى إنهم لم تكن لهم مشاركة في إختيار الشيخ العام لآيت عطا يقول الذين عاشوا تلك المرحلة، لكن رغم ذلك كانت علاقتهم طيبة مع آيت إداوبلال وآيت امريبت وآيت اسا، خصوصا ما بين 1921 و1928م، ففي هذه المرحلة كانوا مسالمين للفرنسيين بحيث كانوا قد شاركوا في الحرب ضد الغزو، وفي وادي الساورة، وبعد الحرب العالمية، وقد كانوا في تابلبالت طلبوا الأمان من الفرنسيين المشروط برفض الجلاوي، ورغم ذلك فقد تعرضوا للنفور والمحاربة مع العريب الذين انتزعوا منهم قصر أولاد امهاية بمساعدة آيت خباش

وإذا هم طلبوا مساعدة إخوانهم الأقربين في الخمس، آيت اسفول فإنهم لم يستجيبوا لندائهم، بل بالعكس فإن آيت اغنيمة وهم إخوانهم، خذلوهم وتحالفوا مع آيت خباش، مما دفع آيت اسفول إلى استئناف الحرب ضد آيت حسو، وآيت خباش الذين هددوا مصالحهم بكتاوة، وحصلوا على مساعدة آيت سيدي، وآيت بومسعود، بينما بقي آيت ونزار في الحياد، الأمر الذي أظهر آيت علوان بمظهر الفرقة وعدم القوة الناتجة عن وحدة الصف، مما جعلها أيضا لم تتمكن، ولو في فترة من الفترات من الحصول على المشيخة العامة.

وآيت علوان في الجملة وإن كانوا يملكون بعض القصور والأراضي الزراعية باكتاوة والمحاميد، إلا أنهم في الغالب كانوا من الرحل، الأمر الذي مكن آيت خباش في فترات مختلفة من الاستيلاء على قطعان الغنم الخاصة بآيت علوان ومثلهم كان يفعل لعريب، وآيت اسفول، مما أدى إلى تفقير آيت علوان الذين كانت مراعيهم من شدة التضييق عليهم بالفائجة وجبل باني وبوادي درعة والحمادة من آقا إلى تابلبالت، حيث كانت أكثر أنعامهم الإبل مما صيرهم صحراويين أكثر من آيت اسفول، وبالتالي بحكم هذا الوضع كانوا أكثر إستعدادا للتعاون مع المخزن، إلا أن تعاونهم يبقى بدون أهمية نظرا لضعفهم وعدم إمكانهم القيام بأي دور سياسي يستفيد منه المخزن.

4) خمس آيت إيعزا وآيت احليفة، وآيت الفرسي

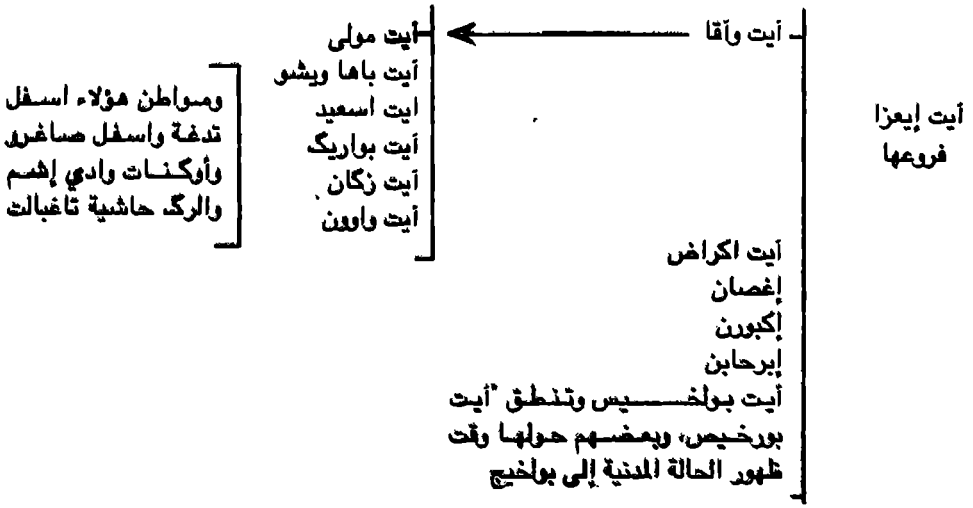

آيت إيعزا هؤلاء أغلبهم ينسبون من برابرة صنهاجة تقول الدراسات الأجنبية(268) في حين أن الوثائق المحلية تؤكد أن إكبورن منهم وآيت أبو ارخيص أصلا من عرب المعقل، كما أن فيهم من يرجعون إلى العبيد أو الحراثين، كما أن آيت بويعقوب عند بعض الأجانب فيهم من يرجعون إلى مسلمة اليهود، كآيت آبواريگ وطبعا يهود البربر الذين بقوا بحكم الموقع منقطعين ومحافظين على الدين الذي كانوا قد إعتنقوه منذ غابر الأزمان، وقد عرف هؤلاد بشدة البأس في الحروب وهو مالا يتفق وما نسب إليهم كما عرفوا كذلك وبحكم فقرهم بالبخل الشديد، ومع ذلك فهم مستقيمون إلى درجة أنهم كانوا يقومون دوما بدور له إعتبار عند آيت عطا الذين كانوا يقدمونهم كحملة للعلم، كما كانوا يختارون منهم ومن آيت واحليم حكام محكمة العدل العليا "لأغرم أَمَازْدَارْ" لإلمامهم بقانون آيت عطا :تيعقيدين" وهؤلاء آيت ابواريگ" ليست لهم صداقة إلا مع آيت إبراهيم الفرع الثاني من آيت واحليم بأقسامه الثلاثة إحلاتين وآيت آوى، وآيت خويا، حتى إن تلك المعارك أصبحت موضوع حكايات متداولة في ربوع آيت عطا وبين الرجال في مجالسهم، وأما علاقتهم مع آيت خباش، فقد كانت بإستمرار فاترة، وأما مع آيت والال وآيت انير فقد إنتهى الخلاف بينهم أحيانا إلى حروب، خصوصا حين كان هؤلاء في حرب مع آيت يافلمان وبالأخص آيت مرغاد بسبب النزاع حول قصر "تيلوين" وهي الحروب التي دامت كما أشرنا في ترجمة الشيخ محمد العربي الدرقاوي الهاشمي ساكن مدغرة، نحو المائة سنة إلى أن استطاع الشيخ المذكور أن يوفق بين الحلفين ثم يوجههما لحرب الفرنسيين في أرض توات.

ومهما يكن، فإن آيت إيعزا بصفة عامة كانت لهم علاقات طيبة مع شرفاء أحنصال وعلاقة احترام مع آيت حمو وسعيد، بآيت عيسى الذين كان قد قادهم عالم المجاهدين المولي أحمد بن الحسن السبعي رضي الله عنه، لكن مع الأسف فإن آيت إعزا وبحسن نية كانوا من مناصري المجرم الدجال الإسلامي أمبارك بن الحسين التزونوني(269) الذي سمي "مولاي محمد" والذي نصره آيت إيعزا ثم مكنوا له في تافيلالت، وبعدها مكنوا

(268) المصدر السابق وقد كان كبيرهم وقت المعركة هو احساين اعدي.

(269) راجع المقاومة بتافيلالت فصل سابق 227 من هذا الكتاب.

للذي قتله وهو محمد بن بلقاسم النكادي الذي كان هو الآخر رغم "مقاومته" للاستعمار مضللا إلى درجة أنه قتل الكثيرين ظلما. بما فيهم بعض العلماء لا لسبب غير موالاتهم للمخزن والطمع في ثروتهم. كان آيت إيعزا أهل تدغة وإخوانهم في رگ، يرتبطون بعلاقات ودية مع أگلاوة من 1920 إلى 1924 إلا أنهم نفروا منهم منذ 1926 بعد أن أفل نجم أصحاب تلوات، كما كان آيت إيعزا باستمرار على حذر من الفرنسيين، وقليل منهم من كان يتردد على مكاتب الشؤون الأهلية، وكثير منهم يعاديها بصراحة ولا يترددون في الجهر بتلك العداوة، وهذا ما يؤكد لنا أنهم لا محالة سيكونون من أهم العناصر التي ستشارك في حرب صاغرو وبوغافر، بحيث كان مركزهم بوادي رگ، وآعداد مهمة منهم تقيم في تدغة السفلى وفركلة السفلى، وأوسيكيس، ولهم مصالح في درعة وفزواطا واكتاوة التي نجد بها أنقاض قصورهم إلا أنهم غادروا هذه المنطقة من مركز تكاثرهم ورغم أن أغلبيتهم كانوا يملكون منازل، إلا أنهم كانوا رحلا وترعى أغنامهم من معادركم كم إلى الأطلس الكبير، ولم يكن لآيت إيعزا شيخ عام بل كل فرقة منهم كانت تنتخب رئيسها الخاص، ولا يعينون الشيخ العام إلا في الأزمات، وفي العهد الذي نحن بصدد التاريخ له، كان لباها وياشا بألنيف* نفوذ عليهم إذ هو من فصيلة إزواويش من آيت باها ويشو، فرقة إمزوارن الذين يحملون علم آيت عطا في الحروب.

آيت اخليفة
- آيت أخليفة وآيت الفرسى
- آيت عثمان
- آيت حمو — مواطن هؤلاء بإيگلي وأمرُّوتْشا
- آيت بوتمورت
- آيت عيسى اداود

آيت الفرسى :مواطنهم وادي إشم

هؤلاء آيت أخليفة وآيت الفرسى يقال إنهم من أصل صنهاجي ويمثلون مع آيت إيعزا خمس آيت عيسى إيزم، لكنهم لا يقومون بأي دور يذكر في سياسة آيت عطا،

* أصلهاعند ابن خلدون ونيف اسم قبيلة وتعرف عند أهل المنطقة بني ونيف.

فقديما كان آيت إعزا وحدهم يعينون الشيخ العام دون مشاركة آيت اخليفة ولا آيت الفرسى، وإن كان لهؤلاء كذلك سياستهم الخاصة بهم، وهم كذلك يملكون قصورا إلا أنهم يحيون حياة الرحل حيث ينتقلون بأغنامهم باحثين عن المراعي حول جبلي صاغرو وأوكنات.

5) خمس آيت انبكى وفروعه

- آيت خباش
  - إرجالن
    - آيت تغلا
    - آيت بواريگ بكاف
    - معطشة أذهم غير
    - آيت بورك اشراف جرامة
    - من آل سيدي اعلي بورك
    - بكاف غير معطشة

    مواطن هؤلاء بتافيلالت قصر الدواربالسيفة وامگاطا، والطاوس، وبوذنيب، وفيهم الرحل.
  - آيت اعمرو
    - إلحيان
    - ازوالا
    - آيت اعلي
    - آيت الغازي

    ومواطن هؤلاء الطاوس، والخملية، والحفيرة، وفيهم الرحل.

يقولون أن أغلب آيت انبگى من صنهاجة إذ هم من أقارب طوارق الهگار، إلا أن فيهم كذلك إزولاين من عرب معقل، كان أجدادهم الأوائل قد تصاهروا مع آيت سدرات بدادس، وبذلك قبلوا في حلف آيت عطا بتزكية من آيت بوايكنيفن من آيت واحليم، ومثل إيزولاين عروبة إلحيان الذين حافظوا على إسمهم العربي إذ بنوا لحيان، بطن من هذيل بن مدركة بن إلياس وهما إبنا خندف من مضر يقول القلقشندي، ولحيان أبوهم، وآيت انبگى من الرحل الصحراويين الذين يمتد وجودهم إلى توات، وگورارة، وتيديكلت شرقا، وإلى الساقية الحمراء غربا بل كانت قوافلهم تصل إلى السودان الأمر الذي دفع بهم حين دعى الشيخ محمد العربي لمحاربة الفرنسيين وإيقاف مدهم في أرض توات أن كانوا من السابقين في تلك الحروب التي رأينا كيف اتحدت في سبيل خوضها جموع حلفي آيت يافلمان وآيت عطا كما سبق، وبسبب تمكن الفرنسيين من تلك المناطق بعد تقلص وجود

آيت خباش، حيث بدأت المعارك على أشدها منذ عام 1870م 1287هـ كما تؤكد ذلك وثائق الفرنسيين أنفسهم وما دونوه حول إحتلال الواحات الشرقية التي كانت مجالا لمهاري آيت خباش وآيت انبگى عموما، وبسبب ذلك الاحتلال تولت إلى المناطق الغربية، ونجد آيت خباش بأوسكيس وإلى أعالي زيز، وعند آيت يوسي بالأطلس المتوسط جنوب شرق صفرو، وبين قبائل بني وراين، وبني يزناتن، والريف، بحيث نجدهم طبعوا كل هذه المناطق بما عرفوا به من شدة البأس في الحروب، الأمر الذي قرب بينهم وبين آيت حمو واسعيد، بوادي آيت عيسى، كما أننا نجد فرقة آيت اعمرو الأكثر يسرا لها علاقة حسنة مع الجميع بخلاف إيزولاين وإلحيان المعروفتان بشراستهما.

وبالتالي فإن لآيت خباش علاقة حلف مع بني محمد عرب المعقل بتافيلالت وتاگنيت والذين يربط بينهم حلف تافركانت كما أن علاقتهم جد حسنة مع آيت واحليم خصوصا منهم آيت حسو، في الوقت الذي يعادون آيت اسفول ومع أتباع آيت خباش أعريب انواجي، كما هم حلفاء ذوي منيع الذين خاضوا معهم المعارك الحامية ضد الفرنسيين في وادي الساورة وزوزفانا ما بين 1900ـ1903م وآيت انبكى مثل آيت إيعزا ساندو المجرم الإسلامي أمبارك بن الحسن التزونوني الذي إدعى النسب ثم أصبح سلطانا في تافيلالت1918م 1337هـ وسماه غير العارفين بالسملالي، وإذا كان الرحل من آيت خباش قد بقوا حاملين السلاح في وجه التوسع الفرنسي، فإنهم كذلك إستعملوه من أجل النهب وقطع الطريق على القوافل التي كانت تتوجه لتافيلالت، بحيث لا يدخل أي منها المنطقة إلا إذا دفع أهلها ضريبة المرور "الزطاطا" حيث كانت مناطق تجوال أغنامهم في المنطقة ما بين الحمادة بگير وتافيلالت إلى أوگنات وصاغرو تازارين، وخط تاغيا زگدو، على الضفة اليمنى للداورة السفلى، وبعضها كان يصل إلى آقا نايت امريباط، فكانت كل هذه المناطق محرمة على الذي لم يدفع ضريبة المرور.

كان آيت خباش حتى الفترة التي نؤرخ لها يعينون كل سنة شيخا على التوالي، وبالتناوب بين إردجالن وآيت عمرو وإلحيان وآيت إزولاين، كما كان لكل فرقة شيخها الخاص بها، وفي هذه الفترة أيضا كان من أعيانهم وقتها: عدي اكجوط، ويوسف احسو، ومحمد اباني من إرد جالن، ويوسف أباگابو من أزولاين، ومحمد آباني، هو الذين تعرفنا

عليه قبل مع بلقاسم النكادي، كما تعرفنا على غيره مثل أحماد اباسو، من آيت إيعزا وعمرو أحسن العزاوي، الذي قاد معركة أم سيسي قبل في حرب تافيلالت، وهم من أهل قصر تيزي، أما الفرع الثاني من آيت انبكى فهو آيت أمناصف.

آيت امناصف هؤلاء من خمس آيت انبكي آيت عطا، يعتبرون في نظر بعض المؤرخين من صنهاجة الطبقة الثانية والثالثة عندهم، وحسب العرف الذين تعارفوا عليه، وفي التاريخ الذي نحن بصدده 1933 كانت أعدادهم في أوفوس الرتب فقط تقدر بحوالي ستمائة أسرة أو تزيد، ومع ذلك لم يكن لها أي دور في سياسة آيت عطا لأنها في الجملة كانت من آيت يحيى وموسى، وآيت الخلف، وهذان الفرعان عرفا أكثر من غيرهما بخضوعهما للمخزن وكان الذي طوعهم بالإحسان من السلاطين هما المولى سليمان وخلفه المولى عبد الرحمن بن هشام، بخلاف الذين كانوا في وادي احصيا من آيت يحيى اموسى فإنهم كانوا على علاقة ود وتعاطف مع آيت خباش، لأنهم كذلك كانوا من الرحل

كما كانوا ذوي شجاعة وبأس في الحروب التي كانوا لا يتخلفون عنها كلما دعت رابطة الحلف، ولأن طبيعة حياتهم في المنطقة حيث كانت أنعامهم ترعى ما بين تيزويين وتافيلالت، وزيز،وفي الصيف بصاغرو وأوكنات، ولا يجدون ما يريدون بين ربوع هذه المناطق وأهلها إلا إذا هم أعلنوا عداءهم للمخزن الذي كان يمثله الفرنسيون وعملاؤهم وقتها.

إن بني محمد من عرب المعقل، كانت مواطنهم حتى عهد الموحدين بالساقية الحمراء وساحل البحر المحيط، وفي زمن واحد استقدموا هم وعرب الصباح إلى منطقة سجلماسة، بنو محمد هؤلاء في مجموعهم من بني عبد الله بن علي من بني قرة، من قبيلة العمور الملحقة بالأثبج من هلال بن عامر من العدنانية من أفخاذهم: عنان وعزيز(270) ولقد كان بنو محمد عموما تابعين لآيت خباش وآيت انبگى بسبب نزاعهم مع

(270) راجع تاريخ إبن خلدون 51/6 ومما كان بنو محمد يتخذونه للربط بينهم وبين آيت خباش من آيت عطا جيرانهم في منطقة تافيلالت ما يسمى باللهجة البربرية "تافركانت" التي هي الرضاعة المبكرة، بحيث كان هؤلاء وأولئك يتبادلون الأطفال من أجل الرضاعة بأعداد كثيرة مما كان عادة يمنع التزاوج بينهم ويصيرهم لحمة واحدة.

أقاربهم، ولذلك شاركوا في الحروب التي إندلعت بينهم وبين الفرنسيين بناحية توات أواخر القرن الثالث عشر الهجري، والتاسع عشر الميلادي، وبداية القرن العشرين، وذلك في كل من توات، بوذنيب، وتافيلالت، ولقد أبلوا البلاء الحسن في حروب گورارة، وعين صالح، وتيديكلت، وغيرها من عام 1281ـ 1864م و1305هـ/1887م و1325هـ 1907م وبنو محمد هؤلاء انتشروا في جهات مختلفة من المغرب، بالإضافة إلى اكتاوة، ودرعة وتافيلالت، فهم كذلك يوجدون في أسكورة، وناحية مراكش لكنهم بصفة عامة فقدوا ما كان لهم من شجاعة وشدة في الحرب، بسبب تحضرهم، وقد كان من أعيانهم في العهد الذي نؤرخ له كثير من الرجال الذين عرفوا بسلامة وحسن التدبير، آخرهم في ناحية تافيلالت أمبارك ولدحمينة الذي كان له نفوذ كبير على قومه.

ذلكم هو مجموع القبائل التي يجمعها حلف آيت عطا بدون إستثناء، وضمن إستعراضنا لتلك القبائل ذكرنا بعض أسماء المعروفين بزعامة أو نفوذ في تلك القبائل ومنهم أولئك الذين تزعموا المجاهدين الذين إختاروا أن يلقنوا قوات الغزو الفرنسي درسا وعاه جنرالات فرنسا من دهاقنة الاستعمار، وكثير منهم دونه في مذكراته التي نشرت، والتي مهما ظن أولئك الضباط الكبار أنهم خلدوا بها ذكرهم ودونوا أعمالهم من أجل التمكين لفرنسا دولة الاستعمار وعدوة الحق والعدل والسلام بين البشر، فإنهم في الواقع بما كتبوه خلدوا لنا صفحات مجيدة من تاريخ الشعب المغربي ونضاله في سبيل عزته وكرامته، ناهيك وأنهم فقط وهم متلبسون في حالة إعتداء على شعب يعتبر أعزل من السلاح إذا ما قورن سلاحهم الثقيل وطيرانهم وسياراتهم المصفحة ومدافعهم الثقيلة والرشاشة بما كان للمغاربة من سلاح، وإذا ما قورن ضباطهم ونظام جندهم بواقع تلك القبائل وزعمائها وما تعرض له بعضهم من ترغيب وترهيب، وما كان عليه واقعها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي من ظروف قاسية ساهمت سياسة الإستعمار والغزو المكثف بعد الحرب العالمية الأولى في صنعها وتأزيمها، وقد عرفنا كيف أمكن للحكم الفرنسي أن يتمكن في مختلف جهات المغرب، وأنه في كل الجهات إعتمد أكثر على قوة الحديد والنار، وفي مختلف الجهات المنتجة خصوصا الساحلية، ثم منطقة مكناس، والرباط، والبيضاء، وبني ملال، ما كاد يتمكن حتى صادر أحسن الأراضي لفائدة

المستعمرين المستوردين، وفي المناطق التي لم تكن منتجة نظم الحكم فيها عسكريا، وسلط عليها قوة القهر والزجر، الأمر الذي دفع أحرار آيت عطا وقد شاهدوا رأي العين ما حل بالذين قدر لهم أن يغلبوا، وأن يسلموا السلاح ويوضعون تحت حكم أمثال الحقير الجلاوي أن يختاروا القتال حتى يفرضوا إرادتهم أو يموتوا في ساحة الشرف دفاعا من أجل حياة العزة والكرامة، حيث إختاروا لميدان معاركهم جبلي صاغرو، وبوغافر، وما كاد هذا الاختيار يعرف من دهاقنة الاستعمار حتى دب التذمر والتشاؤم في نفوس بعضهم كما يخبرنا "هنري دوبوردو" عن الرسالة التي كتبها إبن أخيه دوبورنازيل الذي عرفناه قبل في الريف وبوخموج، وتافيلالت، والذي كتب لأسرته بتاريخ 8 فبراير 1933 رسالة إلى أمه يخبرها أنه تقرر الهجوم على صاغرو وأبدى فيها بعض تخوفاته من هذه العملية ومن هذه التخوفات، ومن بعض تصريحاته لرفاقه يقول عمه، أنه إستنتج بأن قلبه كان يحدثه بالموت، وذلك فعلا ما سيحصل حين يقرر أحد العطاويين ـ وقد عاش غطرسته في تافيلالت أن يقتله بطريقة عجيبة كما سنرى بعد.

الفصل الواحد والأربعون بعد المائتين

آخر معارك المقاومة في جبال بوكافر وصاغرو وبو حمدون وسوس ثم آيت بوعمران

كانت المعارك لم تنقطع بين الفرنسيين وآيت عطا في مختلف المناطق ما بين الأطلس المتوسط والكبير، حتى إنتهت إلى جبل "إمسعدن" وفي شهر فبراير 1933 تقرر وبعد إتصالات لم تكن عامة بين بعض رجالات آيت عطا الذين كان من المتحمسين فيهم أكثر، هو المرحوم عسو باسلام لسببين أو بالأحرى لدافعين، الدافع الأول والمهم هو أن عسو باسلام من أسرة كلها نساء ورجالا كانت من أتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي الدرقاوي العلوي سابق الترجمة والعدو الأول في المغرب الأقصى للإستعمار الفرنسي، وبذلك يكون عسو باسلام قد ورث ثم نشأ وتربى على عداوة الكفر والكفار من الفرنسيين أعداء حرية الشعوب، وبالتالي فهم في إعتباره أعداء الإسلام، ثم كان هناك دافع آخر في نظرنا كان له إعتباره، ذلكم هو أن عسو باسلام الذي يرجع إلى قبيلة إيلمشان من خمس آيت واحليم، ثم هو من قصر تازوگا تينغير، كان المفروض إن هم خضعوا واستسلموا للفرنسيين أن يضعوهم تحت حكم العبد الآبق والمجرم الأصيل في حق هذا الشعب والدين التهامي الجلاوي، وللأسف أن موحداش ولد الحاج فاسكا، من آيت بوكنيفن، نفس الخمس آيت واحليم، كان قد سبق إلى الارتماء في أحضان الجلاوي الذي ربط بينه وبين المخزن الذي هو إدارة الفرنسيين وقتها، فكان هذا السبق كذلك مما دفع عسو باسلام إلى إمتشاق الحسام، واختيار الإعتصام بالجبل بجموع رجاله من آيت إيلمشان، بل وكثير من آيت بوكنيفن كذلك كان من حلف آيت عطا كبقية القبائل التي لم تكن خاضعة للسلطان والإدارة منذ عهد قديم وربما كانت قبائل آيت عطا أكثر من غيرها تمتعا بالحرية، لأنها كانت تتوفر على نظام شورى مكن لها منذ عهد قديم، حيث كان

مجلس حكمهم يتكون من خمس وأربعين رجلا يرأسهم الشيخ العام الذي كان ينتخب دوريا، وينقل ترشيحه من قبيلة إلى أخرى حسب القانون المتفق عليه وما يتضمن من شروط يجب توفرها في المرشح، والتي في طليعتها الإمكانات المادية، وقوامها الأنعام عندهم وليس العقار، تليها الخبرة والحنكة واللياقة والنزاهة والصدق والإخلاص والكرم، وكان الشيخ العام لا يتمكن إلا إذا هو نال رضى الجميع، وذلك كان واقع آيت عطا الذين إستعصوا حتى على المولى إسماعيل الذي لم يثبت أنه إستخلص منهم خراجا رغم أنه ضبط المغرب ضبطا عرفناه قبل من خلال تاريخ المرحلة التي حكم فيها، وعبثا حاول غيره إلى عهد المولى سليمان ثم المولي عبد الرحمن اللذان حاولا معهم باللين كما عبر الثاني في المراسلة التي وجهها للمولى عبد الهادي الشاكري العلوي بعدما إحتل آيت عطا قصور الرتب بعد موت المولى سليمان مباشرة ثم أرسل إليهم ويقول أنهم لبوا رغبته "رغبا لا رهبا" كما نري في الرسالة المنشورة في هذا الفصل.

ومهما يكن فإن قبائل آيت عطا دامت تحت الحكم ،لشورى الذي إختارته لنفسها، والذي دامت عليه مآت السنين، نظمت فيها حياتها حسب ظروف عيشها وموارد دخلها ومناطق وجودها، ومن أجل إستقلالها عاشت في حرب مع حلف آيت يافلمان طيلة مائة سنة كان الدافع لها رغبة السلطان في إخضاع تلك الجموع من قبائل آيت عطا التي أثر نظامها في كثير من القبائل التي لم تكن قوات جنود السلطان قريبة منها، وقد بقي ذلك هو واقع آيت عطا إلى عهد فرض الحماية وغزو الفرنسيين للمناطق التي لم تقبلها بدءا من الموقع الذي وقعت فيه "فاس" إلى أقصى البلاد شرقا وغربا، ومنها قبائل آيت عطا التي كانت تحكم برجال مختارين منتخبين مهمتهم الذود عن قبائلهم بما يوافق مصالحهم ويتفق مع رغباتهم، وقد كانت حين صممت فرنسا على غزو بلادهم هي إعلان الجهاد الذي إتفقت عليه القيادة العليا التي لم تكن في يد فرد وإنما كانت في يد جماعة كما سنرى.

كان من جملة الزعماء الذين إختاروا الجهاد كذلك باسو ولد خويا ميمون، من آيت انير تازارين، وحمو ولحسن امورغى من آيت بوداود، ولحسن اغزيف، وآيت موهوش من آيت أخليفة آيت إيعزا واحساين اعدى من آيت إيعزا كذلك وغيرهم كثيرون جدا لم يكن

في وسعنا الحصول على أسمائهم بنزاهة رغم توفر الرواة من الاحياء الذين عاشوا تلك المعارك. لكن أغلبهم بل كلهم لم يستطيع الخلاص من روح العصبية والتعصب، وأعنى به النسبة إلى العصبة وهي قوم الرجل يعززون قوته ويدفعون عنه الضيم والعداء، وهو ذلك الذي وصفه الشيخ محمد عبده رحمه الله بأنه "وصف للنفس الإنسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذوذ عن حقه، ووجوه الاتصال تابعة لاحكام النفس في معلوماتها ومعارفها، هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب وأقام بناء الأمم، وهو عقد الرباط في كل أمة، بل هو المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها تحت إسم واحد.. إلخ"(271).

هذه الروح هي التي حالت دون تدويني لكل أسماء الذين قيل لي من كل فريق أنهم كانوا قادة المعارك التي دارت في جبلي بوغافر وصاغرو، لكن إذا لم أذكر أسماء كل الرجال، فإن الواجب يحتم ذكر أسماء القبائل التي شارك رجالها بل منهم ومن عدد أفخاذهم وبطونهم المشار إليها، تكون الفكرة التي تؤكد لنا أن حكمهم كان شوريا وليس فرديا، وهكذا فمن الذين شاركوا في حرب صاغرو وبوغافر القبائل التالية:

فمن خمس آيت واحليم إيلمشان وفروعها الستة المذكورة قبل، وكذا آيت بوداود بل وآيت حسو، وفروعها الستة كذلك، وآيت عيسى وابراهيم وفروعها الثلاثة ومن آيت بويكنيفن فقط المخالفين لموحداش منهم، ومن خمس آيت إيعزا وآيت أخليفة وآيت الفرسى، جلهم إلا من عجز لمرض أو شيخوخة. ومن خمس آيت انبگي آيت خباش بفرعيها إردجالن، وآيت أعمرو، وما تفرع عنهما من فروع ستة، ومن بني محمد أهل لكتاوة والمحاميد، أما أهل تافيلالت فقد كانوا قد وقعوا تحت وطأة الإحتلال، ولا يفوتنا أن نذكر الشرفاء آيت مولاي المامون الذين كانوا وسط آيت إيعزا النيف، كما شارك من رگاكة أكثر من خمسين رجلا ومثلهم من آيت مرغاد.

وإذا كنا لم نجد من يمدنا بأرقام محددة لعدد الذين إعتصموا بالجبل، فإن مصادر الفرنسيين ومنهم هنري دوبوردو في كتابه عن ابن أخيه بورنازيل والكولونيل فوانو(272) في كتابه الآثار المجيدة والأول قدر عدد المعتصمين بالفين 2000 من المحاربين من أبرع

(271) من محاضرته المطبوعة 1954والتي قدم لها ونشرها محمد فؤاء منقارة الطرابلسي راجع ص 6.
(272) عنده في الفصل 65 أن عدد العائلات التي صعدت الجبل قد رب 800 عائلة.

الرماة، ومعهم نساؤهم اللواتي كن أكثر منهم حرصا على القتال، ومعهم أطفالهم، ويقدر الجميع بخمسة آلاف نسمة، زيادة علي ما يقدر بخمسة وعشرين ألف 25000 رأس من الماشية بما فيهم من الغنم، والمعز، والابل، والبغال، والحمير، وقد جمعوا ما يكفيهم من المؤونة لعدة شهور.

لم يكن صعود هؤلاء الرجال إلى جبل صاغرو من أجل النجاة بأنفسهم وذويهم وأنعامهم، بل حماية وللاستمرار في غاراتهم التي لم تنقطع ضد العدو منذ أمد بعيد، واشتدت أكثر في تافيلالت وبعد إحتلالها في يناير 1932م، وكان الصعود بعد أشد المعارك التي وقعت في جبل "إمسعدن" حيث جاء الفرنسيون بعتادهم الذي كانوا قد واجهوا به الألمان في الحرب العالمية الأولى فاحتلوا به تافيلالت ومنها إلى صاغرو كانت قوات الغزو الفرنسي من أجل إحكام الكماشة على المجاهدين المقاومين في جبل صاغرو قد أمرت وحداتها المرابطة ناحية مراكش بالتقدم شيئا فشيئا، بقيادة الجنرال كاترو "كما سبق، وكانت المسافة بين مركز قيادته ومركز قيادة الجنرال جيرو القادم من ناحية الشرق تقدر بستة عشر كيلومترا 16 كم، الأمر الذي مكن الجنرالين من محاصرة جبل بوغافر، ففي يوم 12 فبراير 1933 أخذت الوحدات التي ستنطلق لحرب المجاهدين مواقعها، وفي الليلة ما بين12ـ 13 فبراير بدأت زحفها، لكنها فوجئت بمقاومة عنيفة وعنيفة جدا أوقفتها ثم وضعتها في موقف حرج حيث حالت بينها وبين تحقيق أي تقدم، بل أخذ المجاهدون وبمهارة يلتقطون الضباط الذين كان لسقوطهم الأثر الفعال في إنهيار الأعصاب، مما دفع بالجنرال هورى بصفته القائد العام لقوات الفرنسيين في المغرب أن يشرف على تسيير العمليات بنفسه للتنسيق بين جهود الجنرالين جيرو الذي كان مركزه تينغير، وكاترو ومركزه بومالن، ورغم كل الاستحكامات، فقد فشلت قواتهم في محاولاتهم للإستيلاء على جبل بوغافر، رغم القصف المركز والعنيف الذي دام جوا وبرا ليلا ونهارا ولمدة خمسة عشر يوما دون إنقطاع يقول هنري دوبوردو، والكولونيل فوانو، ومختلف مصادرهم، بل كانت الخسارة جد عالية في صفوف الفرنسيين، إذا ما قورنت بخسارة المقاومين، ففي هذه الفترة قتل الملازم أليكسندر والملازم كارضون والملازم بيسرو(273)،

(273) المصدر هنري دوبودو حول بورنازيل.

وهذا بالإضافة إلى مآت الجنود الذين لم يتمكن الفرنسيون من مواراة أجسامهم، فكانت النتونة والمناظر المشوهة تزيد في تحطيم أعصاب الغزاة والزيادة في شجاعة المقاومين الذين يقينا كانوا يعتقدون أن من مات منهم فهو شهيد، مآله النعيم المقيم عند الله، وذلك ما كان يدفع بالمرأة العطاوية إلى الزغاريد كلما سقط شهيد، والعويل إحتقارا كلما سقط جندي أو ضابط من قوات العدو، فكانت هذه الصور من البطولة دافعا بالقيادة العليا لقوات الغزو إلى الإجتماع الذي تقرر فيه أن يكون يوم 28 فبراير هو يوم الهجوم الكبير.

تقرر أن يكون الهجوم الكبير على جبل بوكافر بواسطة فيلقين، يقود أحدهما القبطان "بورنازيل" ويقود ثانيهما القبطان "فوري" وأسندت قيادتهما العامة للكولونيل "ديسباس".

كان الفيلق الذي يقوده بورنازيل يتكون من فصيلة "برينكل" وسرية "فوشو" والفرق 16ـ18ـ21 للگوم، و200 متطوع "برطيزة" وكلف هذا الفيلق بالاستيلاء على القمة الجنوبية لبگافر.

أما فيلق فورى، فقد كان من فصيلة "ماركو" وسرية "فوشو" والفرقتين 7ـ17ـ للكوم و100 متطوع "برطيزة"، وكلف بالاستيلاء على القمة الشمالية للجبل.

كان على كتيبة "بالينكوت" أن تعزز الفيلقين بمدفعيتها التي كانت قد صوبتها نحو الجبل منذ شهرين قبل، وتقول رواية من حضر كان جو صبيحة يوم 28 فبراير باردا جدا فبالإضافة إلى الثلوج التي غطت الجبال عموما، وبوكافر بالأخص، زادت الغيوم بكثافتها والضباب بتحركاته من عناء ومتاعب الغزاة، أما العطاويين فقد ألفوا الرؤية وتبيان الصورة، بل والتقاط الأصوات وتمييز الغريب منها في مثل ذلك الجو(274) وقبل الساعة السابعة بقليل تقول المذكرات وما نشر، بدأ قصف المنطقة بالطائرات، وبالمدفعية بشكل أهوج وبطريقة عشوائية سببها التذمر وهيجان الأعصاب، إلا أن الصخور كانت تحمي

(274) في سنة 1974 وقفت على إثنين من رحالة قبيلة آيت مرغاد بالمكان المعروف جبل العياشي وأعلى ربوة قرب زبزاط طريق "تيزينت الغمت" وقد أخذ أحدهما يلوح ببرنوسه في حركات شبه معبرة ولما سألت من كان معي عن الحركات قيل إنه يخاطب آخر كان في مكان بعيد بحيث لا يصل إليه الصوت، وكان هذا في الوقت الذي غطت السحب المنطقة وهذا الشيء مألوف بينهم حتى اليوم، ووقتها أدركت المحنة والدمار اللذين كانت تعيشهما قوات الفرنسيين المعتدين أثناء حروبها في المنطقة.

المقاومين الذين عرفوا كيف وأين يختبئون خلف الصخور وداخل المغارات التي كن النساء يعددنها بإستمرار، وبذلك لم تتضرر من ذلك القصف إلا الماشية، أما المقاومون الذي لم يكن المنظار يكتشف منهم إن صح ما قيل غير العين وفوهة البندقية، فإنهم لم يتضرروا كثيرا، وكما كان في مختلف الإتجاهات بدون إنقطاع وفي كل ناحية كان القتلى يتساقطون ويتعثر فيهم الجنود الذين كان الفرنسيون والأجانب يتوارون خلف صفوف الگوم والمكرهين بإسم المتطوعين ومع ذلك سقط منهم المآت لا بطلقات بنادق المقاومين بل وبالصخور الكبيرة التي كن النساء يدحرجنها من الأمكنة المناسبة ومن مواقع كثيرة، فكانت تحصد من الجنود المدربين ما تجد أمامها، وذلك نوع من المقاومة التي كان لهاأكبر الأثر بدون تكاليف، ولم يجد الغزاة وسيلة لدفعها رغم ما أشرنا إليه من القصف العشوائي جوا وبرا.

وللدلالة على ما كان عليه القوم من نشوة في جهادهم هذا، وأن بعضهم بلغ به الاعتزاز بالنفس والحقد على العدو، إلى درجة إختيار من يقتل من العدو، وكيف يقتله باختيار المقتل الذي إذا ضرب فيه لا يكاد يسلم، بل ولا يموت في حينه، بل يعذب ويتألم وذلك ما حصل لبورنازيل الذي صمم اعمرو واسعيد ويسعدن أن يفعل به ذلك يقول من حضر أحدا انعلا من آيت خباش الطاوس تافيلالت.

كان القبطان بورنازيل وهو قائد الفيلق المشار إليه، والمعزز بآلاف الجنود، وحماية الطائرات والمدافع، قد تحمس للظهور كعادته، وكما سبق له أن فعل ونجا في ميس بولمان، وبخموج، والريف، وذلك حتى يصعد رتبة في السلم العسكري، ويلحق بالذين سبقوه من الذين ارتفعوا على أشلاء المغاربة أمثال بواميرودرود، وجيرو، وكاترو، وهورى ولسيان سان، ونوجيس، بل وقبل هؤلاء وأولئك اليوطي الذي أصبح مارشالا، لكن بورنازيل نسي أن المكان غير المكان، والرجال غير الرجال، بل ونسي أنه وقتها أصبح معروفا بما جر عليه الكراهية وأجج الحقد في نفوس الكثير من رجال آيت عطا الذين عاشوا ما فعله بجبن ورذالة معهم وقت دخول الريصاني يناير 1932 وإثر فرار إبن بلقاسم النكادي وتخلف محمد ولد محما العطاوي الذي باعه أحد أعيان قصر تزوينت، كما قال بورنازيل لعمه في المراسلة التي نشرها هذا الأخير ولما قبض عليه وضع الحديد في يديه

ورجله ثم وقف أمامه لتلتقط له صورة تعليه وتحط قدر المجاهد محمد ولد محما العطاوي، وإذا كان هذا قد إنتهى إلى ماعرف من مصير تحت حكم الإذلال والقهر الذي باشره بورنازيل ضد الفيلاليين والعطاويين، ومنهم من إنتقل ليقاوم في جبل بوگافر وصاغرو، ومن هؤلاء اعمرو وسعيد ويسعدن، من آيت سعدان خمس آيت إيعزا الذي أقسم أن يقتل بورنازيل وأن يضربه في المكان الذي لا تزهق بضربه روحه حالا، وإذا كان معه في الغار جماعة من قصر تيزي، إخوانه في الخمس، ومنهم مولاي اليزيد وولده مولاي عبد السلام، ومحمد واحساين وولده باسو واحساين وأخته فاطمة احساين، وعيشة الحو، ومحمد اباسو، ومحمد ايوسف من آيت سيدي موح وامبارك ورابحة علي وبوجمعة ويحيى، وحمو وخيي ، وللا اشريف، وعيشة قدي. فإن أولهم وهو مولاي اليزيد وكان متدينا جدا، طرح السؤال على اعمرو واسعيد ويسعدن.

كيف تبر بقسمك الذي أقمست به وأنت تجاهد، وما شأنك إن قتلت ولم تبر بقسمك، فأجابه الآن سافعل ـ وكيف؟ سأضربه في صرة بطنه، حتى يسقط يتلوى ويتعذب قبل أن يموت وأين لك حتى تصيبه في صرته ـ انتظر فقط تظهر بعض أشعة الشمس ثم تنعكس على إبزيم محزمته، وإذا كانت عروة الإبزيم من نحاس أصفر ورداءه برنس أحمر فإنها بالفعل كانت تلمع وينعكس بريقها مع أشعة الشمس التي تلوح وتختفي حسب مرور السحب وسرعة الرياح، وإذا ما شوش مولاي اليزيد فكر اعمرو ويسعدن بقوله، وتساؤله، فإن هذا الأخير لم يعد له من إهتمام ولا شاغل غير مراقبة القبطان بورنازيل الذي كان في إتجاه الحافة المؤدية إلى القمة الجنوبية بجبل بوكافر، كما صدرت له الأوامر العليا بذلك، لكن آماله لم تتحقق وسقط كما قرر له المجاهد اعمرو واسعيد الذي قال لصاحبه وهما في الغار، مولاي اليزيد، وبلهجة بربرية وحماس : ها قصر في الجنة أصبح لي إن شاء الله، ثم شهق يبكي فرحا حتى بلل الدمع وجنتيه وأخذ يتقاطر من ذقنه على صدره فمد يده إلى طرف عمامته ليجفف عبراته وهو يقول لك الحمد يارب، فرددها معه القوم بأصوات إختنقت من أثر البكاء الذي لم يستطيع القوم مقاومته من شدة الفرح.

ياالله العجب ما أكبر هؤلاء الكرام الذين كم تتعمق جراح النفس حين يرى المرء

ماذا يراد بهم اليوم ظلما وتحقيرا بعد الاستقلال وغروب شمس الاستعمار، وحين يوجه إليهم أحد جنود الاستعمار الفرنسي بل هو وأبوه وعمه وكل أهله كانوا من جملة المتطوعين "برطيزة" مع الفرنسيين لمقاتلة العطاويين وغيرهم، ذلكم هو المسمى "المحجوب" أحرطان"(275) الذي تتجند الإدارة بمختلف وسائلها لجمعهم في ذكرى المعركة حتى يقول لهم : إن المغرب أصلا للبربر ويجب أن يكون للبربر، بل وتتجند وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية لتذيع وتنشر هذا البهتان والضلال الذي يعلم الله نتيجة عواقبه وما ستتولد عنه من شرور هي بلا شك في سجل الذين إنتهوا بالأوضاع إلى الدرك الأسفل الذي يتقدم فيه أمثال أحرضان ومحمد ولد أخناتة الشركية المحسوب على العلويين بالإسم المستعار "أحمد العلوي" والدخلاء .

سقط بورنازيل سريعا يتلوى دون أن يتداركه من حوله بالسرعة المطلوبة، وبذلك بدأ فريقه يتفكك، ومعنويات رجاله تنهار، وصفوف جنوده تتمزق، ناهيك وأنه في نفس الصباح وقبل قتل بورنازيل، كان قد سقط من الضباط الملازم "ريني" والملازم " "برينكلي"والقبطان "فوشي"

وهكذا تتحد رواية المعضاضيين المكرهين الذين كانوا ضمن المتطوعين "برطيزة" ومثلهم أهل الرتب وما كتبه هنري دوبورنازيل عم القتيل حيث قال: بينما أصاب الرعب بقية قوات المهاجمين الفرنسيين تبين أن الفيلاليين "والبرانصة" وأهل الرتب ليسوا محاربين شجعانا، خصوصا وأنهم يواجهون محاربين من أشجع قبائل المغرب وهو نفس

---

(275) المحجوب أحرضان هذا أصله من قصر تيلوين عرب الصباح منطقة آيت مرغاد الذي احتله آيت عطا كما سبق، ولقصة ترحيل سادة أجداده إلى عين اسبيت بازعير تاريخ يرجع إلى 1197 هـ/ 1782م بسبب حادث في تافيلالت دفع السلطان محمد بن عبد الله إلى النقمة على جموع الذين رحلهم من العرب ثم أنزلهم ما بين الصخيرات وبوزنيقة وتمارة وأرض زعير ناحية الرباط، وبعدها بسبب حادثة قتل رحل آل "أحرضان" إلى ولماس حيث عملوا في ركاب المستعمر وفي عهد الافتراءات على الشعب والتزوير إنتحل له النسب النبوي الذي دسه موسخ المملكة الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، في أعلامه حول المغرب العربي ج 215/2 حيث سماه أحرضان بن محمد المحجوبي الحسني "ثم في الترجمة ما شاء من ترهات تشريفا لزوجته الفرنسية مريم بنت أحد العسكريين الفرنسيين الذين قتلوا المغاربة بحقد شديد وكراهية يحفظها التاريخ اللاهم إن كان هذا هو الحق عند المغاربة الذين أذلهم الخونة والعملاء فسكتوا فأمطر على من أذلوهم حجارة من السماء أو إيتيهم بعذاب أليم تطول معه أعمارهم بين المغاربة الذين أصبحوا ولا أمل لهم ولارجاء إلا في عدلك وانتقامك من الخونة الأغبياء والمرجفين السفهاء.

ما تؤكده أقوال الكثيرين ممن حضروا من أهل قصور السيفة، وبني محمد وتيزيمي والمعاضيد، وأنهم بالفعل كانوا وقت المواجهة في صاغرو يتظاهرون بعدم المهارة والبراعة في الرماية، مما كان السبب في بقائهم على قيد الحياة بخلاف الذين إندمجوا في صفوف الجيوش الفرنسية وتحمسوا، فإن أكثرهم لقي حتفه ومات جيفة، بحيث لا يزال ذكر إسمه يثار بتحقير مثل المسمى "حبيبي بن هدى المحسوب المعروف المعضادي: قومه اليوم بالعوني الذي نصب قائدا على أهل المعاضيد تحقيرا لهم، لأنهم قاوموا بشهامة ضد الفرنسيين، في الوقت الذي كان هو ضمن المخلفين الذين سارعوا للارتماء في أحضان القبطان "اتيابو" الذي أصبح حاكما لأرفود وقتها 1916م/ 1335هـ ومثله كل من الزنيم المسمى "بابا ولد الحاج عمر لخبيطي وهو العبد الآبق الذي نصب على أهل تيزيمي تحقيرا لمجاهديهم وحماني بن الهاشمي علي أهل الجوف كذلك تحقيرا لهم مكان المجاهد حماني بن قدور، إلخ .

ومهما يكن فقد سال الدم بغزارة في جبل بوگافر وعلى سفوحه دون أن يتحقق لقوات الغزو الفرنسي ما كانت قيادتها ترمي إليه من وراء ذلك التخطيط الجهنمي، في الوقت الذي كلفتها تلك الغارات ثمنا جد باهظ في الرجال والعتاد، وإذا ما إنقضى يوم 28 فبراير ولما يتحقق تقدم، فإن الجنرال هورى ومن كان معه من الجنرالات كاترو، وجيرو، إتفقوا على تشديد الحصار على الجبل والانتظار بدل الهجوم عليه دون جدوى، لقد تساءل بعض الذين كتبوا حول حرب بوگافر، ولما يكونوا قد علموا بما كان في مختلف جهات المغرب، من أمثال تلك الحروب، سواء في توات أو الساورة وزوزفانة وبوذنيب، ولمنابهة ووادي بوبرنوس، ولهري، وتادلة، والريف، وبني وراين، وبني إزناتن، وسوس وغيرها، تساءل الذين كتبوا حول حرب بوگافر ومنهم هنري دوبوردو الذي قال بالحرف : "هل سبقت مهاجمة مثل هؤلاء الأبطال الصامدين؟ إنه لم يحدث أن حطمت أية حملة إستعمارية في أي بلد مثل هذه المقاومة فصار حتما الإلتجاء إلى وسائل أخرى لإضعاف هذا العتيد في حصنه الحصين".

لقد كان من بين تلك الوسائل محاولة الإغراء لبعض الذين ظنوا أن في الإمكان إغراؤهم بواسطة بعض الذين كانوا قد إستمالوهم عن طريق العبد الآبق الغاوي التهامي

الجلاوي، ولكم إرتفع الثمن غاليا كما أشاعه أمثال موحداش ولد الحاج فاسكا وغيره، لكن شيئا من ذلك لم يؤثر قبل إراقة الدماء» فكيف وقد كانت التضحية غالية جدا، لكن في سبيل من؟ إنها في سبيل الدين والوطن والشرف وعزة النفس، وإذا لم تؤثر الإغراءات فإن الأوامر صدرت ثانية باستئناف القصف بطريقة أعنف مما كان برا وجوا مع التركيز على موارد المياه، وتشديد الحصار حتى يختنق المقاومون وسط جيفة الماشية وجثث الموتى، زيادة على قساوة قر الشتاء وشدة العواصف التي كانت تقتلع الخيام ولا تسمح بتنصيبها كما تثور الزوابع من حين لآخر يتخللها تساقط الثلوج، لكن رغم كل ذلك هل سيجبر ذلك الحصار وتلك الظروف القاسية جموع المجاهدين على الاستسلام؟، وتساءل دهاقنة الاستعمار أيضا وقتها "ألا يعطف هؤلاء الرجال علي نسائهم وأبنائهم" ذلك ما قاله الضابط شميت، ودونه هنري دوبوردو وعنه أيضا " لماذا يصمم المحاصرون على تحمل هذه الظروف الوحشية التي كانوا يعرفون أنها لن تؤدي إلى أية نتيجة في الوقت الذي صمموا فيه أن يكونوا ذوي شهامة، وإذا القصف لم يحقق قليلا ولا كثيرا مما قصدت القيادة العليا، بل كان العتاد يضيع والتحركات الجوية لم تجدى، فإن الاتفاق تم ثانية بين الجنرالات الثلاث على إحكام الحصار والتضييق والانتظار.

وإذا ما إستمر الوضع كذلك، وقد إرتضاه المجاهدون لأنه مكنهم من ربط الاتصال فيما بينهم بصفة عامة، وبين قياداتهم بصفة خاصة، من أجل تقييم الوضع ومعرفة ما تبقى لهم من وسائل الدفاع التي لم يكن العدو يعرف عنها أي شيء، وفي هذه المرحلة أيضا عملت قيادة الغزاة على أن توصل للمجاهدين رغبتها في التفاوض بواسطة بعض الأفراد، وهم ثلاثة حملوهم رسالة مكتوبة بوضوح بعدما جردوهم من السلاح وأمروهم برفع راية بيضاء.

وفعلا ما كاد القوم يقبلون ويراهم الحراس في وقت الضحى حتى آخبروا بهم فاعترضتهم جماعة من آيت واحليم ساقوهم إلى حيث كان عسو باسلام الذي ما كاد يعرف غايتهم حتى أمر بعض آيت انبگي أن ياخذوهم بعيدا حتى يجتمع مع الذي تجب إستشارتهم من بقية كبار القوم، بل وما كاد الخبر ينتشر حتى تعددت الآراء وأخذت النعرات تظهر بين هؤلاء وأولئك، وربما ذلك كان من المقاصد الخفية للعدو، لكن سرعان

ما خبت تلك النعرات إلا ما كان من رأي المرأة العطاوية التي لم تكن في مستوى تقييم الوضع بقدر ما كانت ناقمة وحاقدة على العدو الذي أكثر من الأرامل والمجروحين والمشوهين، لكن الحكمة تغلبت واستقر الرأي على الاتصال بالفرنسيين، ومعرفة ما يضمرون، وهنا أيضا حصل خلاف عنيف جدا حول من يقبل التفاوض مع الفرنسيين لأنه الذي يتحمل مسؤولية وفائهم وعدم وفائهم ثم قبولهم لشروط العطاويين وعدم قبولها، ولم يقبل أحد من الذين عرض عليهم القيام بالمهمة، وكان من بين القوم وفي مقدمتهم المجاهد عسو باسلام(276) رحمه الله، وكان بحكم نشأته وتدينه وكريم خلقه، أقدر من يتحمل المسؤولية التي أنعم بقبولها، وبذلك أصبح من حقه الكلام بإسم الجميع والتفاوض طبعا بعد الاستشارة والاتفاق بإسم الجميع، وفعلا أعطى جوابه للرسل الثلاث الذين كانوا من أهل شمال المغرب يقول الراوي وربما من بني وراين، أو بني أعلاهم، وغيره قال من عين الشعير، وهو غير صحيح.

كان عسو باسلام قد طلب من قيادة الفرنسيين أن توضح له الشروط التي تريد التفاوض حولها، ووقتها كان قد مضى على الحصار إثنان وأربعون يوما قبل الشروع في المراسلات التي إنتهت بالاتصال والتفاوض يوم 24 مارس 1933م.

كانت شروط الفرنسيين هي ما يلي : 1) النزول من الجبل 2) قبول حكم إدارة الحماية تحت إشراف المخزن ويعني به الدولة المغربية 3) تسليم السلاح. أما شروط المجاهدين التي تم عليها الاجماع وأمر عسو باسلام بتقديمها للفرنسيين، فهي كما يلي:

1) عدم فرض الخدمة الإجبارية عن طريق السخرة التي كان الفرنسيون قد فرضوها على كل الذين أخضعوهم بالسلاح كضريبة زجرية جزاء عصيانهم.

2) تطبيب الجرحى وإعادة كل إلى موطنه.

3) عدم إخضاع الذين هم في المنطقة التي وضعت تحت حكم التهامي الجلاوي إلى حكمه لأنه عند العطاويين يقول عمرو نايت الحومن جنس حقير؟

---

(276) عسو باسلام هو من إيلمشان فرع من آيت واحليم والده علي بن حمو، وأمه اهرا بنت حمو، وكلاهما كبقية جل أفراد قبيلته كانوا من مريدي الشيخ محمد العربي الدرقاوي رحمه الله والذي في دائرة مريديه تكون باسلام وغيره تكوينا إسلاميا وطنيا.

وفعلا كان القبول من الفرنسيين للشروط الثلاث، كما قبلت شروط الفرنسيين كذلك، وإذا كان المفاوض الفرنسي هو "الكومندار بوايي"، فإنه قبل أن يودع عسو باسلام الذي إلتزم له بتنفيذ الشروط، طلب منه رهائن كضمان لتنفيذ ما نصت عليه الاتفاقية كما قال له الكومندار بوايي، مما يدل على خبث طوية الفرنسي وبلادة حسه وقلة إدراكه، لكن عسو باسلام أجابه تقول مصادرهم "إن عهدي كعهدك" فرد بوايي الذي وإن قيل أنه عامله بكل تقدير "لكن لست أنا المنهزم" ولم تكن هذه العبارة لتدل على شيء غير ما عرف به الفرنسي من خسة إذا هو إنتصر، ومن ذلة وسقوط إذا هو غلب واندحر، ولقد كانت عبارته تلك التي حاول عسو باسلام ما أمكنه حتى لا تنتشر ويسمعنها النساء العطاويات فضلا عن الرجال، ومع ذلك سمعت، فكانت السبب في توبيخ عسو باسلام من نسوة آيت عطا، ومع ذلك تحمل إحتسابا وفي سبيل الله كما كان يقول، وإلى آخر حياته وهو يسأل هل عليه تبعة فيما حصل من عدم وفاء الفرنسيين وخيانتهم العهد، لكنه رحمه الله وأسكنه فسيح جناته نسي أنه لو لم يفعل لفعلت الأيام عكس ما كان القوم يحسبون ويقدرون، بل أزهقت أرواح أكثر، ولكان إذلال أكثر كذلك، بل إنه لم يفعل إلا ما كان يجب على الكريم المومن المتدين أن يفعله، بعد أن كاد اليأس والقنوط يتسربان إلى النفوس، إثنان وأربعون يوما من القصف برا وجوا ليلا ونهارا، إثنان وأربعون يوما من الحرمان، ومن إنعدام النوم، وقلة الماء الذي حوصرت ينابعه، والسلاح الذي تناقص وتضاءل "لنقدر هذا الصبر على العذاب الذي أثار سموه عاطفة قادتنا وجنودنا والذين لم يستطيعوا معه فعل أي شيء غير إنتظار الاستسلام الذي بقي بعيدا" يقول بعض كتابهم(277) لو كان بين هؤلاء :البرابرة" الأبطال في بوكافر شعراء، فأي قصائد تلك التي ستوحي لهم بها هذه المأساة الجهنمية، وكم سيكون ضخما عدد الذين سيتجمعون حول من يحكي الملحمة العجيبة لجبل بوكافر وصاغرو"، وفعلا فقد كانوا، يقول الجنرال هوري، وهو حتى اليوم حي يرزق "إننا واجهنا أحسن البرابرة وأوفاهم للعهد، إذ ساد الأمن بعد الهدنة في جبل

(277) هنري دوبوردو يلاحظ القارئ إهتمامنا بهذا المصدر وما ذلك إلا لأن صاحبه عضو بالأكاديمية الفرنسية، ومعنى هذا أنه يتحرى الحقائق خصوصا وأنه قام بدراسة ميدانية لترجمة إبن أخيه. دوبورنازيل الذي كان مقره الريصاني بتافيلالت حيث لا تزال بصماته باقية حتى اليوم.

صاغرو لكنه نسي أن يقول لنا إن ذلك لم يحصل إلا بعد عام كامل من الحرب التي توقفت بتفاوض على شروط، فهل كان الفرنسيون أوفياء لعهودهم، كما كان العطاويون الذي قيل أيضا إنه إذا كان عدد القتلى منهم ألف ومائتان 1200 فإن قتلى الفرنسيين كذلك كان عددهم ألف 1000 يقول هنري دوبوردو، وبالتالي فإن قوات الغزو الاستعماري، لم تغادر المكان إلا بعدما شيدت فيه نصبا تذكاريا على طريق صاغرو ناحية أساكا بآيت إيعزا كتب عليه ما يلي(278).

"إلى أرواح الضباط وضباط الصف والعرفاء، والجنود، والگوم، ومتطوعي الفرق المساعدة للتخوم ومراكش، الذين سقطوا في معارك صاغرو ومعارك بوكافر فبراير1933".

لكن هل انتهت المعارك وعرف الاستعمار الفرنسي الراحة بعد هذه المعارك الساخنة، لقد كان هناك رجال آخرون لم يكن لهم قط علم بما حولهم ولا بما كان يجري في المغرب الكبير، بل المغرب والوطن والشعب والدولة والعمران، في اعتبارهم هو ما كان حولهم من قصور، وما فيها من بشر، تلكم هي قبائل آيت احديدو التي تعرضنا لما قامت به من مقاومة، وما واجهته من جنود الغزو، في جبل بادو، وحمدون، ثم أسيف ملول، تلك القبائل التي تضافرت من أجل كبت مقاومتها كل القوات التي كان يشرف عليها الجنرالات، كودو، وجيرو ودلوسيل، وهوكس، ولوسيان، والتي إستسلمت بعدما قتل زعيمها غدرا، وهو يصلي كما سبق، وهو الشريف المرحوم، سيدي بن احماد السوسي الأصل، وصاحب زاوية تيلمي، حيث كانت آخر معارك تلك القبائل كما سبق، ما بين 8-11 يوليوز 1934 وفيها تم إستيلاء جيرو على أسيف ملول.

في بداية غشت وصل الجنرال جيرو إلى تينغير ويوم 4 غشت إستولى على يفغ، وفي 5 غشت قصد بلاد كردوس التي إستولى عليها يوم 21 منه، وفي نفس الأثناء إحتل الجنرال هوكس تمنوشت، وصعد إلى حمدون أما الجنرال، دولوسيل فقد إحتل المنطقة في الوقت الذي كان مجاهدو آيت احديدو قد التجأوا إلى جبل بادو بقيادة الزعيم سيدي بن احماد ومساعدة زايد اسكنتي المرغادي إلا أنهم إستسلموا بعد قتل زعيمهم ابن

(278) أورده الكولونيل فوانو في كتابه الاثار المجيدة فصل 65.

أحماد غدرا وهو يصلي العصر بتاريخ 27 غشت 1934(279).

أما ناحية تيزنيت فقد كانت قوات الغزو وقد توجهت نحوها في شهري فبراير ومارس من نفس السنة حيث تم إحتلالها رغم أن المجاهدين الذين كانوا قد تطوعوا للمقاومة في المنطقة بلغ تعدادهم حسب إحصاء الفرنسيين 14000 لم يكن فيهم من المحاربين غير آيت حمو وسعيد الذين كانوا قد التجأوا إلى تافيلالت، ثم فرو منها إلى ناحية آيت باعمران، لكن بتاريخ 23 فبراير 1934 إحتل فيلق هوكس تيزي، بعدما دارت معركة حامية بينه وبين آيت باعمران قتل فيها الملازم بيتي PITIT وكان فيلق جيرو يتقدم بسرعة، كما وصلت مجموعة الكولونيل ترينكي إلى إيشت، وتمنارت بتاريخ 25 فبراير 1934 وفي نفس المرحلة إحتلت تاغجيجت واستسلم الحنفي قائد قبيلة لخصاص وآيت ابراهيم، وكذا قبيلة آيت عبد الله، وبتاريخ 4 مارس من نفس السنة تم تطويق كردوس المركز الذي إتخذه الهيبة ثم مربيه ربه، ابن ماء العينين، وفي 12 مارس تم إحتلال كردوس، واستسلم آيت اصواب ولم يبق إلا آيت حمو ومعهم بعض آيت خباش الذين كانوا قد فروا من تافيلالت إلى كوليمين ووادي نول ودرعة فأحاطت قوات الاحتلال بالمنطقة حتى لا يتسربوا إلى المنطقة التي كانت تحت نفوذ الأسبان وهكذا تم إحتلال المغرب بقوة الحديد والنار وبعدما أزهقت عشرات الآلاف من الأرواح وأريقت أنهار من الدماء وضاعت على الشعب المغربي الكثير الكثير جدا من الإمكانات، وبعدما جردت فرنسا مجموع المواطنين من السلاح، وأطلقت آيدي العملاء والمجرمين أخذت تنتقم وتنكل بالمواطنين في كل مكان حسب توجيه وإرادة الحكام العسكريين الذين أصبحوا هم كل شيء وبيدهم كل شيء، بل أخذت فرنسا بعدما إستتب لها الأمر توزع الأراضي المغتصبة من المغاربة على المستوردين من المعمرين الألزاس واللورين، وغيرهم من الكورس الذين زودتهم بروح الانتقام التي كانت تتفجر في شكل تنكيل بأولئك المعذبين الذين كانوا يحشرون حشرا من أجل إستصلاح الأراضي، ثم يرحلون من أقاليم الأطلس المتوسط والكبير إلى نواحي مكناس، وغيرها للقيام بالأعمال الشاقة في المزارع تحت حراسة السلاح، بحيث أصبح مألوفا في الثلاثينيات والأربعينيات أن من مهمة الحاكم

(279) كان الذي قتله يقول من حضر مجند مغربي من القوات المساعدة "الگوم"؟!

العسكري في كل فرية وقبيلة أن يفرض على أهلها ما يريد من الرجال لخدمة مزرعة فلان أو فلان من المعمرين الذين كانوا يتقدمون بطلب إلى رئيس الناحية التي يوجدون بها، ثم هو بدوره يرفع الطلب إلى رئيس المنطقة العسكرية الذي كان له النفوذ المطلق بعد الإقامة العامة، وإذا ما قبل الطلب، فما على صاحب المزرعة إلا أن يوجه ناقلته ليحشر الرجال فيها كما تحشر الاكباش ثم تنقلهم إلى المزرعة. التي يكون في إنتظارهم صاحبها، وقد زود بتعليمات كيف يجب أن يعامل خدمه حتى يرتدعوا وتكسر نفوسهم، ومن صدر منه ما لا يليق يخبربه، فيكون العقاب أشد، ومن لم ينقل إلى المزارع كان يكلف في قريته بما يليق من أعمال شاقة، ومن هؤلاء رجل مرغادي كان من بين الذين إستسلموا إثر إحتلال أسف ملول بعد معارك بادو بآيت احديدو ذلك هو البطل الذي سيعرف كيف يلقن الفرنسيين في المنطقة أعنف درس لقنهم إياه رجل واحد أزعج قوات الاحتلال في منطقة كانت تحكم حكما عسكريا، ذلكم هو زايد واحماد رحمه الله الذي ينتمي إلى قبيلة آيت مرغاد فرع اربيين.

وإذا كانت هذه آخر فصول المقاومة المسلحة فإن المقاومة السياسية كانت تعمل إلى جانبها حدوك النعل بالنعل منذ 1915 أي مباشرة بعد إعلان اليوطي للظهير البربري بتاريخ 1914/9/11 حين كان رائد البعث هو شيخ الإسلام الإمام السفلى محمد بن العربي العلوي الذي بدأ جهاده بتصحيح العقيدة التي كان الجهل والضلال قد افسد على المغاربة حياتهم الدينية.

عسو باسلام يصافح الجنرال هوري الذي توجه للتفاوض مع المقاتلين لقواته في جبل بوكافر
راجع ما صودر من مؤلفات المؤلف بتاريخ 1968/6/14 ثم نشر باسم عميل المخابرات في عهد الاستبداد هاشم العلوي الذي صنع محاكمة مراكش. راجع ص8. تعليق 394 ص250

زايد اسكنتي اخر مقاوم في عهد الجهاد بجبل بادو باقليم تافيلالت ولدسنة 1890 وينتمي إلى آيت عيسى ايزم من قبيلة ايت مرغاد شارك في المقاومة ضد الجيوش الفرنسية في تافيلالت من سنة 1918 إلى 1932

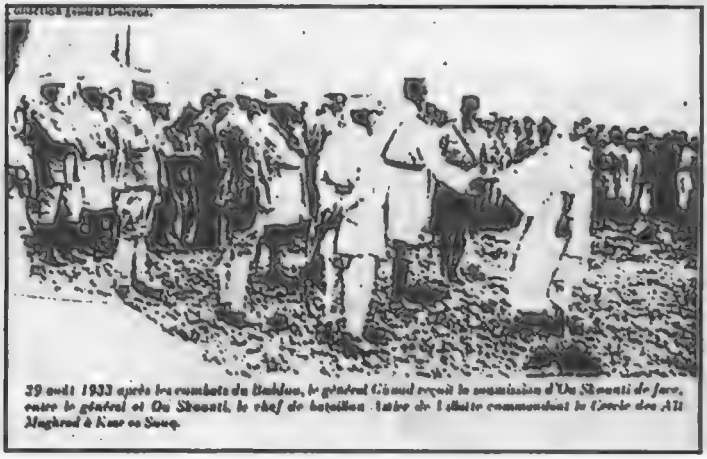

أبطال ملاحم جبل بادّو بايت احديدو والأطلس المتوسط وتقول رواية من حضر أن لوسيان سان خاطب المسمى «سيدي المقدم وهو صنو القائد سيدي بن احماد» قائد معارك بادّو بواسطة الترجمان قائلا لقد ضيعتم أنفسكم وضيعتم رجالنا معكم فأجابه الشريف ابن المقدم يقول من حضر وهو محاحداش من قصر أكدال "نحن لم نضيع لأننا مجاهدون في سبيل الله" وتقول الرواية وقتها تبدل وجه ولهجة الجنرال لوسيان سان ثم طأطأ رأسه في صغار.

ضباط من الجيش الاستعماري الفرنسي يحجزون فتيات مغربيات بمنطقة الأطلس المتوسط
إنه شرف فرنسا "يا أحذية الألمان أدركينا"

يظهر في الصورة الهبة ومربيه ربه إلى جانب القايد اسعيد المشار له بعلامة

Tinghir

Une page de la Résistance

Zaïd Ouahmed, le dernier résistant de l'Atlas central 1934-36

La guerre que les tribus du Haut-Atlas central et du Saghro menèrent contre l'armée occupante eut des conséquences (aussi bien à l'échelon local que national) qui allaient marquer l'histoire de la Résistance marocaine un demi-siècle durant.

Il convient de préciser que la fin de cette guerre coïncidait avec le début du Mouvement nationaliste, et qu'au moment où la résistance primaire, dans le bled, se déterminait et le nationalisme se manifestait dans la ville.

Le souvenir de la résistance d'un berger du Haut-Atlas central dénommé Zaïd ou Ahmed, demeure gravé dans la mémoire de ceux qui étaient là, déjà adolescent dans la région lorsque cette résistance naquit. Celle-ci, d'ailleurs, devait commencer juste au moment où les stratèges de l'armée coloniale se félicitaient de la fin de la résistance armée, et se vantaient de tenir solidement, désormais, tout le Maroc. Les cinq décennies qui nous séparent de cette résistance, à aspiration nationale, nous permettent de retracer sa genèse et reconstruire ses grandes lignes.

Ce soulèvement qui tint en haleine, de 1934 à 1936, les officiers des affaires indigènes des Bureaux d'Assoul, de Tenrhir et d'Imilchil, relevant de trois régions différentes : Tafilalet, Marrakech et Tadla, ce soulèvement a été l'œuvre de Zaïd ou Ahmed.

Nous allons donc essayer de revivre les grandes lignes de cette résistance. Il nous faudra certainement serrer de plus près la personnalité de Zaïd ou Ahmed, ainsi que les divers éléments qui ont pu jouer sur le développement de sa mentalité, de son hostilité à la colonisation, hostilité qui se manifesta tout d'abord contre l'autorité de Glaoui dans la région puis contre l'armée coloniale française. Après l'occupation, définitivement acquise, d'Aghbalou, de N'kerdars, le 14 août 1933, les Ait Atsa Izem de l'Amghar ou Skount résistèrent avec acharnement à l'occupant du Saghro dans une lutte à mort contre l'armée coloniale. Zaïd Ouahmed eut à faire avec Bassou ou Bousselham, frère du chef de la résistance de Saghro Assou, qui ravitaillait les combattants en armes et en munitions par tous les moyens.

Au cours des combats de Kerdous, la femme de Zaïdou Ahmed fut tuée au cours d'un bombardement d'aviation et lui-même blessé à la jambe. Il revint donc seul à Iqedmane, pauvre, veuf, blessé et boitant bas. Il ne bouga que dans sa maison, attendant la cicatrisation de sa blessure. De sa porte, il voyait les alliées et venues des « roumis » à quelques centaines de mètres de chez lui.

Cette présence l'a profondément affecté. Pendant ce temps-là dans les Ahidous (chants en groupe), les femmes ne manquaient pas d'ironiser à leur manière sur la défaite des guerriers Ait Morghad et surtout sur la soumission des notables :

« Aimsubam, ur aun ennebi lad amur idda ennebi, Tawaurinnes iman d'amezura, nkim Imeggura Ibubils D'Buia ». Ceci veut dire :

— Ô les soumis, vous n'êtes plus les protégés du prophète. Il s'en est allé, le prophète, il est parti avec les ancêtres. Et nous, les derniers, nous restons avec Bubils et Buba (Bubils = lieutenant Duplessis de Grenadan. Buba = capitaine Poulain. Tous les deux officiers des affaires indigènes dans la région).

Ou bien encore :

« Ferah, Alhakm, ganak warraw Tinezdamin.

« Rank Ait Warraaen elli hallaben Akal ».

C'est-à-dire :

« Réjouis-toi, ô Hakem; les hommes sont pour toi pareils à des femmes à la corvée du continuer dans la voie où il s'était engagé : continuer la lutte jusqu'à la mort dont il ignorait la date.

C'est alors qu'il s'était mis à chercher du réconfort auprès des chorfa d'Assoul dont il avait gagné la sympathie qu'ils lui témoignaient. En effet, les tolba, réunis secrètement dans le sanctuaire de Sidi Bou Yacoub, firent une prière à son intention pour implorer la protection divine sur lui et son jihad. Après cette consécration, il quitta Assoul et alla passer l'été dans les ksours du Haut Todra où il avait combattu naguère contre les Mokhaznis de Glaoui.

De décembre 1934 à mars 1936, les embuscades de Zaïd Ouahmed s'étaient multipliés à Todra, à Goulmima, à Assif Melloul où il tua le lieutenant Fromentin le 27 mai 1935. Il fit une nouvelle randonnée dans le Saghro, poussant jusqu'au Draâ; mais il est rentré début août dans le Todra. A son retour il apprit que le cheikh des Ait Ouaritane s'était employé à renseigner efficacement le capitaine Paulin, chef du bureau de Tinerhir. Il tendit alors une embuscade au traître et l'abattit ainsi que l'un de ses partisans.

L'encerclement

Le 30 décembre, nouveau coup d'audace, en plein centre de Tinerhir cette fois. Toujours accompagné de Moha ou Hammou, il se rendit à la nuit tombée chez un soukier qui venait d'ouvrir une cantine, c'était le jour de l'inauguration et les légionnaires de l'escadron du R.E.C. stationné à Tinerhir se pressaient nombreux autour du bar. Les deux combattants ouvrirent le feu à bout

صفحة من تاريخ جهاد زايد واحماد

الفصل الثاني والأربعون بعد المائتين

فرنسا وأهداف السياسة البربرية في المغرب العربي الكبير

في المجلد الأول من هذا الكتاب تعرفنا على أصول البربر وكيف قدموا الى المغرب ومتى، بل ومن هم حسب الأصل، وتعرفنا على الدول التي قيل عنها بربرية والتي حكمت المغرب عبر التاريخ، وبالتالي هل كانت لها لغة غير لغة القرآن أو دينا غير دين الإسلام، بل والمجتمع المغربي الذي ما عرف له وحدة ولا كيانا الا بفضل الإسلام الذي قوم حياته ومكن لسلطانه على أرضه، ولولا ما آل إليه أمر حكام شعوب الإسلام لما اقتصر حكمه لعدوة الاندلس على ثمانية قرون. بل لتقدم باشعاعه على أوروبا ورغم ذلك فهو الذي أخرجها من الظلمات بفضل العلوم والمعارف وما اقتبسته عن المسلمين ومعارفهم أيام ازدهار قرطبة في الاندلس. وبدل الاعتراف بالجميل انقلبت أوروبا بفضل تلك المعارف وما عرفته من القوة المادية إلى التسلط على بلاد الإسلام ومنها المغرب الذي عز عليها أن يبقى حصنا منيعا وركنا من أركان قوة الاسلام في القارة الإفريقية التي أضاء غربها وأنقذ بعضا من شعوبها من ربقة العبودية بفضل رسالة النور التي حمل مشعلها بعض الرجال من المغرب يتقدمهم أبو الوليد بن رشد، بل تكالبت قوة الشر عليه وعلى غيره من أرض الإسلام فكان من سوء حظه أن أصبح فريسة بيد دولة أعماها الشر والحقد وما تكون منه مجتمعها من خليط غريب تلكم هي فرنسا التي استعمرت الجزائر ثم فرضت حمايتها على كل من تونس والمغرب وبعدما اقتسمت الغنائم مع الإيطاليين والاسبان والألمان والانجليز ظنت أنها ستمتلك هذه الديار إلى الأبد، وإذا كان الغزو لم يتم إلا بعد مغامرات ومحاولات ودراسات وتجسس وحروب ثم مقاومة امتدت طيلة عهود طويلة وطويلة جدا. فإن إجماع المغامرين والمحاولين والدارسين والمتجسسين قد إتفق على وجوب التمزيق والتفريق لشعب المغرب، وذلك لا يتم إلا إذا تضافرت كل الجهود ضد

وسيلة القوة والمنعة والتوحيد، الا وهو دين الإسلام الذي ما تركت فرنسا وعملاؤها وسيلة من وسائل الحرب ماديا ومعنويا الا وأعلنتها عليه، ولا ثغرة تمكنها من الطعن إلا وطعنت الشعب الآمن غير مشفقة عليه، ومع ذلك فقد كان الثمن باهضا دون أن يتحقق لدهاقنة الاستعمار وأعداء الشعوب الهدف والقصد المطلوب، فركز الذين قيل أنهم تعرفوا على مكامن الضعف أي على ما قيل عنه بربر وعرب في هذه الديار، وقد سبق أن فصلنا قبل أن لا عرب ولا بربر ولا روم ولا عجم في المغرب الكبير الذي لم تتمكن فيه قوات السابقين رغم أنها نالت من الضخامة والعظمة الشيء الكبير جدا، كما عرفنا من صراع الفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال، وانما تمكنت كل تلك العناصر حين إنصهرت واتحدت وكونت مجتمعا إسلاميا يهديه القرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت اللغة وعاء، فاللغة التي جاءت بها رسالة الإسلام هي اللغة العربية والتي هي المدخل الوحيد لقراءة القرآن العظيم، دستور الإسلام الذي وحد بين مختلف الأجناس في مشارق الأرض ومغاربها، فإن المغرب المسلم العربي الكبير كان ولا يزال وسيبقى أكبر مثال على ذلك وهو ما لم يدركه دهاقنة الاستعمار الذين ضيعوا في حربه الكثير والكثير جدا ماديا وأدبيا دون أن يحققوا من أهدافهم ما أرادوا وإذا كان كل ذلك قد مضى دون أن تكسب منه الشعوب غير الحقد والكراهية والعداء وعدم الثقة في المستعمر الذي بدل الأساليب ونوعها ولا يزال متماديا في استعمال ما أصبح مفضوحا ومكشوفا منها، سواء في المشرق الذي تمزق سلطانه أو المغرب الذي خابت آماله في القريب قبل البعيد ومهما يكن فإن إحتفاظنا بتلك الصور القاتمة والوسخة القذرة للوجود الفرنسي قبل في بلادنا هو من أجل توضيح الرؤيا التي يشوشها الضباب والدخان اللذان تحركهما أيدي العملاء الاغبياء حتى يبقى ما كان على ما كان ويضيع على الشعب في يومه الجديد ما لم يفرط فيه بالامس البعيد.

وهكذا ففي الوقت الذي صممت إدارة الحماية على إصدار آخر فصل من فصول ما أطلقت عليه الظهير البربري أو السياسة البربرية التي توالت منذ إصدار أول ظهير في 1914/9/11/ 20 شوال 1332 وقد كررت محاولاتها سبع مرات قبل. وكان آخرها اجتماع لجنة تنظيم المحاكم البربرية يوم 1924/10/8 كما يخبرنا جود فروى دومينيس

ومثله الكومندان مارتي في كتابه "مغرب الغد"، وإثر هذا الفشل طرد اليوطي من المغرب بتاريخ 1925/9/17 وهو الذي رتب لإدارة المغرب من الضباط كمراقبين وحكام في الحواضر والبوادي حوالي 273 ضابطا كانت مهمتهم كذلك مواجهة المقاومة في الشمال والجنوب لكنه رغم ذلك اعتبر فاشلا ولذلك رحل من المغرب ليحل مكانه الصهيوني استيج الذي فشل بدوره كما سنرى فحل محله في الإدارة بونصو الذي إستصدر الظهير المشؤوم عليه بتاريخ 16 ماي 1930/ 17 ذي الحجة 1348. ففي هذه المرحلة الأخيرة كان عدد المغاربة لم يتجاوز 4.500000. تقول مصادرهم إن صح وكان عدد الأوروبيين الذي تقاطروا على المغرب قد بلغ 172000. استولوا وبقوة الحديد والنار تارة والتحايل تارة والترغيب والترهيب أخرى، على أجود وأخصب الأراضي الزراعية التي شرعوا لامتلاكها وإلى الأبد مختلف قوانين التسجيل والتحفيظ(1). واستطاعوا ضمن المخطط الاستعماري الجهنمي أن يؤثروا على ضعاف النفوس الذين جرروهم ثم أذلوهم ولفترة كافية حتى إنتهوا الى واقع انعدام الشخصية المغربية وزوال أصالتها، ثم أطلقوا عليهم من المومسات الفرنسيات اللائي عرفن الهدف والغاية من أدوارهن لصالح بلادهن بعدما غسلت أدمغتهن ثم شحنتها بما يحقق الهدف والغاية من عملهن الذي يكون بعد زواجهن من أبناء الشعوب المراد إبتلاع أرضها بعد تمزيقها، وفي مغربنا تزوج ضعاف النفوس ومن أجل الاحتماء بالفرنسيات فقط ما بين 1927–1932 حوالي 408 وكانت الغاية من تشجيع هذا الزواج والاغراء عليه خلق نوع من التشريع يعطي المتفرنسين ابناء الفرنسيات من الحق كما هم اليوم في عهد الاستقلال ما لم يكن لهم قبل حتى إن بعضهم ألف في الموضوع كتابا حول المتزوجين والمولدين الذين تناول قضاياهم كتاب ورجال قانون، وكان الهدف هو جرُّ المتزوجين الى التجنيس بالجنسية الفرنسية. لكنهم أغفلوا ما للتباين من زعزعة نفوس بين المتزوجين دينا وعادة ولغة وتقاليد، مما له أثر على

---

(1) راجع المنشور الصادر عن الصدر :الأعظم" وكان هو الاسباني الاصل كاباص المعروف بـ محمد الجباص بتاريخ 13 شعبان 1333هـ 7 يوليوز 1914 والذي نشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 23 شعبان 1333– 17 يوليوز 1914، وقد كان كاباص هذا لا يهمه ان يتمزق المغرب والمغاربة بقدر ما تهمه الحُظوة عند أسياده الفرنسيين الذين عرّفوه أنه غريب ولا جذور له في المغرب.

المستقبل ان عاجلا أو آجلا، وزيادة في التمكين للاستعمار والمسخ والتحويل وكما رأينا (عمل اليوطي) على استصدار الظهير البربري خصوصا عندما توصل الى وجود من تزوج من المغربيات من الفرنسيين با المسلمات "البربريات" وهما حالتين خاصتين حصلتا(2) في بني اعلاهم وآيت مجيلد، وإذا ما كان النص القانوني صريح في عدم السماح لغير المسلم بالزواج من المسلمة فإن التحايل عليه أمس واليوم أصبح سهلا بمجرد أن يقول غير المسلم أنه دخل الاسلام، في حين أن المرأة الفرنسية الكاثوليكية تزعم أنها ما قبلت الزواج من صاحبها الا بعد أن إلتزم لها وإن لم يكن بدينها فبعدم الإكتراث أو الضغط على الاولاد حتى يلتزموا بما جاء به الدين الذي هو في نظرها ونظر قومها شيء آخر غير مقبول، والواقع في حياة تلك الطائفة لا ما يتقمصه الاوروبي غير المسلم من ادعاء الإسلام حين زواجه بالمسلمة. ولا ما تبديه المرأة الاوروبية من مرونة حين زواجها بغير الاوربي. أي لا هذا ولا ذاك، وإنما هو سفاح في سفاح وحرام في حرام ينتج عنه أولاد الحرام وكل ذلك مصنوع ومقصود منه هد كيان المجتمع وهدم الاسلام إلا ماشذ ونذر والتاريخ والواقع لم يخبراننا أن مغربيا أو بالاحرى شرقيا تزوج أوروبية بدافع غير الغريزة بل الهوى والطيش والنزق ومن غير أن يلعب معها وفيها ثانية، والذين تزوجوا من الفرنسيات بالأخص في مغرب ما قبل الاستقلال. لم يفعلوا إلا بدافع الزيغ ومركب النقص بالإضافة إلى ما سبق، وبدافع تحقيق المنفعة التي كانت لا تتحقق لمرضى النفوس الا عن طريق المستعمر القوي وقتها، وآخرين بدافع مركب النقص لانهم من أحط الطبقات التي تعارف المجتمع المغربي على وصمها بالانحطاط، فيصبح في نظر نفسه وأمثاله كلب طليق أقوى من أسد سجين، وتلك حقيقة وواقع أليم قرره إبن خلدون إجتماعيا وأكده ميكيافلي سياسيا وهو تقليد الضعيف للقوي، أو الغاية تبرر الوسيلة عند الذين لاخلق لهم ولا خلاق وفي مغربنا كانت المرأة الفرنسية أو الأوروبية بائعة الهوي

---

(2) كان الذي تزوج في بني اعلاهم هو الضابط الذي أصبح بعد مقيما عاما بالمغرب وهو بوايي دي لاتور حتى إن بعضهم كان يلقب الخائن العميل الطاهر أعسو الذي سيقترحه نفس المقيم كعضو في مجلس حفظة العرش بعد غشت 1955 بولد بوايي دي لاتور. وقد كان للاتورولد يناديه القوم مُحَاولاتور وحول موضوع الزواج بالفرنسيات راجع العرض الذي نشر لكتاب "ميلان" الانكحة المختلفة في المجلة المغربية للقوانين عدد 6-7 ص25 الباب 7 بتاريخ 1937-38.

المتجنسة بالجنسية الفرنسية أقوى قانونا من الرجل المغربي في وطنه عند إدارة الحماية، الامر الذي كان يدفع خصوم الشعب والخونة من المغاربة الذين كانوا يحبون العاجلة ولا أمل لهم في الذاتية المغربية الى طلب حماية أخرى غير الحماية المفروضة، حماية تجعل المستعمرين يثقون في ولائهم للفرنسة ضد المغربة. وقد غالى بعضهم حتى إنه "تزوج" من ماخور فرنسيات كان بمدينة القنيطرة واستمر الماخور إلى ما بعد إعلان الاستقلال بأكثر من سنتين، وبفضل ذلك الزواج أمكنه الحصول على ثقة القوم وبالتالي على ما لم يحصل عليه غيره من أرقى الوظائف بوزارة المالية ومن هذا الصنف كثيرون جدا(3)، والذي دفع أشباه المغاربة وقتها الذين تحولوا اليوم الى ما فوق المغربة بالجنسيتين المزدوجتين هو ما ذهب إليه وقتها كل الفرنسيين المستعمرين من التفضيل للقانون الموضوع المكتوب، على القانون الافريقي الشرقي عموما، والإسلامي الذي كان مقصودا منهم بالهدم في المغرب الكبير خصوصا. لأنه لم يكن موضوعا ولا مكتوبا. ولذلك فكر اليوطي مدفوعا برجال الكنيسة والسياسة في أن يضع للبربر قانونا يقربهم من الفرنسة ويكون مستمدا من "أعرافهم" يوضع ويكتب بأسلوب غربي ولطبقة خاصة من المغاربة، وما تصوره الفرنسيون عن البربر من تشابه بعض القواعد مع قانونهم الوضعي كما عبر بذلك الكثير منهم، ومن الذين سنتعرض لذكرهم، وقد إلتمسوا الوصول لذلك باستصدار ما أطلقوا عليه الظهير البربري حيث فرض هو الآخر ولما يمض على فرض الحماية أقل من ثلاث سنوات وذلك حتى يكون وسيلة للتنصير.

لقد كانت التجربة الفرنسية في الجزائر حيث قسمت الشعب الواحد وحسب زعم

---

(3) ألاحظ انني لست عنصريا ولا متزمتا كما يمكن أن يتصور دهاقنة الاستعمار وعملاؤهم من الذين لا يرضيهم القول بعدم الزواج من الاجنبيات، وإنما هنا أعالج موضوعا خاصا عانى ويعاني منه المغرب خصوصا في الوقت الذي وضعت له بلاد أخرى حدا ولو فقط بعدم ترك أولئك المرضى يتولون أعلى الوظائف بل أبسطها. ففي السويد قامت ضجة في البرلمان عام 1986 بسبب عدم السماح لشاب أمه سويدية وأبوه يوناني، وهو يحمل الجنسية السويدية لم يسمح له بالانخراط في سلك رجال الأمن "شرطي فقط" رغم توفر كل الشروط إلا ما كان من الأب. وبلاد السويد كما يعرف من الرقي والتقدم والحضارة الى درجة مباشرة الجنس في الحدائق العامة بل وفي فرنسا نفسها وهذا مقبول. إلا في بلاد العالم الثالث وربما في المغرب أكثر حيث بيدهم كل الإمكانات التي حرم منها حتى الذين حرروا البلاد من قيد الاستعمار، وهذه حقائق نقصد من تسجيلها أن تعرف وتحفظ للأجيال القادمة حتى تحكم على أصحابها.

الفرنسيين الى خمسة اجناس قالت عنها: الجنس البربري والجنس المزابي، والجنس الشاوي، والجنس العربي، والجنس الزنجي، والجنس "التركي". واصدرت من القوانين ما شاء لها الزيغ والهوى من عام 1840 إلى 1946 وكلها باءت بالفشل، اما في المغرب فقد أصدرت أول ظهير "قانون" في السياسة الفرنسية البربرية كما اشرنا بتاريخ 1914/9/11هـ = 20 شوال 1933هـ(4) وبواسطة هذا الظهير تأسست المحاكم العرفية "أزْرَفْ" في مناطق البربر التي عملت إدارة الحماية على إنشائها ونشرها في الوقت الذي كانت الجيوش الفرنسية تقوم بغزو المغرب بقيادة الجنرال اليوطي وباسم السلطان كانت تشيع أنها تعمل على "التهدئة" ذلك لأن الشعب المغربي بدءا من أول مدينة وطئتها أقدام موقعي عقد الحماية من الفرنسيين مدينة "فاس" إلى عموم المغرب سهوله وجباله وقراه، الكل رفض قبول معاهدة الحماية المفروضة. الأمر الذي كلف فرنسا جلب قوات عسكرية للغزو من فرنسا والجزائر والسنغال وتونس ومدغشقر. وإذا ما مضى على الفرنسيين ثلاث سنوات كلها حروب قاسية كلفتهم الكثير كما راينا، فإن دهاقنة الاستعمار قد انتهوا بدراساتهم للمجتمع المغربي كما أشرنا كنسيين وعسكريين وسياسيين كلهم إتفقوا أن قوة المغاربة وقدرتهم على مواجهة قوات الغزو والصمود أمام المستجد من آلات الحرب التي لم يعرفوها قبل ولم يكن لهم منها شيء – تكمن في الوحدة الوطنية التي قوتها العقيدة الدينية التي جمعت الشتات ووحدت الصفوف، وألفت بين مختلف القبائل والعناصر فيما يرجع لرد الفعل ضد كل عدو دخيل، ولذلك كان من أول أعمال إدارة الحماية بقيادة االيوطي بعد إتفاق حكومة بلاده التي أوحى لها بواسطة رجال الكنيسة هو تفتيت وتمزيق تلك الوحدة التي لم يجد لها اليوطي وسيلة غير استعمال إسم السلطان الذي استصدر باسمه ومن غير أن يوقع عليه السلطان المولى يوسف الذي يخوله تأسيس محاكم العرف في بلاد البرب وبين القبائل التي آستسلمت أيضا بواسطة الرسالة المفتراة على السلطان كما أشرنا. ذلك أن اليوطي زمن الحرب العالمية الأولى وصدارة كاباص "محمد الجباص" قام بإرسال رسالة باسم السلطان وعليها طابعه

(4) راجع المجلة المغربية المصدر المذكور عدد1 السنة الأولى ص4 باب 2 بتاريخ 1935م وملوك المسلمين المعاصرون لأمين سعيد ص386 ط1933م. لاحظ كيف أصبح اليوطي من بعض ورثة رسالته موضع إكبار وتقدير

يستنكر فيها مقاومة القبائل للوجود الفرنسي في المغرب، وأن تلك المقاومة تعتبر شرعا خارجة عن دائرة الجهاد وغير مشروعة ما دام السلطان لم يوافق عليها بصفته أميرا للمومنين وان الذين يقاتلون لا جهاد لهم من غير إذنه. خصوصا وأن باسم تلك الإمارة وقع عقد الحماية. وهكذا دبر اليوطي بمساعدة الكباص مكيدة التفريق بين المغاربة المسلمين بطريقة خبيثة ومكشوفة. كان لها اثرها في بعض المناطق التي سارع كبار القوم فيها الى الاستجابة لاسم السلطان مما أفاد فرنسا في حربها 1914.

لقد كانت المدرسة التي تدرب فيها اليوطي ما يزيد على الربع قرن قبل هي الهند الصينية ومدغشقر ثم الجزائر. وفي الجزائر كانت جولات المبشرين وفي بني عباس قتل دوفوكو الذي ترك وصيته لمعاصريه مثل وصية إيزابيلا للإسبان، فكان أول من نقلها لنا عن المغرب هو لويس ماسينيون عدو الاسلام وأحد دهاقنة الاستعمار الذي عمل ما أمكنه من أجل هدم الاسلام وتشويه أثره كما سنرى بعد، ففي الجزائر إستعمل الفرنسيون منذ بدايتهم لغزوها وسيلة التفريق والتمزيق حتى يتمكنوا كما رأينا قبل ما كان من أمر القبائل التي عرفت بـ "الدوائر" والتي عرفت بـ "الزمالة" وكذا ما كان ناحية لغواط مع العميل الخائن التجيني صاحب عين ماضي زمن جهاد الأمير عبد القادر رحمه الله. كما ركز الفرنسيون على هذه السياسة في المناطق التي تم لهم احتلالها منذ ما بعد احتلالهم لشرشال 1840/3/16 وبعد القضاء على ابن غانية شرقا حيث قسمت فرنسا الجزائر عام 1845م إلى مقاطعات ثلاث هي: قسنطينة، والجزائر، ووهران، وكل مقاطعة قسمت هي الأخرى إلى قسمين. مدني وعسكري. وفي العسكري كانت التجارب والكوارث أكثر، ناهيك وأن الحكم في المناطق العسكرية كان بيد جماعة من الضباط الحاقدين على الشعب الجزائري العربي بسبب شدة بأسه في المقاومة. هؤلاء الضباط هم الذين روضوا مجموعة من المواطنين الجزائرين(5) ساعدوهم في أداء مهمتهم ضد الذاتية الجزائرية التي أنهكها الظالمون من ولاة الاتراك كما عرفنا من قبل ولنسمع الى أحد كبارهم وهو الجنرال بوجو اذ يقول: عام 1832 ان العرب لن تخلص قلوبهم لفرنسا الا إذا صاروا

(5) راجع قانون آيت اخليفة "ميشلي" القبائل في 7 ربيع الاول 1249هـ 25 يوليه 1833م بالمجلة المغربية المصدر السابق عدد 8 ص12 ت 22 الباب الثاني السنة 1937–38. ثم راجع الدراسة المنشورة حول التبشير بدائرة معارف القرن العشرين لوجدي ج2/205–220 ط 3 عام 1971م.

فرنسيين، ولن يصيروا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين، ونفس الجنرال كتب الى القس اليسوعي "برومو" يقول له: حاول يا أبي أن تجعل منهم نصارى، فإذا وفقت في ذلك فإنهم لم يعودوا يحولون رصاص بنادقهم نحو صدورنا في وقت الشدة.

وتحقيقا لذلك يقول أسقف الجزائر لا فيرجي "إن هذا التنصير سهل ميسور، فوضع برنامج مقررا وهو أن يجعل من الجزائر مهدا لشعب عظيم كريم نصراني، أن يجعل منه فرنسا أخرى باختصار... وأن ننشر حول أنفسنا حضارة مصدر إيمانها الإنجيل، وأن نحمل مشاعل هذه الانوار حتى ما وراء الصحراء، الى بلاد لا زالت الى الآن غارقة في الجهالة ثم نربط إفريقيا الوسطى بحياة الشعوب المسيحية ذلك ما تتطلبه إرادة الله منا، وحتى يصبح ذلك حقيقة كما تخيله الأساقفة عملت فرنسا طبعا وتجاوبا مع أهدافهم على تحويل المساجد الى كنائس كاثوليكية فحولت جامع الكشتاوة إلى كنيسة أطلقت عليها إسم "سان فيليب". وجامع البقشين أطلقت عليه اسم كنيسة "نوتردام دفكتوار" وجامع القصبة أطلقت عليه كنيسة "سان كروا" وجامع وهران العتيق في حي سيدي محمد الهواري حولته مربطا للبهائم ومخازن للجيش الفرنسي ومكاتب للإدارة العسكرية. ولطالما تغنوا بذلك ونشطوا من أجل التمكين للصليب في أرض الهلال حتى أنهم بلا خجل ولا وجل كانوا يذيعون في منشوراتهم وباحرف كبيرة جدا "الكفاح ضد الاسلام" وكل ذلك بحماية الحكومة طبعا وقواتها الضاربة.

وتمكينا لذلك ومن جانب آخر ما كاد الغزو يتركز بقوة الحديد والنار في الجزائر حتى أصدرت الولاية العامة الفرنسية بها قانونا يقضي بفصل القبائل البربرية حكما عن المحاكم الشرعية الاسلامية، وكأنه كان رد فعل على الدستور الذي كان قد صدر بتونس في 1858/9/10م بل والتي كانت أول قطر صدرت فيه صحيفة هي جريدة "الرائد" في المغرب الكبير حيث صدرت عام 1860تلتها جريدة طرابلس الغرب التي صدرت عام 1866. كما ألحقت القبائل البربرية في أرض أزواوة بالمحاكم الفرنسية بمقتضى قانون أصدرته فرنسا بتاريخ 1874/9/29م، ثم عززت هذا القانون بآخر بتاريخ 1886/9/10 حولت بمقتضاه كل ما كان للمحاكم الإسلامية من اختصاصات الى محاكم الصلح الفرنسية باستثناء بعض جزئيات الأحوال الشخصية ورغم ما أقدم عليه الفرنسيون من إجرام

التمزيق في حق شعب الجزائر المسلم، وما أصدروه من قوانين تجرده من شخصيته فإنهم لم يكتفوا بذلك إداريا. بل قام الاستعماريون منهم بدراسات وأبحاث حول أعراف وعادات البربر، ومن ذلك ما قام به هانوتو ولوترنو في كتابهما المعنون "بلاد زواوة وعوائدهم" والذي صدر عام 1893م وهانوتو هذا هو الذي أصبح وزيرا لخارجية فرنسا بعد، وهو صاحب الدراسة الفاجرة حول الاسلام والتي رد عليها الشيخ محمد عبده رحمه الله(6)، وفي تلك الدراسة أشار هانوتو الى المغرب الأقصى الذي أطلق عليه البلد المسحور، ثم ما نشره المسيو بولفيه في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر عام 1919م حول قانون عدني، وقانون دوار المعاتقة، وهو بحث نشره هاكون كانبرودون، حول عوائد زواوة عام 1921 ثم نشر في مجلة هيسبيريس عام 1922م وقانون آيت هشام وإيفيل انزكر، نشر ميو يوم ذكرى تكريم المسيو هنري باصى عام 1928 وفي المجلة الجزائرية بتاريخ نفمبر 1930م، وقانون آيت إسلان الذي نشر في مجلة "لابريس ليبر عام 1932م" وقوانين تسع مداشر الواقعة يمين وادي اسباو والتي نشرها بلقاسم بن أسديره مع دراسته للغة ازواوة عام 1887 وقانون آيت اخليفة المشار إليه قبل الخ.

وهكذا فقد كانت الإدارة الفرنسية كلما خطت خطوة الى الأمام في تمزيق وحدة الشعب المسلم في الجزائر الذي تخصص في تمزيق قضائه كثير من المغامرين الفرنسيين الى أن إنتهوا إلى مثل "ابيسطوبلوى" و"سابيبط" و"سانطابرا" و"لوسياني" و"بيي" و"ضان" و"سار بانطر" و"إيرنيسط زايس"(7) الذي ساعده في مهمته قاضي يزيان المسمى الناصر بن الحاج إبراهيم أيام كلفت الحكومة الفرنسية "إيرنيسط زايس" بمهمة في امزاب التي حل بها يوم 1887/3/29م والذي كان لما قام به من محاولات في مجال التشويه ميدان تطبيق في كل من جربة بتونس وفزان بليبيا. وذلك بعد إتمام إحتلال تونس باسم الحماية حيث كان جنوبها أنكد حظا من الشمال، مع العلم أن تونس

(6) طبعها وقدم لها محمد فريد وجدي الذي كان وقتها يحرر مجلة الحياة، بدون تاريخ ولا إسم المطبعة وشارك فيها سالم أبو نجم ومحمد محمد وحسن وصفى .

(7) هو والد بول زايس الذي كان رئيس غرفة بالمحكمة الاستينافية الفرنسية في الرباط ومفتش المحاكم المغربية ومؤسس المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والاحكام الأهلية والعرف البربري والقانون الإسرائيلي. راجع العدد الأول من نفس المجلة ص10 ط1935.

قبل الغزو الفرنسي كانت تتمتع بدستور أشرنا إلى زمن صدوره في 1858.9.10. نظم الحياة القضائية فيها على أساس الفصل بين السلطات التشريعية. والقضائية، والتنفيذية كما خول المجلس التشريعي حقوقا واسعة، والتي إرتفعت الى درجة خلع الباي إذا هو خالف الدستور(8) لكن ما كادت فرنسا تنتهي من غزو تونس حتى أعدمت الدستور ورجعت كل التشريع بيد الباي الذي قيدته بإمضاء المقيم العام الفرنسي، ومعنى ذلك أنها سلبته كل شيء بعدما سلبت الشعب ما كان قد حصل عليه ثم جعلت من الباي مجرد أداة تحقق به ما تهدف إليه من أغراض الاحتلال العسكري، ولسوف نراها بعد تؤسس في تونس ولفائدة الفرنسيين ما أطلقت عليه مجلس الشورى عام 1886 وبعدما إغتصبت من الشعب التونسي وباسم الباي الذي استصدرت منه مرسوما بتاريخ 1907/2/2 يقضي بإعطاء الجالية الفرنسية حق انتخاب من ينوب عنها في هذا المجلس وتعيين ستة عشر عضوا من التونسيين يختارهم المقيم العام فصار المجلس يتكون من 52 عضوا ستة وثلاثون من الفرنسيين منتخبين، وستة عشر من التونسيين معينين من المقيم العام(9). لكن الإدارة الفرنسية في تونس كانت قبل هذه المرحلة قد هيأت لها بإجراءات سابقة هي تلك التي أدت إلى تجنيس الأجانب، ذلك أنها كانت قد شرعت للأجانب المقيمين بفرنسا وكان هذا يعني الجزائريين أيضا حين شرع قانونا بتاريخ 1857/6/29 يسمح لهم بالحصول على الجنيسة الفرنسية ثم اتبعته بقانون آخر خاص بالأجانب المقيمين بالجزائر يعطيهم نفس الحق، وذلك بمقتضى القانون الصادر بتاريخ 1865/6/14. أما في تونس المحمية التي لم يكن من حق الفرنسيين ولا من السهل عليهم القضاء على الجنسية التونسية فقد سهلت أسباب الخروج منها بواسطة القانون الذي استصدرته أيضا بتاريخ 1889/6/26(10).

---

(8) راجع هذه تونس للمرحوم د الحبيب تامر ص71 ط القاهرة 1948.

(9) نفس النهج سوف تسلكه في المغرب بعد الحرب العالمية الثانية 1939–45. لكنها سوف ترى من شهامة المغاربة ما يفضح نهجها ويجعل حدا لاستعمارها.

(10) راجع المصدر السابق ص79–82.

المقيم العام نوكيس

بونصو الحاكم الاستعماري بالمغرب بعد استيج وهو المقيم الذي وقع محمد المقري في عهده الظهير البربري بتاريخ 16ماي 1930

المقيم العام الجنرال نوجيس ساعة وصوله لمراكش واستقباله لاعيانها.
العباس بن ابراهيم التعارجي قاضي مدينة مراكش والذي خدم الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل

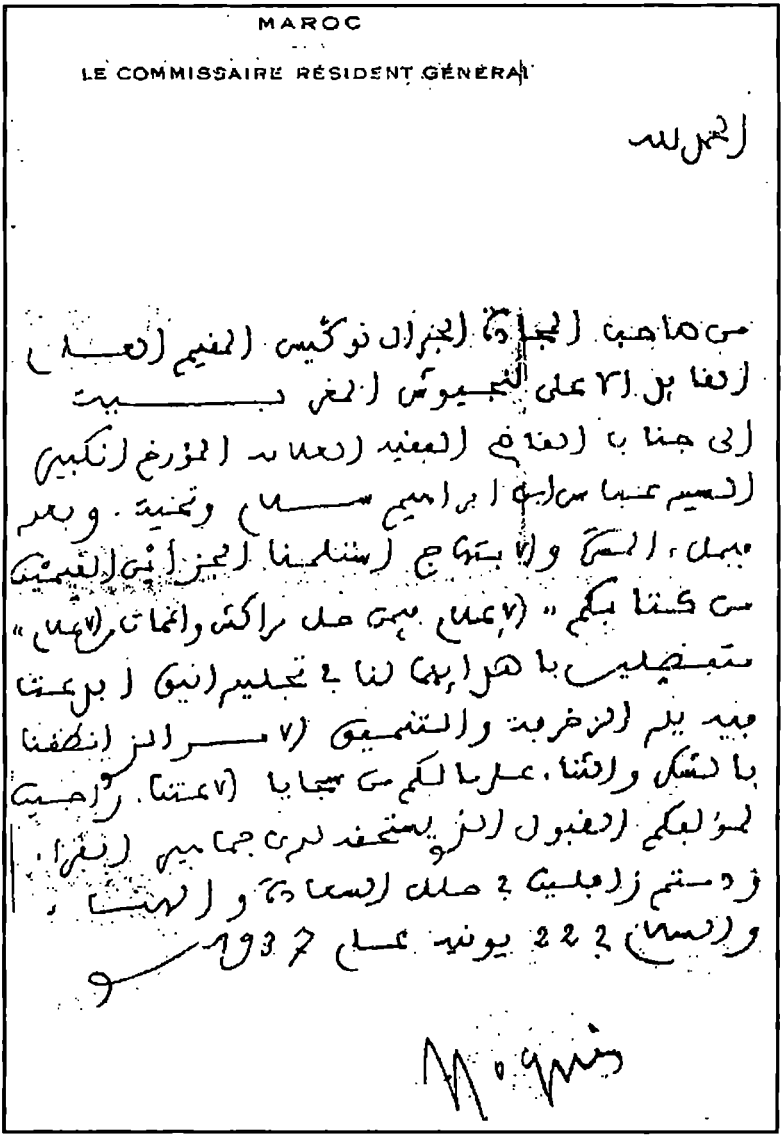

MAROC

LE COMMISSAIRE RÉSIDENT GÉNÉRAL

الحمد لله

كان هذا في الوقت الذي رفض فيه نوجيس كل القيم ثم امر زبانيته باضطهاد الوطنيين وإبعادهم "علال الفاسي إلى الجابون" والوزاني إلى إتزر والبقية القرى وغيره إلى كلميمة بعد التوسل إلى الله باسمه اللطيف الذي كان عند المغاربة وسيلة من أقوى وسائل التضرع والاحتجاج والذي وصل مفعوله إلى باريز فدمر الولد الوحيد للجنرال نوجيس

الفصل الثالث والأربعون بعد المائتين

من مصادر الإقتباس

بريطانيا وشبه الظهير البربري في مصر

لا يفوتني أن ألاحظ أن مما شجع فرنسا في سياستها البربرية في المغرب رغم أنها لم تحقق نجاحا كبيرا لتلك السياسة في كل من الجزائر وتونس، هو أنها كانت في سباق وتنافس مع البريطانيين الذين كانَ همهم كذلك هو القضاء على الروح الوطنية وتحطيم الوحدة في الأقطار التي نكبت باستعمارهم وفي طليعتها مصر.

وإذا كانت بريطانيا بسياستها العدائية المعروفة بالدفع من خلف قد عرفت كيف تسلب الشعوب التي إستعمرتها حريتها وتستعبدها بواسطة العملاء دون أن تشرع في تلك الأقطار من التشريع ما يضفي الجنسية الانجليزية على غير الانجليزي، لأن لها من متاعب خليط ثالوثها ما يكفيها، فإنها سواء في الهند أو مصر سلكت سياسة فرق تسد اقتداءا بنصيحة أرسطو لتلميذه الإسكندر حين وقف هذا الأخير على أبواب فارس وأراد أن يفعل برجالها ما استشار من أجله أستاذه(11). فأشار عليه بذلك الرأي الذي اعتنقه كل مستعمر، وذلك ما سلكته بريطانيا في بلاد الهند بين الهندوسيين والمسلمين وغيرهم وفي العراق مع الأكراد والعرب. أما في مصر التي فرضت عليها الحماية هي الأخرى عام 1882 والتي كانت مع المغرب مجال صراع بين الدولتين في فاشودة إلى أن تم الاتفاق كما رأينا 8 أبريل عام 1904 فإنها في عام 1906 وهي السنة التي عقد فيها مؤتمر المبشرين بالقاهرة. وفي يوم الاربعاء 13 يونيو بالذات حدثت حادثة استغلتها في إحداث

(11) راجع كتاب تنسر أقدم نص عن الفارسيّة قبل الاسلام نقله للغة العربية عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة يحي الخشاب ص18–19–20 ط مصر 1954 وكذا كتاب صرح العيون شرح رسالة ابن زيدون طبعة مصر 1278هـ ص39.

الفرقة بين المصريين أقباطا ومسلمين. ذلك أنه في اليوم المشار إليه قدم جماعة من الأنجليز قصد صيد الحمام في بلدة "دنشواي"(12) فأصيب بعض المواطنين برصاصهم. "الأمر الذي هيج الرأي العام في المنطقة فهوجم الضباط الذين أصيب بعضهم وقتل منهم واحد. ولذلك ثارت ثائرة المندوب السامي لبريطاني كرومر(13) افلين برنج إيرل 1841–1917 الذي أمر بعقد محكمة خاصة نصب عليها بطرس غالي القبطي 1846–1910 فحكم على المتهمين بأحكام قاسية وفاحشة حيث أعدم من المواطنين أربعة وجلد وحبس ثمانية. ونفذ الإعدام والجلد في دنشواي(14). مما دفع المرحوم إبراهيم الورداني إلى اغتيال بطرس غالي جزاء تواطؤه وغدره حيث قتل في فبراير 1910م(15) وإذا كان بطرس غالي هذا قد قام بدوره في محاولة تركيز الاستعمار الانجليزي بمصر لأنه أسدى اليه خدمات ومكنه من أكبر الوظائف. فإنه لاقى مصير ما يلاقيه كل من خان بلاده مقابل الفضل من فتات مائدة المستعمر، وإذا كان بطرس غالي المقتول قبطيا فإن على بريطانيا أن تدعو الأقباط إلى عقد مؤتمر خاص بهم في أسيوط كونها مس نط رأس القديس القبطي الليكو پوليتاني حتى تثيرها نعرة عنصرية في الوقت الذي لم يعرف للإسلام –وباعتراف كبار مؤرخي العرب– معاملة تتسم بغير المودة مع مسيحيي مصر منذ عهد المقوقس يوحنا بن قرقت اليوناني الذي رد على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالهدية التي منها مارية القبطية أم أبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم. أرادت بريطانيا أن تثيرها فتنة بين الديانتين اللتين عاش أهلهما متساكنين في اخوة وطنية طيلة ثلاثة عشر قرنا الى أن كان من بطرس غالي ما كان ثم قتل إقبارا للفتنة وفي السنة التي قتل فيها وبعد المؤتمر المذكور دعت بريطانيا الى وضع قانون خاص بالأقلية. فلم يكن من الزعماء المسلمين

(12) تقع في مصر السفلى بمحافظة المنوفية من أعمال مركز تلا..

(13) راجع الموسوعة العربية ص457 ط1965 واكرومر هذا هو الذي منح الحماية الانجليزية للمهدي لمنبهي اثناء حرب ابو حمارة وطبعا بموافقة دولته التي كانت وقتها في صراع مع الفرنسيين، والتي حقق لها لمنبهي من المنافع المادية بواسطة السرقات التي كان يدبرها مع الضابط ماكلين ما كان يهرب من صناديق العملة الذهبية كما سبق ان بينا.

(14) راجع الموسوعة العربية ص804.

(15) راجع نفس المصدر 378.

الا أن أفسدوا على الانجليز لعبتهم بواسطة إقدام سعد زغلول(16) ووطنية حزب الوفد الذي كان من رجاله بعض الأقباط أمثال ويصا واصف. ومكرم عبيد الذي يقول بعروبة المصريين بل كان للأقباط نشاطهم السياسي الذي لا ينكر في ثورة 1919م خلافا للموارنة المكشوفين في تواطئهم مع الاستعمار الغربي ضد الاسلام(17) في لبنان وغير لبنان حتى وصلنا في المغرب ما عرف من أذاهم في مطلع هذا القرن مع طلائع الاستعمار الفرنسي راجع كتاب "الغارة على العالم الاسلامي"، شاتليه واذا كان اليوطي كبقية الساسة والعسكريين من أفراد جيله مغرما بمناوأة الانجليزيين – وذلك ما ورثه عنه دي غول نفسه كما يلاحظ في مذكراته– فإن اليوطي بلا شك حين فكر في الظهير البربري الأول 1914/9/11 كوسيلة للتفريق بين المغاربة المسلمين كان المثال الأقرب الى ذهنه، بالإضافة الى المسلسل الفرنسي في الجزائر وتونس واتصاله مع دوفوكو هو ما كانت أصداؤه تتردد وقتها في مصر التي كان نشاط جماعة الجهاد الإسلامي وحزب الترقي التركيين والحزب الوطني خصوصا الأولين اللذين كانا بمصر مصدرا من مصادر متاعب فرنسا في المغرب كما رأينا حين دراستنا للثورتين الحفيظية والريفية بقي لنا ان نلاحظ كذلك ان اليوطي حين فكر في إصدار الظهير البربري كان بحكم تكوينه قد وقع تحت وطأة الحملة العاتية التي كانت الكنسية قد قامت بها ضد الاسلام وهي الحملة التي بدأت من القرن الثامن عشر والتي كان المبشرون من حين لآخر يستعرضون نتائجها في مؤتمرات دورية، ومنها المؤتمر الذي انعقد بالقاهرة يوم 1906/4/4 والذي انعقد بمنزل عرابي باشا في باب اللوق تحديا. ثم مؤتمر مدينة "لكنو"بالهند يوم 1911/1/21 وهو ثاني مؤتمر خاص بالإسلام بعد مؤتمر القاهرة الذي كان قد اقترحه القسيس :زويمر" رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين. وكانت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية هي المنشطة والناشرة لكل نشاطات المبشرين أكثر من بقية وسائل الاعلام الاخرى ولعل

(16) ولد 1856 وتوفي 1927/8/23. راجع ترجمة سعد زغلول لعباس محمود العقاد. ودراسات في ثورة 1919 للدكتور حسين مؤنس سلسلة اقرأ عدد418 دار المعارف ط1973.

(17) راجع سمط اللئالئ في سياسة المشير نحو الأهالي للعميل اللبناني يوسف كرم ط الرباط 1344هـ 1925م.

بمراجعتها يتعرف القارئ على ما كان يدبر ضد الإسلام. وهنا نقتصر على ما ورد في مجلة العالم الاسلامي الانجليزية حول المؤتمر الأخير المشار إليه وما أوردته حول برنامجه مما نقله عنها ناشره في كتاب الغارة على العالم الاسلامي لشاتليه تعريب مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ص86–87 ط القاهرة 1350هـ حيث جاء فيه عن المؤتمر المذكور. واشترك في المؤتمر 168 مندوبا و113 مدعوا من 54 جمعية تبشيرية... ولم يكن القسيس زويمر رئيسا للمؤتمر فقط بل كان أيضا مديره الروحي. ومن هؤلاء المشتركين الخ. ثم قال:

تمخض الاسلام في السنوات الخمس التي أعقبت مؤتمر القاهرة بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير: ففيها حدث الانقلاب الفارسي، والانقلاب العثماني. وما نتج عنهما. وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة، وعنى المسلمون بمد السكة الحجازية، وتأسست في الهند مجالس إدارية وشورية وكان في قوانين انتخابها امتيازات للمسلمين. ودخلت الامور الاسلامية في قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الاسلام، والمسلمون يحاولون إحياء دينهم في الصين وانتشر الاسلام في افريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية.

كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر في أمر التبشير والمبشرين بكل عناية، وعلى ذلك شمل برنامج مؤتمر لكنو الامور الآتية:

أولها: درس الحالة الحاضرة.

ثانيها: استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي.

ثالثها: إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها.

هذا ما نشرته مجلة الرئيس.. اما برنامج المؤتمر الذي عرض بعد انتخاب لجنة التسيير فهو كما يلي:

أولا: النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتاليف بينها وبين تنصير المسلمين.

الثانية: النظر في الانقلابات السياسية في العالم الاسلامي وعلاقاتها بالاسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها.

ثالثا : موقف الحكومات ازاء إرساليات تبشير المسلمين.

رابعا: الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية.

خامسا: تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك، والبحث في الدروس الاعدادية ودروس التبشير، وتأليف الكتب للمبشرين وللقراء المسلمين.

سادسا : حركات الاصلاح الديني والاجتماعي.

سابعا: الإرتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات.

ثامنا: الاعمال النسائية.

تاسعا: القرارات العملية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات وكان هذا بالطبع موجها لجيل اليوطي وكل من كان له سلطان على بلاد الاسلام وقتها.

وهكذا ما كاد اليوطي يتنفس من حرب فاس ويتعمق في الاطلس المتوسط حيث كانت المعارك على أشدها حتى أصدر مذكرة بتاريخ 1913/7/13 تحمل رقم 1667 يحث فيها أولئك الذين نصبهم على فرق الغزو العسكري كحكام في المقاطعات وكان عددهم وقتها قد بلغ 194 أن يقوم كل منهم بدراسة إجتماعية وسياسية للمنطقة التي يحكمها تمكنه والإدارة المركزية من معرفة الأسلوب الذي يتفق ومعاملة الأهالي، وإذا كان لليوطي نفسه كتابات سابقة في الموضوع منها ما نشر بعنوان "وظيفة الضابط الاجتماعية" وآخرى باسم "وظيفة الجيش الاستعمارية" نشرت عام 1900 ثم دراسة أخرى باسم "في جنوب مدغشقر" ط 1903م. فإن على الضباط المأمورين أن يهتدوا بما كتب قائدهم، وإذا ما تهاطلت على اليوطي تقارير العسكريين حسب التعليمات السابقة ومنها ما اقترح صاحبه إنشاء "جمهورية" في منطقة تازة(18) بعد ما تم فتحها. لكن التقارير التي كان لها أبلغ التأثير بحكم الظرفية -ظرفية معركة لهري في زايان- التي سقط فيها من جيش الفرنسيين 613 برصاص محمد أحمو الزياني ونفر قليل من الذين كانوا معه- هو تقرير أو تقارير الجنرال هنريس الذي ذاق المرارة في تلك المعركة. والذي هو الآخر بعدما وقف

(18) أورد هذا شارل أندري جوليان في كتابه "المغرب ومواجهة الامبريالية" ص100.. ط تونس 1976.

على الكثير من الحقائق في المناطق التي دارت فيها معارك زميله مانجان ضد القائد المغوار محا وسعيد الوراوي.

كان الجنرال هنريس بحكم ما عاش ورأى من إقدام المواطنين في المنطقة حيث آيت شخمان الذين عرفوا بكراهيتهم للمخزن وآيت احنيني وآيت حدو وآيت حركات وغيرها من القبائل قد استطاع ان يكون له فكرة مركزة حول الاسباب والعوامل التي جعلت من تلك القبائل قوة فعالة ومتماسكة فوجدها متمثلة في روح الوحدة التي مكن لها الإسلام.

وإذا هو استعان في دراساته بمصالح "لوكلي" الموظف بالإقامة العامة كما استعان الجنرال هنريس أيضا بالاستاذ "لاوست" وموظفين آخرين مكنوه بحق من توثيق تقاريره التي أعجب بها اليوطي أكثر، ومن مجموع تلك التقارير وغيرها كون له رأيا واضحا حول الموضوع الذي مكنه بعد من إعتبار كل دهاقنة الاستعمار سواء منهم رجال الكنيسة الذين أخرجوا كل ما كان كامنا في نفوسهم بالنسبة للمغرب، أو رجال السياسة الذين اعتبروا ما كان يدبره اليوطي حول السياسة البربرية هو الوسيلة التي ستمكنهم بحق من تحقيق مقاصدهم.

بطرس غالي 1847-1910 الرجل الذي تدرج في وظائف سامية وفي حماية الانجليز لمصر حتى انتهى إلى منصب رئيس الوزراء وفي جميعها كان عند حسن ظن الأنجليز وأخيرا ختم وفاءه لرسالتهم بقانون يفرق بين المصريين مسلمين وأقباط مما دفع غيرة ناصف الروداني لقتله بتاريخ 1910/2/20. وبه اقتدى اليوطي الذي كان مغرماً بسياسة الأنجليز حيث ظهر بالظهير البربري 1914/9/11

الفصل الرابع والأربعون بعد المائتين

التجربة الأولى للظهير البربري في المغرب الأقصى

فمن مجموع تلك التقارير نتج ما سمي بالظهير البربري الذي أصدره ليوطي بتاريخ 1914/9/11(19) والذي قال عنه إنه من أجل تهدئة البربر الذين قال عنهم إنهم قط لم يقبلو حكم المخزن. بل والذين أكدت الدراسات انه ركز أكثر على منطقة آيت أمالو المشار اليها قبل وهي ما بين أزرو الى غرب تادلة، وجنوبا الى حيث كانت حروب الغزو بعد على أشدها في منطقة الأطلس المتوسط كما رأينا، هذا مع العلم أن الفرنسيين كانوا قبل قد استصدروا ظهيرا بشأن تنظيم القضاء بتاريخ 9 رمضان 1331هـ = 12 غشت 1913 ثم عادوا بعد سنة ليضعوا ما اسموه ظهيرا بتاريخ 1914/9/11 وهو الذي لم يوافق عليه السلطان المولى يوسف وبقي موضع نزاع ونفور الى أن توفي هذا السلطان رحمه الله في نفمبر 1927. وقد افصح اليوطي عن الغاية من كل ذلك وهي تنصير البربر وهدم وحدة المغاربة ومحاربة الدين الاسلامي مقابل مصلحة فرنسا كما عبر وكما أورد المقدم مارتي المستشار برئاسة الحكومة الفرنسية في كتابه مغرب الغد ص228 اذ يقول ليوطي: "ان مصلحتنا لتأمرنا أن نمدن البربر خارج الإسلام، ويجب علينا ان نمر من البربرية الى الفرنسية بدون واسطة".

ألا فليتدبر دعاة الفرانكفونية والبربرية الماضي القريب ويقارنوه مع شطحات المفلسين في عهد الاستقلال. والذين يحنون الى ما سبق لا مثالهم في عهد الحماية والاستعمار.

لقد كان الظهير المذكور باسم السلطان وعلى لسانه في الوقت الذي لم يكن له به علم وإنما وضع من ورائه، ويوم يستشار بعد وبعنف مرات ومرات ثم يجيب بالرفض

---

(19) راجع المجلة المغربية للقوانين مصدر سابق عدد 6-7 ص2 بتاريخ 1937 –1938م والجريدة الرسمية للمملكة المغربية بتاريخ 27 شوال 1332هـ = 1914/9/18.

الذي استمر حوالي تسع سنوات، ومن أجل ان يتمم اليوطي ما بدأ تقوم الضجة بعد اجتماع لجنة تنظيم المحاكم البربرية بتاريخ 1924/10/8 ويهدد السلطان المولى يوسف بالتنازل عن العرش، فتقوم القائمة ضد اليوطي نفسه حيث طلب إليه أن ينفذ ويترك عليه طلب موافقة السلطان بل ويطرد اليوطي من المغرب وقبل الظهير البربري كان اليوطي قد أصدر ظهيرا وفي فصلين أخطر من الظهير البربري. وتشتد الأزمة أكثر مع استيج الذي يحكم السيف. كما سنرى.

يقول هذا الظهير وكما نشرته إدارة الحماية حرفيا(20) بالجريدة الرسمية:

"ظهير شريف في شأن ما يتعلق بأمور القبائل البربرية بالإيالة الشريفة. اطلع عليه المقيم العام وأذن بنشره الرباط 15 سبتمبر سنة 1914. الجريدة الرسمية الصادرة في 27 شوال 1332هـ الموافق 18 سبتمبر 1914."

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أنه لما كانت القبائل البربرية تتسارع "يعني تتسابق" للدخول في طاعة جنابنا الشريف بسبب انتشار الأمن فيهم وكانت لهم عوائد خصوصية يجرون عليها أعمالهم من قديم. ويصعب عليهم الخروج عنها، وكان غرض جنابنا الشريف السعي فيما يسود به الأمن ويعم به الصلاح والاطمئنان في رعيتنا السعيدة. إقتضى نظرنا السديد إقرارهم عن عوائدهم وتسليم ما يجرونه عليها من أعمالهم. ومن أجله أصدرنا أمرنا الكريم بما يأتي:

الفصل الأول: إن القبائل البربرية الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة ولاة الحكومة.

الفصل الثاني : تصدر قرارات من الصدر الأعظم(21) بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة الشريفة في تعيين القبائل المتبعة للعوائد البربرية كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبائل والقوانين والضوابط الصادرة بها والسلام.

من هذا النص بل ومن أسلوبه ومقاصده يتبين لنا أن ما وضع ويوضع من تشريع

---

(20) راجع كتاب عمل فرنسا في المغرب تأليف جودفروي دي مينييسن و"مغرب الغد" المجلة المغربية عدد 6-7 السنة 2 عام 1937-38. وملوك المسلمين المعاصرون لأمين سعيد ص386 ط1933.

(21) وكان هو العميل الحقير الاسباني الاصل كاباص المعروف بـ محمد الجباص. والذي تأن تواطؤه من وراء المولى يوسف الذي كان يهون عليه التخلي عن الملك ولايقبل صدور مثل هذا الظهير المفتري عليه.

في هذا الموضوع وحتى سنة 1918 كان مصدره أولا ليوطي وثانيا العميل الاستعماري الأول لفرنسا بالمغرب وقتها محمد كاباص المعروف بالجباص الذي سمي صدرا في أول عهد الحماية، ثم بعده ابن المقهجي محمد بن عبد السلام المقري التلمساني الأصل أيضا الذي حل مكانه 1918 وهما اللذان لا يغفر لهما التاريخ مبالغاتهما في العمالة والتواطؤ مع إدارة الحماية كما سنرى من خلال القرارات المتعددة التي كان مصدرها المقري بعد الجباص بحكم ما ورد في الفصل الثاني المشار إليه أعلاه. والذي أعطى للصدر مع الكاتب العام للحكومة وتعنى به إدارة المقيم كل الحق في إصدار القوانين الخاصة بقبائل البربر والعرف البربري حسب إختيارهما.

لقد كان هذا الذي قيل عنه ظهير وما هو في الواقع الا قانون فرنسي لم يعرفه السلطان المعاصر الذي هو المولى يوسف وإنما أصدره ليوطي تطبيقا لأهداف الاستعمار التي عرفناها قبل من خلال التمهيد الذي تطرقنا فيه لما حصل في كل من الجزائر وتونس. أما السلطان المذكور فإن التاريخ يؤكد أنه لم يعرض عليه ما سمي بالظهير الا سنة 1923–1924 وحين أدرك ليوطي أنه بمقتضى عقد الحماية ما لم يصادق على عمله من طرف السلطان يكون لاغيا. لأن الظهير حسب التقاليد لا يعتبر تشريعاً الا إذا وافق عليه السلطان وسجل بالإدارة الخاصة ثم وضع عليه الطابع وأعطي رقما خاصا به في السجل الخاص بالسلطان ثم ينشر بالجريدة الرسمية، وشيء من ذلك لم يحصل وحين أراد إصدار التشريع الذي بمقتضاه سيستولي المستوردون من الألزاس والكورس واللورين على الارض وعرض على السلطان رفض بطريقة أحرجت اليوطي بل أحرجت الوجود الفرنسي بالمغرب لأن السبب الحقيقي الذي أدى الى إخراج اليوطي شبه مطرود من المغرب هو الى جانب حرب الريف اتفاق الجميع ضده لأنه لم ينفذ رغباتهم ولم يستعمل الشدة مع السلطان حين عرض عليه الظهير ورفض مع العلم أنه لو فعل لكان الموقف أسوأ ولكانت الدعوة الى الجهاد العام أقوى خصوصا وأن جل جهات المغرب وقتها كانت ساخنة بالقتال ضد الاحتلال.

ومهما يكن فقد انتهت الوقاحة بالفرنسيين إلى درجة أنهم وضعوا جدولا للمقارنة بين البربر والعرب في المغرب، وذلك حتى يضفوا على سياستهم البربرية لونا من الدراسة الأكاديمية التي كان وقتها قد تزعمها رجال الاستشراق من الفرنسيين امثال جورج

سوردون(22) الذي أورد لنا الأرقام التالية حين كتابته عن الحق العام عند البربر والذي في نظره لا وجود له عند العرب وعلى رأسهم السلطان، وبذلك تكون الغلبة والمستقبل للبربر الذين يبلغ تعدادهم عنده 3.300.000 نسمة وعدد العرب 2.900.000 وأن البربر بأسلوب حكمهم المتفوق على حكم الشرع القائم على مذهب مالك المعتمد على نظرية الجبر هو الذي يعمل به السلطان الذي يعزل ويولي حسب اختياره بلا حسيب ولا رقيب. وقد ركز سوردون على العنصرية البربرية دمويا، والتي قرر أنه لا قيمة للحكومة ولا ضمان لها عند البربر بدونها. وذلك حتى ينفر البربر من العرب، وبالعكس، وبالتالي حتى ينفر المتذمرون من الاستبداد الذي وصف به جورج سوردون السلطان والذي هو كما قال: يعاقب أشد العقوبة لاتفه الأسباب ولا يعطي للمعاقب حق الكلام. بله الدفاع عن النفس. خلافا للعرف البربري سواء عند الأمازيغ أو الشلوح القائم على حكم الجماعة. وما الفرد فيه إلا منتخب مؤقت ودوريا ينفذ ما تتفق عليه الجماعة وحسب إرادتها. هذا مع العلم ان جورج سوردون لم يفعل أكثر من ترديده للنغمة التي وضع نبراتها مونطاني في كتابه حول "علاقة بربر الجنوب بالمخزن" والقائمة على "نوتة" دوفوكو وسمفونية ديلكاسيه وهانوتو وصيغة الدساس المفضوح "ماسينيون" وجوقة العسكريين التي كان في مقدمتها اليوطي وفي المؤخرة الجنرالين المشؤومين اجوان وگيوم، والتي لم يعرف كيف ينسق سمفونيتها لا جورج سوردون ولا غيره من العشرات الذين سنذكر أسماء بعضهم. لأنهم جميعا لو تعمقوا في دراسة المغربيين الذين لا ينافسهم في تمسكهم وتماسكهم عبر شعوب الاسلام غير شعوب الفرس والترك والافغان ثم شعب جاوة، لما ضيع الفرنسيون ما ضيعوا من جهد في سبيل تمزيق الذي شاء الله أن لا يتمزق.

كان ليوطي وإدارته بل وحكومة بلاده برنامج مخطط وموثق حول السياسة البربرية في أقطار المغرب المسلم العربي الكبير. وما نهجه ليوطي في المغرب كان تتمة لما بدأه سلفه في كل من الجزائر وتونس، وبحكم التطور في المنهج كان على ليوطي حتى يبرهن أن عمله سيكون أحسن أن يعمل على تكوين الأطر التي تنفذ البرنامج المخطط، وأن تعمل حسب الرغبة والقصد والهدف. ومن أجل ذلك أنشأ معهدا للدراسات البربرية

(22) راجع المجلة المغربية مصدر سابق السنة 37-38 الباب 2 ص9-17.

بأزرو في نفس السنة التي صدر فيها الظهير البربري1914، واذا ما قامت الحرب العالمية الأولى والغزو باسم التهدئة في المغرب لم يحقق ولا 20٪ من المخطط، بل والمعارك هنا وهناك في كل جهات المغرب كما رأينا تنذر بأشد الخطر الى درجة أن حكومة فرنسا أثناء اشتداد الحرب مع الالمان فكرت في الانسحاب من المغرب ما عدا خط البيضاء وجدة لولا تمسك ليوطي والتزامه. ثم تعهده بما تطوع به كلاب الصيد الذين سماهم بـ "القواد الكبار" يتقدمهم العبد الآبق التهامي الجلاوي وصنويه المدني وحمو: وحيدة ولد أميس، والهاشمي العيادي وغيرهم ممن باؤوا بالخزي والتحقير قبحهم الله، وقد تعرفنا على أكثرهم قبل والذين مكنوا للاستعمار الفرنسي بمحافظتهم على تعهد اليوطي والتزامه، ولذلك هو الآخر أوقف عمله المخطط نحو السياسة البربرية، ثم أخذ يعمل بالطريقة التي كان يحذقها ويتقنها أكثر من غيره في هدم الذاتية المغربية، حيث إستمر عمله الخطير من أجل التمزيق بعدما جرد السلطان الشرعي من كل سلطاته عمليا وأسند ما يريد منها إلى الصدر الذي هو الاسباني الاصل محمد كاباص في الوقت الذي كان يموه على المغترين من المغاربة بالتصريحات التي رددها البسطاء بل الاغبياء حيث كان يقول عن المغرب أنه كان يتمتع بدولة ونظام إداري وتمثيل سياسي الخ وكل ذلك تمويها على المغاربة ومن أجل الاستهلاك المحلي. أما ما كان يكتب في تقاريره لحكومة بلاده وهي كثيرة ترقد في رفوف وزارة الخارجية الفرنسية والمتحف الحربي ومتداولة بين الكتاب والمؤرخين. لا تعني غير هدم الذاتية المغربية وإذلال الشعب وتمزيقه. بل كان يعمل جاهدا وبلا أي حساب أو إعتبار من أجل تحويل المغرب الى مقاطعة فرنسية ولو على المدى البعيد وذلك حتى يفي بوعده المسجل عليه والذي هو اليوم وكذلك ضمن وثائق وزارة الخارجية والمتحف الحربي بفرنسا، وهي الوثائق التي لم يهتم المؤرخون والسياسيون المغاربة بعد بدراستها بما يكفي ولنسمع إلى اليوطي إذ يقول بالنسبة لما يعني الموضوع الذي نحن بصدده "إن مصالحنا تأمرنا بأن نجعل تطور البربر خارج حوزة الاسلام"(23) أي بتنصيرهم وهذا لا يتأتى الا بفرنستهم. والفرنسة حسب زعمهم تقتضي مراحل كما

(23) راجع الحركة الوطنية والظهير البربري للحاج الحسن بوعياد الفيلالي ص566 اذ عياد الجد الأعلى كان خادما للمولى علي الشريف وتاريخه معلوم عند الفيلاليين. وقبره حتى اليوم معلوم بجدار قصبة مولاي عبد الكريم بتافيلالت كان قد جدد بناءه مولاي الصديق، وقد عمل على طمسه محمد ولد الشركية وهو محمد بن أحمد بن عبد =

سنرى، ولتحقيق تلك الاغراض أمر بتكوين لجنة للقيام بدراسة واقع البربر في الجبال وعلاقاتهم بالعرب في السهول، وأصدر قرار تكوين اللجنة بتاريخ 1915/1/1 وهو يحمل رقم 31/3/2 فتكونت اللجنة من الذين كانوا قد ساروا خطوات مركزة في الموضوع يتقدمهم گايار كرئيس. ثم لوت، وبيارني، والعقيد سيمون، والكومندار بيريو والزواوي المتفرنس نهليل، وبيل، كأعضاء. وهذه اللجنة هي التي أصدرت المنشور المعروف بـ "الارشيف البربري" بتاريخ 1915/9/22 والذي ورد فيه ما يُحتم جعل اللغة الفرنسية لغة التقارير الخاصة بأحكام الجماعات البربرية. وسنرى أن كل ذلك كان عبثا.

كانت هذه اللجنة أيضا قد إتخذت وسيلة عملها ما سبق من تقارير المغامرين السياسيين والرهبان والعسكريين ودراسات دهاقنة الاستعمار من الفرنسيسكان منذ عهد ما قبل فرانسو داسيس ثم دوفوكو مؤسس جميعة التنصير بشمال إفريقيا، ثم كتابات اليوطي وتقاريره، ثم تقارير الذين أمرهم بذلك قبل من الذين أشرنا إليهم، وانتهى عمل اللجنة بعد الدراسات والاستقراء أنه من المؤكد للعمل حتى يجدي أن يكون له برنامج مركز يتناول الدين، والتشريع، والتعليم.

وإذا كان للتسيير الإداري أثره في ذلك فإن على ليوطي ان يجمع بين يديه وبطريقة جد مركزة كل ما يتعلق بالتسيير والتنفيذ، ولا ملاحظة لأحد على ذلك ما دام التشريع قد أصبح ميسورا بواسطة الصدر الذي هو محمد كاباص الذي ليس له جذور في المغرب مثله مثل الكاتب العام للحكومة الفرنسية، لكن كيف يتم للمقيم ذلك وعقد الحماية صريح حول مهمة فرنسا في المغرب والواقع في نظر المجتمع الدولي يؤكد أن للمغرب مؤسسة على رأسها سلطان هو صاحب الحق شرعا وعادة، ولا عمل يتم للمقيم بدون موافقته، وانتزاعا لتلك الموافقة رأينا كيف صيغ الظهير الذي أقحم في البند الثاني منه إسم

= القادر لغريسي المعروف بـ أحمد العلوي الذي يتصرف كيف يشاء ولا حسيب ولا رقيب. كان الاستاذ الحسن بوعياد في الفترة ما بين 1930–37. من أهم زعماء المغرب الذين ساهموا في تحطيم الظهير البربري بما قام به من أجل ذلك سواء في المشرق العربي مصر أو أوربا، حتى أنه لما عاد من رحلته تلك التي أعطت ثمارها، اقامت له مدينة فاس شيبها وشبابها أحسن استقبال يوم حل بها عائدا من رحلته بتاريخ شهر ذي الحجة 1351هـ 1933. راجع مراسلة مراسل مجلة العرب القدسية ص3 لنفس التاريخ، واذا هو أدخل في دوامة الصراع فقد كان رد الفعل اعنف...الخ.

الصدر الذي أصبح بأقل إشارة ينفذ الأوامر حتى ولو كان فيها وكما عبر أحدهم هتك حرمات، بل أصبحت العبارة العادية كلما أراد المقيم إصدار تشريع يقتضي موافقة السلطان أن يقدمه للصدر فيلحق به العبارة التالية: الحمد لله بتاريخ كذا الموافق لكذا أطلع العلم الشريف أسماه الله على كذا فصار بباله الشريف وأمضاه..؟؟؟؟ والواقع أن كل شيء كان يصدر حسب إرادة المقيم أخبر السلطان أو لم يخبر. كما أقحم إسم الكاتب العام للحكومة الذي هو الفرنسي، وأن ما كان يصدر عنهما من قرارات تنظيمية يكون لها مفعول ما يصدر عن السلطان حسب معطيات نص الظهير المزعوم 1914/9/11. بل زيادة على ذلك كان اليوطي قد قام وحسب تفكيره وإرادته واختياره كذلك بوضع تخطيط ماكر للتنظيم الإداري للحكومة المغربية هي الأخرى التي جردت طبعا من كل ما يجعلها في نظر الشعب ذات إعتبار وتقدير بحيث سبق ان أصدر قرارا بتاريخ 8 حجة 1331هـ 1913/11/8 أحدث بموجبه لجنة تشريعية نشر نصه بالجريدة الرسمية، بتاريخ 1913/11/14 جاء فيه(24):

حيث أن توحيد الآراء بين إدارة الإقامة العامة لازم لضرورة تحسين تحرير النصوص التنظيمية المعروضة على مصادقة الحكومة الشريفة تقرر ما يأتي:

الفصل الاول: يحدث لدى الكتابة العامة للحكومة لجنة تشريعية تكلف بدرس مختلف النصوص التنظيمية المحررة من طرف الإدارات وذلك بقصد عرضها على مصادقة الحكومة الشريفة.

الفصل الثاني: تجتمع اللجنة التشريعية تحت رئاسة المعتمد بالاقامة العامة مصحوبا بالكاتب العام للدولة الحامية، وتتألف من رجال القضاء والموظفين المعنيين أسفله وهم:

الرئيس الأول بالمحكمة الاستيئنافية الفرنسية.

الوكيل العام لدى المحكمة الاستيئنافية الفرنسية.

رؤساء الغرف العدلية، ونواب الوكيل العام، ثم مدير المالية. والمدير العام لإدارة الأشغال العمومية، والمدير العام لإدارة الفلاحة، والتجارة والاستعمار. والمدير العام لإدارة التعليم العمومي والفنون الجميلة، والآثار القديمة، ثم مستشار المخزن الشريف

---

(24) المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الاهلية مصدر سابق ليول زايس عدد 3 السنة الاولى بتاريخ 1935-36. الباب الأول ص 19-20.

ورئيس المكتب السياسي، ومدير ادارة الشؤون الأهلية، ورئيس المراقبة المدنية(25).

الفصل الثالث: إن رئيس إدارة الوظيفة والابحاث التشريعية يحضر جميع جلسات اللجنة بصفته مقررا للمسائل التي تروج المذاكرة بشأنها، ورئيس مكتب الابحاث التشريعية يقوم بوظيفة كاتب اللجنة.

الفصل الرابع: إن النص الذي تتفق عليه اللجنة يبلغ إلى الكاتب العام أو رئيس الإدارة الذي حررت إدارته صورة النص المذكور. وذلك ليعرض على موافقة المقيم العام بعد إعادة النظر فيه إن اقتضى الحال. وتوقيع الكاتب العام للدولة الحامية والسلام".

كانت تلك هي المرحلة الأولى من المراحل التي قطعها المقيم العام اليوطي في طريقه لمحق الذاتية المغربية ألا وهو التشريع الذي لا يقتصر على مجال دون آخر، ولتحقيق الهدف الذي هو محاربة الشعب المغربي في المجالات الثلاث الدين والتشريع والتعليم، وإذا ما وثق المقيم في مجال التشريع وجب عليه ان يلتفت الى مجال الإدارة التي سيكون لها حق الإشراف والتسيير ثم التنفيذ، وتحقيقا لذلك عمل على طمس معالم ما كان للمغرب من إدارة وإلغاء مناصب من كان يشرف عليها من "الوزراء" المغاربة وترك صوريا فقط وكما سبق أن عرفنا في "فصل الجناية في تطبيق الحماية" ترك ثلاث مناصب كلها تحت رحمة المشرفين الفرنسيين وطوع إرادتهم، وهم: الصدر(26)، والعدل، والاوقاف أما باقي المناصب الوزارية، فقد حولها الى ما أطلق عليه "مندوب مخزني" يقابله مستشار فرنسي، وما هو في الحقيقة والواقع إلا المدير والمسير، وبالتالي أصبح لا عمل لا للصدر ولا لـ "المناديب" إلا ما يوحي به الكاتب العام للحكومة، ولا عمل لمن في العدل أو الأوقاف ممن احتفظ لهم بلقب "وزير" إلا ما يأمر به المستشار الذي بيده التولية والطرد حسبما توحي به المصلحة الفرنسية. وإذا إقتضى ما تجب فيه شبه استشارة السلطان لا تكون إلا من أجل الموافقة بدون أدنى تردد إلى أن طفح الكيل بسبب الظهير البربري في عهد استيك كما سنرى.

---

(25) كل هؤلاء كانوا من الفرنسيين. ولقد أدخل تعديل بقرار مؤرخ بـ 4 جمادى الثانية عام 1351هـ=1932/2/15 زاد من سلطة الرئيس الأول الذي هو المقيم العام ومثله الوكيل العام.

(26) أبقيت بظهير مؤرخ 20 قعدة 1330هـ = 1912/10/31 ثم عين اختصاصها بعد بظهائر ثلاث تاريخها 2 شعبان 1366هـ =1947/6/21. كما كان قد أكد استمرار وزارة العدل بظهير تاريخ 20 قعدة 1330هـ 1913/10/31.

الفصل الخامس والأربعون بعد المائتين

المشير اليوطي والهدم الصريح للدولة والدين

ذلك ما حققه اليوطي في بحر الثلاث سنوات، والتي شرع فيها كذلك أيضا ما يعني القضاء الشرعي الذي وزعه كما شاء وأراد خصوصا في البوادي أكثر حيث كان قد أصدر قانونا "ظهير" بتاريخ 13 شعبان 1333هـ = 7 جوان 1914م وبالتالي فمنذ توقيع صك الحماية المفروضة الى يوم إصدار الظهير البربري الأول فعل اليوطي بالمغرب ومقوماته ما شاء وأراد من تدابير حتى يصبح المجال واسعا لتطبيق الظهير وأكثر من الظهير، ويصبح المخطط نافذ المفعول، وإذا ما إشتدت المعارك في ميدان الحرب بين الحلفاء والألمان وحلفائهم ثم كان لها تأثير على الموقف بحيث تجندت كل الاجهزة لإمداد المحاربين في الميدان بكل إمكانات المغرب(27) وفي مقدمتها البشرية ضمن قوافل المغرب الكبير. إلى جانب المواد والحيوانات كما عرفنا فإن اليوطي وحسب توصيات اللجنة المشار إليها قبل، قد جمد العمل حول السياسة البربرية، مؤقتا الى ما بعد الحرب، وإذا كان النصر للحلفاء فإن فرنسا المعنية عادت وعلى الصعيد العام للمغرب الكبير إلى إتمام ما بدأته من تخطيط لإحكام قبضتها على المستعمرات عموما ومنها المغرب الذي عاد إليه اليوطي بعد نهاية الحرب 1918 وبشوق أكثر من المعدل مفضلا منصب المقيم العام فيه على منصب وزارة الحرب في فرنسا، وليس فقط من أجل أن يكمل ما بدأه حتى يدخل التاريخ السياسي للمغرب من أوسخ أبوابه، وانما بدافع الشذوذ والانحراف اللذين عرف بهما واللذين كان يتمتع بحرية التصرف في مزاولتهما، حتى إن تاريخ الأدب المكشوف الذي وضع ليوطي تحت الرقابة تشفيا فيه كعدو مغتصب حاقد أثيم قد دون في حقه والذين عرفوا معه من أولاد احريز وفاس مادون من أفحش الصفحات نثرا كما كتب

---

(27) كان الجنرال غورو، وهو الذي يقود المغاربة في حرب الدردنيل راجع جريدة السعادة ص1 بتاريخ 31 ماي 1915 وقد اشرنا قبل الى أنه ضاع من شباب المغرب 150000 نفر في تلك الحرب ولم يعترف اليوطي بغير 50 ألف مع أن في وثائق المتحف الحربي ما يؤكد الحقيقة.

المرحوم الدكتور زكي مبارك المصري الذي أخبرنا أنه تعرف على ما تزود به في باريز على لسان "الشاعر المضبوع المنحرف عبد الله القباح" وهو القائل في حق المقيم ليوطي زميله في الصنعة اي المنحرف كذلك:

عظيم القدر إن أضحى مقيما بأرض زادها شرفا عظيما

وأصلح ما تخرب من حماها وعمر ما خلا منها قديما(28)

ومهما يكن فقد عاد اليوطي بعد الحرب الى المغرب موفور النشاط لإتمام ما بدأ من هدم للذاتية المغربية وبناء لصرح الفرنسية حيث أصدر القانون الخاص بالمحاكم المخزنية من باشوات وقواد وخلفاء حتى يغطي نشاطه مجموع التراب المغربي الا ما كان من تافيلالت وآيت عطا وآيت باعمران التي لم تكن فرنسا بعد قد حكمتها كما عرفنا.

كان تاريخ القانون "الظهير" في 4 غشت 1918م =26 شوال 1336هـ هو الذي نظمت بواسطته المحاكم المخزنية والذي كان قد صدر في حقها أيضا والمحكمة العليا قبل ظهير بتاريخ 12/10/1913=10 قعدة 1331 ثم بعد ظهير 18 يونيو 1921=11 شوال 1339هـ الخ. كما أنشئت المحاكم اليهودية الاسرائيلية التي تعتمد في أحكامها على الشريعة الموسوية وعلى أصول التلمود وما استخرج من المشنا الجامعة لسماع رجال التشريع وكذا من الكمارة المتضمنة لشرح أقوال ونصوص رجال الدين وتطبيقها على النوازل وشؤون الحياة بين اليهود(29).

---

(28) وهي من 44 بيتا في المديح أوردها العميدُ الاستعماري على الطرابلسي اللبناني كاملة في كتابه سمط اللئالي المذكور ص171.

وعكسها في الهجو الفاحش ما صاغه يراع الوطني الغيور المرحوم أحمد بن الحسن العلوي التازناقتي صاحب قصة المرأة البربرية التي بكى لها محمد الخامس رحمه الله يوم عرضت أمامه بمدرسة أمير الاطلس بأزرو عام 1946 فقد كان أحمد بن الحسن شديد الحساسية من الناحية الوطنية بل والشخصية أيضا وفي ذلك له قصائد متعددة وكثيرة جدا تناول فيها الكثير من الأشخاص وكلها هجو فاحش متداولة بين جل أصدقائه ومعارفه ولعله سيأتي زمان يتناولها المهتمون بذلك الجانب من الأدب الساخر الفاحش بالدرس والتحليل لأن أقل ما توحي به هو معرفة واقع الاوضاع والذين سادوا في الزمن الذي قيلت فيه كما دلنا بعضها على حقيقة اليوطي وغيره من معاصريه الذين أساءوا الى المغرب في عصره.

(29) ثم ظهير 24/12/1918=19 ربيع الاول 1337 وظهير 25/12/1918= 21 ربيع الاول 1337 وظهير 24/3/1920 =3 رجب 1338 وظهير 23/4/1926= 10 شوال 1344 وظهير 12 يونيه 1926=1 حجة 1344وظهير 26 يونيه 1933=2 ربيع الاول 1352 الخ.

وبواسطة هذا الظهير نصب من الباشوات 33 ومن القواد 322 ومن الخلفاء 157 المجموع 502(30) كلهم اختيروا بمواصفات ومقاييس وضعتها اللجنة المختصة بإشراف دهاقنة الاستعمار وعلى رأسهم المقيم اليوطي طبعا الذي كان يعمل حسب المخطط المشار اليه حرفيا. وتكميلا للقانون السابق أصدر منشورا مقيميا بتاريخ 1919/2/25 يقضي بتكوين جماعة من الضباط المتبربرين لهجه حتى يتأهلوا لحكم المناطق البربرية التي نبهته ظروف الحرب العالمية وما أفادته فرنسا من"رجال البربر" والبوادي الذين اتخذت منهم الحطب للنار التي أشعلها الألمان إلى انه يجب على فرنسا ان تحكم قبضتها على المناطق البربرية، ولذلك أمر اليوطي بجمع كل ما للبربر من عادات وأعراف حسب الطريقة التي تدرب عليها سلفهم في الجزائر حتى تصاغ بطريقة فرنسية في كل ما يتصل بالأحكام. وحتى تتحول الى قوانين تنتهي آخر المطاف ومهما طال الطريق الى فرنسة القبائل المعنية بتلك الاحكام بعد أن تكون فقدت كل علاقاتها عمليا بالإسلام والشريعة الإسلامية وتنصرت...؟؟

وهنا يقف التاريخ ليسخر من اليوطي وسياسة اليوطي بل وحكومة بلاده وجميع الذين تواطؤوا معه وقتها ثم سايروه والذين كانوا معه وخلفه من دهاقنة الاستعمار لأنهم جميعا فرنسيين، وهؤلاء يزعم بعض المكيفين والصنائع أنهم ذوى حضارة جعلت المثقفين منهم قادرين على التدبير المحكم والتسيير الأحسن، بيد أنهم بكل ما قاموا به من أعمال إنما أشعلوا النار التي سوف لا تنطفئ إلا بعد إحراقهم، لأنهم لم يدركوا أن المغرب بقي الى عهد ما قبل الحماية ودستوره المعمول به في كل المحاكم الشرعية ومحاكم القواد والباشوات والمحتسبين هو مجموع القواعد الشرعية المستمدة فقها ومعاملات من الفقه الإسلامي ومذهب مالك معتمدة فروعا، وأصولا على الكتاب والسنة، وذلك في فصل كل ما يعرض من الدعاوي والشؤون من مواريث ومعاملات ودماء، بل وإليها يرجع المستأنف حين يستفتي العلماء الذين يتوجب عليهم الرجوع أولا إلى الكتاب والسنة وما قضى به السلف الصالح من الخلفاء الراشدين والتابعين والأيمة، وللحجة البالغة الأسبقية التي على المسؤولين الوقوف على تنفيذها بين المتقاضين، وكان القاضي وجميع العلماء هم

(30) راجع المجلة المغربية المصدر السابق.

المرجع فيما يتعلق بشؤون الفصل في القضايا ميراث ووصية وأرض، وأمور العصمة والأنكحة والطلاق والمخارجات والتقديم على المحاجير، وكان الوكلاء مصرح لهم ومن أي كان أن يوكل من يدافع عنه ويتولى الخصام مكانه، وكان للقضاء سجلات ومضبطة ومحفظة لكل ما يروج أمامه، بل وحتى ما كان يرجع إلى السلطان من شؤون ذات خطر كما رأينا في عدة وثائق يرجعها إلى الشرع الذي كان السلطان يخضع لفتوى العلماء حتى ما يتعلق بشؤونه المشتركة مع الآخرين والتي يحصل فيها التباس أو خلاف وفي مغربنا هو الذي احتكم السلطان فيه مع احد المواطنين أمام الشرع كما حصل للعادل النزيه(31) المولى عبد الرحمن بن هشام كما سبق وهكذا عاش القضاء إلى أن فرضت الحماية وبدأت سياسة التمزيق كما نرى على أيدي الفرنسيين، وإذا كان للقضاء الشرعي أثره في وحدة الشعور بواسطة ما يجري بين الناس من الأحكام والاتصال المباشر، فعلى اليوطي أن يبدأ أولا وقبل كل شيء بهدمه والحط من قدره، وإذا كان وبواسطة الدخيل كاباص "محمد الجباص" قد إستصدر في شأنه قانونا بتاريخ 13 شعبان 1333هـ= 7جوبي 1914 أي قبيل إصدار الظهير البربري بشهرين حيث خص لقضاء البادية 67 منصبا وقضاء المدن 47 ونواب القضاء 25 ومن العدول 2346 المجموع 2485(32) وهؤلاء أيضا إختيروا كما إختير الباشوات والقواد والخلفاء المشار إليهم قبل حسب مواصفات ومقاييس، لكن في ميدان القضاء الشرعي كان لإدارة الحماية طريقة أخرى حيث أبعدته كلية عن المناطق "البربرية" وزيادة على ذلك إذا كان المال هو عصب الحياة، وهو كل شيء حتى بالنسبة للدين وكما قال ابن سينا "عجبت لمن يعبد الله وبطنه جائع" فعلى إدارة الحماية نكاية في القضاء الشرعي، ومن جهة أخرى حتى تعرضه للخطأ المؤدي إلى فساد سمعته الذي هو الإرتشاء أن تمرغه كما تريد باسم التنظيم ولتبدأ بتجريد القاضي الشرعي لإخراج وظيفته من الميزانية العامة وجعلها تابعة في أول الأمر إلى ريع الأوقاف الذي لم يكن قط في عهد من العهود مخصصا لذلك يتقاضى منه القاضي شبه ما يمكن أن يطلق عليه الصدقة إلى جانب الثلث من دخل العدول، هذا في المدن أما في البادية

(31) الاتحاف جـ 108/5 ط الرباط 1933.

(32) المصدر سابق المجلة المغربية والمذاهب والأحكام.

فقد خصص للقاضي أن يتقاضى أجره مما يفرض على المتقاضين حتى يخلق روح التذمر وتلك هي الغاية من كل ذلك وهو ما لم يعرفه قط أي مجتمع مهما بلغت بداوته، بل ولا فرنسا نفسها أيام كانت ممزقة بالهمجية في عهد التوتون ولو غولوة، بل والغاية كذلك هي إطلاق الحبل على الغارب خصوصا إذا ما إختير القضاة في البادية حسب رغبة وتقارير المستشارين والمديرين الفرنسيين وإرادتهم التي أصبحت نافذة والتي كانت المقاصد والأهداف تدفع بهم إلى إختيار الأكثرية من الذين لا يترددون في تنفيذ الأوامر من أجل تحقيق الثروة على حساب الشعب ولو بالارتشاء الملفوف، وبذلك يحدث بين القاضي الشرعي والمواطنين ما ينفر ويعمق الهوة بينهما خصوصا جانب المحكوم عليهم، وفي ذلك أيضا إنكار على القضاء وتشويه للدين وممثليه، وحتى يتم تطبيق السياسة التي تم تخطيطها بواسطة اللجنة المشار إليها قبل بإشراف الإقامة العامة، حصل التأكيد على أن يكون المرجع للقاضي الشرعي في البادية هو الحاكم العسكري الفرنسي الذي لا يتم الحكم في أية قضية أونازلة من غير أن تعرض عليه ويبدي مايراه فيها على القاضي والذي في الغالب ما لم يكن له سند من العلم ينصاع لرأي المراقب الفرنسي خصوصا إذا كان ضعيف الشخصية إذ القضاة في البادية وقتها أكثرهم اختيروا من ذلك النوع المرعوب الذي كان ينساق طوعا أو كرها وراء أقل إشارة من ذلك الحاكم العسكري الهادف العنيد الذي كان يستقبل في مكتبه كل يوم حتما القائد بالدرجة الأولى والقاضي بالدرجة الثانية وكلاهما لا يعتمد في عمله على قانون مكتوب بقدر اعتماده على أوامر الحاكم العسكري الذي هو مندوب المخزن ذلك أن القائد كان ولا يزال يعتبر إلى جانب مهمته مخبرا، عليه أن يجمع الاخبار بواسطة جهاز الشيوخ والمقدمين وكل المتطوعين معهم رغبا ورهبا ثم يبلغ كل ما راج ودار في قيادته حتى ولو كانت وليمة عند شخص أو جنازة عند آخر أما القاضي فقد كان ارهابه بالحاكم الفرنسي حتى لا يتقاضى أمامه أي بربري إلخ وكم بالغ أكثر أولئك الحكام من العسكريين بالبادية في عداوتهم للإسلام والعروبة بين من أطلقوا عليهم "قبائل البربر"، حيث كانوا بغباوتهم يعتبرون اللهجة ولا يدركون أن الآلاف وعشرات الآلاف من أولئك الذين يتكلمون اللهجة البربرية هم أشراف من آل محمد صلى الله عليه وسلم ينتمون إلى الحسن بن علي وفاطمة الزهراء، ومع ذلك

أضافوهم إلى محاكم العرف "أزرف" مثل آيت صغروشن تاليسينت وبولمان وموزار وآيت ابراهيم وآيت كرات بايت احديدو، وآيت بحيى ويوسف بتونفيت وإيتزر بآيت امجليد، وآيت مولاي المامون بآيت عطا، ثم أدارسة سوس، وناحية مراكش وغيرها إلخ.

فكم ضيق أولئك الحكام على القضاة في البادية حتى لا يتقاضى أمامهم بربري اللهجة، ولو كان نزاعه مع آخر لا ينتمي إلى محكمة من تلك المحاكم، ولم يتراجعوا صاغرين إلا أمام سكان قصور فجيج السبعة التي وان كان سكانها جميعا يتكلمون اللهجة الزناتية إلا أنهم جميعا وفي الأصل من أكبر قصر وهو قصر زناقة إلى الوادغيريين ولمعيز والحمامين وأولاد اسليمان يرجعون إلى أصول عربية، بل فيهم الكثير من آل البيت، وفيهم فوق هذا وذاك روح التمسك بالإسلام الحق والتعلق به صادقين، وبذلك لما أراد الفرنسيون إقحامهم في العمل بالظهير البربري اجتمعوا بضريح سيدي محمد اعمرو بمقبرة قصر لمعيز حيث أعلنوا رفضهم للظهير بشدة وعنف ثم كونوا لهم لجنة من القاضي جلول بن اعمارة الودغيري سكنا لحمياني أصلا وعبد الجبار بن لا لي من قصر أولاد سليمان والفقية ج سحمد بن اعبو الودغيري(33).

وذلك للتحقيق في الأصول العرقية لجميع سكان قصور فجيج فخرجوا بنتيجة أن أصول الجميع ما بين عرب وأشراف وإنما يتكلموا لهجة زناتة، وبذلك فرضوا على الإدارة الفرنسية إرادتهم ولسوف تكون هذه سمة فجيج عبر تاريخ النضال إلى أن كان لهم القدح المعلى في الحركة الوطنية، وفي تحقيق الاستقلال كما رأينا وسوف نرى بعد.

لقد صنف الظهير البربري حسب برنامج اللهجة التي ألفها اليوطي لذلك الغرض مجموع القبائل "البربرية" تصنيفا اقتضى تقسيمها إلى إثنين وسبعين 72 جماعة نصب فيها ما يزيد على التسعين محكمة ابتدائية وستة عرفية كلها نصبت لحكم 607410 من المواطنين يقوم بالعمل فيها كأعضاء وكتاب مسجلون 93 بحيث بلغ المجموع 1117 فقط في المحاكم الابتدائية دون الاستينافية التي أشرنا إلى أن عددها ست، وكل هؤلاء الذين أسندت لهم مهام بتلك المحاكم أثار العسكريون وحسب التعليمات فيهم النعرة العنصرية

(33) تولى رحمه الله قضاء فجيج في ربيع الأول 1352هـ يوليوز 1933 مجلة العدالة وتوفي يوم 1974/9/5م.

التي كان الحكام في دراساتهم قد لمسوا بعض جوانبها قبليا بسبب النزاعات التي كانت تحدث أحيانا بين القبائل إما بسبب المراعي أو المخالفات الفردية التي كانت تدفع إلى أن يتحزب فريق ضد فريق بدافع العصبية كما أشرنا لا بدافع العنصرية التي أجج نارها الاستعماريون كوسيلة من جملة وسائل تمزيقهم للشعب المسلم في المغرب العربي الكبير عموما، والمغرب الأقصى حيث تجند الحكام العسكريون ثم جندوا كل من كان تحت نفوذهم للبحث عن العرق البربري، حتى يمكن لتلك المحاكم أن تجد مادة يعتمدها المشرعون لها من الحكام الفرنسيين الذين نصبوا على رأس كل محكمة حاكما أطلق عليه إسم "مندوب مخزني" وقد بلغ عددهم عام 1925 حوالي 294.

ولقد إنتشرت هذه المحاكم في أكثر من عشرين قبيلة، كان بعضها يتوفر على محاكم متعددة، ففي منطقة زايان مثلا كانت هناك أربع محاكم عرفية "أزرف" هي:

محكمة آيت حركات بخنيفرة.

ومحكمة آيت حركات بغلموس.

ومحكمة آيت بوحدو.

ومحكمة آيت كرات.

وقد نصب عليها حاكم عسكري هو "سبينوز" الذي وضع كتابا سماه "مساهمة في درس العرف البربري في المغرب"(34) أما هيآت تلك المحاكم فقد كان يتم اختيارها حسب مواصفات يضعها الحاكم العسكري للناحية، ثم تعرض على الإدارة الإقليمية والتي ترفعها بدورها إلى الإقامة العامة التي كانت تبدى إهتماما كبيرا فوق العادة ليكون المعنيون أكثر حماسا وأشد حرصا على تحقيق الهدف من تلك المحاكم، فمثلا كانت هيأة محكمة آيت حركات بزايان تتركب من الأشخاص التالية أسماؤهم:(35) إبراهيم آيت علي والقائد الحاج عمر، ومح آيت قسو، ورحو آيت بن اسعيد أحمو، وإبراهيم اعربي وميمون آيت باعزيزي، وأراشفيق آيت باعزيزي، وباوباو آيت محمد، عمر بن محمد،

(34) راجع المجلة المغربية عدد 6-7 السنة الثانية/ الباب 7- ص30 لعام 1937-38.

(35) المرجع نفس المصدر السابق المجلة المغربية عدد 13 لسنة 1934ـ36 الباب 4 ص 54 ثم راجع بعد ظهير 16/ماي 1930 والقرارات الوزارية بتاريخ1934/4/8 حجة 1352و1934/9/15 = 5 جمادى الثانية 1353 و1934/10/30=20 رجب 1353.

وسعيد آيت احماد.

أما الرئيس طبعا فهو "سبينوز" المشار إليه قبل كما كانت بأزرو محكمة للاستيئناف مكونة من الجماعة التالية أسماؤهم

محمد والحاج وكادة من بولمان، ومحمد اقبوس من ولماس ومحمد اعسو من صفرو، وميمون أبادو من عين اللوح، ولحسن أعمرو من ميدلت، وعشارين بن العربي من الحمام، ومحمد ولحسن من الحاجب، وحَمو ولحسن من بولمان، وعق ابهو من الحاجب، وسعيد أفروخ من أزرو.

أما رئيس محكمة الاستئناف فقد كان هو القبطان "كودينو"(36) وإذا ما ألغى القضاء الشرعي من أكثر من عشرين قبيلة ثم نصبيت محاكم الجماعات يشرف على كل منها حاكم فرنسي كل همه هو البحث عما قيل عنه "عرف بربري" كما أشرنا، فكثيرا ما كان الأغبياء غير الحذقين منهم يختلقون العرف من الخيال المرفوض حتى من المعنيين به أو يستعملون القياس مع ما يحكى من الخرافات حول بعض الحالات التي تعرض عليهم كما روينا عن بعضهم في كل من قبيلتي آيت عطا وآيت مرغاد وكان الشطط يدفع بعضهم إلى الخيال الذي لا تتصوره إلا أدمغة الهادفين من الاستعماريين أو عملائهم من المنصبين كمستشارين في تلك المحاكم خصوصا وأن اليوطي كان بإدارته القائمة على الشدة والعنف المبطنين وراء كل ذلك والذي كان يطرب فرحا كلما قيل له إن الحاكم العسكري لمنطقة كذا قد كتب أو نشر كذا وكذا مما يتصل بموضوع تنشيط الفكرة والدفع بها تمكينا لتحقيق الفصل بين العرب "والبربر" حتي لو كان ما نشر محض خيال

---

(36) راجع المصدر السابق عدد 4 السنة 1935 الباب 4 ص 69-70 وأشير هنا إلى أنني اتصلت بعدد كبير من المذكورين اعلاه، بل بعضهم لا يزال على قيد الحياة 1970م خصوصا في احنيفرة وازرو، بولمان وميدلت والكل كان يقرر أنه إنما كان فقط يطبق ما يمليه الحاكم الفرنسي على القائد المحلى الذي كان هو الآخر يتقرب إلى الفرنسيين بكل ما يحقق فكرة البعد عن الشريعة، ومن سوء تصرف المسؤولين بوزارة العدل في عهد الاستقلال نجد بعض المتذمرين اليوم يقارنون بين ما كان عندهم وما أصبحوا عليه من ظلم وعدم فصل في القضايا فيفضلون الماضي صراحة وبدون أي تردد، وهذه مزية من مزايا القوم الذين يتحملون المسؤولية من وراء الديمقراطية المفترى عليها والتي تشوهت من كثرة التزوير والإفتراء على الشعب الذي فقد الثقة ولم يعد له من أمل يقول الحاج حدو وسعيد النائب عن انجيل بولمان في برلمان الأول مارس 1963- جويي 1965 من كان يظن أن الأمور ستنقلب إلى مانرى من ظلم وبغي وفساد يعمل على نشره المسؤولون المغاربة إلخ.

وافتعال يكفي أن يكون وسيلة لترقيته، وبذلك كان يعمل على ترقية الكاتب المتحمس، الأمر الذي مكن لليوطي من تكوين جماعة من الضباط انتهى الأمر ببعضهم حقدا على الإسلام والمسلمين وتشويها للمجتمع المغربي إلى إعتبار الجهات التي يحكمون فيها مناطق محرمة على كل من يمت إلى التعليم أو التعلم بصلة. بل وكل ما يتعلق بالدين أو القرآن الذي كان من أوامر اليوطي الصارمة العمل على عدم تعليمه لسكان المناطق التي يتكلم أهلها اللهجة البربرية لأنه في نظره أهم وسيلة لتعريبهم ونشر العربية بينهم لكن رأيه هذا باء بالفشل وكان محل سخرية، خصوصا عند ما أخذ المراقبون الفرنسيون يشددون من أجل ذلك، الأمر الذي دفع بعض رجال القبائل إلى إدراك أنهم يريدون بالدين شرا، وذلك كان هو ميدان الفكر الوطني ومجال نشاط العاملين وقتها.

وكم سجل التاريخ لبعضهم من فظائع بلغت السجن في حق طالب علم انتقل من المدينة إلى الناحية التي يقيم بها أحد أفراد عائلته، أو في حق فقيه قام بزيارة لإمام مسجد في قرية من قري الأطلس، أو حاول أثناء إقامته بها أن يوضح لسائل ما شكل عليه من أمر دينه معاملات أو عبادات، وكم لهذا من مثل نتوفر عليه خصوصا في الجنوب والأطلس المتوسط والكبير.

وهكذا عرفت البادية في المغرب في الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى 1914 إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية عملا مركزا تضافرت له قوى الشر ضد الشعب المغربي الذي أنتزعت منه الأرض اغتصابا، ثم وزعت على المستوردين من مفلسي الألزاس واللوريين والكورسكيين، بل وحتى الروس المتجنسين الذين أنزلوا في المنطقة الواقعة بين سلا والقنيطرة، وليس ذلك فحسب، بل رجال الكنيسة هم الآخرين اشتد نشاطهم وأصبح لهم دور حقير في المسرحية، حيث أخذوا يشيرون على الحكام العسكريين المشرفين على الجماعات "البربرية"، بعدم فسح المجال لكل من يريد العودة تقاضيا إلى غير الجماعة، ولو في أمور الدين وما يتعلق بالعبادات، ومن عرف عليه شيء من ذلك كان يعزر من طرف الحاكم ويحرض عليه القائد وينبذ ثم تعرقل مصالحه، وحتى يصبح للجماعات قانون ترجع إليه كما أشرنا، تكونت لجنة لجمع بل ووضع الأعراف "البربرية" في صيغة قوانين تكون نهايتها المزج الكلي بالقانون الفرنسي، بعد ما تكون جموع المتنصرين قد

كثرت حسب المخطط، وكان رئيس لجنة العرف البربري المتحمس جدا جدا هو "جورج سوردون، وعضوية الكومندان "مارتي" الذي نصب مديرا لشؤون العدل في المغرب، والذي من جملة أفكاره التي كان يتبناها اليوطي ويصيغ منها المذكرات التي كانت توجه لمختلف المناطق المحكومة بالعرف "أزرف" ما ورد من قوله:

"يجب أن نحتاط من الدخول في القضايا الدينية، إن الإسلام لم يتمكن من نفوس البربر، وقد نبذ هؤلاء السكان من القرآن كل المفاهيم الفقهية".

إن إيزرف هو قانونهم الوحيد، ولذلك رفضوا الشريعة رفضا، يجب على جميع ضباط الاستعلامات أن يعوا هذه المبادئ وعيا تاما، ويتجنبوا بصفة خاصة الظهور بمظهر الدعاة إلى الإسلام بين هؤلاء السكان البربر"(37).

هذا ما ورد في منشور اليوطي المستمد من الحقد الذي اججه، ومن قول مارتي أيضا وهو الذي أصبح المدير المسؤول عن شؤون العدل في المغرب واتباعا للنهج الذي يرضى الكنيسة والإدارة معا عملت إدارة الحماية على إستقلال القضاء البربري القائم على الجماعات وبرئاسة الحاكم العسكري الذي أطلق عليه إسم "المندوب المخزني" والغاية من كل ذلك هو تجريد حتى ما قيل عنه العرف مما طبع به ومما إقتبسه من الشريعة الإسلامية، والفقه الإسلامي الذي كان القوم يلجؤون إليه في ما يعترضهم من أحكام ومعاملات بواسطة الفقهاء وأئمة المساجد الذين لم تكن تخل منهم قبيلة من القبائل ولا منطقة من المناطق قبل صدور الظهير ولقد كانت الغاية والقصد من عمل الإدارة وعلى المدى البعيد، وحسبما صرح به دهاقنة الاستعمار، هو القضاء على الإسلام بين البربر بعد إدماج القضاء البربري في القضاء الفرنسي، كما صرح بذلك غير واحد ممن سترد أسماؤهم، وبعد أن يكون القضاء البربري قد استمد من القوانين الفرنسية ما يجعل المواطن المغربي تابعا وفي أحط الدرجات للجنسية الفرنسية، كما كان الشأن في بلاد القبائل بالجزائر، وتحقيقا لذلك شرع في تكوين الأطر من أبناء القبائل المعنية أنفسهم بواسطة المدرسة التي أنشئت في مدينة أزرو وغيرها من المدارس التي إنتشرت في كل جهة حتى بلغ تعدادها العشرات كما سنرى بعد حين كلامنا عن التعليم الذي اتخذت منه إدارة الحماية وسيلة من وسائل التمزيق والتفريق بعد الدين والقضاء.

---

(37) راجع الحسن بوعياد المصدر السابق 559.

رحل نهائيا من ميناء البيضا يوم 1925/10/10 لم تكرمه حكومته جزاء ما حقق لفرنسا في المغرب رحل وحل محله ستيگ وقبل ان يغادر اليوطي المغرب خطب خطابه المشهور الذي أوجز فيه اهداف وسياسة الاستعمار الفرنسي وقد أورد الكولونيل فوانو بعض هذا الخطاب في كتابه الملاحم المغربية.

عاد إلى فرنسا بعد ما كتب في أول أكتوبر 1925 إلى حكومته وانه أكمل مهمته بالمغرب

إنه مدفن اليوطي في مدينة الرباط

تمثال اليوطي في مدينة الدار البيضاء

الفصل السادس والأربعون بعد المائتين

استعمال العرف البربري وسيلة للتنصير والفرنسة

بالإضافة إلى الظهير المشار إليه بتاريخ 1914/9/11 كان اليوطي قد تقدم لحكومة بلاده بتقرير إشتهر بتقرير 1920 له وجهان سري وعلني اقترح فيه اليوطي إقتراحات خطيرة ضد الذاتية المغربية منها العمل بأنجع الطرق على عزل "البربر" عن العرب، وإضافتهم إلى أوروبا بعد أن يكونوا قد تمكنت المسيحية منهم وأصبحوا ضمن العائلة الفرنسية، وقد عبر عن هذا في رسالة كتبها للكولونيل "هنري سيمون" جاء فيها ما ياتي:

يجب أن نأخذ بعزم وحكمة المغربي - ولا سيما البربري على ما هو عليه، وفي المستوى الذي يوجد فيه، ثم نجذبه تدريجيا دون أن نخرجه من إطاره"(38) ولنسمع إلى أحد الرهبان الذين تطوعوا لتنصير البربر مدفوعا بالأوهام التي صنعهتا سياسة ليوطي وحقد الكاثوليك الفرنسيين كان يقول "آنج كولير" في كتابه الذي قدم له المارشال جوان والبابا معا والذي سماه "بحث عن روح البربري المغربي"، إن الديانة الإسلامية تعمل عملها منذ إثني عشر قرنا في المغرب، ومع ذلك لم تستطع الإستيلاء على روح الجماعة البربرية التي حافظت على الرغم من كل شيء على إتجاهها الديني الجاهلي، وإن القران الذي يقاوم بدعوته كل الأعمال الوثنية والشركية ظهر عاجزا أمام البربر(39) وحتى تتحقق الأهداف التي دعى إليها اليوطي نحو البربر يقول الراهب انج كولير أيضا من نفس الكتاب(40) لا بد من قوة دينية أخرى، لا بد من شرارة إلهية، وشعلة غير طبيعية لمحو الديانة الطبيعية البربرية. إن اليهودية والإسلام رفضا قبول روحانية المسيح، ولذلك

(38) السياسة البربرية في مراكش علال الفاسي ص3 ط 1952.
(39) المصدر السابق بحث عن روح البربري المغرب لآنج كولير ص 514.
(40) المصدر السابق ص 544.

فلن يستطيعا أن يمنحا البربري هذه الشعلة السماوية. إن الإسلام ديانة وضعها الإنسان؟ أما المسيحية فهي من صنع الله، وعلى ذلك فالمسيحية وحدها قادرة على أن ترفع الفرد والجماعة والأسرة البربرية للإسهام في الحياة الربانية التي جاء بها يسوع نفسه مرسلا من عند الأب لنشر روح الحقيقة والعدالة والصداقة والسعادة لبنى الإنسان"(41).

وعلى هذا المنوال نسج لوسيان سان المقيم العام السابق في تونس حيث قال قبل الراهب آنج كولير "إن بلادا كبيرة قد فتحت بعد ليل الإسلام الطويل لتتقبل حياة جديدة، وهذا الفتح الجديد يحمل في أساسه طلائع جيش إفريقيا، ولكم تمنيت لهذا الجنرال الجبان أن يتقمص ولو قليلا من الشجاعة فيقص علينا ما سمعه من رجل بسيط لايعرف ولو كلمة عربية وهو من اشراف آيت احديد وهو مقيد في أغلاله بجبل بادو 1934 أمامه والترجمان يترجم له قول الشريف حين قال له الجنرال "اطلبوا الأمان من الدولة" فرد عليه والقيد في معصميه مشبوكا مع إخوانه وقد نشرنا صورته في هذا الكتاب.

"قطعا لم يكن الأمان بيننا وبينكم" فما كان من الجنرال الجبان إلا أن أمر بإبعاده ثم قتله رميا بالرصاص، ولقد عودتنا نذالة المستعمرين الفرنسيين وحقارة نفوسهم أنهم لاينشرون مثل هذه المواقف وإن كانت الصحافة تنشرها في وقتها فيكون ذلك مما يعود بالحسرة والندم.

ولقد وضح لنا ذلك المشرفون على مجلة المبشرين وهي "المغرب الكاثوليكية"؟ حيث ورد في عدد نفمبر من عام 1933:"إن المارشال اليوطي هو الذي يعرف المغرب معرفة جيدة. وهو الذي يعرف وسائل التغلغل اللائقة بالمناطق البربرية، فهو حينما وضع لهذه القبائل نظاما خاصا قد أوجد بين العرب والبربر التعلق بحكم واحد هو فرنسا، وحينما نفذ رغبة الأسقفية بالرباط فجعلها تحت إرادة أسقف فرانسيسكي يعاونه مجموعة من الإخوان، وسمح لها بإنشاء مدارس خاصة عبر عن يقينه في النفوذ الهائل الذي يستطيع الحصول عليه هؤلاء المرابطون المسيحيون في أوساط المسلمين، لا سيما في اليوم الذي

(41) نفس المصدر 544 وكذا الكتاب "وجهه الإسلام" وما كتبه لويس ماسينيون حول الإسلام في افريقيا ما عدا مصر ص 67 ط القاهرة 1934.

ينجحون فيه بجعل المراكشيين يقبلون ما هوروح الحضارة الفرنسية أي النصرانية"(42).

وهكذا إتفقت الكنيسة والقوة العسكرية الفرنسية في شمال إفريقيا على محاربة الإسلام محاربة لاهوادة فيها من أجل تنصير البربر مهما كان الثمن وبلغت التكاليف التي يستوجبها برنامج تكوين البعثات التبشيرية بين قبائل البربر في المغرب العربي الكبير عموما والأقصى بالأخص، وعن تلك الخطة يخبرنا "ودجيرك دولاسال" بما كتبه في مجلة" تاريخ البعثات(43) حيث يقول ".. سنترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية، ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها، وهذا ما سهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في إفريقيا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا" وعملا بهذا النهج العسكري الفرنسيسكاني ركز الرهبان بمساعدة إدارة الحماية وعلى حساب ميزانية المغرب على تأسيس الكتائس ودور تربية البنات والأطفال اليتامى والمستوصفات، ولقد بلغ عدد مراكز التبشير فقط حتى سنة 1933 حوالي 138 مركزا يؤطرها حوالي 300 من أتباع الكنيسة تحت إشراف الأسقفية الكاثوليكية بالرباط التي ألزمت الإذاعة في المغرب بإذاعة القداس كل يوم أحد من الكنيسة الكبرى التي شيدت بأعلى ربوة في الرباط وبأموال أو قاف المسلمين(44).

وإذا كان اليوطي والكنيسة معه قد أوجدا نوعا من الحماس الأهوج حتى يمكنوا للمسيحية في بلد تصوروا عقلية مواطنيه كما زين لهم الخيال الجامح الذي عرف به

---

(41) مصدر سابق، ثم راجع كتاب الغارة على العالم الإسلامي تأليف ا.ث شاتليه ترجمة مساعد البافي محيي الدين الخطيب ط القاهرة 1350.

(42) السنة 4 عدد 3 ص 329 الصادرة بتاريخ سبتمبر 1927.

(43) شيدت هذه الكنيسة مقابل جامع السنة الذي شيده السلطان محمد بن عبد الله والتي حاولت إدارة الحماية هدمه لأنه يقع أمام إمتداد الطريق الرئيسي وسط المدينة الجديدة ولولا همة أهل الرباط وقيامهم بالمظاهرة التي أوقفت رغبة المقيم لتم له ذلك، لكن محمد الخامس رحمة الله عليه عاد في عهد الاستقلال ثم أمر بتجديد الجامع المذكور ورفع مناره عاليا في الوقت الذي لم يعد من يعمر الكنيسة أسبوعيا ولا أحد، وبذلك سكتت نواقيسها التي صنعت قسرا من أوقاف المسلمين وبهم اقتدى الذين شيدوا مسرحا للتمثيل بالرباط في عهد الاستقلال وبمآت الملايين من أموال الأوقاف كذلك فاخذهم الله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن نصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ... الآية

الفرنسي مذكان إلى أن يصفعه الواقع بأحذية كأحذية الألمان، فإن كل من أراد أن يتقمص شخصية ما من شخصيات الحروب الصليبية إلا وكان يقوم بعمل مامن الأعمال التي تسئ إلى الإسلام والمسلمين في منطقة شمال إفريقيا، ولكم عرفت أقطار المغرب الكبير من تصرفات أغبياء الفرنسيين طيلة مائة عام يتبعهم الا يطالبون إلى أن أذلهم الألمان، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل مقاومة المد الأهوج، وبنظرة خاطفة على بعض أسماء الذين خاضوا في موضوع التفريق بين العربي والبربري من جانب، ومحاربة الإسلام من أجل تنصير المسلمين من جانبٍ آخر، ندرك مدى المعاناة التي عرفها الشعب المسلم العربي في المغرب الكبير من أولئك الذين لا يزال ما كتبوه ونشروه شاهدا عليهم ما بين عسكريين ومدنيين، بل وحتى من قيل عنهم كبار العلماء من بعض الفرنسيين حيث دام التطلع للقضاء على الذاتية المغربية إلى ما بعد عام 1953 رغم ما حصل في العالم من تطورات بعد الحرب العالمية الثانية وإعلان ميثاق الأمم المتحدة وميثاق حقوق الإنسان، وقائمة هؤلاء الذين عرفت أعمالهم وأفكارهم طويلة جدا نتعرض لبعضهم دون ترتيب وإنما بذكر أسماء بعضهم كيفما اتفق ما بين قديم يرجع إلى الماضي البعيد وآخر قريب عهد يرجع إلى الماضي القريب(45).

---

(45) فمن الجنرالات : بوجو وأدينو، وبريمون، واليوطي وهوري وكاترو، وجيرو، ونوجيس، ولوسيان سان والمنحرف صاحب الماخور في فاس الجنرال سوفران وقيدوم الجميع ميشو بيلير، والقبطان أولون الذي كان بإنزكان، وروكس مديرالمدرسة اليوسفية بالرباط والقبطان سمويل بتزنيت، وسيكو مدير الشؤون السياسية بالرباط، والقبطان سليمان بنفس الإدارة، ونقيب المحامين برونو، وليفي بروفنصا المؤرخ اليهودي الأصل المعروف بكتاباته حول المغرب والأندلس، وهنري طيراس المؤرخ ونيجل مدير المدرسة الثانوية اليوسفية بالرباط،والذي أصبح محاسبا وهو ولي نعمة أحمد رضا كديرة اللذين سنتعرف عليهما بعد وفالا المراقب المدني والذي كان رئيس المراقبة بمحكمة الاستئناف الشرعي وصاحب الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور أيام رقابته على الصحافة الوطنية، وبول زايس، مؤسس المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية والعرف البربري والقانون الإسرائيلي والتي كانت تصدر كل ثلاثة أشهر باللغتين الفرنسية والعربية، وبول زايس هذا كان عضوابمعهد العلوم الاستعمارية ومستشارا بمحكمة الاستيناف بباريز ومفتش المحاكم المغربية بالرباط، كما أشرنا وقد قام بدور مهم في تخليد أعمال القضاء سواء الشرعي أو العربي والإسرائيلي بنشره تلك الأعمال في المجلة المذكورة، ثم لابارا، والقبطان نوربي، وبول إيميل فايار، ونورس رئيس المحكمة الجزائرية سابقا، وموران فرانكوز، وكودينو، والقبطان دينا، وكريما لدي الذي كان بمكناس، ومنفيل، والمليانى الجزائري المتفرنس النصاب عبد القادر بوزار، ونختم هذه اللائحة السوداء في تاريخ المغرب السياسي بالمستشرق المعروف لويس ما سينيون المتوفى 1962 الذي وجب أن يكرر ذكر اسمه بقدر ما كان يعمل جاهدا ضد الإسلام حتى يكون ذلك فضيحة للذين آزروه ونصروه وحتى أوكد لأولئك وهؤلاء من اننابهم وعملائهم من المخلفين =

ثم من غير الجنرالات وزير خارجية فرنسا هانوتو، ولو ترنو، وبليفه وهاكون كانپرودون، وبونصو، وهنري، دوكير، وفكتور بيرار ولادريت دولاشارپير، وكاسطون بواسير، والقبطان المترجم بإدارة الشؤون الأهلية روكس، وطاسوني، والقبطان ميريك الذي كان بطاطا، ولاوسط إيميل مدير اللهجة البربرية، والقبائلي المتفرنس الضابط نهليل، وبلاشير، وجاك گيرو، وبرونو، والملازم روبينيو الذي كان في إيمينتانوت والقبطان طوربي الذي كان بهرمومو،ولوكلي، ودوتي وتول مارتي، ولويس رونو، ولعل ملاحظا يستطيع أن يقول إن

= في المغرب ان مافعله الاستعمار بكلكله وجبروته وما شيده من بناء قوامه الوهم والتقديرات الفاسدة أمكن ان يهدمه ويصيره أطلالا رجل واحد جمع الله فيه قوة السلف ذلكم هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كون من الأجيال العاملين بصدق لتمكين روح الإسلام والاعتزاز به بل شيخ الإسلام الذي إلتزم أمام الله والناس بالجهاد في سبيل الله، انتصارا للحق والعدل والخير والحب والجمال لم يتراجع، ولم يضعف إلى أن لقي الله شهيدا عام 1964، وهو حامل لراية الجهاد في سبيل الله وربما بين زعماء الاصلاح في العالم الإسلامي لم يعرف أحد منهم عاش حتى استغل ثمار جهاده التي منها الاستقلال مثل شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي طيب الله ثراه وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين في هذا البلد الذي لم ولن يتحقق فيه شيء مما أراد له المخلفون من الاصهار وازواج عاهرات المواخير الفرنسية وغيرهم من العملاء الذين يتقدمهم أمثال أحمد رضا كوديرة، ومحمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي المعروف بـ"أحمد العلوي" ولقد وضعت هامشا مطولا بأسماء المفرنسين الذين تحمسوا للكتابة في مجال القضاء على الذاتية المغربية، إلا أنه كان دون ما قام به الاستاذ الفاضل ابراهيم أبو طالب في البحث الذي نشره في مجلة "البحث في تاريخ المغرب" نشر كلية الآداب بالرباط 1989 ص 107-173 ط البيضاء، فليرجع إليه من يريد التوسع.

لقد كان من أهم أعمال هؤلاء الذين تجندوا لخدمة الاستعمار في المغرب الكبير هو التشويه حتى يتنكر ابناء المغاربة الذين يجرونهم إلى ساحتهم للقضاء على المقومات التاريخية والثقافية الروحية التي قامت عليها حضارة المغرب والاستخفاف بها وتوهين القيم الإسلامية والدفع إلى عداء اللغة العربية وتقطيع أواصر القربى بين المغاربة والازدراء بكل ما يمت بصلة إلى العرب والعروبة والإسلام على صعيد المغرب الكبير ولقد عميت بصائر المستعمرين إلى درجة أنهم استعملوا وسائل كانت عليهم ولم تكن لهم ذلك أنهم لم يدركوا أن الشعب في مجموعه رغم ما آل إليه من جهل وبداوة صنعت صنعا في المناطق الجبلية فإن الروح الإسلامية قد تمكنت وأصبحت وراثية مثلها مثل العقار وجميع الممتلكات فهي عمليا تنقل كما تنقل الصفات البدنية والعقلية من الآباء إلى الأبناء أي من الأجداد إلى الأحفاد، طبقا لقواعد محددة. ولا تقتصر هذه الصفات الوراثية على مظاهر الجسم الخارجية فقط كطول القامة أو شكل الرأس أولون الشعرأ والجلد والعينيين، بل تمتد إلى ما هو أعمق من ذلك كصفات الدم أو سلامة الإبصار أو رجاحة العقل، وحتى تظهر جلية وتتمكن ويكون مفعولها أقوى إنما تكون فقط في حاجة إلى منشط، وهذا هو الدور الذي قام به الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي في شعب المغرب الاقصى طيلة 50 سنة، كما قام به اخوة له في المغرب العربي الكبير يتقدمهم رجال جمعية العلماء في الجزائر والشيخ لحضر حسين وعبد العزيز الثعالبي والطاهر بن عاشور ومحمود بن الخوجة في تونس لم يدرك الاستعماريون الفرنسيون أو أدركوا وتجاهلوا بغباء أن الشعب الذي أرادوا تحويله من شعب مسلم إلى شعب مسيحي هو ذلك الشعب الذي لم يكن له قبل أي اعتبار قبل أن يصبح مسلما، وأن الإسلام=

مخلفات تلك المجموعة من رجالات الاستعمار كانت ولاتزال شديدة الوطأة علي المغرب بحكم ما ظهر من أذنابهم من اشباه المثقفين والفاشلين المرتزقة واصهارهم من نفايات المجتمع وبقايا جيوش المرتزقة والمتفرنسين من العملاء الذين نبذتهم الجزائر والمجتمع الجزائري والمغربي هؤلاء الذين تبنوا الفكرة. في شكل الدعوة إلى البربرية بعد الاستقلال، بل وإلى الولاء لمذهب ماسينيون الذي ما مات إلا بعد ما ترك في هذا البلد من اعتنقوا مذهبه في المحاربة بالطريقة التي اختاروها، بل إن كل ذلك يدل دلالة على أن السابقين واللاحقين لم يدركوا ما للإسلام من قوة وسلطان على النفوس في المغرب العربي الكبير وقليل من المنصفين هم الذين أدركوا حقيقة ذلك السلطان، لكنهم مع ذلك سايروا المتحمسين ضد الاسلام أمثال لويس ماسينيون. ومن هؤلاء الذين أدركوا حقيقة قوة الإسلام أحد الكتاب في مجلة Le Monde Illustre كتب بتوقيع MI حول الجزائر حيث قال أ.ف جوتييه:"إن الدول في المغرب أشبه ما تكون بعش الغراب ينضج في ليلة ويذبل في ضحوة، ولكن رباطا واحدا عبر القرون سما على الأحداث، وهو يتوثق مع الزمان ، ويصبح عامل الاستمرار، ذلك هو شيء أكثر من دين لأنه دين التسامح والتراحم والتوادد الذي يكرم الإنسان بل هو كما وصفه ما سينيون الحاقد عليه حيث قال ما يخالف اعتقاده وسلوكه، وبه يفند الخصوم من أشباه المغاربة وإنما هو المحيط والظرف فرض عليه أن الإسلام عالم سياسي واجتماعي صقلته العقيدة صقلا، إن المسلم يجد نفسه في وطنه مادام في بلد إسلامي أيا كان، وإن نظامه الشخصي والديني والاجتماعي يظل

= في أرض المغارب و الذي شيد الصرح من جديد وعلم المجتمع يوم صاغه ان الإنسان أخو الإنسان بصفة عامة و المسلم للمسلم كالبنيان بصفة خاصة وان الاستعماريين الفرنسيين وقبلهم البرتغاليون والاسبانيون الذين شدوا الرحال من الشمال إلى الجنوب ومن خلف البحار إنما ليؤكدوا هذه الحقيقة بفظائع أعمالهم التي حسبوا أن في امكانها ان تؤثر ونسوا أن الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء قد تمكنت وتجذرت بعامل الزمن وبالمؤسسات الإسلامية وتعددها وتنوعها وفعاليتها بل وبشريا، حتى ذلك الجنس الذي قالوا عنه "البربري" والذي حاولوا تمييزه بالاعراف قد ذابت ولم يعد لأحد في أرض المغارب مهما أوتي من العلم أن يميز هذا عربي أو هذا بربري الأصل. ونسي المستعمرون السابقون واللاحقون كذلك أن الإسلام في المغرب كما هو في المشرق مصدر أنواع القيم الثلاث الثابتة :الروحية والعقلية، والدينية بل في المغرب الكبير عموما وأنه ليس كما تصوره نابليون بالنسبة لكنيستهم التي لو لم يكن لها بابا "أي كبير رهبانهم" موجودا لاخترعه، وهو قول مقتبس من ديكارت الذي قال : لو لم يكن الله موجودا لا وجدناه، ولعل قصد ديكارت هو الاطمئنان النفسي الذي تمكن له عقيدة التوحيد، والإسلام دين المغاربة أجمعين فيه ذلك وزيادة.

ثابتا دون تغيير ما أقام في دار الإسلام، ومن هنا نتج أن معنى الوطنية عند المسلمين يخالف معناها عندنا نحن الغربيين، وان الحقائق الأرضية الجغرافية لا وجود لها عند الشعوب المستعربة.

وإنه لمما يساعدنا على فهم الإسلام معرفة الرجال الذين خدموه، لقد قدم الإسلام للعالم فلاسفة وأبطالا وأدباء سياسيين وحينما اتصلت فرنسا بشعوب الإسلام إتصالا وثيقا وجدت نفسها وجها لوجه أمام رجل ضم في نفسه كل صفات الشعوب التي أخذت على نفسها مسؤولية حكمها، ذلك هو عبد القادر.

لقد ترك هذا الرجل طابعه الذي لا يمحى في التاريخ الإفريقي للعلاقات بين أوروبا والعالم الإسلامي، عن طريق هذا الرجل تستطيع أن تفهم معاني ذلك الإسلام الذي يعود إلى اليقظة بكل غرائزه وتقاليده وفلسفته ومطالبه. أليس ذلك اعتراف صريح بالهزيمة أمام أهل المغرب العربي الكبير ممثلين في شخصية بطلهم الخالد الأمير المجاهد عبد القادر بن محيي الدين، يحميهم ذلك الإسلام المجيد من البهتان الذي جاء به أمثال لويس ماسينيون رغم ثقافته واطلاعه ليقول لنا وبكل صراحة عن رأيه في شعب المغرب العربي الكبير والأهداف التي كان هو وسلفه بل وقومه خلفه يمكرون المكر السيئ ويدبرون للإسلام في المغرب، يقول لويس ما سينيون الذي نأخذ من أقواله الكثير مما هو ضد الإسلام فقط مما يتصل بموضوعنا فرنسا والسياسة البربرية وللدلالة على أن التخطيط لها شارك فيه السياسيون والعسكريون والرهبان ورجال القانون وحتى العلماء، ولنتأكد أيضا أن فرنسا وإن هي خرجت من المغرب فانها حسب المخطط لم تترك المجال دون أن تبقى متمسكة بأهداف سياستها ولو من بعيد(46) .

(46) ذلك ما يعيشه المغرب اليوم ممثلا في المخلفين من الاصهار والعملاء وقد مضى على الاستقلال أكثر من ثلاثين سنة وان ما قاله ادكارفور 1955 من أنه سيحقق باسم الاستقلال ما عجزت فرنسا عن تحقيقه بواسطة(500000 جندي مدجيين بقوة الحديد والنار، وهو قول له مغزاه وان كنا نحقره ونكابر ومع ذلك لازلنا نسمع الدعوة إلى الفرنسية بل التشريع المغربي يصدر بالفرنسية ثم يترجم إلى العربية وكثير جدا من مرافق الإدارة لا تسير بغير الفرنسية. حتى في التقارير والاستدعاءات الموجه من الإدارات إلى المواطنين البسطاء ومن استنكر ذلك يتهم بأغلظ التهم بل من عرف بثقافته العربية الإسلامية ولا فرنسية له فهو غير جدير بشيء، ولا هو أهل لشيء بل والدعوة إلى البربرية اليوم يحمل لواءها العملاء من اصهار الفرنسيين الذين يجهلون العربية والذين أصبحت بيدهم الامكانات في المغرب بشكل كبير، بل المقاومون للتيار وبدون استثناء بعد الاستقلال نالهم الأذى من العملاء =

يقول لويس ماسينيون(47) :"إن القضية البربرية أقلقت ضميري من الناحية الدينية والعملية على مدى السنوات 1909 إلى 1913م إذ ألح علي الأب دوفوكو كتابة وشفويا في أن أقف حياتي بعده على هذه الحركة التي كان عليها أن تقضي على اللغة العربية والإسلام في بلاد شمال إفريقيا التابعة لنا لتحل اللغة الفرنسية والنصرانية محلهما. وذلك في مرحلتين: البحث عن أصول اللغة البربرية وتقاليد البربر العريقة، ثم إدماجهم

= الذين تمكنوا وسيطروا، وتكفي مراجعة ولو خاطفة لموجلة ما بعد الاستقلال ولو بعد أكثر من ثلاثين سنة وما ذلك الأوفاء لروح الفرنسة. التي تحدث عنها إدجارفوربوالتي خلفت لنا أمثال أحمد رضا كوديرة ومحمد ولد خناتة الشركية، ومحمد افقير وأحمد الدليمي وجماعته مصطفى طارق وما إليه، بل ويوسف ولد العباس بن ابراهيم التعارجي وجماعته، والجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور وجماعته، والدخيل أحمد عصمان وجماعته، والمحجوب أحرطان وجماعته مثل علي العلوي صاحب برنامج بين الشرق والغرب الذي نهش أعراض المغاربة كبيرا وصغيرا، ومحا وعسو الزدكي الذي احتج على الفرنسيين الذين في زعمه البليد قرروا إعادة محمد الخامس بعد نفيه إلخ إلخ.

(47) لويس ماسينيون هذا صنفه الدكتور محمد البهي الذي ادرج اسمه ضمن أسماء المستشرقين الخطرين في كتابه القيم "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" ص 54 ط 4 بتاريخ 1961م حيث قال فيه ما يلي:

«لويس ماسينيو L. Massignon (توفي 1962)أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. زار العالم الإسلامي أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق، فتخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، ومن كتبه" الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام" ط 1922 وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة، والتصوف، وهو من كبار محرري دائرة المعارف»

ومع ذلك لويس ماسينيون هذا المجند ضدالإسلام لعشرات السنين والذي ركز على عداوة الإسلام في المغرب العربي الكبير لم يحقق وقومه ضد الإسلام عمليا ما حققه العملاء من المغاربة بعد الاستقلال والواقع يشهد ويؤكد والتاريخ سوف يكشف ويفضح ولا يرحم أن عمل القوم لهدم الإسلام بنشر الخمور والفجور كان أشد وأعنف من عمل القوم السابقين.

وحسب معرفتنا البسيطة لماسينيون كنا نعرف أن حرب هذا الرجل كانت أقوى ودائمة ضد شعوب المغرب العربي ودينهم الإسلام وتكفي نظرة عابرة غير فاحصة إلى ما كتبه في الفصل الثاني من الكتاب الذي كتبته جماعة من المستشرقين منهم لويس ماسينيون وجب وآخرين بعنوان "وجهة الإسلام، وهو نظرة في الحركات الوطنية وقتها في العالم الإسلامي ترجمه ونشره محمد عبد الهادي أبو ريدة ط عام 1934 ص 54ـ68 وما كتبه ماسينيون بعنوان "افريقيا ماعدا مصر" وكم تمنيت لأمثال محمد المعروف بـ"أحمد" العلوي الذي هواهم متحمس لأفكار ماسينيون وعامل على التمكين لها بنفوذ أن يتعلم اللغة العربية ويقرأ ما كتبه ماسينون حول أقطار المغرب العربي الكبير حتى يرثيه بنفس الأسلوب حينما شدّ الرحال من المغرب إلى فرنسا للمشاركة في تشييع جنازته 1962 رسميا راجع المؤسسات التي كان يرعاها لويس ما سينيون ضمن قافلة المبشرين ضد الإسلام في كتاب الفكر الإسلامي الحديث المذكور اعلاه ص 507ـ510.

بمقتضى قانون فرنسي ومسيحي أعلى، وقد إستحسنت هذه النظرية مثلي في ذلك مثل المبتدئيين والغزاة، وقد آمنت حينئذ باستغلال هذه الحركة البربرية لإدماج سكان بلاد القبائل بتنصيرهم وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية" مذكرات من التراث المغربي 5/252-53" ط 1985.

ماسينيون هذا وصاحب القول الذي كان متبوعا بالعمل جئ به بعد الإستقلال مباشرة بتدبير سيئ وبطريقة مبيتة من العملاء إلى المغرب حيث لاقى أكبر تكريم(48) الأمر الذي دفع بعض السياسيين في العالم العربي إلى أن يصرحوا ويكتبوا ضد عاهل المغرب وهم للأسف غير عارفين الواقع الأليم الذي إنتهى إليه المغرب بسبب الخليط الذي لا يعرفه شعب من الشعوب خليط اشباه الرجال وخليط مسلمة اليهود وأعلاج النصارى الذين لاهم لهم في هذه الحياة وبين أهل هذا البلد غير تحقيق الثروة والجاه ولو على حساب فساد الأخلاق وهدم الدين والاستهتار بالقيم والسخرية من المبادئ.

وقفنا على عتبة الدرب الذي ضاع فيه ضباط الإقامة العامة وجنرالات فرنسا ورجال القانون من أبنائها بل والرهبان ومديرو المدارس الثانوية والابتدائية ورؤساء محاكم العرف الابتدائية والاستئنافية ورجال الأقسام السياسية في الإقامة العامة ومختلف الأقاليم المغربية بحثا عن العرف البربري الذي يمكنهم من عزل هؤلاء عن العرب، وبالتالي إخراجهم من حظيرة الإسلام وتنصيرهم حسب وصية دوفوكو كما أفصح ماسينيون، لكن ماذا حققوه من تلك الأبحاث التي تجند لها كل ما سبق لقد حققوا الكثير مما يعتبر تاريخيا وعمليا بهتانا وخرافات ولسوف نقتبس من ذلك بعض ما نستدل به على تفاهة أعمالهم بعد أن نقوم بجولة حول عرف قبيلة آيت أزدك بالأطلس المتوسط لنستدل به على تأثر العرف البربري بالإسلام والفقه الإسلامي وذلك بعرضنا لما

(48) ومبالغة في التكريم جمع في حفلة بمنزل مدير التشرفات السابق الذي فضحه الله آخر أيام حياته وهو أحمد البناني الذي جمعه مع شيخ الإسلام أمام المغربين محمد بن العربي العلوي، ولعله كان يحسب أن في ذلك تكريما للمحتفى به، بل في اعتبارنا كان العكس وقد شكرناه استهزاء والذين معه رغم عمالتهم المفضوحة على ذلك لأننا وقتها أمكننا بعد أن نقول لماسينيون إن البرنامج الذي وضعه ودهاقنة الاستعمارلهدم الإسلام في المغرب الأقصى بالحديد والنار والمال مزقه وقضى عليه هذا الإمام العظيم الذي وقفت بجانبه كما مزقه وقضى عليه في الجزائر جماعة العلماء المسلمين يتقدمهم الإمام عبد الحميد وخلفه البشير الابراهيمي ورفاقهما رحمهم الله.

سمي بالبينة عند هذه القبيلة وجارتها في الشرق الشمالي آيت وافلا، بتشديد اللام.

لكن من هي قبيلة آيت ازدك قبل أن نتعرف على البينة التي نسبت إليها. لقد تعرفنا على هذه القبيلة قبل حين غزا السلطان اسماعيل قبيلة جروان 1104هـ وحين تاريخنا لشيخ المقاومين ورائد المجاهدين الشيخ محمد العربي الهاشمي العلوي صاحب قصر جاوز بمنطقة مدغرة وقصة محمد الطالب اليوسي مع يطو لقضيب كما تعرفنا على أصولها وفروعها والدوافع التي جاءت بخليطها إلى المنطقة بعد ما اخلى السلطان اسماعيل عام 1104 هـ الأرض من سكانها وهم جروان وتولال، وادخيسة ثم رحلهم إلى ناحية مكناس حيث يوجدون حتى اليوم ليحل مكانهم خليط من العرب والبربر أطلق عليهم "آيت يزدي" أي "المزديون" وهم الخليط الذي عرف بـ آيت يزدي، من ميدلت إلى قصر السوق.

إنها مكيدة دبرت في بيت أحمد بن عبد السلام بناني عميل المخابرات الفرنسية الذي شهد عليه ملفه الضخم بوزارة الداخلية. والذي بمكيدة أصبح مديرا للتشريفات. أحمد البناني يجمع بين شيخ الإسلام. محمد بن العربي العلوي وعن يمينه ماسينيون تلميذ دوفوكو وعمر بن عبد الجليل بطل جريمة مؤتمر اكس ليبان وشقيقه الراهب "ج محمد بن عبد الجليل" وامغرباه.

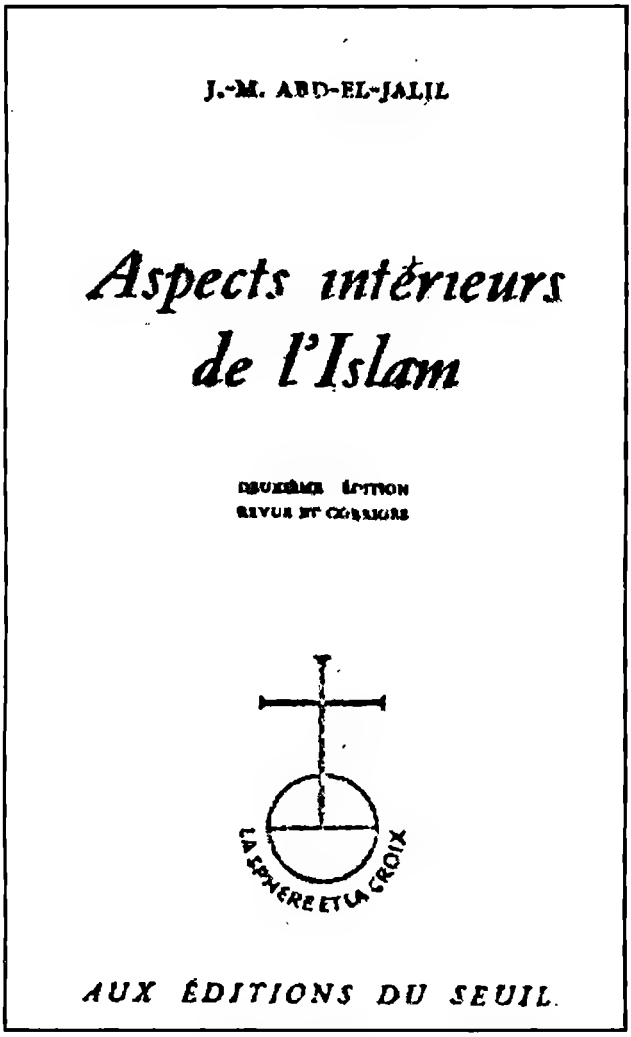

إنه الجزائري الأصل الذي لم يصلح لا للمغرب ولا للجزائر ويسمى ج محمد بن عبد الجليل الذي تحول إلى راهب كاثوليكي وهذا قط لم يحدث في عالم الاسلام إلا في وسط مسلمة اليهود وأعلاج النصارى الذين ابتلى بهم المغرب انطلاقا من مجتمع فاس وقد بقي الرجل رغم تحوله يسمى بـ الحاج محمد وهذا من أثر ما سينيون 1883-1962 الذي أخلص لوصية دوفوكو

الفصل السابع والأربعون بعد المائتين

من أنواع العرف البربري "أزرف"

لقد أحدثت إدارة الحماية الفرنسية عام 1924 قانونا يهدف محاربة الإسلام واللغة العربية بالطريقة التي رسمها دوفوكو وتجندلها لويس ماسنيون، حيث جندت كما سبق البيان قبل كل الامكانات لجمع ووضع ما قيل عنه العرف البربري، في مختلف الجهات ومن ذلك قبيلة آيت ازدك التي هي عبارة عن خليط من العرب وبعض صنهاجة والتي حلت مكان قبائل جروان وتولال ودخيسة وبعض نوي منيع التي هي اليوم جوار مدينة مكناس. ومن تلك الأنواع التي يطلق عليها ازرف ما يلي:

البينة: البينة وهي في عرف آيت ازدك، وآيت وافلا وغيرهما بالأطلس المتوسط.

تقوم على ثلاثة قواعد أصلها من الشريعة الإسلامية وهي:

أ: الشهادة بـ :اليمن جـ: البينة الكتابية، ولكل منها شروط.

والقصد من البينة وقيامها على القواعد التي سنبينها هو بعث الإستقرار في القبيلة وبين أفرادها حتى لا يشعر فرد من أفرادها بالحيف أو الظلم من أحد كيفما كان، وحتى لا يكون الميل الشخصي وسوء التفاهم بين الأسر سببا في اغتصاب الحقوق إذ المدعي لا يؤتمن فيما يدعيه إلا إذا تضامن معه عدد غير قليل لا يمكن أن يكونوا كلهم غير صالحين، وأول هذه القواعد التي يرتكز عليها حق المدعي هو الشهادة التي لها الاعتبار الأول كمانراه في أعراف كل القبائل وكما سنرى بعد في قبيلة إغزران ناحية تازة، بعد كلامنا عن البينة في عرف آيت ازدك وآيت وافلا، ومكانهما دائرة ميدلت والريش عمالة تافيلالت سابقا.

1) الشهادة:

أما الشهادة فيشترط في قبولها حتى تصبح لازمة ولها اعتبار على الأقل أربعة من الشهود ذكورا بالغين معروفين بأحسن الصفات من عدالة ومروءة وعدم ما يخل بالكرامة،

على أنه كلما زاد عدد الشهود كان أحسن، والقاعدة أن عدد الشهود عادة يتراوح بين أربعة وإثنى عشر كيفما كانت أهمية الأمر المدعى فيه وليس في الشهادة مراتب كما هي الحال في اليمين حسبما يأتي تفصيله فيما يلي، فمهما كان عدد الشهود من الواجب المحتم على صاحب الشهادة بالنفي أو الإثبات أن يزكي شهادتهم باليمين أي يجب عليه أن يؤدي يمينا مع عدد من الرجال تكون له بهم صلة قربى قبيلة أو حلف معلوم(49) والأول هو الغالب المعمول به ويعرفون بـ"الحلافة" وهؤلاء الحلافة أيضا يختلف عددهم باختلاف الدعاوى، وذلك لاثبات الشهادة، نعم قدتجوز الشهادة بأقل من أربعة شهود إذا إتفق الخصمان عليهم وقبلا شهادتهم، ويجب حينئذ أن يكون الاتفاق والقبول تأدية الشهادة، فيقول في ذلك وباللغة البربرية.

"نموت اش" إذا كان الشاهد واحدا.

نموت ايسن، إذا كان الشهود أكثر من واحد. والمعنى قبلنا شهادة فلان أو فلان وفلان قبولا تاما ورضينا بما يشهدوا به علينا فإن كان الأمر كذلك فالشهادة كافية من غيريمين.

ولا تجوز شهادة المرأة إلا في قضيتين معلومتين هما:

أولا: كل خصام نسائي محض كمشاجرة بين نساء أو ما يشبه ذلك.

ثانيا: في الإرث عند توقف الأحوال على شهادة القابلة ليعلم من شهادتها إن كان المولود عند ازدياده حيا أم ميتا، وذلك لإدخاله في قسمة الميراث أو إخراجه منها، ولا تجوز شهادة اليهودي وإن كان الخصمان يهوديين، إلا إذا اتفقا وقبلا شهادة أخيهم،فإن لم يتفقا فيجب في الشهود أن يكونوا مسلمين.

2) اليمين:

إن القاعدة الشرعية المشهورة "البينة على المدعى واليمين على من انكر" معروفة

---

(49) في قبيلة اغزران ناحية تازة عكس هذا : لا تقبل شهادة أحد لأقار به ولا شهادة السماع ولا شهادة المحجور للوصي عليه، ولا شهادة الكافر أو المرأة ولا الولد دون بلوغ.

وإذا هو حضر قصة الموضوع المطلوب منه الشهادة فيه لايؤديها إلا بعد بلوغه إن هو تذكر الموضوع مفصلا، إلخ راجع أصول وفروع آيت ازدك في فصل جهاد الفيلاليين ومقاومة الاستعمار وسنتناول موضوع الشهادة عند قبيلة إغزران بعد.

ومعمول بها في عرف آيت إزدك إذا انكر المدعى عليه ما طلبه منه المدعي إنكارا كليا، وأما إن أقر ببعض ما طلب منه فاليمين إذا على المدعي، وذلك لإثبات دعواه، ولا يحلف من حكم عليه باليمين وحده إلا في المسائل الآتية:

أولا: إن كانت له دعوى مع زوجه مدعيا كان أو مدعى عليه

ثانيا: إذا كان العدد المطلوب أقل من خمس ريالات في القضايا التجارية.

ثالثا: إذا كان من حكم عليه وصيا واتهم بإضاعة مال اليتامى الذين هم تحت كفالته، وهذا يحلف وحده دون الحاجة إلى من يحلف معه، يقينا أنه لا شك سينال جزاءه كما ورد في القرآن الكريم «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا» الاية 10 سورة النساء.

أما في جميع المسائل الأخرى سواء كان الحالف مسلما. أو يهوديا(50) رجلا أو امرأة يجب أن يحلف معه عدة من أقاربه يختلف عددهم باختلاف الدعاوى من خمسة إلي أربعين وإليك بيان المراتب:

خمسة "حلافة":
- أ ـ من خمس ريالات إلي مائة ريال في القضايا التجارية.
- ب ـ في كل دعوى يدخل فيها الغنم والمعز وإن كان خروفا أو جديا.

سبعة "حلافة":
- إن كان الشيء المطلوب من جنس البقر ثورا أو بقرة عجلا أو عجلة.

عشرة "حلاقة" ويكونون في خمس قضايا
- أ ـ إن كان المدعى فيه أرضا أو دارا أو أندر(51) أو خيمة
- ب ـ إن كان الشيء الواقع عليه النزاع سلاحا أو حيوانا حرام على المسلمين أكله "كفرس" أو بغل أو حمار، وهناك رواية تقول إن عدد الحلافة يكون حسب قيمة الحيوان.
- جـ: إذا كان الشيء المطلوب مائة ريال أو أكثر في القضايا التجارية
- د: في مسائل الحماية وتعرف في البربرية بـ"العار" إذا حكم على الحامي باليمين ليثبت بأن الذين اتهمهم هم الذين أجرموا على محميه
- هـ: في الزنا.

(50) حلف حلفا: اقسم فهو حالف وحلاف، وحلافة، وهي حالفة وحلافة .
اليهودي دائما يحلف وحده في جميع الدعاوي
(51) الاندر: هي الأماكن الخاصة للدرس بعد الحصاد، وتكون بملكية عقارية.

أربعون حلافة: تجب في القضايا الجنائية كالقتل وما أشبه ذلك.
أين وكيف تؤدي اليمين.
إن المسلم"البربري" يحلف:
أ ـ بالقرآن العظيم.
ب ـ على ضريح ولي من الأولياء"؟"
جـ ـ في المسجد
د ـ ببندقية.
هـ ـ ببرنس فإذا إتفق على أ ـ ب ـ ج فإنه يقول بالبربرية "أحق البركة يا" أي وحق هذه البركة لم أفعل كذا وكذا، ثم يتقدم بعده حلافته واحدا بعد واحد ويقولون.«أينا إنا أكما أريا صحا» أي كل ما قاله أخي صحيح.

وفي القسم بالبندقية وسمي بالبربرية "أزنزوأبريد أو أسورف" ويكون كما يلي، إذا قتل شخص شخصا آخر من قبيلة أخرى، أو لم تراع قبيلة الهدنة المتفق عليها مع قبيلة أخرى، ففي هذه الحالة يمتد من حكم له باليمين على جنبه ما سكا بندقية "محشوة" ومدكوكة بالبارود لم يبق لها إلا الإطلاق، فعند ذلك ياتي من حكم عليه باليمين ويتخطاه بخطوة ثم يتبعه حلافته واحدا واحدا. فإن كان ما زعمه من حكم عليه باليمين صحيح لا يقع شيء وإن كذب في مقالته تخرج العمارة وحدها وتقع الفتنة إذا.

الحلف بالبرنس:

الحلف بالبرنس ويسمى عندهم "بالبربرية" "أسيغ آلي أزنار" ومعناها أخذ لك البرنس، فإن كان الأمر كذلك ينزع من حكم له باليمين برنسه ويضعه على الأرض فيرفعه خصمه وحلافته معا ويعطونه إياه قائلين "نوسي ياك أزنار أموتل" ومعناها تحملنا لك برنس الذنوب. أو بمعنى آخر: تحملنا لك كل ما يمكن أن يكون في هذا البرنس من ذنوب أي فالذنوب عندهم هنا شيء مادي مما يدل على أن عرف اليمين هذا بالبرنس والبندقية قيل يرجع إلى أقدم عصور التوحش والجهالة: بخلاف الثلاثة الأولى فإنها تتسم ببعض سمات الإسلام ومثل هذا نجده عند قبيلة آيت امجليد الذين يحلفون بـ"الزناق" أي بالبرذعة المسماة عندهم "تاحلاست" والوتد الذي يتخلل في محزعود المحراث وهو بالبربرية "أزنزغ" والسكة معا حيث يقولون بالبربرية "وحق لمشاغل" ومعناها: قسما

بادوات الحراثة هذه. ثم قسم آخر عندهم على شيء من القمح أو الشعير أو الذرة فيقولون أيضا "وحق إردن نا" و"حق طومزين ءا" و"حق اخلادنا" ومعناه، وحق هذا القمح أو هذا الشعير أو هذه الذرا؟؟؟

الأجل المضروب لتأدية اليمين:

يجب على من حكم عليه باليمين أن يحلف في اليوم الرابع عشر من تاريخ صدور الحكم، وقد يفسح في ذلك الأجل ثلاث مرات، إذا أتى المحكوم عليه بعذر يقبل عرفا، كمرض أو غيبة إضطرارية، وإن لم يمكن لأحد الحلافة أن يحضر في اليوم المعين ليؤدي اليمين مع المحكوم عليه لعذر ما كمرض أو سفر محتوم خارج القبيلة، فاليمين تؤدى على كل حال، وأما الحلاف الذي لم يمكنه الحضور كما ذكرنا فإنه يحلف وحده بعد شفائه إن كان مريضا أو عند إيابه إن كان مسافرا، فإن مات أو طالت غيبته فللمحكوم له باليمين أن يطلب من المحكوم عليه حلافا آخر.

ويجب على صاحب اليمين أن يحضر في اليوم المعين للميعاد ويقيم هناك إلى غروب الشمس ويسمى بالبربرية "أسفو" فإن لم يحضر المحكوم عليه وحده إن كانت اليمين عليه وحده أو مع حلافته إن كانت اليمين عليه مع عدة حلافة فاليمين تعتبر ساقطة "مكسرة" فإن كان من وجبت عليه اليمين هو المدعى بطلت دعواه، وإن كان هو المدعى عليه نفذ عليه الحكم.

الحلافة:

تعرفنا على عدد الحلافة قبل أن نتعرف على من هو الحلاف وما يجب أن يكون عليه؟

مما سبق يتبين لنا أن الحلافة بالشكل المبين هم عبارة عن التضامن الذي يجب أن تتوفر عليه جماعة مقابل أخرى مما يؤكد روابط الدم ويمكن لها ولو على الجهل والزور والبهتان، وكيف وهم يحلفون على شيء يجهلونه وإنما فقط بدافع "العنصرية" والعصبية وحتى تبرأ ساحة القريب نسبا.

مما يشترط في الحالف أن يكون كما أشرنا رجلا بالغا عاقلا وأساسا من أقارب المحكوم عليه باليمين نسبا الأقرب فالأقرب الأبناء ثم الإخوة، ثم أبناء الإخوة، ثم الأعمام، ثم أبناء العم، وهلم جرا إلى أبعد درجة إلى أن يرتفع إلى العظم من جهة الآب، وأما

الإخوة من الأم والأخوال وجميع ذوي الأرحام أعني من جهة الأم لا يجوز لهم أن يكونوا حلافة، بل إذا كان لصاحب الحق في اليمين شك في قرابة أحد الحلافة بالنسبة للمحكوم عليه، فإنه يحلف من ليس في قرابتهم شك، فإن أتى بعد سنة تثبت بأن من شك في قرابته، وأنه ليس من قرابة خصمه، فاليمين كلها تعتبر «مكسرة» أي كأنها لم تؤد، وإن لم يأت ببينة اعتبرت اليمين صحيحة.

الحلافة والغريب:

الغريب المضاف للقبيلة ، ويعرف عندهم بـ"آيت تغرسي"، أو آيت الذبيحة" ذلك أنه إذا حكم على شخص باليمين مع عدد من الحلافة، وكان المحكوم عليه غريبا عن أصل القبيلة، وليس له فيها قرابة دم معلوم، فإنه يلجأ إلى أحد من تلك القبيلة يرجوه أن يحلف معه مع ذوي قرباه، وحتى يدفعه لذلك دفعا يذبح على باب منزله شاة أو معزة. وإذا لم يكن في مقدوره يستعيرها من أحد، ثم يربطها بباب منزله، فيكون كأنه ذبحها في الوقت الذي سيردها إلى صاحبها المستعارة منه بعد أن يكون الرجل المقصود الذي يكون قد إستجاب لطلب الغريب منه تزويده بالحلافة، وإذا هو لم يستجب له فما على الغريب إلا أن يطلب التأخير مرة وثانية وثالثة.

بقي لنا أن نشير إلى أن الحلافة الذين أشرنا إلى أنه يجب أن يكونوا من عائلة المحكوم عليه باليمين فإنه لا يجوز للمحكوم له أن يختارهم أو يفرض على المحكوم عليه ترتيبا مقصودا في استحضار الحلافة، ولا يجوز له إختيار الحلافة من بين العشرين خيمة التي لها قرابة مع المحكوم عليه إلا في حالة الزنا، وهؤلاء يعرفون بـ "النقران".

البينية الكتابية:

البينة الكتابية عند قبيلة آيت إزدك وآيت وافلا هي الشهادة المكتوبة بالعربية بعلامة المتعاقدين لا بأشكال العدول، ويجب أن تكون مؤرخة بالتاريخ الهجري في جميع الأحوال، وفي الغالب إذا لم يذكر تاريخ اليوم من الشهر يذكر الكاتب في الغالب أول شهر أو وسطه أواخره، ويشترط في العقد أن يكون معلما بعلامة الفقيه الراتب في مسجد القرية في نفس القبيلة التي كتب فيها العقد، وأن يكون مكتوبا بمحضر شهود من واحد إلى إثني عشر ويجوز لهذا الفقيه أن يعطف معه فقيه آخر وحينئذ لا حاجة للشهود، وكل رسم لم يكتبه الفقيه الراتب بمسجد القرية وكتبه فقيه آخر ولو كان من القرية

المجاورة، وإذا حصل لسبب ما وكتبه غير الفقيه الراتب ثم طعن فيه المعنى فإنه يجب على صاحبه أن يزكيه باليمين وعدد الحلافة حينئذ يختلف باختلاف الدعاوي كما بيناه قبل، وتلك اليمين ليست لازمة إن إعترف الخصم بصحة الرسم ولم يطعن فيه(52).

تلكم هي الأسس والقواعد العرفية التي كانت تقوم عليها البينة عند قبيلة آيت ازدك وآيت وافلا بالأطلس المتوسط والتي عمل الفرنسيون بسخف متبلد على تركيزها والتمكين لها حتى يتم لهم تسيير البربر وتنصيرهم كما أوصى دوفوكو وتمنى ماسينيون وكما أراد لهم ليوطي أن يتكونوا خارج دائرة الإسلام،ولقد أشرنا إلى أن لهذا العرف كثير من الاتصال بالفقه الإسلامي الذي كيفت بعض قواعده بما يتفق ورغبة الرجل القبلي محافظة على عصبيته، وتارة أخرى نجده غالى في التطرف العنصري وربما كان هذا هو الذي يعني إدارة الحماية فعملت على إحيائه والتمكين له بأسلوب منفر حقير وبليد...

وبعد البينة عند آيت ادزك وآيت وافلا ننتقل إلى موضوع الشهادة واليمين في قاعدة "الازرف" وماتوصلت إليه الأبحاث حولها وما هي قواعدها ولنتناولها في عرف قبيلة إيغزران ناحية تازة لنرى القاعدة العرفية التي كانت تقوم عليها الشهادة في الدعوى وتحرير الوثيقة عند أفراد هذه القبيلة، وذلك كما كتب عنها أحد الفرنسيين حسب دراسة ميدانية وهو الضابط الاستعماري القبطان تربى الذي كان بهر مومو(53) مع بعض التصرف من أجل التقويم فقط.

---

(52) راجع المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية والعرف البربري والقانون الإسرائيلي لمؤسسها، بول زايس المستشار بمحكمة الاستيناف بباريز ومفتش المحاكم المغربية بالرباط عدد 3 السنة الأولى 1935ـ36 الباب 2 ص 51ـ56 ثم راجع كتاب العدلية المدنية لسوردون ص 14.

(53) المجلة المغربية المصدر السابق عدد 1 السنة الأولى عام 1935 الباب 2ص 11 ترجمة المرحوم عبد الرحمن بيري التركي الأصل وليس الفرنسي الأصل كما هو شائع بل الفرنسي الموطن والجنسية إذ ثبت لدينا أن أسرة بيري معروفة حتى اليوم بين الأتراك ولعل أسرة عبد الرحمن هذا هي الأخرى ربما تكون قد تفرنست بعد فرارها من ظلم آل عثمان كما فعل غيرها الذين تجنسوا بالجنسيات الأوروبية، ومهما يكن فإن المرحوم عبد الرحمن بيري التركي الأصل كان مسلما صادق الإيمان وله ترجمة لبعض حكم ابن عطا الله من العربية إلى الفرنسية ط الرباط 1992 وعبد الرحمن بيري الذي اشتهر بالأصل الفرنسي ربما هو في اعتباري من أصل تركي إذ نجد هذا الإسم عند الأتراك وبه عرف شيخ الإسلام بيري زاد عثمان افندى وترجمته في كتاب محاسن الاثار وحقائق الأخبار باللغة التركية لأحمد واصف أفندي المؤرخ للدولة العثمانية جـ 2 ص 56 ط بولاق مصر عام 1242هـ، وفيها أيضا أن بيري رئيس كان من قواد بحرية سليمان القانوني، وإذا نحن علمنا أن القرصنة في عهد سليمان كان لها أثر في ضياع الانساب وانقطاع بعض الأفراد عن أهلهم وذويهم... إلخ نتوصل إلى التعليل.

رقصة الزفاف بآيت احديدو فرع صنهاجة منهم

لقد حاولت ادارة الحماية زحزحت البربر عن الدين بكل الوسائل حسب توصية دوفوكو التي تبناها لويس ماسينيون فاستعملت من وسائل القهر ما قدرت عليه ثم عادت إلى الكنيسة وجماعة لفرانسيسكان التي كان قد اسسها «فرانسوا داسير وقد عمل أفرادها رجالا ونساء سواء في المستشفيات ودور الحضانة والمدارس والجمعيات الخيرية من أجل نفس الغاية لكن بدون جدوى وهذه «ميراتين» والجنيرال جوان في 1948 أثناء جولاته ضد محمد الخامس فكان للجنرال جوان وزبانيته الخسران

اليهوديات يغسلن ثيابهن على ضفة وادي زيز في سفح جبل أرفود في الخمسينات ويرى في أعلى الجبل أول برج شيده الفرنسيون لاقامتهم في المنطقة سنة1919

يهودي مغربي بربري

مساكن البربر في المغرب الأقصى ذات الأماكن الوعرة التي ساهمت في تخلفهم العلمي

الفصل الثامن والأربعون بعد المائتين

الشهادة عند قبيلة إيغزران

ناحية تازة

في قبيلة إيغزران لا يصح عقد ولا وثيقة إلا بحضور الشهود، وإن تنازع المتعاقدان أو نائباهما يجب على الشهود أن يذكروا وجود الإتفاق أو الحكم بتفصيله فلا يحتاجون حينئذ إلي وثيقة مكتوبة بل وإن كتبت وثيقة قبل فكلام الشهود هو الذي يثبتها.

وفي بعض العقود يجب حضور عدد كبير من الشهود، وذلك إن أضر أحد ما بضرر يستوجب أداء غرامة مثل الصداق في النكاح، والدية في القتل والغرامة في الجرح، فعلى الفاعل أداؤها إذا ما توفر الشهود،

وفي الغالب حول الشهادة أن يكون التعاقد بحضور إثني عشر شاهدا ويجب أن يكون من بينهم بعض أعيان القبيلة الذين يعرفون عندهم بـ"إمقران" وهؤلاء الأعيان لا يشترط فيهم الغنى بقدر ما يشترط فيهم الثقة والأمانة وحسن الخلق حتى ولو كانوا من الفقراء جدا، ولا تصح الشهادة إلا بحضوره وقت العقد أو مشاهدة الفعل أو أن يكون الشاهد إمقران وقد سمع المتعاقدين يعترفون بما في العقد من شروط، وأما من حضر لدى جماعة المحكمة العرفية وذكر أنه بلغه خبر بفعل كذا أو عقد كذا فلا يلتفتون إلى كلامه ويسمون ذلك شهادة السماع ولا يقبلها العرف، كما لا تصح شهادة من كان لأقاربه، كأبيه أوأمه أو أحد إخوته أو زوجته، كما لا تصح شهادة المحجور للوصي عليه، وتصح شهادة المأجور أو المحسن إليه إن كان إحسانه في غير القضية التي طلب منه الشهادة فيها.

ولا تقبل الشهادة من غير المسلم مثل النصراني أو اليهودي أو الوثني إلا على وجه الإستئناس، بل ولا تشهد المرأة ولا الولد دون البلوغ ولكن إن حضر ولد في قضية دون بلوغ يجوز أن تطلب شهادته بعد البلوغ إن هو تذكر الأمر مفصلا ولم يخلط في

الموضوع خلطا يستوجب عدم القبول:

وهكذا فباستثناء ما سبق، فكل رجل بالغ كامل العقل يمكنه أن يؤدي الشهادة، وأما دليل البلوغ عندهم فهوأن يكون قادرا على الزواج وعلى القتال ثم على لعبة الفروسية ضمن رجال القبيلة، وفي عرف قبيلة إيغزران لا يشترطون حسن الخلق في مجموع الشهود إلا أنهم إذا كانوا جميعا من المطعون في خلقهم فإن شهادتهم وقتها تستوجب الرفض حتى لو كانوا لفيفا من إثني عشر شاهدا، إلا إذا كان من بينهم واحد أو أكثر من "إمقران" وفي عرف قبيلة إيغزران تقبل شهادة ذي العاهة سواء كان أعمى أو أبكم شريطة أن تكون فيما يقدر على الشهادة فيه كسماع ومشاهدة الأبكم الذي يستطيع أداء الشهادة بإيمائه.

أما التعاقد فإنه لا يصح إلا بشهادة إثني عشر شاهدا، وإذا كان واحد أو إثنان من "إمقران" فإن ذلك يقوم مقام الإثني عشر شريطة أن يكون لهمامن السمعة ما يجعلها فوق كل شبهة.

والشهادة عند قبيلة إيغزران واجبة ولا يحق لمن طلبت منه وهو يعلم ما سيشهد فيه أن يتخلف بل واجب عليه حتما أن يؤديها وبدون أي مقابل، وإذا هو أداها بمقابل تكون مرفوضة حتي ولو كان حقا ممن شاهدوا الحادثة أو النازلة، بل وتبطل دعوى المدعي حتى ولو كانت جنائية، ولا يمكن لمن حضر نازلة أن يتأخر عن الشهادة، ولو كانت في أحد أقاربه ضده، وإن هو فعل يحقر من الجميع، وفي القضايا ذات الخطورة لا تقبل شهادة أقل من إثني عشر إلا إذا كان أحدهم قد توفي أو غاب ولم يعرف مكان وجوده وقتها تقبل شهادة الباقين. ولحضور الشهود في محكمة عرف قبيلة إيغزران أجل تتفق عليه الجماعة، وإذا هو تكرر ولم يحضر صاحب النازلة شهوده تلغى القضية المرفوعة أمام محكمة الجماعة.

اليمين عند قبيلة إيغزران ويعرف بـ"اددجال"

يشترط في من له نزاع مع آخر حول عقار أو دين أو معاملة أن يكون متوفرا على ما يثبت حقه وذلك إما بوثيقة، مكتوبة أوشهود وإذا لم يكن شيء من ذلك بل و الا إقرار من المدعى عليه فإن اليمين يقوم مقام ذلك، كما أن اليمين عند قبيلة إيغزران يكون وسيلة لتأكيد ما يمكن أدعاؤه بواسطة وثيقة حصل فيها خلط أو لم تمكن قراءتها أوحل شك في

التعرف على علامة موقعها، وباليمين أيضا عند قبيلة إيغزران يمكن تقويم الميراث المتنازع في ثمنه إن كان منقولا وفقد أو لم يبق على حالته الأصلية وبالمثل كل المنازعات والدعاوى التي لا يمكن للمدعى فيهاأن يثبت دعواه في الوقت الذي يكون موقف المدعى عليه هو الإنكار وقواعد اليمين في قبيلة إيغزران شبيهة باليمين في بينة آيت ازدك في بعض الجوانب وتختلف معها في بعض الجوانب الأخرى كما سنرى، فعندما يتعين اليمين على المدعى عليه بحكم من الجماعة ويكون معه حسب الحكم عددمن "الحلافة" في عرف إيغزران حتما يجب أن يكون من بينهم ولو قلة ممن يعرفون عندهم بـ"إمرضان" إسم جمع يطلق مفرده أمرضي على الرجل المعروف بخلقه وحسن سيرته وسلوكه بين أفراد القبيلة، يعرفه المدعى ويذكر اسمه كشرط، وبذلك يتحتم على المدعى عليه أن يكون "أمرضي" المطلوب من بين الذين سيعززون جانبه ويؤكدون حقه بيمينهم وإذا لم يحضر فإن يمين غيره باطلة.

أما نسبة عدد أمرضي بالنسبة لعدد الشهود فعندهم قاعدة مؤكدة في خمسة "حلافة" يجب أن يكون من بينهم اثنان ويستطيع المدعى عليه أن يطلب تبديل من لم يكن بينه وبينه مودة أوله عذر يحول بينه وبين حضوره ضمن أصحاب اليمين، شريطة أن تكون حجته مقبولة، وأما الأشياء التي يؤدي من أجلها اليمين فهي الأشياء التالية والمقدر ثمنها ما بين حيوان وإنسان وهي كما يلي:

1) النعجة مثلا يجب يمين المدعى عليه ومعه 4 منهم 2 امرضان
2) ولنعجتين مثلا يجب يمين المدعى عليه ومعه 9 منهم 4 أمرضان
3) ولثور مثلا يجب يمين المدعى عليه ومعه 9 منهم 4 امرضان
4) ولبغل مثلا يجب يمين المدعى عليه ومعه 14 منهم 6 امرضان
5) ولفرس مثلا يجب يمين المدعى عليه ومعه 14 منهم 6 امرضان.

أما أصحاب اليمين المطلوب من المدعى عليه إحضارهم من غير إمرضان فيجب اختيارهم من عصبة المدعى عليه وإذا لم يكونوا فمن الأقارب الأبعد، ثم من أهل القبيلة، ثم من أهل القرية، ولايقبل بحال أن يكون فيهم غير المسلم، ويشترط فيهم أن يكونوا رجالا بالغين، ولا يجوز لغير البالغ أداء اليمين إلا لضرورة إكمال العدد المطلوب من أقارب المدعى عليه، والمرأة كذلك لا يجوز لها أن تحلف إلا في قضية تخصها كمدعى

عليها وإن طلب منها اليمين بعدد يجب أن يكونوا ذكورا، ومن حكم عليه بعشرة ولم يجد إلا خمسة شريطة أن يكون ضمنهم إثنان "امرضان" وحضر إلى مكان اليمين حسب الموعد، فعليه أن يحلف مرتين ومثله الذين حضروا معه، وإذا ما حكم على المدعى عليه بعدد من يؤدون اليمين معه ولم يجد هم في قومه ولا قبل أحد من قبيلته، يمكنه أن يلجأ إلى آخرين بواسطة حلف يلزمه الإنتساب إليهم بعد يتضامن معهم في كل الملمات ويقاتل معهم إن اقتضى الحال، وإن كان هذا قليلا ما يحصل، وفي عرف قبيلة إيغزران يمكن تأجير الحالف ولا يرفض مثل الشاهد.

وفي قبيلة إيغزران نوع من العرف يعرف بـ"إيفرزغ تامزكيدة" ومعناه التبرؤ من حلف اليمين، لافيما يتعلق بادعاء الآخرين عليه، ولاتضامنا مع أحد، ويجب عليه أن يوثق ذلك بشهادة إثني عشر رجلا وعقد يؤكد فيه أنه لا يحلف ولا يستحلف أحدا ووقتها لا يحق لأحد أن يدعي عليه شيئا بدون شهود ولا برهان ولا أن يطلب منه اليمين في أية قضية مهما كانت.

أما الأماكن التي يؤدى فيها اليمين وكيفية أدائه، فإما أن يؤدي في مسجد، أو قبر ينسب لولي ماله ضريح في القبيلة أو في غيرها، وبالتالي يؤدي في المكان الذي تقرره الجماعة وتؤكد عليه بميعاد محدد لا يمكن بحال التخلف عنه إلا بسبب مرض محقق أو حائل طبيعي مانع يعيشه الجميع كالقتال بين قبيلة وأخرى، أو ثلج يمنع الطريق أو سيول كذلك، وإذا ما تخلف المدعى عليه ومن معه بدون عذر مقبول ولم يحضر في المكان المعين والموعد المحدد من الجماعة بحكم، فإن المدعى عليه يتعرض لتنفيذ الحكم وكثيرا ما تصادق عليه حتى محكمة الاستيناف كذلك.

أما أنواع اليمين فمنها الأول ويطلق عليه"المصحف" وهذا دليل على تمسك آل قبيلة إيغزران بالقرآن العظيم، خصوصا وأن حلف اليمين في المسجد كثيرا ما يكون بين قبيلتين، أو بجناية شخص كسرقة موصوفة أو غدر في عهد، وكيفية القسم العرفي هنا نوعان

النوع الأول:

تتقابل القبيلتان على الحدود الفاصلة بينهما حيث يوضع برنس تفرش جناحيه، أو بندقية محشوة بارودا ثم يؤمر الحالف برفع البرنس أو البندقية، وإذا كان على غير حق وتنبه منه الضمير خوفا من عقاب الله إمتنع من رفع البرنس أو البندقية فإن امتناعه ذلك يعتبر غضبا من الله؟

النوع الثاني:

يمين اليهود حيث لا يمكنهم دخول المساجد أو الأضرحة، فلهم اليمين المسمى باددجال وكيفية يمين اليهودي هو أن يتخذ وضعا خاصا يقف فيه على رجليه ويديه كالدابة، وذلك في محل عمومي كالسوق مثلا، وتوضع على ظهره برذعة بغل فيحلف بما يقسم به اليهود حتى يبرئ نفسه مما أتهم به.

هذه أنواع العرف"البربري" التي جندت لها فرنسا في المغرب ما رأينا من ما ورهبان وضباط وعلماء ورجال إدارة وغيرهم، وهي أعراف رغم مافي بعضها من دلالة على اثر وثنية القرون الخوالي وما كان للقوم فيها من نصيب في الهمجية، فإن البعض الآخر يظهر عليه التأثر بالشريعة الإسلامية التي لم تجد طريقها فيهم بحكم ما كانوا عليه من فوضى وعدم إستقرار وفتن وحروب همجية طال زمنها.

صحيح أن بقاء هذا العرف الهمجي وما سنرى بعده من أحكام فيه فضيحة وخزي للحكام السابقين من المغاربة الذين لم يكن لهم من هم غير السيطرة وجمع الأموال. أما نشر الشريعة الإسلامية والتي كان من الإمكان التمكين لها لو توفرت العناية وخلصت النوايا، فقد كانوا عنها غافلين، لكن فضيحة الذين قيل انهم ما أقدموا على ما أقدموا عليه بحكم جوارهم للمغرب إلا من أجل مساعدته على الخروج من دائرة التخلف فقد كان هو التمكين للاستعمار بالهمجية وترسيخ عواملها، بل هم الذين عملوا بقوة الحديد والنار على التمكين له وجعله واقعا مفروضا لا أمل في القضاء عليه بطرق لم يكن منها قليل ولا كثير في مجتمع السابقين.

لكن كيف انتهت خرافة العرف البربري، ومن الذي حول السهام التي حملتهاأيدي الغدر الفرنسي إلى صدورهم.

لقد وجد شباب ينتمون إلى أبناء تلك القبائل كونتهم فرنسا في المعهد الذي أعدته لإحياء تلك الاعراف وتأكيدها والدعوة للتمسك بها وهو معهد طارق وموضع هذا المعهد ومقر محكمة الاستيناف البربري كان هو مدينة أزرو التي تبعد قليلا 70كم عن مدينة مكناس ذات الوضع العسكري الدائم وقتها، لانها كانت المركز الفلاحي الهام الذي أحيطت به جحافل المعمرين الذين اغتصبوا الأراضي، ومن جهة أخرى تبعد أزرو عن مدينة فاس حيث قضاء شيخ الإسلام ونشاطه بحوالي 100 كم وكلا المدينتين كما رأينا

كان عطاء شيخ الإسلام فيهما، وبهماكان اتصال شباب المدرسة التي أعدت خصيصا لأبناء البربر، وإلى مدينة أزرو وجه شيخ الإسلام مجموعة من الرجال الذين أكد عليهم في الاستيطان بها وبالقرب منها كانت مدينة"يفرن" التي كان يقصدها محمد الخامس في فصل الصيف وفي ركابه محمد لمعمري وبالقرب منها مدينة "موزار" التي كان يقصدها شيخ الإسلام في الصيف كذلك والذي كان يتبادل الزيارات مع صديقه محمد لمعمري بمدينة يفران وفي فصل الصيف كانت التوجيهات الوطنية تنطلق عبر الأطلس المتوسط الذي إتخذه الفرنسيون المركز والمنطلق لسياستهم البربرية فكان حاملوها وأغلبهم من وطن شيخ الإسلام مدغرة وأبناء جلدته من الاشراف العلويين الذين يتقنون اللهجة البربرية، والذين لهم بين قبائل الأطلس مكانة وتأثير على كبار رجلاتهم وأذكر من هؤلاء الذين قاوموا الظهير البربري في الأطلس المتوسط مولاي هاشم بن الصالح واحميدة بوعريش الودغيري الفجيجي وج محمد بن الحسين القاسمي الإدريسي ومولاي الطيب البلغثي العلوي وم عبد الله العلوي ساكن ميدلت، وج محمد بن المامون ومحمد بن عبد الله البلغيثي العلوي المعروف بـ"خالي" ومحمد بن الأمين العلوي والسيد هلال من آل آلغازي بن العربي الحسني والحاج محمد أبو عريش الودغيري الفجيجي والحاج محمد أوقاسم الودغيري الفجيجي، والمرحوم الحاج الجيلالي ميادي وفي مريرت مولاي الطيب بن أحمد العلوي، وفي مدينة خنيفرة القائد امهروق ولد محمد أحمو الزياني خلافا لأخيه حسن، ومن الوطنيين مولاي الحسن بن الهادي البلغيثي العلوي، وابن المصطفى العلوي وج محمد الحسكي وج محمد القسطالي، والفقيه محمد بن عبد الله، وفي مدينة ايتزر محمد بن اسماعيل الادريسي، ومولاي الحسن الحيزون.

هؤلاء الرجال وقد عرفوا في الأطلس المتوسط بخالص وطنيتهم ونضالهم ومنهم من لم يتوقف نضاله حتى اليوم دفاعات من أجل تحقيق الديمقراطية وقد أوذى وأوذي ولا يزال متمسكا بالمبدأ الذي التزم به بواسطة توجيه شيخ الإسلام رحمة الله عليه إلي أن رحل من هذه الدنيا وهو ساخط علي الخونة المندسين ضد الإسلام والمسلمين..

الفصل التاسع والأربعون بعد المائتين

أحكام محاكم العرف البربري

وبعد هذين النوعين من أنواع العرف البربري ننتقل إلى أنواع الأحكام التي كانت تباشرها تلك المحاكم العرفية بإشراف الضباط الفرنسيين والتي عمل فيها عنصر الاختلاق الباهت المكشوف ومن تلك الأمثلة التالية:

المثال الأول(54):

بتاريخ 10 محرم 1343=11غشت 1924 صدر حكم من المحكمة العرفية لآيت صغروشن بإيموزار في الطلاق بالتراضي وهذه نازلته: تزوج المدعي ببنت المدعى عليها هذه أي قبل خمسة أوستة أشهر وهذه "أي منذ" مدة شهر واحد تقريبا عزم الزوجان على الفراق باتفاق منهما وبمحضر شهود، وذلك على شرط وحيد وهو أن المرأة تدفع لزوجها تسعين فرنكا فافترق الزوجان من ذلك الوقت، وطلب المدعى أداء القدر المذكور حينا.

وقد اعترفت المدعى عليهابصحة تصريحات المدعي إلا أنها قالت أنها لا تملك أدنى شيء لا هي ولا بنتها، ولا يمكن لهما الآن دفع ما بذمتهما للمدعي ومن جهة أخرى حيث أنهما أجنبيتان عن القبيلة لايمكن لهماإعطاء كفيل، ووعدت المدعى عليها بدفعها القدر المذكور للمدعي بعد ماتتزوج بنتها برجل آخر، وعملا بطلب المدعى عليها حكمت الجماعة بدفع التسعين فرنكا للمدعى لما تتزوج بنت المدعي عليها من جديد.

هذا الحكم الذي تبرع علينا بتدوينه بول زايس الذي كان هو مؤسس المجلة المغربية ورئيس غرفة بالمحكمة الاستئنافية الفرنسية بالرباط، والمفتش السابق للمحاكم المغربية. ماهي الغاية منه وماذا استنتج منه هو حتى دونه لنا ولقومه المتهالكين لقد استنتج منه ما

---

(54) المصدر المجلة العربية عدد1 السنة1بتاريخ 1935 باب 4 ص 17 ولعله من تاريخ هذا المثال نتيبين أن الجنرال اليوطي كان يطبق ما فرضه من قانون بربري منذ عام 1914.

عبر عنه بـ ملاحظة قال فيها«يشير هذاالحكم إلى صفةإنعقاد النكاح بالتراضي عند البربر ويصرح بالطلاق المشروط"؟ أية سخافة بعد هذا، وهل تجدني في حاجة إلى دليل بعد هذا على فضيحة الفرنسيين وأهدافهم ضد الشعب المغربي ودينه الإسلام، أي نكاح بين بني البشر وفي أي بلد كان بدون تراض، بل وحتى بين سكان الأدغال السابقين مثل الفرنكة.

لقد كانت الغاية مما سبق وما يلي من الأمثلة هو أن يظهر الفرنسيون أن إسلام البربر كان سطحيا ومن السهل إنسلاخهم منه وتنصيرهم ثم فرنستهم كما عبو أكثر من واحد بعد دوفوكو وماسينيون ولعل المثال التالي أكثر دلالة على إفلاسهم وما كانوا يمكرون.

المثال الثاني:

لقد إخترنا المثال التالي من بين أمثلة في منتهى السخف كلها نشرت بأقلام الضباط الفرنسيين الذين كانوا يرأسون محاكم أزرف "العرف" والحكم التالي صدر عن محكمة الإستيناف العرفية بمدينة أزرو، وهو حول تحديد قدر "التعويض المدني الذي يلزم الزاني بامرأة أن يؤديه لزوجها" وقد صدر الحكم بتاريخ 16 حجة 1354=10 مارس1936(55) وهو كما يلي نصا وتعبيرا بما إنطوى عليه من ركاكة وخبث مقاصد "في التاريخ أعلاه أمام أعضاء محكمة الاستيناف العرفية بأزرو المذكورين أسفله وهم: محمد الحاج وكّادة من بولمان.

ومحمد اعسو من صفرو.

ومحمد وقيوش من أولماس.

وميمون أبادو من عين اللوح.

ولحسن وعمرو من ميدلت.

وعشارين بن العربي من الحمام.

ومح ألحسن من الحاجب.

وحم ولحسن من بولمان.

وعقه وبوهو من الحاجب.

وسعيد افروخ من أزرو.

---

(55) المجلة المغربية عدد4 السنة الأولى 1935ـ36 الباب 4 ص 69ـ72 ولعله من خلال جمع هذا الخليط من الجهات المختلفة من الأطلس المتوسط شرقه وغربه شماله وجنوبه نتبين كيف كان خبث الفرنسيين يعمل من أجل تركيز فكرة الفصل بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد.

وكذا بمحضر المندوب المخزني الترجمان القبطان "گودينو" حضر مح وعق مستأنفا، وسعيد واحنيني(56) مستأنفا عليه كل منهما من قبيلة آيت مسعود آيت بولمان تحت مراقبة إدارة الأشغال "الشؤون" الأهلية بإيتزر

سرد أي قرئ" أولا مقال المتداعين لدى المحكمة الابتدائية فكان قول المدعي أن المدعى عليه قد زنى بزوجتي وضربها، ولاجل ذلك أطلب منه التعويض الذي ينص عليه العرف في مثل هاتين الجريمتين؟؟

"أجاب المدعي عليه بقوله" لم أكن بالزاني بإمرة المدعى نعم كنت مغرما بها قبل أن تتزوج به وبمجرد أن تزوجت لم تبق بيني وبينها علاقة كما أني لم أضربها

ثم سرد حكم المحكمة الابتدائية العرفية بآيت مسعود المنعقدة بأغبالوا أسردان المؤرخ بتاسع غشت 1935 ونصه.

"إن عرفنا يرخص للرجل الذي زنت زوجته وليست بيده حجة أن يحلف على ذلك وبمقتضاه فقدحكمنا على المدعي سعيد وحنيني بأن يحلف في ضريح سيدي المشحور"؟" بمحضر الناظر مولاي نالا، في رابع وعشرين يوليوز 1935 ايماناعشرة لتأييد دعواه ثم يؤدى له المدعى عليه قيمة ثلاثين شاة وهي أربعمائة وخمسون فرنكا تعويضا عما صدر منه من الزنى، أما الدعوى بالضرب فلم تقبل لعدم قيام حجة عليها"؟؟؟" فقد وقع الحكم بما ذكر وسرد بالجلسة العمومية بمحضر الخصمين وتحت مراقبة المندوب المخزني اليوتنان "شارتون"؟

غير أن المدعى عليه بعد أن رفض إقتضاء "أداء" اليمان إستأنف الحكم أعلاه في فاتح غشت 1935.

ثم سرد كتاب رئيس إدارة الأشغال "الشؤون" الأهلية بإيتزر المتضمن أن الحكم المذكور لاقيمة له قانونية حيث لم يعرض على الإدارات التي لها النظر في المصادقة عليه وعدمها وبعد ذلك أذن للمستأنف أن يبين موجب استئنافه فقال "إني أستأنف الحكم الواجب أداؤه للرجل الذي زنت زوجته هو مائة فرنك وشاة، ومع ذلك فأوكد لكم أني بريئي رغما عن كون خصمي مستعد لأداء الأيمان.

---

(56) بقي الرجلان على قيد الحياة إلى الستينات وقد تحول أحدهما وهو محا وعقا إلى قصر تاوردة، وهو اليوم بتمايوست قرب أبي العجول حكومة ايتزر .

أما المستأنف عليه فأجاب بمثل ما أجاب به في المحكمة الإبتدائية، وبعد أن وقعت المذاكرة على مقتضى العرف صدر الحكم بما يأتي.

أما من جهة أسلوب الدعوى فحيث أن الاستئناف جار على القواعد ومقبول، وكذا من جهة أصل الدعوى حيث أن المستأنف طعن في الحكم بأنه غير جار على العرف المحلي.

وحيث أن طعنه هذا تأيد وأن حكم جماعة آيت مسعود غير معتبر لكونه ليست له صبغة رسمية.

وحيث أن قدر التعويض المدني الواجب أداؤه للرجل الذي زنت زوجته هو عند آيت مسعود مائة فرنك وشاة

وحيث أن العرف عند الفرقة المذكورة يوجب على الرجل الذي يزعم زنى زوجته أن يحلف عشرة أيمان لتأييد دعواه وحيث أن الأيمان المذكورة لم يكن وقع اقتضاؤها "أداؤها" فاعتبارا لهذه الأسباب حال النظر في قضايا الأحوال الشخصية صدر الحكم النهائي بمحضر الفريقين بأن الاستئناف مقبول ومبني على أساس، وينقض الحكم المستأنف أولا باقتضائه "أدائه" العشرة أيمان في المحل المذكور وعلى الصورة المنصوص عليهما في الحكم الإبتدائي وبمحضر عضو من المحكمة الإبتدائية ليطلع عليه ثانيا بأدائه للمستأنف عليه بعد إقتضاء"أداء" الأيمان المذكورة تعويضا مدنيا قدره مائة فرنك وشاة، يؤدى له منها خمسين فرنكا عند مضي شهر من تاريخه وخمسين فرنكا والشاة عند تمام الشهر الذي يليه، وقد أخبر بالحكم المذكور شفاهيا بالجلسة كل من المستأنف والمستأنف عليه"

وقد علق على هذا الحكم "اليوتنان" الملازم "أسبينيو" تعليقا يقصد منه تأكيد ما سبق من خزي أطلق عليه عرف، ومثل هذه الأحكام وأفظع منها كثير جدا لم يكن هم لدهاقنة الاستعمار الفرنسي غير تدوينها ونشرها باللغة الفرنسية أولا ثم تعريبها ونشرها بالمجلة المذكورة(57).

---

(57) راجع عدد 2 من باب4 ص 38-42 وباب 5ص13-16 الحكم الصادر بتاريخ 9 محرم 1345=20 يوليه 1926م وص16 الحكم الصادر 29 شوال 1344= 21 ماي 1926 وعدد 3 باب4 ص54-61 الحكم الصادر بتاريخ ربيع الأول 1354=3 يونيو 1935 والحكم الصادر بتاريخ 20 قعدة 1344= فاتح يونيه 1926 باب 4 ص 17 ثم عدد 9 باب 4 ص 10-11 إلخ. =

لابربرية في سوس العربية بل عصبية وتضامن اسلامي

إذا كانت إدارة الحماية قد عملت على تعميم هذه المحاكم في المناطق التي قالت إنها بربرية والتي طبقت عليها الحكم العسكري، فإنها لم تستطع ذلك إلا في جهات معينة من إقليم سوس

فمثلا في سوس وكل سكانه أغلبهم عرب وأشراف أدارسة(58) يتكلمون لهجة الشلحة، لم تتمكن إدارة الحماية رغم قوة الحديد والنار من ذلك في غير أماكن قليلة منها مثلا إغرم، وإيمنتانوت وآيت باها وغيرها، وغيرها، وأما أغلب إقليم سوس فقد كان سكانه طابعهم الإسلامي المتمكن وحتى عام 1950 كان الفرنسيون يهدفون إلى التمكين لمحاكم العرف بين أهل سوس ومحاربة الثقافة العربية بين سكانه، ذلك أنه بتاريخ 11 رجب 1369/4/29/1950 "كان تجار أهل سوس قد تقدموا بطلب إلى جلالة الملك، في مدينة مراكش يطالبون فيه بإلغاء المحاكم العرفية وإصلاح المدارس العلمية العتيقة، وكان الطلب طبعا لا بد من تقديمه إلى الإقامة العامة التي كان على رأسها أخس وأحقر حقير عرفه تاريخ المغرب وهو جنرال الجوان الذي قال جوابا عن الطلب المذكور "قل للسلطان يمكن أن تفتح للسوسيين ثكنات في بويزكارن أو أكادير أو غيرها ليتدربوا فيها ولا يمكن أن نسمح لهم ولو بإصلاح وتنظيم مدرسة واحدة(59).

وبفضل ماتميز به مجتمعهم من إقبال على الدراسات والمعارف الإسلامية بشكل عز نظيره في غيره(60) وفي ذلك يقول في جهات أخرى مونطاني في كتابه المشار إليه

= وهناك أحكام آيت عطا العربية أغلبها أصلا كما أكد ذلك العالم الجليل أحمد بن يعقوب الولالي من آيت والال والتي كانت مدونة في الواح خشبية بقيت بصاغرو وقد كانت بالنسبة لهم كالنوازل لدارس الفقه يلجأ إليها كبار الجماعة كلما استعصى عليهم رأى في قضية حكمت بها الجماعة وطعن فيها المحكوم عليه، وأذكر أني قمت بدراسة ميدانية في نفس المنطقة من آيت مجليد إلى جوارهم آيت احنيني وآيت شخمان ثم آيت يحيى ويوسف أشراف تونفيت فوجدت 80٪ مبالغ فيه إلى جانب الاختلاق.

(58) لقد شاع بين الناس أن أهل سوس من البربر، والواقع يكذب ذلك إلا ما كان من اللهجة. أما أصول الغالبية فيهم، فهم ما بين عرب أشراف وأبناء الفاتحين، وفيهم قلة وهوما أكده مؤرخوهم.

(59) المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس للوطني المجاهد المتوكل عمر الساحلي شفاه الله جـ اتقديم الفرقاني محمد الحبيب ثم راجع للشيخ محمد اعلى آوزال تحقيق الرحماني عبد الله بن محمد الجشتيمي ط البيضاء 1977 وهو كتاب في الفقه الإسلامي باللغة الشلحة.

(60) راجع كتاب المعسول للمرحوم محمد المختار السوسي العباسي الفيلالي وغيره من بقية كتبه، ثم راجع كتاب الحوض في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي.

قبل وعنه أخذ سوردون معظم ما نشره في المجلة المغربية ع-6-7 عام 1937-38 حول ما قال عنه "الحق العام في الجبال المغربية"(61) حيث قال والبربر المطلق عليهم لفظ الشلوح القاطنون بالأطلس الأعلى وبلاد سوس والحدود المغربية نلاحظ فيهم مظاهر يؤخذ منها إمكان وجود روابط قانونية بين الأرض وسكانها كما عبر عن ذلك المسيو "مونطاني" في كتابه حيث قال: إن البربر في تلك المقاطعات البعيدة من المدن والممكن تحديدها بدقة اعتمادا على مجردتاريخها سيشعرون جدا بالروابط الثابتة التي تربط بينهم وبين الأرض شعورا متزايدا وجود نظام إداري مطابق لحياتهم، وينبني بالأخص على مظهرين من تلك المظاهر، وهما: أولا استقرار السكان بالأرض بدلا من الترحال، وثانيا وجود نواب الثقافة العربية"الطلبة" بالجماعة إزاء نواب العصبية المعبر عنهم بهذا اللفظ"إينفلاسن.

ومما تسهل ملاحظته أن القرية عند الشلوح ليست هي إلا صورة لروابط العصبية مخطوطة على الأرض فترى "إيغسان أي عظام" منفصلة بعضها عن بعض بأجنة'؟" أو سياجات من الصبار أو غير ذلك من وسائل أنواع الانفراد والاعتزال الدالة على أن القرية عبارة عن فروع متفرقة يحتوي كل واحد منها على عدة مساكن تلك هي علامة تفرق وانفصال لا علاقة تجمع وانضمام كما هي الحالة عندنا، وإذا إتخذت عائلة أجنبيا في جوارها وجب عليه أن يجعل بيته ملاصقا لبيتها كما يجب على الإسرائيليين المستجيرين إستمرارا بجماعة أن يسكنوا بأجمعهم في فرع خاص من فروع القرية، فهم يسكنون القرية ولكن ليسو من أهلها كغيرهم من الأجنبيين المسموح بنزولهم فيها.

وعند الكاتب أن هذا المجتمع من أهم العناصر التي تمكن للحق العام بين أهل سوس لأن الرابطة المتينة بين أهل سوس لا تتأثر بالانقلابات بل تزداد إلتحاما عند الشدائد ولقد لاحظ هذا حتى مونطاني حيث قال في ص 416 من كتابه يقول سوردون "إن القوة المستمرة الثابتة التي امتازت بها تلك الرابطة الغريبة التي تضم بين أفراد سكان القرية بعضهم بعضا وبين سكان القبيلة بعضهم بعضا، لم يظهر فيها إلى يومنا هذا نقصان ما عقب ما أدخله السلم'الفرنساوي إلى سوس من الوسائل الجديدة في الحياة، فلا يدخل القرية ولا

(61) عبارة عن بحث ألقاه في المؤتمر الذي أقيم حول الجبال المغربية بتاريخ 13 ماي 1937م.

يكون عضوا إلا من له فيها قرابة دموية والعضوية لا تكتسب وفقا لقانون المولد بل لقانون الدم(62) لكن الذي لم يستوعبه الفرنسيون في سوس هو عصبيتهم الإسلامية التي تحولت من كثرة التركيز عليها إلي ما يقال عنه الانغلاق على أنفسهم.

كتب الشيخ محمد عبده رحمه الله حول العصبية(63) المحمودة والتي هي بحق أقوى عوامل العمران حسبما توصلت إليه دراسات ابن خلدون وكل من قرأ ما كتب حول هذا الموضوع وتعرف على مجتمع تافيلالت وفجيج وبني يزناسن والريف ودكالة وسوس سواء مباشرة أو من خلال التاريخ المدعم بالوثائق إلا ويدرك أن المجتمع في سوس وبقية المناطق المشار إليها يختلف عن بقية جهات المغرب ففي مجتمع سوس نجد للفقه والعلماء ورجال الدين ما لا يوجد لغيرهم من التقدير والاعتبار اللذين يخضع لهما الجميع بما في ذلك "إينفلاسن" الممثلين للعصبية فالفقيه في غير المسائل الجنائية طبعا وأحيانا يكون هو الحكم وقوله المعتمد على الكتاب والسنة واجتهادات السلف الصالح، هو الفاصل قبل أي عرف إلا إذا كان لهذا العرف أصل في الشريعة فإنه لا يهمل عند أهل سوس.

ففي سوس كان ينتخب "إينفلاسن" الممثلون لكنهم قليلا ما كانوا يقطعون برأيهم في نازلة ما خصوصا إذا كان لها إرتباط بالحق العام بحيث في مجتمع سوس لا نجد صورا متعددة للاستبداد حتى في الأحكام بالعقوبات التي كانت في الغالب تعتمد على قانون القبيلة المعزز بالشريعة التي كان لها إعتبار وتعلق من الجميع، سواء بالنسبة للقبيلة وما يربط بين أفرادها في نطاقها الضيق، أو بالنسبة للجماعات التي تكون الاتحاد الشامل لأهل سوس في دائرة أوسع، ولا يحدث ما يمكن أن يكون له أثر عكسي يتذمر منه الفرد وتؤيده الجماعة القريبة إلا إذا أحدث ما يؤدي إلى تصدع ولو بسيط بين ذوي العصبية الأقارب، بل وأمام مثل هذه المواقف نجد للعرف سلطانه على القبيلة، حتى

(62) المصدر السابق ثم راجع للأستاذ علي المحمدي: السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت باعمران أوفاق عرفية ص 120 وما بعدها إلى 130 ط 1 دار توبقال البيضاء 1989.

(63) نشرت المحاضر بتاريخ 1373هـ=1954 ط 2 مع مقدمة بقلم الناشر وهو محمد فؤاد منقارة الطرابلسي ثم راجع العصبية عند العرب في الجاهلية والإسلام وهي الرسالة التي قدمها على مظهر إلى جامعة ڤينا عام 1923 ط مصر 1342-1924 وقبل هذا وذاك راجع مقدمة ابن خلدون والكامل لابن الأثير والعقد الفريد لابن عبد ربه، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وصبح الأعشى للقلقشندي، فالمغاربة الذين يعرفون بالبربر لغة ليسوا بعنصريين وإنما هم مسلمون عصبيون نسبة إلى العصبة التي لو كان غيرها لما أمكن لغيرهم أن يعيش معهم إلخ.

إن لبعض القبائل في أعرافها من العقوبات الخاصة بالمعتدي على حرمة الجماعة ما هو أشد قسوة من العقوبة المعينة للقاتل، ذلك لأن العمل الذي يؤدي إلى تفريق الجماعة هو أكثر فظاعة من قتل النفس، فمثلا آيت حربيل لها قانون معلوم ضمن بنوده عرفا: أن من أحدث ما يؤدي إلى ضعف القبيلة أمام غيرها فعليه غرامة قدرها ألف مثقال، وعند قبيلة إيدا ارموت في الفصل 18 من قانون عرفها أن من شهد لشخص ينتمي إلى قبيلة أجنبية على أحد إخوانه من إيدا أرموت يحكم عليه بما يحكم على قاتل الروح، وفي عرف إيدا وابراهيم أن من أدخل أجنبيا على إخوانه أي بأي محل من القبيلة دون تخصيص، يحكم بذعيرة قدرها ألف ريال، وهي ذعيرة تجاوز عشر مرات ما يحكم به على القاتل، لأنه لم يهتك حرمة القرية فقط، بل يهتك حرمة القبيلة كلها.

وينص عرف آيت ويران على أن من أرشد سارقا أجنبيا على مال آيت ويران لنهبه يحكم عليه بالقتل، وتسلبه القبيلة من جميع ممتلكاته، وفي عرف أهل "أكلو" المكتوب نص الفصل 16 منه على أن "من قتل أجنبيا بزريبة أو مزرعة أو قرية كان يزنى فيها أو يقوم فيها بعمل يمس بأمن القبيلة لا يحكم عليه بأدنى عقوبة، فالقبيلة كلها لا القرية هي المسؤولة بذلك القتل، وهي التي تدفع جميع الصوائر المتسببة عن قتل ذلك الأجنبي وأما القاتل فإنما يدفع واجبه من الصوائر كغيره من إخوانه أعضاء القبيلة.

وهكذا فإن أثر طبقة خاصة من العلماء ورجال العلم في إقليم سوس لا تنكر، بل إن من تلك الآثار ما ستجده يرحل مع أهل سوس أني وجد وا أو حيثما حلوا، حتى إنتهى الأمر ببعضهم إلى العمل الوطني لصالح القضية المغربية في فرنسا نفسها تحت تأثير ما كان لهم في موطنهم من تربية وطنية قوامها العصبية المحمودة العاقبة كما سنرى بعد 1944.

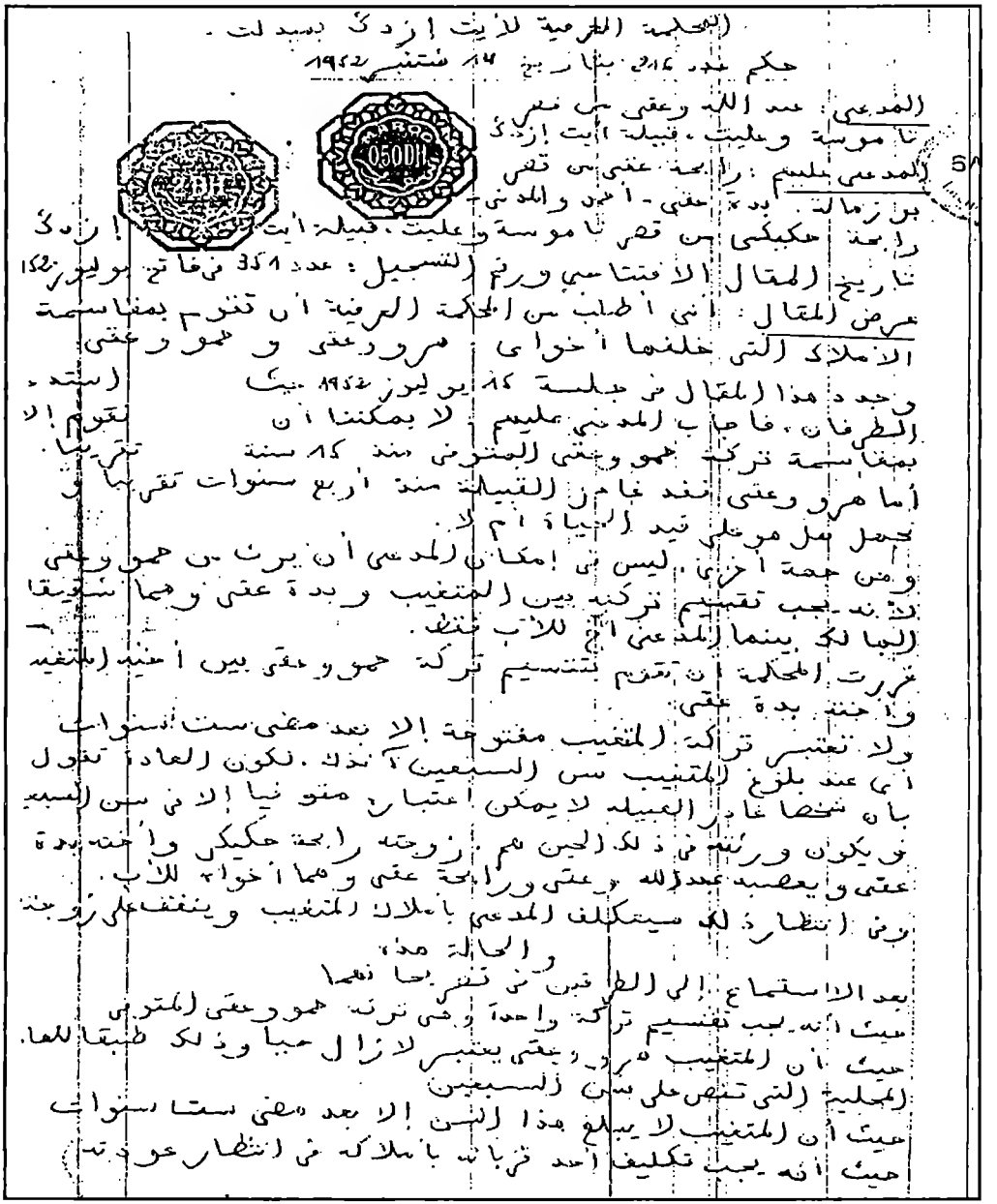

المحكمة العرفية لأيت إزدك بميدلت.

حكم عدد 216 بتاريخ 14 شتنبر 1952

المدعي: عبد الله وعقي من قصر ناموسة وعليت، قبيلة أيت إزدك

المدعى عليهم: رابحة عقي من قصر بوزمالة. بدة عقي - أحمد والمدني - رابحة حكيكي من قصر ناموسة وعليت، قبيلة أيت إزدك

تاريخ المقال الافتتاحي ورقم التسجيل: عدد 351 في فاتح يوليوز 1952

عرض المقال: أني أطلب من المحكمة العرفية أن تقوم بمقاسمة الأملاك التي خلفها أخواي هرو وعقي و حمو وعقي

وجدد هذا المقال في جلسة 15 يوليوز 1952 حيث استدعى الطرفان، فأجاب المدعى عليهم: لا يمكننا أن نقوم إلا بمقاسمة تركة حمو وعقي المتوفى منذ 15 سنة تقريبا. أما هرو وعقي فقد غادر القبيلة منذ أربع سنوات تقريبا و نجهل هل هو على قيد الحياة أم لا.

ومن جهة أخرى، ليس في إمكان المدعي أن يرث من حمو وعقي لأنه يجب تقسيم تركته بين المتغيب وبدة عقي وهما شقيقا الهالك بينما المدعي أخ للأب فقط.

قررت المحكمة أن تقوم بتقسيم تركة حمو وعقي بين أخيه المتغيب وأخته بدة عقي.

ولا تعتبر تركة المتغيب مفتوحة إلا بعد مضي ست سنوات أي عند بلوغ المتغيب سن السبعين آنذاك. لكون العادة تقول بأن شخصا غادر القبيلة لا يمكن اعتباره متوفيا إلا في سن السبعين ويكون ورثته في ذلك الحين هم: زوجته رابحة حكيكي وأخته بدة عقي ويعصبه عبد الله وعقي ورابحة عقي وهما أخواه للأب.

وفي انتظار ذلك سيتكلف المدعي بأملاك المتغيب وينفق على زوجته والحالة هذه

بعد الاستماع إلى الطرفين في تصريحاتهما

حيث أنه يجب تقسيم تركة واحدة وهي تركة حمو وعقي المتوفى

حيث أن المتغيب هرو وعقي يعتبر لا زال حيا وذلك طبقا للعادة المحلية التي تنص على سن السبعين

حيث أن المتغيب لا يبلغ هذا السن إلا بعد مضي ست سنوات

حيث أنه يجب تكليف أحد قرباته بأملاكه في انتظار عودته

حكم من المحكمة العرفية حسب القوانين التي وضعتها الإدارة الفرنسية خروجا بالبربر على الشريعة الإسلامية وقوانين الدولة المغربية

لهذه الاسباب

ان المحكمة العرفية وهي تبت في قضايا التركات حضوريا وابتدائيا
بعد التحقيق موافق ومطابق للقانون وعادل من اجل تقسيم تركة
حمو وعقي بين ورثته وهما اخوه عمر وعقي واخته بدة عقي.
تعين عبد الله وعقي كمكلف ومسؤول على املاك المتغيب
وايداع مبلغ النفقة على زوجة المتغيب.
اذنت للطرفين ببيع الاملاك المنقولة وتقسيم ثمنها بينه
وتشتمل الاملاك المنقولة على: بغل وبقرة ونصف وعجل وعجلة
سلسة ١٧ شتنبر ١٩٥٢ اخبر العدلان بان الحيوانات قد بيعت
بمبلغ 350 فرنك قسمت كما يلي:
بدة عقي 31.170 فرنك
رابحة حكيك 15.585 فرنك
عبد الله وعقي 10.390 فرنك
رابحة عقي 5.195 فرنك
ومن جهة اخرى قسمت الاملاك العقارية على الشكل التالي
ان الحظ المعين به لبدي عقي يشتمل على الاملاك الاتية:
١) قطعة ارضية مسماة تيادوت تحدها شرقا عمر وعقي على ٩ متر
غربا الساقية على ٩ متر وجنوبا عمر وعقي على ٢١ متر وشمالا البدة
على ٢١ متر
٢) قطعة ارضية مسماة تيادوت تحدها شرقا الطريق على ٩ متر وغربا
عبد الله وعقي على ٩ متر وجنوبا بدة عقي على ٢١ متر وشمالا عمر وعقي
على ٢١ متر
٣) قطعة ارضية مسماة تيادوت تحدها شرقا مولاي والشريف على ٩
وغربا بدة وعقي على ٩ متر وجنوبا عسو وابراهيم على ٢١ مترا وشمالا
عمر وعقي على ٢١ متر
٤) قطعة ارضية مسماة تحت قصر ايت عثمان تحدها شرقا عائشة بنت
زينب الساقية وجنوبا عبد الله وعقي وشمالا بدة وعقي
٥) قطعة ارضية مسماة تيسوت تيادوت تحدها شرقا عمر وعقي على ٢١
وغربا بدة وعقي على ٢١ متر وشمالا عمر وعقي على ٩ متر وجنوبا الساقية
٦) قطعة ارضية تسمى تيادوت تحدها شرقا الساقية على ٩ متر وغربا
الساقية على ٩ متر وجنوبا بدة عقي على ٩ متر وشمالا عمر وعقي
٩ متر
٧) قطعة ارضية تسمى تيادوت تحدها شرقا عمر وعقي على ١٢ مترا و
بدة وعقي على ١٢ متر وجنوبا الساقية على ٩ متر وجنوبا الساقية على
بستان كائن بالمحل المسمى تحت قصر تامنوسة وعليت تحدها شرقا
بدة عقي على ٩ متر وغربا مولاي ابراهيم على ٩ متر وجنوبا عمر وعقي
على ٩ متر وشمالا الساقية على ٩ متر.

إن النصيب المعترف به لهرو وعقي يشتمل على الأملاك التالية:

1) قطعة أرضية تسمى تيشوت بازيزاوت يحدها شرقا شمعون بن هنا وغربا بدة عقي وجنوبا موحي ومدان وشمالا موحي ومولاي

2) قطعة أرضية تسمى تحت تيزي يحدها شرقا القائد ميمون وغربا الحونايت الشاد وجنوبا بدة عقي وشمالا عبد الله وعقي.

3) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا علي وداود وغربا موحي وبن موح وجنوبا عبد الرحمن وشمالا موحي وبن موح

4) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا موحي وبن موح وغربا عبد الله وعقي وجنوبا مولاي أحمد وشمالا عبد الله

5) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا مولاي أحمد وغربا الطريق وجنوبا هرو وعقي وشمالا حماد وحمادي

6) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا عبد الله وغربا الساقية وجنوبا أحمد ومدني وشمالا هرو وعقي

7) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا الساقية وغربا علي وعبد وجنوبا عبد الله وشمالا علي وداود

8) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها شرقا بدي عقي وغربا وجنوبا عبد الله وشمالا بدة عقي

9) قطعة أرضية تسمى تيشوت يحدها شرقا اسماعيل وزاد وغربا الساقية وجنوبا عبد الله وشمالا بدة عقي

10) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا الساقية وغربا عبد الله وجنوبا هرو وعقي وشمالا حماد والمدني

11) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا الساقية وغربا هرو عقي وجنوبا بدة عقي وشمالا عبد الله وعقي

12) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا هرو وعقي وغربا عبد وجنوبا بدة عقي وشمالا هرو وعقي

13) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا حسن وزايد وغربا عبد وجنوبا هرو وعقي وشمالا بدة عقي

14) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا عسو وغربا بدة عقي جنوبا الساقية وشمالا هرو عقي

15) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا الساقية وغربا ملك وجنوبا بدة عقي وشمالا ملك المسجد

16) قطعة أرضية تسمى تبادوت يحدها شرقا موحي وشرف وغربا بدة عقي وجنوبا بدة عقي وشمالا مولاي ادريس

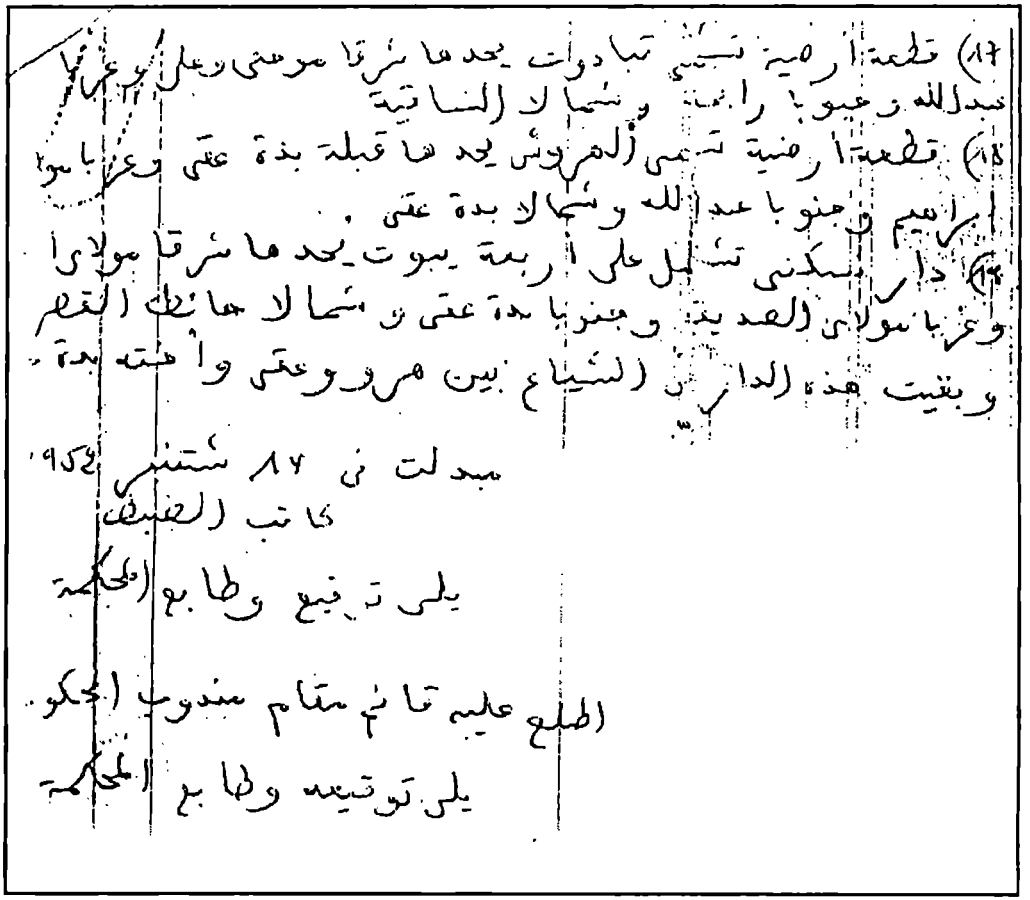

١٧) قطعة أرضية تسمى تبادوات يحدها شرقا موحتي وعلي وغربا
عبدالله وجنوبا رابعة وشمالا الساقية
١٨) قطعة أرضية تسمى الهروش يحدها قبلة بدة عقي وغربا موا
ابراهيم وجنوبا عبدالله وشمالا بدة عقي .
١٩) دار سكنى تشتمل على أربعة بيوت يحدها شرقا مولاي ا
وغربا مولاي الصديق وجنوبا بدة عقي وشمالا حائط القصر
وبقيت هذه الدار في الشياع بين هرو وعقي وأخته بدة .

مبدلت في ٨٧ شتنبر ١٩٥٤
كاتب الضبط

يلي توقيع وطابع المحكمة

اطلع عليه قائم مقام مندوب الحكو
يلي توقيعه وطابع المحكمة

الفصل الخمسون بعد المائتين

موقف السلطان المولى يوسف من "الظهير البربري"

مهما يكن فقد كان من أهداف الفرنسيين ومقاصدهم من السياسة البربرية تحويل البربر في المغرب كما حصل لبعضهم في الجزائر إلى فرنسيين من درجة القطيع؟ خصوصا وأنهم في نظر الفرنسيين سريعي التحول وبسرعة يمكن أن يندمجوا ويذوبوا هم وأعرافهم التي تكون قد تحولت إلى قوانين تصاغ باللغة الفرنسية داخل دوامة القانون الفرنسي كما عرفنا من آراء القوم، ومن أجل ذلك عمل جماعة من دهاقنة الاستعمار المتحمسين أمثال "جورج سوردون"" صاحب كتاب مبادئ الحقوق البربرية المغربية، والذي تفرغ لذلك زمنا غير قصير، كما أن اليوطي أكثر من الإلحاح على توجيه إدارة الحماية من أجل العمل بحزم وعزم على توثيق كل ما يؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف ولو بعد حين، إذ جند كل إمكانات الإدارة لتحقيق فصل البربر عن العرب بحيث لم يكتف بما سلط عليهم من الضباط العسكريين وما سبق مما أشرنا إليه من تشريع بل زاد على ذلك ببرنامج مركز ومراسيم تنظيمية أطلق عليها إسم ظهير أصدر منها بتاريخ 1920/5/21 ثم بتاريخ نفمبر 1921 وبتاريخ 1922/7/15 ثم عام 1923–1924 ولقد كانت كلها أشبه أو أشد إعتداء من الأول الذي وضع الأساس وعليه كان الاعتماد وهو الذي أصدره اليوطي بتاريخ 1914/9/11 وتوثيقا لهذا التخطيط الجهنمي أصدرت إدارة فرنسا في المغرب قوانين بتفويت الأرض منها ظهير 1921/9/15 2 محرم 1340 الذي طبق على القبائل النصوص المتعلقة بإدارة وتفريق أملاك الجماعات، ثم ظهير تطبيق القوانين الصادرة في حق قبائل العرف أرزف وكذا ما يتعلق بالجماعات الإدارية والجمعيات الاحتياطية الأهلية الصادر في 1921/11/28م=27 ربيع الأول 1340، ثم ظهير تفويت الأملاك من طرف سكان القبائل العرفية للأجانب عنها والذي صدر بتاريخ 1922/6/15=

19 شوال 1340هـ وهذا الظهير فرض إلزام تطبيق مسطرة لتسجيل وتحفيظ المبيعات العقارية في بلاد العرف البربري أرزف، ثم ظهير 23 ابريل 1926.

ولقد كان للسلطان المولى يوسف موقفه المشرف من كل هذا التشريع وكما يقول أمين محمد سعيد في كتابه "ملوك المسلمين المعاصرون ص 386" ط مصر 1933 وأدرك السلطان ما تنطوي عليه فكرة خلق شعب بربري مستقل في المغرب الأقصى من أخطار تهدد كيان سلطنته فرفض" ولقد تعرض لهذا الرفض كثير من المؤرخين مغاربة وأجانب(64) ولربما بسبب هذا الرفض وعدم اتخاذ اليوطي إزاءه موقفا متشددا حسب الرأي الذي كان يقول إنه على السلطان أن ينفذ الأوامر وليس من حقه معارضتها لأنه لاحق له في معارضة كل ما يعرض عليه، وإنما عليه أن يوقعه فقط، وإذا لم يفعل يجب أن يقابل بالشدة التي لم يكن اليوطي قد سار على نهجها أو رتب سياسته على استعمالها مع السلطان والتي عرفت بالمكر ابتعادا من الفتنة بل حقق بعكسها الكثير جدا من مصالح فرنسا في المغرب، ولذلك قامت عليه الضجة لأن القرارات الإدارية التي أصدرها عامي 1923–24 بشأن تنظيم تسجيل الملكية العقارية في المناطق البربرية كان عليه أن يتوجها بظهير يوافق عليه السلطان لا يتعلق بتفويت الأرض إلى المستعمرين فإن التشريع الذي اعتمد وحسب مفهوم الظهير البربري الأول الذي خول للصدر كاباص ثم المقري إصدار القوانين بتضامن مع الكاتب العام الفرنسي للحكومة لم يكن رغم فظاعته كافيا، وعلى ذلك اعتمد اليوطي في هذه الفترة التي يقف التاريخ فيها إلى جانب المولى يوسف الذي اتفقت الأراء ضده حتى يمتثل الأوامر، ولذلك عين استيج مقيما عاما بدل اليوطي لإتمام تجريد المغاربة من كل سلطان لهم في بلادهم، فقد كان استيج أول مقيم مدني عينته فرنسا في المغرب بعد اليوطي ، وحتى يظهر براعته في خدمة طبقة المعمرين الذين أصبحوا المتحكمين حتى في حكومة فرنسا نفسها عليه أن يهتم بما يعنيهم من شؤون الإدارة المدنية بطريقة تختلف عما كان عليه سلفه،، ولذلك أنشأ دائرة مدنية في

(64) المصدر السابق، ثم كتاب الحاج حسن بوعياد "الحركة الوطنية والظهير البربري وتنظيم الحماية الفرنسية" لمحمد خير فارس ثم كتاب شارل اندري جوليان "المغرب في مواجهة الأمبريالية" ص 59 والحركات الاستقلالية للأستاذ علال الفاسي كما سبق.

اقليم الشاوية الذي كان عسكريا وأخضع لسلطته كل العمليات العسكرية التي دفع بها كي تزيد اشتعالا في الجهات التي لم تخضع بعد ثم عمل على تشكيل مجلس للحكومة في هذه المنطقة ومهد بذلك النوع من أنواع الحكم المحلي، وكان التجار والمزارعون يمثلون في غرف تجارية وزراعية كما فكر في مثل ذلك بالنسبة لأرباب المهن الحرة والموظفين ووجه عنايتهم للاهتمام بشؤون الفرنسيين في المنطقة، وإذا كان الفرنسيون لم يرحبوا بهذا المجلس في الأول فإنهم سيقبلون عليه عندما يدركون أن روح وزير العدل الفرنسي السابق ومقاصده هي نفس مقاصد ليوطي ودهاقنة الاستعمار، وفعلا سيتطور ذلك المجلس إلى شكل الدائرة الثانية في المغرب بل سيناقش الأمور السياسية العامة والخاصة بالعلاقات الفرنسية المغربية، بل ستعمل الإقامة العامة على تحويله إلى ممثل للرأي العام للمعمرين والمستعمرين في المغرب وسيصل في السنوات التالية بعد الحرب العالمية الثانية إلى أن يصبح مركز الحركة الاستعمارية المنادية باستعمال الشدة ضد المغاربة ملكا وشعبا والذي شد عضد المارشال جوان كما سنرى بعد.

وهكذا فإذا ما انهزم ليوطي ثم أخرج مدحورا فإن الذي حل مكانه وهو استيج وزير العدل السابق دشن أعماله بتشريد الآمنين ونصب المشانق من أجل اغتصاب الأرض التي منها أراضي الأوقاف وأراضي القبائل الجماعية ثم أراضي الخواص، وأراضي الجيش حتى بلغ جميع ما اغتصب من الأراضي وتملكه المستعمرون 850.000 هكتار من أحسن الأراضي الصالحة للزراعة وإذا كان ستيج قد شغل منصب وزير العدل في بلاده فإن تعيينه مكان ليوطي واضع الأسس السياسية لفرنسة البربر في المغرب كان له أكثر من مغزى مادام الهدف والقصد هو فرنسة البربر بعد مسخهم وتنصيرهم، وإذا هو أي ستيج جاء مشمرا على الخزي، فإن السلطان المولى يوسف الذي كان على جانب مهم من التمسك بالدين كان في المستوى، حيث اتخذ له موقفا بلغ النهاية في الشدة بهدوء ضد الظهير البربري الذي عرضه عليه ستيج بطريقة تختلف عن تلك التي كان يستعملها ليوطي، إلى درجة أن المولى يوسف هدد بالتنازل عن العرش اقتداء بصنوه المولى عبد الحفيظ، وكان هذا يعني زيادة متاعب الغزاة الذين لم يستقر لهم الوضع بعد في كثير من مناطق المغرب خصوصا وأن الحروب كانت قائمة في الشمال وبلاد الريف

بزعامة محمد بن عبد الكريم وقد كان لها تأثير في إبعاد اليوطي كذلك، وفي الجنوب تافيلالت والأطلس المتوسط كما سبق تفصيل ذلك، وما كادت حرب الريف تنتهي بتسليم محمد بن عبد الكريم حتى عاد ستيج الى الإلحاح في عرضه للظهير المكرر1914/9/11، 1923 و24 خصوصا الأخير وتقول بعض الروايات أن المولى يوسف "طرد ستيج؟" وامتنع من مقابلته كما تقول رواية بعضهم أنه كان وراء كل ذلك التهامي عبابو الذي رغم عيوبه المادية وما كان عليه من شره للمال كان صادق النصح للمولى يوسف في هذا الجانب الأمر الذي دفع بالسلطان إلى طلب إبعاد ستيج، لكنه أرجئ، ثم استدعى السلطان نفسه لزيارة باريز بمناسبة افتتاح الجامع الذي شيد في باريز من أوقاف المغرب، والذي كان إفتتاحه يوم 1926/7/15 وقد رافقه في حفل الافتتاح كل من رئيس الجمهورية دي ميرج، ومن الزعماء بريان وهيريو، وحسب رواية من حضر كان استيج منزعجا لا يفارقه ولو لحظة بسبب ما لاحظ عليه من التذمر، خصوصا وأن اليهودي استيج وكما عرفنا نصب المشانق وقتل الأبرياء من أجل تمسكهم بأرضهم التي أراد أن يسلبها منهم ويملكها للمستعمرين.

وهكذا فبقدر ما كانت النوايا سيئة كان الخطأ أسوأ حتى معاملتهم للسلطان نفسه، وإن كانت زيارة السلطان لباريز قد شارك في استقباله ليوطي الذي كان في استقدامه لذلك وهو المعزول بلا عمل أكبر من مغزى" وفي الوقت الذي كان ينتظر لاعصاب السلطان أن تنهار ويضعف أمام تدابير الترغيب والترهيب، على العكس كان له الموقف العظيم وللاسف لم يتناوله التاريخ بما يستحق الأمر الذي كان يحز في نفس ولده سمو الأمير الحسن بن يوسف المعروف "سيدي بايي" والذي طالما كان يصرح بذلك ويتألم له ذلك أنه يقول محمد لمعمري رحم الله الجميع أن المولى يوسف على غير عادته، في ذلك الموقف خرج من وداعته وأعلنها ثورة غاضبة حين خوطب في موضوع الظهير البربري الذي وضح له أنه يمس الدين الذي كان المولى يوسف من أقوى المتمسكين به إلى درجة التصوف والاعتقاد فيمن يتمسك بالدين ويدافع ذلك رد على استيج حول موضوع الظهير البربري حيث قال وبالحرف يقول محمد لمعمري رحمه الله"إن الحجرة التي بنا عليها مولاي حفيظ ومولاي عبد العزيز مازالت باقية "يعني الجبل الكبير بطنجة" أي يبنى فيه ويترك الملك كما فعل صنوه المولى عبد الحفيظ.

وهكذا تحولت حرارة الزيارة إلى برودة قالت عنها الدوائر الرسمية أن السبب هو عدم اتفاق السلطان مع المقيم حول ما اسموه تنظيمات إدارية.

وهناك أيضا وثيقة تؤكد رفض المولى يوسف للظهير بشكل فيه حدة انتهى طبعا إلى ما انتهى إليه من خلاف قوي وعنيف بينه وبين الإقامة العامة، تلكم هي مراسلة المستشار الذي كان إلى جانب السلطان باسم الحماية، والذي كتب إلى حكومة بلاده، وممثلها في الإقامة العامة بتاريخ 15 يونيه 1927 تحت عدد 3888 يقول في رسالته: يظهران ليس في الاستطاعة أن يسير السلطان في هذا الطريق، لأن جلالته أبدى أن المحكمة الشرعية الإسلامية هي المحكمة الدينية المختصة، وانه من المستحيل قبول إدخال أي تعديل على ذلك، كما أنه رفض أي تدخل فيما يرجع لصدور أي قرار رسمي يمس الشرع الإسلامي إلخ.

وإذا نحن علمنا أن المولى يوسف كان يلجأ إلى استشارة الصالح من العلماء كلما دعاه داع لذلك ندرك بلا شك أنه كان أول المستشارين بل أحسنهم وكما أكدت التجربة وبواسطة محمد لمعمري الذي يؤكد ذلك كان هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان السلطان قبل قد لجأ إليه في مشكل ستائر أبواب المساجد التي أراد الفرنسيون نكاية أن ينكبوا بأداء ثمنها وزير الأوقاف المرحوم أحمد الجاي الذي نصبها باجتهاده في أبواب المساجد وقاية للمصلين من التشويش، فقال بعضهم إن ذلك حتى لا يرى الأجانب داخل المساجد، ثم هو لم يستشر فيها المستشار الفرنسي المسؤول بذلك ولذلك وجب أن يدفع ثمنها وقد وضعت على أبواب جميع مساجد المغرب مما كاد يتسبب للرجل في نكبة مالية لا قبل له بها ولا قدرة له عليها، في حين أن الدافع من وراء تدخل الفرنسيين في ذلك وتشدد الإقامة العامة، هو موقف أحمد الجاي الرجل الوطني المتصلب ضد محاولاتهم التشريع لتفويت أراضي الأوقاف للمستعمرين وحتى إذا ما استفتى كثير من العلماء وقتها قالوا تمشيا مع الهوى: إنها أي الستائر بدعة لم تكن سواء في مساجد المغرب أو غيرها، وكان الحاجب عبابو يعطف على بلديه الجاي مما دفع إلى أن يطلب من السلطان طلب الفتوى من شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان قد حصل معه سوء تفاهم بسبب حادث نازلة بين العراقي وبوشعشوع كان وراءها عبابو فلم يعمل

فيها شيخ الإسلام بما سبق لغيره من القضاة مما دفع إلى وشاية بعضهم إلى عبابو فكان منه ما جعل السلطان يرضيه، ولما أحضر الشيخ للفتوى وهو الذي عرف باجتهاداته ما كاد يسأل من السلطان، ما قول الشرع فيما أحدثه الجاي في أبواب المساجد، حتى أجاب، وهل هذه من العبادات أو مما عليه نص في المعاملات إنه اجتهاد من الوزير لصالح مساجد المسلمين، وما دخل إدارة الحماية في هذا وعقد الحماية ينص على عدم تدخلهم في المسائل الدينية.

وما كاد ينتهي شيخ الإسلام من قوله حتى قال له السلطان وبالحرف "فرجتها يا ابن العربي الله يفرجهاعليك" والرواية لمحمد لمعمري فزاد عبابو بقوله "ياك أسيدي كنقولك ابن العربي تبارك الله عليه" الأمر الذي كان له كل الأثر في الموقف مما أعطى للسلطان قوة، ومن وقتها لم تحرك الإقامة العامة ساكنا، وقد كان لميشوبيلير 1857–1930 موقف في هذه النازلة كمستشار للأقامة العامة، فأشار بالتوقف خوفا من اثارة حملة شيخ الإسلام الذي كان وقتها قد قطع شوطا في مسيرته السلفية التي بدأت تعطي نتائجها وقد مرّ عليها من الزمان عقد وزيادة.

وحتى إذا ما كانت الزيارة لباريز، فإنه قيل أن السلطان في نهاية هذه الزيارة، عومل بشدة وعنف مما جعل خاتمتها كدر ونغص، وما كاد يعود إلى المغرب وهو السلطان الوديع الطيب حتى قيل انه استبد به القنوط والتذمر وأصبح لا يطيق رؤية المقيم، وفي هذه الفترة قيل أصيب بمرض القلب، وقيل بداء السكري، ونظرا لما كانت عليه العلاقة رفض أن يعرض نفسه حتى على طبيب فرنسي رغم عوارض الداء، وقيل ان الذي شاع في القصر الملكي وقتها وقد علق بالأفكار، حتى أدركنا ذيوعه وترديده زمن الطفولة "أن المولى يوسف سمم من طرف الفرنسيين الذين طلبوا منه ترك موضوع إبعاد المقيم ستيج الذي كان السلطان قد صمم بشدة وأنه يجب إبعاده، وبذلك قدم طلبا رسميا لم يقبل التراجع عنه إلخ بل قيل إن الحكومة الفرنسية طلبت منه مهلة لمدة ستة اشهر، لكن السلطان توفي بسكتة قلبية يوم الخميس 1927/11/7 إثر خروجه من الحمام حيث توفي رحمه الله وهو ساجد.

لما توفي المولى يوسف نصب خلفا له ثالث أبنائه الأربعة(65) والذي بحق سيصبح

واسطة عقد ملوك الدولة العلوية وهو محمد الخامس الذي بويع بالملك يوم 2 جمادى الأولى عام 1346هـ 1927/11/18 والذي لم يكن مضى من عمره أكثر من ثمانية عشر ربيعا، ثم نصب عليه كوصي ولغاية مقصودة الراهب العراف وخديم الاستعمار الفرنسي الوفي محمد بن عبد السلام المقري المقهجي.

كان الظهير الموقوف بحق أخطر من كل ما سبق، فهو الذي ورد فيه صراحة تقسيم المغاربة إلى قسمين لا من حيث التنظيم للمحاكم التي كانت قد وزعت ثم شرع لها ما بين فرنسية واسرائيلية ومخزنية، وعرفية وشرعية. بل كان صريحا في تنظيم العرفية، وتوسيع مجالاتها التي أصبحت اختصاصاتها تزيد بكثير على إختصاصات المحاكم الشرعية، وبالتالي لها استئنافية تنظر في المخالفات عموما ومخالفات الحكام أنفسهم ، والمرجع الأعلى لكل ذلك هو الحاكم الفرنسي الذي اعطى له إسم المندوب المخزني والذي خصص له كذلك موثق مختص باللغة الفرنسية ورأيه لا معقب عليه. بعد أن يكون كبير القبيلة قد فشل وفشلت معه محكمة الاستيناف العرفي، وحتى تصبح لهذه المحاكم مادة قوانين تجند دهاقنة الاستعمار المشار إليهم من أجل أن يوجدوا لها تلك القوانين ولو بواسطة الاجترار والاختلاق، فتنوعت الدراسات التي سفهها بعض العقلاء لأنها إعتمدت على ما قيل عنه أعراف استعملت في بداوة القوم الذين كانوا يعيشون في الأدغال ولا قوانين لهم ولا أخلاق دينية غير قوانين الغاب التي اعتبر بعضهم محاولة صياغتها في قواعد تصبح قانونا يعتبر نوعا من السفه الذي يزري حتى بالحضارة "الفرنسية" ويسيء إلى سمعة فرنسا ويحط من قدرها بين الدول، ومع ذلك تمادى دهاقنة الاستعمار في غيهم وتعددت دراساتهم بشكل فيه حدة وتحد مقيت وتنوعت تلك الأعراف بتنوع الباحثين عنها وفيها وما نتج عنها بالنسبة لسكان الجبل والسهل ثم بالنسبة للقبائل التي كانت سائبة، والتي كانت غير سائبة أيضا، بل حسب حاجات كل منها في نظر المدبرين والمخططين وقد تنوعت بشكل عجيب، بل غريب وسفيه زاده سفها إختلاق بعضهم

(65) هم على التوالي والتتابع أصحاب السمو الملكي الأمراء :ادريس والحسن ومحمد وعبد السلام راجع للمؤلف كتاب المغرب ملكا وشعبا ص 48 القاهرة 1957.

ما لم يكن معروفا ولا معلوما إلا في مخيلة الذين ابتكروه(66) خصوصا في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة وفي مجال الدين كذلك، فكانت عندهم أعراف الأطلس الكبير غير المتوسط، وما جاور العاصمة الجديدة الرباط مثل زمور وما قرب منها غير قبائل الناحية الشرقية وناحية الريف، وإذا ما انفلت لهم أغلب قبائل سوس فإنهم انتقاما منها وضعوها تحت حكم قواد قساة عرف أكثرهم بأرذل الخلق حاولوا بل عملوا على إذلال المواطنين بطرق أشد خبثا وقسوة وظلما مما كان يقوم به الاستعماريون الفرنسيون وفي طليعة هؤلاء القواد العبد الابق والحقير المجرم الغاوي التهامي الجلاوي الذي حكم مدينة مراكش وما حولها إلى السوس غربا ووارزازات جنوبا. لكنهم جميعا فشلوا أمام تضامن السوسيين ومثلهم بعض جهات الأطلس المتوسط حيث كان الأشراف الأدارسة قد جذروا ثم طبعوا ما حولهم بطابع الشريعة التي كان الفقهاء والعلماء يترجمون أحكامها كلما دعاهم داع لذلك، مثل ما حول الزاوية الحمزوية بآيت ازدك حيث الاشراف الودغيريون الزيانيون مؤسسو الزاوية التي عرفت بعلمها الغزير، وانتاجها الكثير ومثلهم آل على بن عمر ومن الأدارسة بآيت صغروشن تالسينت حيث كان عالم المجاهدين المولى أحمد بن الحسن السبعي وإكرا من بكرامة ذرية علي ألحسن، وكذا بعض آيت شخمان حيث كان آل امهيوش، وآل يحيى ويوسف الأدارسة بتونفيت، وآل سيدي بن احماد بآيت احديدو وهو الذي قاد معارك بادو كما سبق وآيت العربي بآيت مرغاد إلى غير ذلك من القبائل التي وان فرضت عليهامحاكم غير العرف البربري "ازرف" فإنها تعيش في صراع ولم يقبل منها التقاضي أمام تلك المحاكم إلاّ الذين كانوا ذوي مصالح من كبار القوم في بعض المناطق أو الذين فرض على مناطقهم الحكم العسكري جنوبا وفي الأطلسين المتوسط والصغير إلى درجة أن قطع الاتصال بينهم وبين ما حولهم بطريقة فيها عنف عنيف وقهر فظيع، وفي كثير من الجهات البعيدة التي نصبت فيها محاكم العرف وكان لسكانها ماضي اتصال حضاري قديم فإن الفرنسيين لم يتمكنوا من إقناعهم بالتقاضي أمام تلك المحاكم بل كان القوم فيها يحلون مشاكلهم فيما بينهم ما أمكن حتى أننا وبواسطة

(66) راجع ما سبق من أمثلة حول الاحكام التي طبقت بين قبيلتي آيت امجليد وإيغزران وآيت ازدك وآيت وافلا وغيرها.

الدراسة الميدانية بين المواطنين الذين عاشوا تلك المرحلة استطعنا أن نتوصل إلى مدى ماحققه الفرنسيون من أهدافهم فلم نجد مايمكن اعتباره غير ما يتصل بالمدارس التي أنشـأوها في كل المناطق من أجل التمكين لهدفهم والتي كان الرجل من أهلها يدفع الرشوة للقائد حتى يعفيه من إرسال ولده للمدرسة التي كان "الوطنيون" يشيعون حولها أن من دخلها سيكون مآله التجنيد لخدمة فرنسا في المغرب ضد الدين وخارج المغرب ضد الشعوب الإسلامية وكان من اختلاق الفكر الوطني في البادية التي كانت محرومة من العلاقة مع الحواضر ويكفي أن يتجول المرء بين مختلف القبائل فلا يجد من أبناء الجيل السابق متعلما ما لم يكن ابن لقائد وقتها أجبر على الإتيان بولده للمدرسة، أو من هو مهمل من أبناء الطبقة الدنيا ماديا واجتماعيا، وحتى أن ادخال ابنائهم إلى تلك المدارس كان يعتبر نوعا من الحيف والتحقير من شأنهم ولا من يدافع عنهم كما سنرى بعد.

وهكذا لم تنجح كل الوسائل التي استعملت في سبيل تحويل تلك القبائل المتأثرة بالشريعة إلى متنكرة لها، بل لم تنجح سياسة فرنسا البربرية نوعا ومؤقتا إلا حيث كانت الأخلاق منحلة في مناطق معينة من زايان وآيت امجليد وبعض من قبائل زمور مثلا ورغم ذلك عرفت صراعات تردد صداها حتى بين الإخوة مثل حسن وأمهروق، الأول انتصر للعرف، والثاني قاومه كما يخبرنا بذلك صديقهما ساكن أزرو الحاج هلال من آل الشيخ الغازي بن العربي بتافيلالت والذي نتعرف عليه بعد حين دراستنا لمقدمات الحرب العالمية الثانية . وموقف بعض المغاربة من فرنسا والمحور لكن سرعان ماتأثرت القبائل المذكورة بدعوة الإصلاح الوطني التي حمل لواءها في الأطلس المتوسط أستاذنا الطيب بن أحمد العلوي الذي أبلى البلاء الحسن في سبيل رفع لواء الشريعة ومحاربة الظهير البربري في الأطلس المتوسط منطقة أمريرت ومحمدبن عبد الله بخنيفرة وسكانها من العلويين البلغيثيين وبذلك عم المنطقة التي ركزت عليها فرنسا وهي منطقة آيت امالو وجبال فازاز ما عم جميع القبائل من تبرم ضد الأعراف التي حولت المرأة إلى بضاعة تباع وتشترى.

ولقد كان مما ساعد على هدم البناء الذي شيدته إدارة الحماية هو محاولتها إلغاء

اللهجة البربرية في تقارير الأحكام وتعويضها بالفرنسية التي رأى بعضهم استعمالها وكتابة التقارير بالحروف الآتينية كمقدمة للفرنسة ولئن كان الفرنسيون حسب رأي بعضهم قد جربوا تلك الطريقة في قبائل زواوة بالجزائر وأنها أعطت النتائج المرجوة فإنه في المغرب لا يكلف في نظر الحكام العسكريين أكثر من الترغيب للجلب نحو الفرنسية ببعض الامتيازات التافهة، والترهيب نحو كل ما يتعلق بالعربية ومعارفها، وبذلك ركزوا على بعض المناطق التي كانوا قد كونوا لها نوعا من الضباط الذين يباشرون الحكم والتوثيق فيها. أولئك الذين كونتهم الإقامة العامة حسب المنشور الذي أصدرته بتاريخ 1915/5/22 والذي يحتم عليهم جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات في قراراتها وأحكامها، وحتى يصبح المجال للفرنسية بلا مزاحم، قام الحكام العسكريون في كل الجهات بإغلاق الكتاتيب القرآنية وفي كثير من المناطق خصوصا التي أحدثت فيها المدارس الفرنسية وأسند تسييرها للفرنسيين بمساعدة بعض الجزائريين(67) وكان في مقدمة هذه المدارس ثانوية أزرو التي انشئت عام 1924 في هذه المناطق خصوصا ناحية مكناس والدار البيضاء وتادلة حيث الأراضي التي كان لابد من تمليكها للمستعمرين الفرنسيين المستوردين وجدت إدارة الحماية أن من المحتم عليها أمام جموع المستوردين الذين أصبحوا يكونون قوة لها خطرها ثم هي متحكمة في الإدارة والتسيير هنا وهناك في فرنسا أن تلبى مطالبهم في اختصار مسطرة تفويت الأراضي المقصودة ولو كان ذلك بتشريد أصحابها، وهذا لا يتم إلا إذا هي وسعت اختصاصات محاكم العرف التي إنتشرت ما بين ابتدائية واستيئنافية في كثير من الجهات وخصوصا المشار إليها، والتي أصبح على رأسها حكام عسكريون فرنسيون أطلق على كل واحد منهم "مندوب مخزني" وإذا كان المخزن حسب الاصطلاح المغربي يعني السلطان بل سلطة الدولة فإن المندوب بالتالي أصبح هو كل شيء، وما على إدارة الحماية إلا أن تعزز نفوذه باصدار الظهير

---

(67) لابد من الإشارة إلى أنه كان هناك جماعة من الجزائريين هم أهل ندرومة الذين كانوا على جانب مهم من الاخلاق والدين وكانوا في أعماقهم ضد الاستعمار الفرنسي وبالتالي كانوا لا يبخلون على من حولهم بما في استطاعتهم من الاخبار بما كان الفرنسيون يدبرون ولقد عرفنا منهم بعض الذين كان لهم الفضل في مواقف مشرفة كانوا فيها سرا إلى جانب الفكر الوطني.

الظهير الموقوف الذي رفضه المولى يوسف ثم تشدّد في رفضه منذ 1914 وإذا ما توفي تولى مكانه ابنه سيدي محمد الذي وضع له الوصي المشار إليه وهو محمد بن عبد السلام المقري لمدة خمس سنوات(68) والذي أصدر ظهير 16 ماي 1930 باسم السلطان الذي أخذه الفرنسيون وقتها في زيارة إلى فرنسا، ومعه محمد لمعمري(69) الزواوي رحمة الله عليه والذي نصح للفرنسيين قبل الإقدام على إصدار قانون تنظيم الظهير عام1930 حين استشير لكنهم لم يعملوا باستشارته واعتمدوا رأي المقري الذي قال لهم إنه لا أحد سيعارض وحتى لو كانت المعارضة فسوف لا تزيد على أربع وعشرين ساعة كما قال المعمري نفسه.

---

(68) راجع ترجمته الفرنسية في كتاب أعيان المغرب الأقصى لمؤلفه فوبيون ص 250 –259 ط باريز 1939 وهي ترجمة كما أرادتها الاقامة العامة، أما ترجمة المقري الحقيقية فقد انطوت على كل الموبقات والرذائل. ولعلنا سنتعرف كذلك على ترجمة المقري 1933.

(69) يعتبر محمد بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن معمر الزواوي من أنبل وأفضل وأخلص ما عرفه المغرب من الجزائريين دينا وخلقا وسياسة خلافا لما قاله لشكيب ارسلان بعض الذين لا ضمير لهم مما علق به على آخر مراسلة أوردها من أرخ للتلمساني عبد السلام بن لونة بتاريخ 28 غشت 1931 كما هي في كتاب(1) نضالنا القومي لولده الطيب ابن لونة ص 379 طنجة 1980 وقد دخل لمعمري المغرب كما سبق 1906، ثم أصبح معلما بالمدرسة الحرة التي انشأها بوهلال والزبدي وبارگاش بالرباط عام 1908، كما عمل مع المولى عبد الحفيظ معلما لأولاده ولما غادر المغرب دخل الإدارة موظفا في الصدارة 1912 وأصبح معلما للأمراء بالقصر الملكي 1915 وتقرب من محمد الخامس الذي وجد فيه ضالته دينا وخلقا واستقامة وفي عهده تدرج إلى ان أصبح الوزير المكلف بالتشريفات ومصالح القصور الملكية وأهم ما يذكر في ترجمته أنه قضى بالمغرب نصف قرن لم يدخر ولم يملك سوى بيتا صغيرا جدا في إيفران به ثلاث غرف اقترض لشرائه 2000 درهم من عند محمد الغزاوي، ثم رد القرض تقسيطا في سنوات وأخيرا باعه آخر حياته بثمن بخس وتوفي رحمه الله مجاورا للجامع الأعظم بمدينة الجزائر العاصمة، وللرجل مذكرات شخصية وسياسية نتمنى ألا يصنع بها ما صنع بغيرها من وثائق، وتلك هي التي أطلق على جانب منها وكما نشر في ديوانه حسن الوفا ط1964 "بيان الحقيقة في المسألة المغربية" وبالتالي فقد كان محمد لمعمري أديبا وشاعرا وسياسيا مقتدرا سليم الطوية سليم العقيدة متين الخلق وسنتعرض لما لحقه من أذى في يناير 1944م.

الفصل الواحد والخمسون بعد المائتين

جهاد شيخ الإسلام وأثر الفكر السلفي في هدم الظهير البربري

لعل الذي أكد لنا فعالية مقاومة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ضد الظهير البربر، الأخير وقتها، وهو ظهير 16 ماي 1930 الذي كان السبب في فضيحة أعمال فرنسا بالمغرب، الظهير الذي كان السبب في كل ما عرف بعد من تحركات وطنية ضد سياسة فرنسا البربرية في المغرب، وهنا يقف القلم وقفة مراجعة من أجل وضع الحقائق في مكانها.

كانت فرنسا في هذه المرحلة قد إنتهت إلي قناعة أن المغرب لم يعد فيه من يقاوم السياسة البربرية مات المولى يوسف وأبعد بموته التهامي عبابو الحاجب والمستشار الأول للسلطان والذي كان إلى جانب لهفه وتهافته المشين على المال الذي حرم منه في أوليات حياته يتميز بخصلة جد شريفة هي مقاومة الظهير البربري، وإذا ما أصبح المقري الصدر هو الوصي فمن أجل أن ينفذ الأوامر أو كما قيل حتى لو كان فيها هتك الحرمات، ووقتها كانت إدارة الحماية قد إنتهت إلى إنشاء أكثر من 90 محكمة إبتدائية في 72 جماعة قوامها 607.410 نسمة(70) أما القبائل المعنية بالعرف البربري فقد صدرت

---

(70) راجع إحصاء 1931/3/8 ثم بتاريخ 1933/10/1بمجلة القوانين عدد:1 السنة1ص1-10 بتاريخ 22/حجة 1353هـ=1935/3/28 فقد ورد فيه ما يلي ان سكان المغرب يقدر عددهم ما يلي:

الوطنيون الفرنسيون	115.628؟
الرعايا الفرنسيون	11.683
المحميون الفرنسيون	866
المغربيون من العرب	1.507.068
البربر المستعربون جدا	563.664 =

في حقها قرارات وزارية سنتعرف عليها بعد.

في هذه المرحلة أيضا كان شيخ الإسلام محمد العربي العلوي. قد نقل من منصب القضاء بفاس الجديد وما حول فاس من البوادي إلى الرباط التي أصبح فيها عام 1928 رئيسا لمجلس الاستئناف الأعلى وقد سكن في رياض الطالبي جوار الجامع الكبير من مدينة سلا حيث تطوع بدروس عامة وخاصة ووقت ظهور الظهير البربري كان الشيخ الإمام قد سبق له أن عرف كيف يوجه الضربات القاتلة إلى الاستعمار الفرنسي بواسطة دروسه التي لم تعرف التوقف أنى حل وارتحل وكما يخبرنا بذلك الأستاذ علال الفاسي في كتابه الحركات الاستقلالية والنقد الذاتي ومحمد المختار السوسي في مذكراته ضمن مذكرات ادريس ولد منو على مائدة العذاء، والألغيات، وغيرها بل وكل الذين كتبوا عن تلك المرحلة مغاربة أو أجانب وكما سنرى بعد فهو الذي بدأ نضاله تحت ستار عقد الحماية الذي ينص على تعهد الفرنسيين باحترام الدين فأخذ يحارب كل من ما شأنه المساس بحرمة الدين وعلى ذلك قامت دعوته السلفية ومحاربته للطرق الضالة والبدع المضللة(71) وقد نجح بشكل لم يسبق لغيره ولا لمصلح معاصر في

= القبائل المدرجة في سلك القبائل البربرية	607410
القبائل الغير المدرجة في سلك القبائل البربرية	1.626.685
المغربيون الإسرائيليون	117.603
الأجانب	44304
الجمع	4.595.511

هذا ما ورد في المجلة المذكورة في حين أننا نجد في جهات أخرى احصاء 1921 بلغ العدد فيه 4.300.000 وعام 1926=4.900.000 وعام 1931 أصبح 5.400.00 وفي عام 1936 بلغ 6.300.000 إلخ.

(71) كذا عند جاك كاني تعريب زبيدة بورحيل وسعيد النجار في مجلة البحث العلمي عدد 35 بتاريخ 1985 ص 330 تعليق 40 ومثله جاك بيرك في كتابة المغرب بين الحربين "وشارل اندري جوليان" في كتاب" المغرب في مواجهة الامبرالية" ودجلاس في كتابه التطورات السياسية في المغرب وروم لاند في تاريخ المغرب في القرن 20. ويقول جاك كاني حول الشيخ الإمام وذلك في دراسة حول "بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب والذي يعتبره معظم الوطنيين المعاصرين أستاذا وموجها، وتجب الإشارة إلى أن نشاطه السلفي الذي كان مثاليا في تطوره نحو التزام سياسي تام يخرج من إطار هذه الدراسة، ولهذا فإننا نكتفي بذكر هذه الشخصية البارزة ونختم بها قائمة السلفيين الكبار الذين مهدوا ونشروا النزعة الدينية التي ينتمي إليها قسم هام من الحركة الوطنية المغربية المصدر المذكور 330-334 أما الوظائف التي تولاها شيخ الإسلام فإن تاريخها كما هو في الوثائق الرسمية "المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام المشار إليها قبل عدد 1 السنة الأولي الباب 7ص7 بتاريخ 1935 فقد جاء فيها أنه تولى القضاء =

المشرق العربي أن كان له ما كان لشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي من تأثير في الشعب المغربي، والفضل في ذلك يرجع أولا إلى مواهبه التي ميزه الله بها في تجديد الصالح القديم وهضم الجديد ثم تقديمه للمتعلمين وغير المتعلمين كل بالطريقة التي تستهويه حتى أصبح مقصود الجماهير التي أخذت عنه بعد سلامة العقيدة تتفهم واجبها الاجتماعي والسياسي مبكرا وفي الوقت الذي كانت إدارة الحماية تعتمد في عدم الوعي السياسي على واقع الأمية التي كادت تكون عامة في كل جوانب الحياة العامة ثقافية واجتماعية سياسية وما يتصل بالوعي السياسي المعاصر أكثر وقد رأينا ما قدمه للثورتين الفيلالية 1880–1932 والريفية 1921–1926 برايه في الرسالة التي عممها ليوطي و"كاباص" محمد الجباص باسم السلطان المولى يوسف ينكر فيها على الذين يقاومون الغزو الفرنسي الذي أطلق عليه إسم التهدئة مادامت الحماية قد وقعها السلطان الذي لا جهاد ولا استشهاد بدون إذنه وأوامره .وكذلك بالنسبة لمقاصد الظهير البربري.

فبالمثل حدثت حادثة زواج بربري بالعرف ومن خلاله أراد شيخ الإسلام وقد نقل إلى رئاسة المجلس الأعلى للاستيناف بالرباط ان يهدم الظهير المذكور، فلم يكن منه الا أن عمل داخل نطاق عمله ومهمته بالمجلس على ابطاله فيما يعرض عليه من جوانب فقهية.

ففي هذه الفترة فترة رئاسته للاستيناف حصلت قصة ملخصها ان امرأة من زمور تزوجت بعقد في مدينة سلا بعد فرارها من زوجها الذي كان قد تزوجها قبل في موطنها زمور زواج عرف أي بالاتفاق وحضور الشهود ولما سمع زوجها الأول التحق بمدينة سلا ورفع دعواه إلى القاضي بها، وكان محمد بن إدريس العلوي فحكم بصحة النكاح الثاني القائم على عقد شرعي، لأن العرفي عنده غير قائم على أركان؟ إلا أن الزوج البربري استأنف فرفعت القضية إلى المجلس الأعلى للاستيناف الشرعي الذي كان على رأسه

= بتاريخ 17 رجب 1333هـ=31 ماي 1915 والمجلس الأعلى للاستيناف بتاريخ 9 شعبان 1346هـ1فبراير 1928 ثم وزارة العدل من 1939إلى 1944. وبعد الاستقلال وزيرا مستشارا بمجلس التاج من 1956 إلى 1960م ولكل مرحلة من هذه المراحل تاريخ حافل بالنضال ولو كان ثمة وصف فوق العظمة لاطلق عليه، لكن رحم الله البشير الابراهيمي حيث قال ان الكاتب لتراجم الرجال، معرض للمبالغة.. إلا الكاتب في تراجم المحسنين للعلم والباذلين للصالح العام" عيون البصائر 656 ط 1963.

الإمام الذي باشر القضية بنفسه حين علم أن المستشار الذي هو المسيوقالا مصر على عدم عرض تلك القضية أو إدراجها في ملفات القضاء الشرعي، وحصل بينه وبين الشيخ الإمام نزاع أدى إلى رفع القضية إلى جلالة السلطان الذي شد ازر الشيخ، ولمامرت القضية بجميع المراحل كان الحكم فيها لصالح الزوج الأول لأن العرف المعتمد عليه شرعي، ورحم الله القاضي أبوبكر بناني الرباطي الذي احتفظ لنا بوثائق النازلة، وحيثيات الحكم، لكن ظروف شيخوخته وذهاب بصره حالت دون تمكنه من البحث عنها واكتفينا بما وعته ذاكرته منها كما رويناه.

لقد رأينا حول مميزات شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ما قال الاستاذ علال الفاسي حين كلامه عن الحركة السلفية وأن كل ما سبق أن عرف لهامن دعاة من عهد المولى سليمان وعهد ما قبل محمد كنون وعبد الله بن ادريس السنوني إلى عهد المولى عبد الحفيظ الذي قال في حقه:

"وكان لمولاي عبد الحفيظ فضل كبير في إظهار هذه المبادئ وتأييدها خصوصا بعد ان أخذ بعض أدعياء المشيخة يمدون أيديهم للأجنبي ويقصد محمد بن عبد الكبير الكتاني، وقد أصدر جلالته رسالة في الرد على التيجانيين كما أمر باقفال زاوية الكتانيين بعد أن اكتشف مؤامرة رئيسها على الدولة وعلى البلاد ثم يستطرد قائلا "غير أن هذا نفسه لم يكن إلا مقدمة أولى للحركة السلفية التي دعا إليها وبثها وخرج رجالها أستاذنا العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي حفظه الله فقد كان لهذا الرجل من الجرأة والإقدام والثبات ما جعله يلاقي في دعوته نجاحا كبيرا وإقبالا عظيما(72) "وقد دخل الريف في حرب فرنسا ونحن من حول استاذنا نعمل لهذه العقيدة ونجاهد في نشرها، وما ظهرت خيانة بعض مشايخ الطرق في هذه الحرب حتي زاد ذلك فينا حماسة وقوة، وكانت تجتمع بفاس ثلة من الشباب حول ابن العربي وفي الرباط مثلها حول الشيخ أبي شعيب وتظهر آثار الثلتين في المحاضرات التي يلقونها، والزيارات التي يتبادلونها،والمقالات التي ينشرونها في صحف الجزائر وتونس لأن المغرب الأقصى لم

(72) الحركات الاستقلالية ص 153-54 ط القاهرة 1948وعبد الكريم الفيلالي المغرب ملكا وشعبا 113-121 ط القاهرة 1957.

يكن حظي إذ ذاك بجريدة ليس للحماية عليها سلطان، ولم تمض برهة على هذه الحركة حتى أخذت الحماية تتخوف منها، وتحس بأنها موجهة لمقاومة نفوذ أحبائها الطرقيين(73) فبدأت تستدعينا للاستنطاق وتهددنا بالاعتقال، وفعلا القت في النهاية القبض على صديقنا الأستاذ محمد غازي الذي كان من أكبر دعاة السلفية ورجالها.

ثم يستمر فيقول: وليس من الممكن لمؤرخ الحركة الاستقلالية بالمغرب أن يتجاهل هذه المرحلة العظيمة، ذات الاثر الفعال في تطوير العقلية الشعبية ببلادنا ومن الحق ان نؤكد بأن امتزاج الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية كان ذا فائدة مزدوجة في المغرب الأقصى على السلفية وعلى الوطنية معا، ومن الحق أن نؤكد أن الأسلوب الذي اتبع في المغرب أدى إلى نجاح السلفية لدرجة لم تحصل عليها حتى في بلاد محمد عبده، وجمال الدين.

وهذا صحيح لأننا عشنا ورأينا مواسم السيدة زينب والحسين بل موسم الرفاعية بالقاهرة والبدوي بطنطا، وما يحصل فيها من بدع ليست من الدين في شيء ولم يستطع كبار علماء مصر الذين كان لا نتاجهم أثر في العالم الإسلامي أن يقاوموها.

كان في الامكان ان أعود بترجمة شيخ الإسلام إلى المنبع الذي ارتوى منه وتأثر به في جوانب أخرى من حياته غير جانب العقيدة وهو ما تأثر فيه بابن تيمية في كتاب الايمان وأبو حامد العزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد الذين كان أول من زوده بهما هو المرحوم الشيخ أبو شعيب الدكالي وقت عودته من المشرق، لكنني اكتفيت بما سبق في الموضوع.

أما ونحن هنا بصدد البحث سياسيا حول الظهير البربري فقط وقد كانت مدرسة سلاهي صاحبة الفضل بمجهود أبنائها الذين سارعوا قبل غيرهم للمعارضة وهنا أتساءل إذا كان الشيخ قد كون جيلا بفاس أين كان يسكن شيخ الإسلام حين ظهر هذا الظهير المشؤوم"؟" كان يسكن في مدينة سلا وبدار ابن عبد الرحمن في عقبة الجامع الكبير بالذات قبل رياض الطالبي وحين انتقل إلى حومة مرسة بالرباط لم يتخل عما عرف به من نشاطه المتمثل في الدروس التي كان يحضرها الفقهاء وغير الفقهاء في

(73) راجع المصدر السابق الحركات ص 154.

الجامع الكبير بل استمر وزاد بالدروس التي كان يلقيها يومي الأربعاء والخميس بالجامع الكبير والتي كان لها أبلغ الأثر وأشده بواسطة الدروس السلطانية التي عرفت صراعا حادا بينه وبين الموالين لادارة الحماية بحيث كان محمد بن الحسن الحجوي صاحب الفكر السامي ومن على شاكلته يسايرون الفرنسيين ويتملقونهم وشيخ الإسلام والمتعاطفين معه يعارضون ويقاومون بشدة كل أنواع الشعوذة والضلال وليس من وراء ستار. كان الصراع الذي تدفع له إدارة الحماية وكان الشاب محمد الخامس يتألم لواقع شعبه بما أذكاه فيه الشيخ الإمام بواسطة تلك الدروس من سلامة التوجه خصوصا مادام الأمر يتعلق بسلامة الاعتقاد والبعد بالدين عن الخرافة والبدع، ولم يكن ثمت من يؤكد ذلك للسلطان ويناصره غير محمد لمعمري الذي كان له بالسلطان اتصال لا تراه ولا تراقبه الإقامة العامة بل ولا تنظر له بمنظار الشك لأن الرجل كان وفيا وكان بحق أقرب شخص إلى نفس محمد الخامس منذ اللحظة الأولى لتربعه على العرش وكان أعز صديق للمعمري هو شيخ الإسلام الذي استطاع لمعمري أن يقنع السلطان الشاب أنه خير وأصدق من يعتمد على رأيه ونصيحته، يقول محمد لمعمري وقد حصل ولذلك جئ به من فاس إلى الرباط 1928 بحيث أصبح شيخ الإسلام أول من يرجع إليه محمد الخامس ويستنير بنصحه في أكثر المواقف شدة، وقد سجل التاريخ آن شيخ الإسلام كان الرائد الصادق الملهم الذي أصلح الله به المغرب الأقصى ملكا وشعبا مدة حياته، ولقد استطاع بصدقه وأمانته وقناعته أن يبعد سياسة العاهل محمد الخامس عن كل ما يحدث الفجوة بينه وبين شعبه، وأن يؤكد للتاريخ أنه في استطاعة من ابتلى بالسلطان إذا أراد الله به خيرا حسب مقاصده لا يغادر هذه الحياة إلا وهو راض على أعماله وسلوكه وقد سجل التاريخ في حقه من المكارم ما تتعشق النفوس سماعه، وحتى الظهير البربري المزري بفرنسا وعميلها محمد المقري والذي صدر في عهد محمد الخامس احتفظ التاريخ بذكر حقيقة المسؤول عنه، وأن سياسة العرش التي كانت دوما لصالح هذه الأمة قاومته ولم تقبله وإنما هو بفظائعه وفضائحه في صحيفة الوصي المصنوع وقتها محمد المقري وإدارة الحماية الفرنسية.

لقد عرفنا مقاصد وأهداف الظهير البربري ومتى صدر. لكن الذي أثار النقمة على الفرنسيين هو القانون التنظيمي الذي صدر بتاريخ 16 ماي 1930. وإذا ماهو هذا الظهير وما نصه، وما هي أهدافه المفضوحة التي دفعت إلى المقاومة التي كانت هي ثمرة جهاد الإمام شيخ الإسلام كما أشرنا وكما قرر ذلك علال الفاسي في كتابه "الحركات" وغيره.

كانت أهداف الظهير تعني الفرنسة كما أشرنا وهذا نصه(74).

الفصل الأول:

إن جميع المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية بإيالتنا الشريفة، والتي ينظر فيها القواد في باقي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هناك من طرف روساء القبائل، وأما بقية المخالفات فينظهر فيها ويقع زجرها طبق ما هو مقرر في الفصلين 5-6 من ظهيرنا الشريف.

الفصل الثاني:

إنه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنساوية بإيالتنا الشريفة فإن الدعاوي المدنية والتجارية، والدعاوي المختصة بالعقارات أو المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف بالمحاكم العرفية إبتدائيا أو نهائيا بحسب الحدود التي يجري تعيينها بقرار وزيري، كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور "الإرث، وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية.

الفصل الثالث: إن إستيئناف الأحكام الصادرة من طرف المحاكم العرفية يرفع أمام محاكم تعرف بالمحاكم العرفية الاستينافية، وذلك في جميع الأحوال التي يكون فيها الاستيناف مقبولا.

الفصل الرابع: إن المحاكم الاستيئنافية. المشار إليها تنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بقصد زجر المخالفات المشار إليها في الفقرة الثانية من الفصل

---

(74) ورد نص الظهير في مصدرين الأول "ملوك المسلمون المعاصرون" لأمين محمد سعيد جـ 2 ص 387 مصر1933م والثاني وهو في كتاب الحاج الحسن بو عياد الفيلالي "الحركة الوطنية والظهير البربري ص 11-12 ولقد اخترنا هذا النص رغم ركاكة ترجمته لأن الحاج الحسن بو عياد ممن عرفوا بنضالهم وقت ظهور هذا الظهير لكن العنصرية المقيتة فعلت فعلها في عدم الاهتمام به إلى أن فرض نفسه بكتابه المذكور.

الأول أعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة.

الفصل الخامس: يجعل "؟" لدى كل محكمة عرفية إبتدائية واستينافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرجع إليها أمره، ويجعل أيضا لدى كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق.

الفصل السادس: إن المحاكم الفرنساوية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع إرتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية، ويجري العمل في هذه الأحوال بالظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت 1913 المتعلق بالمرافعات الجنائية.

الفصل السابع: إن الدعوة المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنساوية تكون من إختصاص المحاكم الفرنساوية المذكورة.

الفصل الثامن: إن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعين بقرارات وزيرية متوالية تصدر بحسب الأحوال ومهما تقتضيه المصلحة(75).

وحرر بالرباط في 17 ذي الحجة 1348هـ موافق16/ماي 1930 كان الذي ألح على استصدار هذا الظهير هو المقيم لوسيان سان وذلك حتى يثبت أنه أقوى ممن سبقه ستيج وكان الذي وقع هذا الظهير حيث وجب أن نؤكد ونؤكد هو محمد بن عبد السلام المقري الذي أعمى الله بصيرته، والذي لم تكن له علاقة قط مع المغاربة باستثناء الذين استدرجهم باغراء للزواج من بناته اللائي كان كل همه أن يزوجهن فقد كان خبيث الطوية ويحسب نفسه غريبا عن المغرب والمغاربة لأنه أصلا من اسرة تلمسانية عرفت بخيانتها للشعب الجزائري أيام نضاله وجهاده بقيادة الأمير عبد القادر رحمه الله ولذلك التجأت إلى المغرب ومثله آل كاباص وكاهنهم الذي أصبح بعد يعرف بـ"محمد الجباص" الذي

---

(75) على أن العرائض وما تعلق بها من مطالب التي صدرت من سلا تاريخها 3 ربيع الثاني 1349هـ=1930/8/28.

أسندت إليه الصدارة إثر فرض الحماية كما عرفنا جزاء ما قدم للاستعمار الفرنسي ثم حل مكانه 1918 محمد المقري الذي عمر طويلا طيلة عهد الحماية وما قبلها كما رأينا إلى عام 1955 وإذا ما اتفقت سياسة لوسيان سان والمقري على الضلال، فإن الجنرال كاترو قد فضحها حيث قال:

"يبدو أن لوسيان سان تجاوز النصح الذي قدمه له المستشار السياسي الذي كان قد درب في مدرسة اليوطي، وقبل بدلا من ذلك رأى مستشار قانوني كان قد أصبح مقتنعا بوجوب المنافحة عن سياسة معينة تؤيدها ما تسمى"الجهة البربرية" وقد كان هدف السياسة وضع القبائل البربرية مقابل السلطان والمخزن، وذلك في سبيل عزلها عن الحياة السياسية، وكذا السبيل إلى تنفيذ ذلك تشجيع النزعة البربرية لتظل في دورانها في دائرة مقفلة(76).

ولا يفوتنا ان نشير هنا إلى أنه حين صدر هذا الظهير كان عدد المتكلمين باللهجة البربرية الأمازيغية والشلحة والريفية حسب الاحصاءات الرسمية لا يزيد على 35٪ منهم 13٪ قيل من أصل بربري والباقي يتقنون العربية أما 65٪ فهم عرب، ونعود فنكرر قول الرسول الكريم "ليست العربية لاحدكم باب ولا أم إنما العربي من يتكلم العربية" وهكذا نرى أن هذا الظهير المشؤوم على فرنسا وسع دائرة النفوذ الفرنسي بعدما جرد المحاكم الشرعية والمخزنية فقد زاد من اختصاصات المحاكم العرفية "أزرف" ابتدائية ونهائية، بل أضاف إليها حتى بعض ما كان من اختصاص المحاكم الفرنسية، وبالتالي فوض للحاكم الفرنسي المشرف على محكمة العرف أزرف كي يحكم في كل المخالفات بما فيها ما يتعلق بالأرض والدعاوى المدنية والتجارية وكذا القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية والمواريث والحوادث الجنائية كما نص على وضع محاكم الإستئناف الخاصة بالعرف "أزرف" تحت سلطة المندوب المخزني الذي هو الفرنسي طبعا، والذي تحول إلى صاحب سلطة مطلقة ولم يجف مداد معاهدة الحماية والشروط المنصوص عليها في تلك الحماية

(76) روم لاندو تاريخ المغرب في القرن العشرين ص 176 ط 1963.

وبالتالي فقد بين بوضوح القواعد والأسس(77) التي يجب أن تسير بها محاكم العرف "أزرف" واختصاصاتها ومسطرتها خصوصا المادة الأولى الفقرة الأولى منها، ثم المواد الثانية والثالثة والخامسة، والسابعة والثامنة وهكذا إذا نحن تتبعنا ظهير 16 ماي 1930 بالتحليل فصلا فصلا نجده قد إنتهى بالمغاربة إلى تفرقة لم تعرفها أمة ما من الأمم التي بليت بالاستعمار شرقا وغربا من الهندوسيين والمنبوذين والسيخ والمسلمين في الهند إلى المسلمين والمسيحيين في كل من لبنان ومصر، بل في جميع أقطار العالم لم يعرف وقتها في شعب ما أن محاكمه قسمت إلى قسمين عرفي وشرعي، بل وكما سبق أوجدوا للعرفية مجالا أوسع على حساب الشرعية، فهي تعنى بالأحوال الشخصية والمواريث ومشاكل التجارة والعقار، ولها محاكم استئناف مجالها ما سبق وتزيد على الابتدائية في كل

---

(77) ولعل الذي دفع بالمقيم لوسيان سان ذلك الاندفاع واعمى بصيرته حتى وثق الظهير ذلك التوثيق هو نهاية اليوطي المحزنة ثم موقف المولى يوسف المتصلب أمام ستيج، فأراد لوسيان أن يزيل من طريقه وطريق الذين سيأتون بعده كل معارضة من السلطان وذلك هو ما أعمى بصيرته عن تدبر ما سينتج عن ذلك التهور الحاقد من أسوأ العواقب.

لقد كان في استطاعة ليوطي أن يفعل أكثر من ذلك توثيقا ثم يطبقه بالصفة التي يريد، لكنه كان يعلم أنه مهما فعل لن يكون لفعله ما يرجى من الظهير بل سينقلب عليه ليدمر كل شيء ما لم يكن السلطان المؤتمن والمؤكد على صلاحياته بجانبه، بل نسي لوسيان سان أن السلطان نفسه كان مدعما بقوة الشعب وحسب تكوينه خصوصا مستشاره المقبول في هذا الجانب الذي هو شيخ الإسلام والذي لم ولن يقبل المسايرة، لأنه يعلم مدى حساسية الشعب المغربي الدينية وما يجره الاعتداء على أقدس المقدسات عنده، ووقتها كانت الضائقة التي يمكنها أن تحرك شعوره وتثيره كانت قد تكونت في مدرسة الفكر السلفي الذي كان رائده شيخ الإسلام ورغم الضجة التي قامت على هذا الظهير سواء في المغرب أو خارجه فإن إرادة الحماية استمرت في مخططها معتمدة على القوة والعنف بحيث استصدرت ظهائر أخرى مكملة لذلك الظهير وموثقة له ولما سبقه بـ حيث وثق الظهير بقرارات وزارية والتي عينت القبائل التي شملتها محاكم العرف ازرف التي صدرت بتاريخ 1934/4/8=23 حجة 1352هـ وهو المتعلق بالفرع الجنائي العرفي كما صدرت قرارات تعيين القبائل المعنية بالعرف البربري بتاريخ 1934/9/11- 5جمادى 2 عام 1953 وبتاريخ 1936/9/22=5رجب 1355 هـ بتاريخ 1937/3/10=26 حجة 1355.

كما صدر من تلك القرارات الوزارية ما يتعلق بضم العدلية البربرية للإدارة العامة وذلك ما يعنيه الظهير الذي صدر بتاريخ 26/مارس 1935=20 حجة 1353 ثم ما يعني تعريفه الأجور والرسوم وصوائر العدلية وهما القراران المؤرخان بتاريخ 1934/10/30=20 رجب 1953هـ و1935/9/11=11 جمادى الثانية 1352هـ وما يتعلق بكتابة الضبط الخاصة بالفرع الجنائي من محكمة العرف ازرف والذي صدر بتاريخ 22 يونيه 1934=9 ربيع الأول 1353هـ ثم القرار المتعلق بتكرار الجريمة وهي المادة التاسعة من ظهير 28 غشت 1933=6 جمادى الأولى 1352، والقرارات الوزارية بتاريخ 1934/4/3 = 24ذو الحجة 1352، و1934=2/14 جمادى الأولى 1353و1934=30/10/10 جمادى الثانية 1353 هـ، ومن تلك القوانين الموثقة للظهير البربري ما يتعلق بالتعويضات لأعضاء المحاكم العرفية، وهو ما لم يكن للمحاكم الأخرى شرعية ومخزنية واسرئلية بحيث صدر قراران بذلك بتاريخ 23 يونيه 1934=10 ربيع الأول 1353هـ و1934/12/17= 9 رمضان 1353هـ إلخ إلخ.

المسائل الجنائية وما يتصل بأعضاء المحاكم أنفسهم، بل إن الظهير في جانب آخر وهذا أخطر ما ورد فيه رد المغاربة جميعا فيما يتعلق بالأمور الجنائية إلى المحاكم الفرنسية فهي وحدها صاحبة الاختصاص سواء كان فيها جانب أروبي أو لم يكن أي أن القانون الجنائي الفرنسي حل محل الشريعة الإسلامية بل المحاكم الفرنسية لها وحدها كلمة الفصل فيما يتعلق بالنزاع حول العقارات التي يكون أحد أطرافها تابعا للقضاء الفرنسي حتى ولو لم يكن العقار قد تم تسجيله، وكان هذا وسيلة مفضوحة لسلب الأراضي التي من أجلها استقدم الالزاس واللوريين والكورس، كما كانت واضحة في القضاء على الوجود المغربي في هذه النوازل التي مجالها المغرب والمغاربة وبالتالي الفرنسة التدريجية مادام قد نصب على رأس محكمة العرف فرنسي باسم مندوب مخزني ولغة ملفات تلك المحاكم هي البربرية بحروف فرنسية، ثم ترجمة العرف المحكوم به إلى الفرنسية تدريجيا لتكون نهاية المطاف هي الفرنسة.

☆ بقية الصفحة الثانية ☆

حواسكم شهوة تنسرب منها أموالكم وتفسد بها أخلاقكم وتتسم بها صحتكم ، فجعل لعيونكم شغلها الجميل الداعر والرقص الفاجر ولآذانكم الغناء البذي والإذاعة البغي ولأنوفكم المشية للسمة ولأفواهكم الخمر المميتة ولغرائزكم الجنسية مؤسسات البغاء والخمار والمخادع وكل هذه البليات لتوهن لأموالكم وجيراتيم لصحتكم وآفات لأخلاقكم فباستيلائه على أموالكم يقبض على حياتكم ويجعلكم بالضرورة بين يديه مثل جوكم وقياده لأخلاقكم يقبض على حياتكم :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أيها المسلمون : حاضر العالم يدور حوله وما هو يعود إلى الوجود رأس السنة الهجرية وشهر الاشتراكية الحقيقية وموسم التضامن العملي وميقات تطهير النفس من رذيلة الشح (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) فحاسبوا أنفسكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وسابقوا إلى العمل الصالح وانتهاز الفرصة السعيدة وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس هو الجهاد الأكبر فاذا انتصرتم على أنفسكم انتصرتم على أعدائكم . جاهدوا بأموالكم قبل أن تجاهدوا بأنفسكم فالله قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس إذ قال (جاهدوا بأموالكم وأنفسكم) لأن بناء أداة الجهاد

فضيلة الشيخ محمد بن العربي العلوي

علم من اعلام المغرب العربي ومفخرة من مفاخره . وذخيرة من ذخائره ، عرفه بالمغرب الأقصى كما عرفه كثيرون من الاخوان الذين زاروه ، فالفيته مثالا نادراً للصراحة والنزاهة وشجاعة الرأي حاملا راية الاصلاح الديني والاجتماعي بذلك الديار وهو شيخ السلفيين بها ، تخرجت عنه نخبة ممتازة من علماء القرويين . لهم قدم صدق في الوطنية والتفاني في المبادئ السامية والدعوة إلى الوحدة الاسلامية

لاغرابة في ذلك فالشيخ محمد بن العربي كثير الاطلاع على شؤون العالم الاسلامي مهتم بها اهتماما لامزيد عليه ، يرى أن من لا يهتم بشؤون المسلمين فليس منهم متتبع لما

جريدة الجهاد عدد 240

☆ بقية الصفحة الاولى ☆

لعلم كل الخير لكم في تقديركم للعواقب الوخيمة والنظرون العالية المغطية

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

عبد البشير الابراهيمي

الفضيل الورتلاني

(٢) — جلالة الملك مولاي محمد بن يوسف الرباط

حياكم الله ونصركم وثبت أقدامكم على الحق

المسلمون كلهم معكم بأرواحهم وعقولهم في موقفكم الشريف أمام الاستعمار الباغي وأساليبه المفضوحة ، فاثبتوا ينصركم الله .

ان أمانة الله في أعناقكم لا ينزعها منكم الإظلام ولا يؤدي الأمانة الا أمثالكم من المؤمنين الثابتين وأنتم تعلمون أن التفريط فيها خيانة لله وللوطن وللتاريخ . أمانكم الله وأيدكم بروح منه .

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

عبد البشير الابراهيمي

الفضيل الورتلاني

(٣) — الى جلالة الملك ادريس السنوسي بنغازي

الشعوب العربية والاسلامية كلها ساخطة على المعاهدة التي يراد عقدها بين الانجليز وبين الحكومة الليبية ، وحدوتها إثم على الوطن من كل استعمار مضى .

واخوانكم في المغرب العربي يحتجون بشدة على هذا الارتباط المشؤوم لأنه قاطع لاتصال الوطن العربي وقاض على ما يعلقونه من آمال على استقلال ليبيا .

فباسم الجزائريين كلهم نطالبكم باستخدام نفوذكم لابطال هذه المعاهدة المغتربة أمانكم الله .

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

عبد البشير الابراهيمي

الفضيل الورتلاني

الشيخ الامام ولي العهد إثر موت محمد الخامس رحمه الله بمسجد أهل فاس

نسخة أمر ملكي يعني والد شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي. وفيه يسند له وظيف إمام جامع النواعريين بفاس القرويين وقت انتقاله من مدغرة تافيلالت إلى مدينة فاس قصد رعاية ولده زمن الدراسة بالقرويين

هـــذا هو الاسلام يـــا ادعيـــاء الاسلام!

شيخ الاسلام العلامة محمد بن العربي العلوي يقول:

- الحاكم في الشريعة الاسلامية مجرد منفذ وليس له حق التشريع
- الحاكم في الاسلام يجب ان تتوفر فيه شروط الصلاحية، وليس من الممكن الحكم بتوفر هذه الشروط قبل التعرف عليه
- اعطاء الحاكم لنفسه حق التشريع يعتبر اساسا مخالفا لروح الاسلام وهو منكر يجب علينا تغييره باليد او اللسان او القلب وذلك اضعف الايمان

ان هذا الدستور ينص في ديباجته على ان المغرب دولة اسلامية ، وهذا لا يزيد على ان يكون تقرير الواقع .

واذا كنا نحمد لواضعي الدستور عدم اغفالهم لتقرير هذا الوضع ، فاننا ندعوهم باسم الاسلام نفسه ، ما دام النزاع قد حصل بيننا في شأن هذا الدستور ، الى الاحتكام الى الله ورسوله . عملا بقوله تعالى . « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم . فان

منفذ بالشرع للاحكام

اي انه مجرد اداة لتنفيذ لاحكام الشرع الواردة في الكتاب والسنة والاجماع .

وكل حاكم ـ ملكا كان او غير ذلك ـ اعطى لنفسه حق التشريع ، فقد خالف مقالة صريحة اصول الديانة الاسلامية ، ولن يشفع له ان ينص في ديباجة تشريعه على الاعتراف بكون البلاد التي يحكمها دولة اسلامية .

بالتذكير بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يوص بالخلافة لاحد من بعده ، وانما اجمعت كلمة المسلمين على اختيار ابي بكر الصديق .

وابو بكر عند ما حضرته الوفاة استخلف عمر بن الخطاب ، بعد ان استشار المسلمين في ذلك واشروه عليه، ولم يرشحه لاي اعتبار آخر كيفما كان ، ما عدا انه كان يرى فيه انه هو الاصلح للقيام بشؤون المسلمين .

قاطعوا الدستور الممنوح الذي يتنافى مع أبسط مبادئ الديمقراطية(1)

رأي شيخ الاسلام في جانب من السياسة وقد استغل أرذل استغلال من أشباه السياسيين

ومن العميل الاستعماري الممتاز احمد رضا كديرة الذي كتب في حقه "الضال عن الصراط المستقيم".

فلم يجبه أحد من الذين استغلوا اسم شيخ الإسلام

---

(1) كتب أسفل هذا المنشور وباسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية حيث استغل الإسلام أقبح استغلال من بعض أشباه الشيوعيين الذي وصلوا باسمه إلى الحكم في 1998/3/14 فكانوا في بعض الجوانب أسوأ من "شيفور المرنيسي محمد كريم العمراني الذي أصبح أكبر ثري في المغرب بعد إدارته للفوسفاط، وبعضهم أقرب الى مستوى أكبر مالك للعقار في المغرب الدخيل أحمد أصمان الذي جيء به من ملجأ خيري بتازة وهو الكرغلي أصلا، وغيرهما من الذين دمروا اقتصاد المغرب واجهضوا الاستقلال كل في الفترة التي حكم فيها والتي كانت أسوأ من أيام جوان وكيوم كما سيؤكد التاريخ من خلال وثائق المحافظة العقارية وغيره. راجع فقط أراض الاستعمار وما وزع منه حتى أرض اشتوكة على أهل دبدو باسم التازي ومن العمارات أيام عصمان ابتداء من 1972/11/19-1974/4/25 وعن رؤوس المال في المغرب راجع جريدة المواطن السياسي عدد 146 بتاريخ 8 يونيه 1994 ثم عدد 310 ص 12 بتارخ 2001/12/28 وحول اقتراح المؤلف لقانون "من أين لك هذا" وثائق مجلس النواب محضر لجنة العدل والتشريع ليوم الخميس 1964/11/12 وقت شراء أحمد رضا كديرة لملهى ميدان الأوبرة بباريز بخمسة ملايير. وهو ولد التهامي كديرة وفاطمة بوعلو، بل ومرحاض سفهاء الرباط، وزنقة الزكي المظلمة الخ. هذا في الوقت الذي ختم شيخ الإسلام حياته باستثمار حليب أربع بقرات وقليل من الأغنام والزراعة المشتركة من أجل الإنفاق على أسرته.

مجددو الإسلام في العصر الحديث

عن مجلة منبر الإسلام عدد ١٥ السنة ٢٥ بتاريخ شوال عام ١٣٨٧ هـ يناير ١٩٦٨ م

محمد بن العربي العلوي

شهد « عالم الاسلام » فى اوائل القرن الرابع عشر الهجرى (يقظة) فكرية اسلامية عربية ، تناثر فيها المصلحون والمجددون والمجتهدون فى مختلف وحدات الامة العربية والعالم الاسلامى ، فحيثما النعست فى قطر من الاقطار ضوءا ، وجدت منارا عاليا ، ففى الهند ، والجزيرة العربية والمشرق العربى برز اعلام : من امثال الائمة : محمد بن عبد الوهاب والشوكانى وشبلى النعمانى والالوسى وكاشف الغطاء وجمال الدين الافغانى ، والبيطار والقاسمى . فاذا يممت شطر المغرب العربى وجدت السنوسى الكبير . أما فى المغرب الاقصى فكان العلامة « محمد بن العربى العلوى » هو حامل لواء الاصلاح منذ ١٣١٦ هـ الى ان توفى ١٣٨٤ هـ خلال فترة لا تقل عن سبعين عاما . يمثل القيادة الفكرية الاسلامية فى المغرب كله وقد نشأ الاجيال من المجاهدين والكتاب والمفكرين فى مختلف مجالات السياسة والاجتماع والدين والاخلاق .

الاستاذ أنور الجندى

واقد ظلّ حياته كلها التى اربت على خمسة وثمانين عاما ، مناضلا جريئا قوى القلب جهير الكلمة ، لا تتوقف معاركه ولا خصوماته ، شانه فى ذلك شأن استاذه ورائد حركة الاصلاح الاسلامى « ابن تيمية » فقد هز العلوى الحياة الفكرية الاسلامية وكشف عنها ذلك الغشاء الذى خلفته فترة التخلف والضعف والجمود والتقليد ، وابان عن جوهر الاسلام وفكره الخالق ، فى بساطته وسلامته وصفائه ، وقدرته على مواجهة العصور والبيئات ، ومدافعة الحضارات والمدنيات ، يوجهها ويعدل تهجها دون ان يصادمها او يقف فى وجهها »

* * *

ولقد كان شان هذا الجيل من المصلحين الاعلام ، جد خطير ، فقد كانت مرحلة الجمود والجبرية التى فرضتها مرحلة التخلف عن مفهوم « التكامل » و «الوسطية» فى الاسلام بالانحراف الى جانب الروح دون العقل ، والعاطفة دون الفكر ، كان اثر هذه المرحلة عميقا فى النفوس والبيئات والمجتمعات ، وكانت الوراثيات التقليدية قد فرضت على « جوهر الاسلام » غشاءا كثيفا ، وتركت قشرة جامدة ، وكان لا بد لكى يكشف الاسلام عن قيمه الاساسية من أن يزيل هذا الغشاء الكثيف ، وأن يطلع الانسانية من جديد على اصالته ، ولكى يكون ذلك سلاحا يواجه به ذلك الغزو السياسى والعسكرى والفكرى الغربى الذى فرض نفسه على عالم الاسلام منذ احتلت الجزائر ١٨٣٠ ، ثم اتصلت

1316 هـ = 1898 م ، 1384 هـ = 1964 م

الفصل الثاني والخمسون بعد المائتين

من حصاد مدرسة شيخ الإسلام

مدينة سلا وأثرها في تحطيم الظهير البربري

قبل أن ينشر ظهير 16 ماي 1930 بل منذ 1912 وبعدما نصب ليوطي مقيما على المغرب وإدارة الحماية تقوم بارتكاب الجناية باسم الحماية لكن بطريقة ميزت ليوطي على كل الذين جاءوا بعده بعقلية لم يعرف بها العسكريون قط سواء في فرنسا أو غيرها، فقد كان للرجل وجهان الأول عسكري ماهر، والثاني سياسي أكثر مهارة، فقد استطاع في بعض الجوانب أن يتقمص الشخصية الأنجليزية في أعلى مراحل نضجها وتكوينها وبرودتها حتى أنه لو كان بجانب نابيلون في الشرق بعد ما إنتهى إلى ما وصله اليوطي من نصح ديماغوجي مكافلي لما كانت نهاية نابليون في أبي قير وما عرف من مصير على يد الانجليز، ذلك لأن ليوطي طيلة ثلاثة عشر عاما وهو لا يمضي عليه يوم دون أن يضرب ضربة قاسية وشديدة تعمق إسفين تمزيق الذاتية المغربية والقضاء عليها بل ويضع لبنة في بناء التمكين للفرنسة وسيطرتها، في الوقت الذي لا يخطب ولا يتكلم إلا بما يخدر عقول المغاربة ويشعرهم أن نظام دولتهم وكما تؤكده المواثيق الدولية هو كل شيء وأن الدين محترم ومقدس، وأن العادات والتقاليد لا تقبل التبديل أو التغيير، وبالتالي لا عمل من غير أن يوافق عليه السلطان. هذا وأعمال الغدر والهدم تنفذ في الظلام ومعولها المقري بعد الجباص دون أن يعلم السلطان، لكن التاريخ كان يسجل ويخطط للطريق المودي إلى المعارك الفاصلة.

لقد سجل لنا التاريخ السياسي في المغرب العربي الكبير أن ما بنته جحافل الاستعمار الفرنسي من قلاع لهدم الاسلام وتمزيق الشعب المسلم العربي في مائة عام هدمته جماعة من المؤمنين الذين أنتجتهم المدرسة السلفية بزعامة شيخ الإسلام محمد بن

العربي العلوي في أقل من عقدين من الزمان كان هو ما بعد 16 ماي 1930م وتكوين الرجال كان هو هم شيخ الإسلام والذين آمنوا معه، وهكذا لو بقيت إدارة الحماية على نهج اليوطي لما استيقظ المغاربة إلا بعد أن تكون السفينة قد غاص أكثر من نصفها لافي الحفرة التي كان يعمقها بدهاء ومكر وإنما في بؤرة من الأوحال وبعدها تمر أجيال وأجيال قبل انتشالها وهي مهشمة الجوانب فاقدة للمعالم، لكن ظهير 16 ماي 1930 ليس كمنبه فقط، بل قوة هائلة دافعة للأهداف التي حددتها جماعة مدرسة شيخ الإسلام بقصد وسابق تخطيط، وما كان للمحيط العالمي من تأثير والإعلام العربي من توجيه بمثابة قوة دافعة لم يدرك الفرنسيون أن اعتداءهم هو الوقود الذي زاد في الحرارة ثم مكن لتلك الأهداف التي حددتها وخططت لها جماعة السابقين الأولين، والتي لم تعمل فيها إرادة المعلم والموجه كما فعلت سياسة الفرنسيين الهوجاء، جمعت الشتات وشحذت العزيمة ووحدت الشعور وهيأت النفوس لاشد المعارك ضراوة ثم دفعت بالشعب إلى مقاومة الشر والعدوان دون تفكير في العواقب. أو تقدير للمخاطر، ناهيك وأنه بالنسبة لإدارة الحماية يعني رد الفعل إذا ما اتفق عليه البدو والحضر، هو هذا البناء الذي قضي دهاقنة الاستعمار في سبيل قيامه نحو الستة عشر عاما بكل ما كان للفرنسيين من غطرسة وغباء وإمكانات مادية ومعنوية في المغرب بما خلفها من القوة العسكرية والمدنية إدارية وكنسية ورجال الأعمال وبنك باريز والأراضي المنخفضة بل هذه حين بدأت تسمع عن تحركات الشعب أعلنتها حربا صليبية ضد الإسلام وذلك على لسان الجنرال مونسنيون لوميتر الذي تحول إلى رئيس أساقفة مدينة قرطاج الاسبانية والذي دعى إلى تنظيم مؤتمر مسيحي حضره الآلاف من مختلف الاتجاهات ألقيت فيه الخطب المثيرة والدافعة لمحاربة الإسلام والمسلمين في أقطار المغرب العربي الكبير عموما والمغرب الأقصى بالأخص، حيث أخذت أخبار التحركات الوطنية تنشر هنا وهناك بعدما غطت المناطق التي كان للفرنسيين فيها وجود عسكري أو مدني، وأما التي لم يتم غزوها بعد أو التي تم باسم التهدئة، فقد إمتشق(78) رجالها السلاح وأعلنوها ثورة ضد الحكام الفرنسيين الذين كانوا يحسبون أن جسم المغرب قد إعتل، وان سلطانه أصبح تحت الوصاية المقرية التي هي أشد نكاية ضمن خيانة عملاء الحماية الفرنسية.

(78) امتشق الشيء من يد غيره اختلسه واختطفه وما في يده أخذ والسيف إستله.

كان الذي فضح جريمة ظهير 16 ماي قبل أن يعرفه المغاربة وبذلك كانت الفورة الأولى على الصعيد الوطني ضد ظهير 16 ماي 1930 من مدينة سلا، ومن الجامع الأعظم فيها إثر صلاة الجمعة هو المرحوم عبد اللطيف الصبيحي الذي كان يعمل ترجمانا بالإقامة العامة، والذي حين قدم له ليترجمه لم تسمح له وطنيته بذلك ثم كشفه وكشف معه المؤامرة التي تدبر ضد المغاربة في الظلام، وعبد اللطيف هذا من نتاج المجتمع النبيل بسلا.

ولا علاقة تربطه مع الخائن المجرم محمد بن الطيب الصبيحي محافظ مدينة سلا 1953 الذي سوف نتعرف على فضائحه بعد.

ولمدينة سلا ومنذ عهد بعيد جدا طابعها الإسلامي الصادق المميز(79) وفي مجتمعها المتخلق القويم الرصين الأصيل كان الكثير من العظماء يجدون فيهاما يبتغون من وعي وخلق وآصالة ولذلك نجد بها أكثر أكرم العائلات التي اختار رجالتها الاستقرار بها منذ عهد لسان الدين بن الخطيب إلى عهد شيخ الإسلام محمد بن العربي أكرم نجيب، والذي كان حين إصدار الظهير البربري قد مضى على إقامته بها نحو الثلاث سنوات حيث كان قد سكن بها منذ أبعد في شكل ترقيه بسبب نشاطه العلمي السياسي عن مدينة فاس التي كان يقوم فيها بدرسين في الأسبوع يوم الإثنين ويوم الخميس وقد كان ذلك كافيا لتكوين الوعي السياسي بين طبقة الشعب في مدينة فاس وما حولهاذلك أن كل من دخل المدينة من سكان القبائل المجاورة زائرا أو متاجرا الا وكان لا بد له من حضوره درس أو اثنين من دروس الشيخ فيعود إلى قومه وهو يردد ما سمعه من الشيخ وما تلقنه من رجال الرعيل الأول محمد غازي ومحمد المختار السوسي والهاشمي الفيلالي الغرض الأنصاري وعلال الفاسي وعبد العزيز بن ادريس العمري الحسني ومحمد القري والحاج الحسن بوعباد، الفيلالي ومحمد حسن الوزاني وغير

(79) راجع فصل جمعية قدماء الثانوية الإسلامية بفاس وبدايات التنظيم الوطني. حيث رفعت العرائض واللوائح التي وقعها الكثير من رجالاتها وكثير منهم حتى اليوم على قيد الحياة بل وحتى عريضتهم المؤرخة بـ3 ربيع الأول عام 1349هـ=18 غشت 1930 والموقعة من مجموعة من الوطنيين وقتها بلغ عددهم ما يقرب من مائة وعشرين مذكرات تاريخ المغرب أحمد رشيد 5/258-263 ط مدريد 1985.

هؤلاء من الذين كان لهم نشاط ملحوظ وقتها والذين كانوا مجندين للتوعية بين عامة الشعب حاضرة وبادية الذين كانوا مجندين لذلك ويتحينون فرص ظهور أي شخص من سكان البوادي في أسواق فاس حتى يغزو جهله بأفكارهم وما كانوا ينشرون ضد الظهير والضلال وحتى إذا ما ظهرمفعول دروس شيخ الإسلام وأدركت الإدارة خطور أثرها في الخواص والعوام عملت على نقله من مدينة فاس إلى الرباط، وحتى لا يكون النقل مفضوحا كان في شكل ترقية من القضاء إلى رئاسة الاستيئناف الأعلى بحيث كان التعيين بتاريخ 9 شعبان 1346هـ=1928/2/1 ولما يمض على تنصيب محمد الخامس أكثر من شهرين ونصف وكما رأينا فقد اختار لسكنه أولا مدينة سلا.

وهنا يقول الاستنتاج للمؤرخ قف ثم أجب، بربك هل كان مجتمع فاس الذي تسلط عليه الفرنسيون أكثر استجابة من مجتمع(80) سلا الذي عرفه الفكر السياسي الوطني وكما رأينا منذ أقدم العهود، ولا نذهب قبل عهد المولى عبد الرحمن وما هو معلوم من هجوم الفرنسيين على مدينة سلا إلى عهد الحماية حيث كان أول وطني عرف التشرد والنفي 1907 هو أبو بكر بن أبي زيد(81) السلاوي الذي كان عاملا وقتها على مدينة الدار البيضاء والذي كانت أوامره صريحة ضد الغزاة وقد هجومهم ثم عدم السماح لهم بالنزول في المدينة كما سبق ولما احتلوها أبعدوه سجينا إلى الجزائر رحمه الله ولو كان ما حصل من ابي زيد حصل من أحد مسلمة اليهود واعلاج النصارى لأقيمت له الذكرى سنويا، ومثله العامل الشهم عبد الله بن سعيد الصنهاجي وليس الاندلسي كما زعم اللبناني الغريب ففي عام 1920 كان عبد الله بن سعيد عامل مدينة سلا وهو أول من سجن بسبب مقاومته للضريبة التي فرضت وكيف وهو المتصلب المعروف بعدائه للفرنسيين أيام كان في دار النيابة بطنجة 1905 حيث كان من الذين يحبذون الاستعانة بالألمان على كيد الفرنسيين واتفاقهم مع الأنجليز 1904 وقد فعل فكان مؤتمر عقد الجزيرة الذي كان وراء زيارة غليوم 2 عام 1906. وكيف وقد جمعت مدينة سلا من كرام القوم وذوي

---

(80) راجع الاتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي تحقيق مصطفى بوشعراء ط الرباط 1986ص 81 128.

(81) راجع الاتحاف لابن زيدان مصدر سابق.

الأصالة والتي عرفت بحبها للعلم والخير والدين ما جمعت. من آل معنينو الذين كانت لهم علاقة خاصة مع السلطان السلفي المولى سليمان وهو الذي نقل بعضهم إلى مدينة فاس.

هذا الوسط الذي حل به شيخ الإسلام والذي زاول فيه من الدروس مثل ما كان يفعل في جامعة القرويين بفاس إلى جانب ما كان عليه فحسب، عمله شد أزر العاملين أمثال ج علي زنيبر والحاج أحمد الصبيحي صاحب البرنامج المطبوع حول إصلاح المغرب وهو غير الباشا الخائن المعروف أيام ابن عرفة محمد بن الطيب الصبيحي وولده عبد الله الذي كاد يقبره أيضا ابن الميلودي حيا لولانجدة محمد الغزاوي مدير الأمن وقتها، وقبل أولئك جميعا عرفت مدينة سلا السلفي الأصيل أحمد بن خالد الناصري الذي كان قد بذر البذور النافعة في تلك المدينة باستثناء ما عرف به كل من ولديه به محمد وجعفر أيام ابن عرفة مما يعتبر آل الناصري منه براء.

لقد اختار شيخ الاسلام مجتمع سلا لحيويته وأصالته وقد حدثني عن دروسه كل الذين عرفتهم من أهل سلا أمثال الحاج العربي بن اسعيد والحاج محمد بن بوبكر التطواني، والحاج عبد الرحمن عواد واشجع العلويين بسلا مولاي العلمي المحمدي نسبة إلى محمد بن علي الشريف وهم الذين عرفناهم مثل الحاج أحمد معنينو والحاج محمد الغربي وأل بن خضرا وآل حجي سعيد ومحمد البقالي والحاج بوبكر الصبحي والحاج محمد معنينو والسدراتي والطالبي وغير هؤلاء من الذين تحفظ ذاكرة بعضهم حتى العبارات التي كان يرددها الشيخ الإمام الذي قال في حقه الأستاذ علال الفاسي ما سبق ذكره والذي حرر الفكر المغربي حسب عرفان الفيلسوف العربي المسلم العقلاني ورجل الفكر الإنساني الدكتور محمد عزيز الحبابي الفيلالي بل إن شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي حقق في المغرب الإسلامي عن طريق تكوين وإصلاح الفرد فوق ما حققه كل من جمال الدين الافغاني ومحمد عبد في المشرق العربي بالنسبة للنتائج(82) وتحقيق أهداف السلفية.

صحيح أن أهل سلا أو بالأحرى مجتمع سلا كان يتوفر على مجموعة من العلماء

---

(82) راجع الحركات ص 154 ط القاهرة 1948 وتأملات في اللغو واللغة للفيلسوف السلفي الدكتور محمد عزيز الحبابي البعامي الفيلالي ص 5 ط لبنان 1980. ومذكرات محمد المختار السويسي المشار إليها قبل.

الأفاضل كان لعملهم الأثر الجميل في نفوس الذين سنذكر أسماء بعضهم من الذين أبلوا البلاء الحسن في كفاحهم ضد الظهير البربري ومع الكتلة ثم في عهد المطالبة بالاستقلال عام 1944، لكن تواضع هؤلاء العلماء وكريم أخلاقهم كانوا يقدمون شيخ الإسلام ويلتفون حوله زمن إلقائه للدروس التي كان يلقيها بالجامع الأعظم.

وهذا هو المجتمع النظيف الذي لم يتلوث قط والذي اختار شيخ الإسلام أن يحط فيه رحاله عندما أرغم على مغادرة فاس التي كون فيها طبقة من أبناء القرويين والثانوية الإدريسية أصبح لبعضهم في إدارة الشؤون السياسية بها ملفات ثقيلة وعليها علامات "خطير" وهم الذين سنتعرض لبعضهم بعد: أو ليس في هذه المرحلة أيضا وأنه ما كاد يستقر في سلا حتى بدأ دروسه الخاصة والعامة في الجامع الكبير والتي كان يحضرها علماء المدينة وشبابها الذين أصبحوا اليوم كهولا وإذا هو انتقل إلى الرباط ثم سكن في حومة «مرسة» والتي ما كاد يستقر بها كذلك حتى بدأ دروسه العامة بجامع المولى سليمان والتي كان موضوعها تفسير القرآن الكريم يقول الدكتور عبد الرحمن القادري السلاوي(83) الأستاذ بكلية الآداب والذي كان وغيره يشدون الرحال من سلا إلى الرباط حتى يحضروا تلك الدروس التي كانت رحاب الجامع تضيق بجموع الحاضرين كما يؤكد الأستاذ عبد الموجود الإلالي والأستاذ عبد الله الجراري تعقيبا على قول القاضي أبي بكر البناني النفزي. بل أو ليس في هذه المرحلة كانت الدروس السلطانية في شهر شعبان ورمضان من بعد صلاة العصر إلى ما قبل غروب الشمس موعد مختلف طبقات كبار العلماء وفيها كان يشتد الصراع بين الحق والباطل الذي كان يمثله صاحب الفكر السامي محمد بن الحسن الحجوي تملقا للفرنسيين الذين كرموه ثم وزروه وإذا ما أدركت الإقامة العامة مدى خطورة تلك الدروس وانعكاس أثرها على تكوين السلطان الشاب الذي رغم كل الوسائل التي استعملتها الإقامة العامة وبجانبها محمد المقري لم تتعرف على ما كان يجري داخل القصر، خصوصا، وأن السلطان الشاب المتدين أقبل

(83) ثم راجع كتاب «السلفي المناضل الشيخ محمد بن العربي العلوي لمحمد الوديع الآسفي ص 196 ط دار النشر المغربية 1986 ثم راجع مذكرات من التراث 5/240.44 على أن الكاتب لم يكن له إطلاع على الموضوع حتى أنه اقحم فكر ونظرية الآخرين حول السلفية بل عدم المام حتى بالماضي القريب حيث اقحم العميل السفيه محمد بن عبد الكبير الكتاني في موضوع السلفية والدستورية إلخ.

بكليته على ما كان يبديه شيخ الإسلام من أفكاره السلفية ضد المواسم والشعوذة والطرقية، حتى إنه أصدر بعد ظهيرا يمنع به ما كان يقام على الأضرحة من مواسم عام1933(84) وهو الظهير الذي حوربت مقاصده بعد موته باسم السياحة من طرف العملاء يتقدمهم محمد ولد خناثة الشركية المعروف بـ أحمد العلوي الذي انطلق برعونة ضد الأخلاق والقيم بطريقة لم يستطعها السابقون حتى أنها دفعت إلى تحول خطير ضد القيم بشكل لا تؤمن عواقبه.

كان محمد الخامس قبل يعيش معاناة والده وما كان يقاسيه من صراع ضد الظهير البربري ثم لما وقعه المقري كان هو قد أخذ في زيارة مبيتة إلى فرنسا كما أشرنا وما كاد الظهير ينشر حتى عمت الاحتجاجات من كل ناحية وأصبح في إمكان الواعين من أبناء الفكر السلفي وغيرهم أن يبينوا للمعنيين بالظهير ما يراد بهم بل ويزيد بعضهم فيؤكد أن الغاية هي الخروج بهم عن دينهم مما أدى في بعض المناطق إلى تجمعات إختلط فيها الكبار والصغار رجالا ونساء والكل يبكي وينتحب ضد الاعتداء على دينه ومعتقده وتعاقد الناس في كل مكان على الذهاب إلى الرباط والتظلم لدى السلطان الذي كان محجورا، بل وكان مصير كل من قصده أو اشتكى إليه السجن وأقسى المعاملة من الفرنسي الذي هو المندوب المخزني بعد عودته إلى موطنه، وكان رائد هذه المعركة في مدينة فاس هو المرحوم عبد الرحمن بن القرشي(85) الإمامي الفيلالي الذي كان وزيرا للعدل والمتوفى عام 1358هـ/ 1939م فقد ترأس هذا العالم الجليل تجمعا كبيرا في جامع القرويين بفاس الذي لازمه أياما قام الناس فيها بقراءة اللطيف الذي كان أول من دعى

(84) الحركات المصدر السابق 154. وعند لوطورنو في تاريخه لمدينة فاس جـ 2 ص 868 ط 1986 ان ظهير المنع كان عام 1934.

(85) قيل ألف فيه كتابا ربيبه العالم الوطني الفاضل أحمد الشبيهي الحسني الذي أبعد عام 1944 إلى النيف مع محمد بن عبد الرحمن العراقي سيبويه زمانه والإمامي نسبة إلى جده الذي كان إماما بقصر أمسيفي أحد قصور الغرفة بتافيلالت وهي نسبة ينتحلها في الجنوب حتى الخدم من الحراثين فيقال محا الإمامي نسبة إلى سيده أي مخدومه الإمام كما يقال مثلا فيمن كان خادما أومملوكا لأحدهم: سالم مولاي الكبير وفرجي مولاي عمر، وميمون مولاي جعفر، ومبارك مولاي الأمين إلخ بل في قصور بني محمد بتافيلالت سكان قصر كلهم يعرفون بأولاد الإمام في حين أن أسرة واحدة فقط هي التي تنتسب إلى الإمام ولكونها أول من سكن القصر نسب لها وبالتالي كل من التحق أصبح ينسب لقصر أولاد الإمام إلخ.

إليه في فاس هو الحاج العربي بوعياد الفيلالي والذي يقال إن له أرقاما تتدرج من الصغير إلى المتوسط ثم الكبير وله سر خطير ثم هو كما يلي:

الصغير وعدده 129

الوسط وعدده 16.640

الكبير وعدده 116.640

وإذا ما تحولت جامعة القرويين بماَ أمها من البشر وكأنها خلية نحل حيث اكتظت بالمواطنين وأرباب الحرف وغيرهم من رواد فاس وبها اقتدى المواطنون في بقية جهات المغرب خصوصا المجاورة والتي تجمع المواطنون بها في الجوامع وسلاحهم هو قراءة اللطيف، فإن إدارة الحماية قد احتارت وارتبك دهاقنة الإستعمار فيها الأمر الذي كانت إدارة الشؤون الأهلية معه بمدينة فاس وما حولها وبرئيسها الضابط ميلي قد أصدر منشورا يطمئن فيه الناس على اسلام البربر يقول في الحركات ص 65 بل والذي أصابه السعر الذي نقله إلى ما حوله من التابعين لإدارته عسكريين ومدنيين والذي قال لمن حوله يقول الشاوش علال الشرادي وقد كان هو مساعده القريب في الإدارة والمنزل الذي كان يسترق السمع فالتقط ما قاله ميلي لآخر كان يتحدث إليه:

«يتمنى أن يقوم اللاجئون إلى الجوامع باي شيء ويتركوا قراءة اللطيف» الذي كان جماعيا في كل ناحية وبأصوات تهز أوتار القلوب خشوعا وإيمانا بالنسبة للمومنين وخوفا بل رعبا بالنسبة للمستعمرين الذي كانوا يتصورون فيه الدعوة إلى الجهاد العام وأخيرا اتفق الرأي على صياغة المطالب باسم المجتمعين في القرويين نيابة عن الشعب في فاس وتكوين وفد على رأسه العالم الورع عبد الرحمن بن القرشي الإمامي رحمه الله

وهذا هو نص المطالب وما جاء فيها حسب الأصل:

أولا: احترام نفوذ جلالة السلطان أيده الله بالإيالة الشريفة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، وذلك بجعل الولاة المخزنيين من قضاة وقواد وباشوات ومحتسبين ونظار وأمناء الأملاك مسؤولين أمام الحكومة الشريفة.

ثانيا: إصدار ظهير مولوي يجعل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الإسلامية.

ثالثا: تنظيم المحاكم الشريفة وإصلاحها وتولية الأكفاء فيها سواء الشرعية منها أو محاكم الباشوات والقواد والمحتسبين وتعميمها في سائر القطر المغربي لا فرق بين حواضره وبواديه.

رابعا: توحيد برنامج التعليم في سائر المدارس التي تؤسس لتعليم الأهالي في المدن أو القبائل وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القران فيها، وتعميم تعليم الدين الإسلامي.

خامسا: احترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الإدارات كلها بالإيالة الشريفة وكذلك في سائر المحاكم عدم إعطاء أي لهجة من اللهجات البربرية أية صفة رسمية ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية.

سادسا: إيقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول في القبائل والحضور في الأسواق والمواسم ونشر أي شيء يمس بكرامة الإسلام وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع النشر.

سابعا: لا تعطى أية إعانة من ميزانية الدولة الشريفة أو ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية الساعية في تشييد الكنائس ومنتديات التبشير في أطراف البلاد المغربية.

ثامنا: عدم السماح للمبشرين بإحداث ملاجئ للأيتام واللقطاء ومدارس صناعية وعلمية للبنين والبنات والإنفاق عليها من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية أمَّا ما سبق تأسيسه فإما أن تقوم به الحكومة الشريفة وإما أن يقفل، وعلى أي حال لا ينبغي أن تبقى هذه الأوضاع تحت نفوذ المبشرين.

تاسعا: لا يعين الرهبان والمبشرون للتدريس في مدارس الحكومة أو لإدارتها.

عاشرا: عدم التعرض لفقهاء الكتاتيب «القرانية» والمشارطين وهم «آيمة المساجد بالبادية» بالقبائل وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية للتجول في الانحاء المغربية لتعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على إقامة شعائره.

حادي عشر: إسقاط جوازات السفربداخل الإيالة والتي يحصل بها بُعْدُ الحضري

عن البدوى ويتعذر بذلك تفقيه الأمة في الدين والاكتفاء عند التنقل بورقة التعريف الشخصية«؟؟؟»

ثاني عشر: اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ما عداالأجانب تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التي تؤسس بإسمه الشريف. وكذا إعتبار جميع المغاربة ما عدا اليهود مسلمين بمعنى أنه لا توجد ملة ثانية للمغاربة الوطنيين.

ثالث عشر: منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في هذه النهضة وعدم التعرض لمن خاض فيها، وإذا ما توجه الوفد من مدينة فاس برئاسة عبد الرحمن بن القرشي الإمامي الذي صاغ تلك المطالب ومعه جماعة من العلماء إلى الرباط بتاريخ 28 ربيع الأول 1349 فإنه ما كاد يحل بها وهو الوزير في العدل حتى وجد التكريم وحسن الاستقبال من الموظفين السلاويين ولماوقف ابن القرشي رحمه الله امام السلطان الشاب المؤمن ثم ألقى خطابا مؤثرا بكى تأثرا به جلالته ومن حوله من المومنين؟ وكان عددهم قليل جدا وقتها لأن إدارة الحماية تعمدت أن تحيطه بعملائها الذين رغم كل وسائلهم الدنيئة فشلوا في مهمتهم، والفضل يرجع إلى اصالة العاهل العظيم ونشأته برعاية خادم والده عبد الدار مرجان الحبشي، والدور الذي قام به محمد لمعمري الزواوي أولا في هذا الموقف وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي بدروسه واتصالاته المباشرة(86).

وهكذا لما قدمت المطالب إلى جلالة السلطان جمع الوزراء يتقدمهم صدر الرذيلة والغدر المزري محمد بن المقهجي عبد السلام المقري، وإذا السلطان تبرأ من الظهير واحتج أنه لم يقدم إليه وأنه كان السبب فيما حصل بين والده وستيج رد عليه المقري أنه فعل ما فعل بحكم ماله من حق كوصي، هذا في الوقت الذي تعتبر الوصاية نفسها غير شرعية لأنها كانت مثل الحماية مفروضة.

---

(86) كان الدور الذي قام به شيخ الإسلام وقتها قويا ولسوف يدفع الثمن غاليا وعلى حساب صحته عام1940 حيث سمم بطريقة يحاسب الله صاحبها الذي حامت حوله كل الشكوك وقتها، ذلك أنه أصبح ومن غير أن يعرف السبب يعاني من بعض الأعراض الشبيهة بالأورام والتي كانت تتفجر بماء عرف بعد أنها نتيجة تسمم في الكبد، ولا يكون ذلك إلا نتيجة تسمم قاتل بتدبير مجرم، وكعادة شيخ الإسلام وما اتسم به من صبر وتجلد كتم أمره ثم أخذ يعالج ما أصابه بتدبير بينه وبين أهله إلى أن تحقق له الشفاء، فبهت الذي في قلبه مرض ثم أصابه الغم والهم وعند الله تجتمع الخصوم.

ومهما يكن فإن القدر كان يعد محمد الخامس بواسطة تلك المواقف التي ستتكرر وتشتد ضراوة النضال فيهارغم أن الفرنسيين تراجعوا نوعا ما عن خطتهم، أو تظاهروا أنهم تراجعوا حين سمحوا بأن يصدر السلطان رسالة أمروا بقراءتها في المدن والقرى وأسواق البادية وكان تاريخها 13 ربيع الأول عام 8/1349 سبتمبر 1930 ومضمنها.

أن الإدارة الفرنسية تعترف مبدئيا بأن كل قبيلة بربرية تطلب التقاضي إلى محكمة شرعية إسلامية يجاب طلبها، وإذا كانت قبيلة آيت يوسي المتبربرة وقبيل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي رضى الله عنه أول قبيلة بادرت بالطلب لأنها على أبواب مدينة فاس وتحيط بمدينة صفرو، فقد كان جزاء الذين تقدموا بالطلب السجن والنكال، ومع ذلك قامت حركة واسعة في الأطلس المتوسط وبين قبائل زايان وغيرها حيث كان الكثير من الأدارسة ومن آل شيخ الإسلام كدعاة للإصلاح بين تلك القبائل للمطالبة بالخروج من دائرة "أزرف" وكان يتزعم الحركة السلفية الوطنية في هذه المنطقة استاذنا المرحوم الطيب بن أحمد العلوي الذي كان وقتها مستوطنا بمركز مريرت كما أشرنا قبل وقد أبلى البلاء الحسن حتى أنه جر مشيا على قدميه من امريرت إلى مكناس بعد ما عرف شتى أنواع العذاب والنكال سارت بذكره والثناء عليه الركبان بالأطلس المتوسط، الأمر الذي أهله في نظر شيخ الإسلام إلى أن يرشحه لتعليم أبناء القصر الملكي بفاس حيث نفع الله به في إصلاح عقيدة سكان القصر الذين كانوا على دين معاصريهم في الضلال من التعلق بقبور الأضرحة والاعتقاد فيهم ضرا ونفعا إلخ. وقد كان لعمله أثره الفعال ضد الظهير البربري لأنه كان يتقن اللهجة البربرية إلى درجة ترجمة معاني الشعر العربي بها وبذلك ناله من نكال الاستعمار وخديمه الحاقد عبد الحي الكايتاني ما لم يعرفه غيره من أبناء جيله ولم تفارقه مضاعفاته إلى أن مات في عهد الاستقلال كما أراد له الاستعمار الذي صارعه زمنا غير قصير، فكان من أثر عمله بعث الوطنية في المنطقة ما بين خنيفرة وازرو.

وهكذا فقد تحولت مختلف جهات المغرب التي روع أهلها بسبب الحوادث الناتجة عن الظهير البربري والتي اقتيد الوطنيون فيها إلى السجون والمعتقلات التي إكتظت بالسجناء والمحبوسين ، والتي لم يسرح من كانوا في المدن منها إلا حين قام رئيس

الجمهورية الفرنسية الكسندر ميليران بزيارة للمغرب، 1931م وعرفه العاهل العظيم على ذلك.

ومهما يكن فإن مفعول الظهير البربري الذي كان بحق المعول الذي بدأ الرائد الإسلامي محمد بن العربي العلوي به الضربات الأولى في حفر قبر الاستعمار، كان وسيلة ساقها القدر، وهي من ذلك النوع الذي وصفه الله تعالى بقوله الكريم «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم».

وان الكلمة البليغة ذات الأثر في مجال السياسة هي تلك التي تصدر كاعتراف من العدو بعد أن يكون قد انتهى إلي هزيمة قاتلة، وذلك ما عبر عنه أحد دهاقنة الاستعمار الذين عملوا ما وسعهم العمل بقوة الحديد والنار، على اغتصاب الحق وقتل الرجال وهدم الديار، ذلك هو الجنرال كاترو الذي انتهى إلى ملل ممزق وكلل مهلك، من كثرة ما تشدد في أعماله الوحشية ضد المغاربة، ومع ذلك لم يكن له بد من كتابة الحقيقة التي عاشها فيما يتعلق بالظهير البربري الذي قال في حقه وبالحرف:

«لكن وحدة العقيدة والشعور الوطني بين البربر والعرب اتهمت الظهير أنه مؤامرة ضد وحدة الأمة ودينها» ثم يقول إنه وسيلة وحدت بين المغاربة والمشارقة وأصبحت فكرة الظهير البربري وسيلة لوصل كفاح المغرب بالمشرق حيث ظهر في الميدان شكيب أرسلان 1869–1946 وعلي الغاياتي 1885-1956)(87) ومحمد أمين الحسيني 1896 أمين سعيد وعبد الرحمن عزام وعلى علوية باشا، وصالح حرب باشا وغيرهم ممن تجاوبوا مع المغرب والمغاربة لعهد طويل إلى أن استقل المغرب ولقد اهتز المشرق كله لموضوع الظهير البربري الذي تناوله كبار كتاب المشرق في كل من مصر والعراق ودمشق وفلسطين وهذه بعض الصحف والمجلات التي تناولت موضوع الظهير البربري وقتها والتي احتفظ بها الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي وكانت في خزانته وهي ما يلي:

---

(87) أشرنا إليه بعد وقد كان صاحب جريدة "لاتريبيون دوريان" منبر الشرق بسويسرا التي هاجر إليها عام 1911 وفيها أسس الجريدة المذكورة يوم الأحد 1922/2/25 والتي دامت إلى يوم الأربعاء 1937/5/26 حيث عاد إلى بلاده ثم أسس جريدة منبر الشرق التي ساهم بها في النضال من أجل البلاد الإسلامية العربية ومنهاالمغرب الكبير حيث كانتردد عليه بعمارة القاضي سيدان التحرير فلا يتردد في النشر إلى أن توفي رحمه الله عام 1956.

جريدة السنة النبوية لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر

مجلة العرب الفلسطينية لعجاج نويهض وقد أشرنا إلى أنه كان من كتابها عام1933 عبد الله ابراهيم الوزير الأول السابق وعبد القادر حبيب (كذ) ولعله الشاعر الوطني المعروف عبد القادر حسن.

مجلة الجامعة الإسلامية لمحمد على الكحال

مجلة التقوى المصرية لجماعة الوعظ والدعوة الإسلامية

مجلة النيل لفرج سليمان فؤاد

مجلة الصباح المصرية لمصطفى إسماعيل العشاشي

مجلة الهداية العراقية لجمعية الهداية الإسلامية، لكمال الدين الطائي

وهي المجلات التي كانت ترد على المغرب خلسة وقتها، واحتفظت بها خزانة شيخ الإسلام.

ان ما كانت ترمى إليه السياسة البربرية في المغرب هو فرنسة المغاربة نهائيا وذلك عن طريق الدين واللغة والتعليم والقضاء، ولقد عملت إدارة الحماية من أجل تحقيق ذلك بقوة الحديد والنار فلم تفلح وهاهي قد نهجت سياسة أخرى بعد الاستقلال، تلكم هي فرنسة الأولاد عن طريق الامهات الفاجرات وأشباه المغاربة الامعات، وتمكينهم بكل ما يحرم منه المغاربة الأحرار خصوصا أعداء وخصوم الاستعمار، وهذا ما يستوجب وعيا آخر من نوع جديد لمقاومة الاستعمار الجديد. على أنه إذا لم يتفق الجميع على القاسم المشترك بين الجميع الذي هو القضاء على السياسة الجديدة والتخطيط الجديد فإن المغاربة من القمة إلى القاعد سوف يعرفون من ويلات التمزيق والتفريق بالقضاء على روح الإسلام ووعائه التي هي العروبة الكثير الكثير من البخس والإذلال والارهاق وسوء المنقلب خصوصا إذا ما استمر مانعيش ونرى من سلب للإرادة وتزوير للديمقراطية وافتراء على الشعب باسم الدين الذي أصبح عندهم هو تصوف الأضرحة وإقامة المواسم على القبور بالطريقة التي خطط لها ازواج المومسات الذين كل القيم والأخلاق عندهم ومظاهر الذين لاتخرج عن دائرة "الفولگو" كما كان الفرنسيون وأبناء المواخير يدفعون العملاء لذلك ويغدقون عليهم حتى يلتف حولهم الجهال ويتجمعون حولهم كما نراهم اليوم وقد نال المرتزقة باسم الدين المفتري عليه مثل الكتانية والعيساوية والحمدوشية والملیانية عبدة النار وغيرها.

الباب الخامس والعشرون
المغرب والضلال
وجهاد شيخ الإسلام محمد
بن العربي العلوي

الفصل الثالث والخمسون بعد المائتين

الدين المفترى عليه في المغرب و مجال جهاد رائد الفكر المغربي

كان الشيخ الإمام يردد كثيرا « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون».

وكان شعاره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب الذل يوم القيامة» وقال : « عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة»

ولئن كان الشيخ الإمام لا يحبذ الكتابة عنه في حياته فإن واجب التعريف بأهم عامل حرر الفكر المغربي في القرن العشرين يقتضي ممن يؤرخ للسياسة في مغربنا الكبير خصوصا السياسة التي بدأت من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي، والتي وإن أخرجته طريدا فإنها لم تتوقف في شخص شيخ الإسلام الذي بقي رافعا اللواء إلى أن وافته المنية وهو يصارع الظلم والبغي والفساد، ورغم أنني أكتب هنا عنه بنفس الروح التي كتبت بها عنه منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة(88) فلسوف يأتي بعد من يكتب عن الأبطال في عالم المسلمين والعرب، ولسوف يجد أن من أولهم وفي مقدمتهم بمغربنا الكبير الإمام السلفي أبو المكارم شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي يرحمه الله، وهذا ما أصبح يردده الاحرار المثقفون المغاربة، ومنهم فيلسوف المغرب بلا منازع د. محمد عزيز الحبابي الفيلالي الذي حين أراد أن يقدم كتابه تأملات في اللغو واللغة إلى القراء صدره بالإهداء التالي:

---

(88) راجع كتابي المغرب ملكا وشعبا ط القاهرة 1957 وما نشرناه في مختلف صحف مصر ما بين 1951 – 1958 وفي الصحافة المغربية والإذاعة 1958 = 1960 حول التربية الإسلامية والتربية السياسية وفي جريدة العهد الجديد تحت عنوان التوجيه في النقد الاجتماعي.

«إلى روح محمد بن العربي العلوي مجدد الفكر المغربي والإمام السلفية المناضلة إهداء محبة وإجلال(89) »

ومثله المفكر المغربي العظيم الدكتور المهدي المنجرة الحسني وصنوه في مجال المعرفة والسلوك الدكتور محمد عابد الجابري الفجيجي. لكن قبل أن أترجم لشيخ الإسلام ارتأيت أن أعرف بالمجتمع الذي وجد فيه شيخ الإسلام . وما عرفه من تأخر وانحطاط في مجال العقيدة الدينية و الأخلاقية الاجتماعية.

انتشر مذهب الاشعري في بلاد العراق التي كانت مقصد الطالبين للمعرفة ثم انتقل أيضا إلى الشام ولما ملك صلاح الدين الأيوبي ديار مصر انتصر للمذهب الأشعري وحمل كافة الناس على التزامه فدام الحال على هذا طيلة أيام الأيوبيين ومواليهم الملوك من الأتراك.

واتفق أن رحل الى العراق محمد بن عبد الله بن تومرت الحسني الملقب بالمهدي المتشيع نوعا، ومؤسس دولة الموحدين فأخذ عن الغزالي مذهب الأشعري ثم عاد به إلى المغرب حيث نشره بين أتباعه وأنصاره، ولم يمت ابن تومرت عام 524هـ حتى كان المذهب قد تمكن من نفوس الذين كانوا قوام دولة الموحدين، يتقدمهم عبد المومن بن علي الگومي، الذي أباح دم من يخالف مذهب الأشعري حتى أصبح المغرب ولا مذهب فيه غيره باستثناء مذهب أحمد بن حنبل السني الواضح والذي كان لايقول بتأويل ماورد من الصفات، وقد دام الحال كذلك في المغرب، إلى ما بعد القرن السابع الهجري كما هو الحال في بعض بلاد المشرق أيضا إلى أن ظهر شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني فانتصر لمذهب السلف، وأخذ يهاجم الأشاعرة، ولاقي في هذا السبيل عنتا شديدا وخطوبا جساما(90)، لكنه رحمة الله عليه استطاع بمنهجه السليم وآرائه القائمة على الحجج المقنعة، أن يعبد الطريق ويوقد المصابيح، ثم يضع علامات الاهتداء للحيارى الذين انجروا بتأثر من مذاهب الاغريق وأسلوب الكلاميين وتفكيرهم الذي ضلل الكثيرين ممن لم يتمكنوا تمكن ابن رشد في معرفة آثار الإغريق ونظريات عظمائهم التي

---

(89) ط الدار العربية للكتاب ليبيا – وتونس 1980.

(90) راجع ترجمة ابن تيمية تقي الدين د. الإسلامية 109/1 – 115 وما فيها من المصادر أيضا، وشرح العقيدة الواسطية له أيضا.

نقلت إلى اللغة العربية، خصوصا في موضوع العقائد وما يتصل بالتوفيق بين آراء الإغريق كما وردت في الموضوع وآراء الدين في العقيدة، ويمثل هذا الجانب الكندي والفارابي وإخوان الصفا وابن سيناء، كما يمثل جانب هدم الفاسد من أساسه، والاستفادة من السالم والاستعانة به في تأييد العقيدة أحيانا أبو حامد الغزالي، وإذن كان الذي سلك هذا النهج بقواعد تختلف عن التي سلكها الغزالي هو ابن رشد الذي عرف له من الانتاج في هذا المجال ما أنتج بسبب ظهور «تهافت الفلاسفة(91) لكنه بعده جاء الأيجي والطوسي وسعد الدين التفتازاني، وهؤلاء عملوا على تضييق نطاق العقل في فهم العقيدة إلا أن هذا لم يتمكن الا بقدر ما تعرض للمذاهب الفلسفية والكلامية المعتمدة على الجدل لنقد الإمام السلفي ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وهو النقد الذي أرسى قواعده الخلف من رجال السلفية ومنهم محمد بن يوسف بن عمر السنوسي من المغاربة ثم طائفة أخرى كبيرة من علماء المغرب يتقدمهم أحمد المنجور، وعبد الله بن علي بن طاهر وأحمد بن سعيد المرغيتي.

وبعد الألف نجد من أول الذين رفعوا راية السلفية أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنونسي المعروف ب زروق بن زكري المتوفى 1144هـ وقبله عبد الله بن محمد الهبطي المتوفي 963هـ وعبد الجبار البرزوزي الفجيجي المتوفى 920هـ وأبناؤه الثلاثة، والونشريسي أحمد بن يحيى 914هـ وأبو سالم العياشي المتوفي1090هـ محمد بن ناصر الدرعي المتوفي بتامجروت يوم الاثنين 26 صفر عام 1126(92) ثم ولده أحمد، ومثلهما من الديلائيين محمد بن أحمد بن محمد المسناوي المتوفي يوم السبت 16 شوال 1136، وابن أبي محلي المتوفى عام 1023، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي الدادسي المتوفي 1175

(91) راجع مقدمة تهافت الفلاسفة المسمات مقاصد الفلاسفة للإمام الغزالي تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط دار المعارف بالقاهرة 1961 وكذا المنقذ من الضلال له أيضا تعليق د. عبد الحليم محمود ط الانجلو بدون تاريخ ثم راجع الحياة الروحية في الإسلام د. محمد مصطفى حلمي ط 1945.

(92) راجع الخزانة العامة 1233 د. وسلوة الأنفاس 263/1 ولزروق راجع 991 = 807 د خ.ع ونشر المثاني ج 2 للقادري وللتوسع في المصادر راجع الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج 1-2 الدكتور محمد حجي، فضالة ط 1977-1978 وكذلك دالية أبى على اليوسي مع شرحها م.خ نا ولقد سجل بعضهم أنه توفي 1085 هـ وهو غير صحيح.

وشيخه أحمد الحبيب اللمطي البكري، وأبو على الحسن بن مسعود اليوسي المولود 1040 والمتوفي يوم 15 حجة 1102 ثم أبو على الحسن بن رحال المعدني المتوفى يوم 3 رجب 1140هـ وقاضي فاس العربي بن أحمد بردلة المتوفي 1133هـ ومحمد العالم بن إسماعيل السلطان ثم الطبقة التي صارعت الزيغ والشرك والضلال، ومنهم كانت طبقة المولى سليمان يتقدمها أقوى وأكرم من جاهدوا ضد الزيغ والشعوذة والشرك، في عهد هذا السلطان السلفي بحق، وهو حمدون بن الحاج السلمي، والرشيدي محمد بن محمد الحسيني الفجيجي وبتحفظ محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران الذي سنتعرف على موقفه من الوهابيين بعد، وما أفاد به من شهادة فيه وفي ابن سعود قدمها للسلطان المذكور المولى سليمان الخ وعبد القادر بن شقرون المكناسي، ومحمد كنون وعبد الله السنوسي الخطابي وهذه هي الطبقة الموازية لعهد جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، صاحب رسالة التوحيد(93) وهذا العصر هو الذي نشأ وشب فيه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي أدت بنا ترجمته إلى هذا العرض الذي لابد منه حتى نتعرف على الظروف التي ساهمت في سلامة العقيدة واهتزازها في المجتمع المغربي فكريا، والذي سيعرف التحرر والإنقاذ على يد هذا الشيخ العظيم كما سنرى في هذه المرحلة أيضا.

منذ أواخر القرن العاشر بدأ الشطط والاندفاع وراء أفكار ليست من الإسلام في شيء، والدافع لها هو أناس وجدوا على هامش حياة بعض المتصوفة، ولهم غايات مادية صرفة خارجة عن الذات، هدفها الثروة والجاه والمتعة وإرضاء الغريزة الطاغية فيهم، وأحيانا يكون حب المال وأخرى إرضاء الشهوة الحيوانية، وغيرها إندفاع خلف سراب يوهم بتحقيق مايراد من وراء عمله اللامشروع باسم الاسلام، وهذه كلها مجتمعة هي التي أوجدت في المغرب وغير المغرب ما عرف بالطوائف التي لا أقول متصوفة بقدر ما يطلق عليها الضالة، وقد بلغت في المغرب نحو ستة وعشرين كما سنرى(94) ولعل ضلال هذه الطوائف هو الذي دفع إلى أن يتخذ المولى سليمان والذين عاصروه من العلماء

---

(93) راجع ط القاهرة 1953، ومثله الأجوبة التيدية ثم راجع كتاب تلبيس إبليس لابن جزي البغدادي المتوفي597هـ.

(94) أورد هاالمصلح السلفي محمد بن محمد بن عبد الله الموقت في كتابه القيم (الرحلة المراكشية) رغم بعض الهنات الاجتماعية في الكتاب راجع ج 1/141 - 175 ط 1932.

موضوع رسالة سعود بن عبد الرحمن ال سعود التي وجهت إلى علماء تونس، حاملة فكرة محمد بن عبد الوهاب، والتي وردت على المغرب ثم تصدى لها كثير من العلماء بالتأييد يتقدمهم حمدون بن الحاج السلمي(95)، مع أنها سبقت بتناول موضوع هو الشرك والضلال الصراح ومثله الجواهر الصفية لمحمد المهدي الفاسي المولود بالقصر الكبير 29 رجب 1033هـ والمتوفى 9 شعبان 1109هـ، وهو صاحب ممتع الأسماع والذي وجب أن يحرق لأنه من أفظع ما عرف بالمغرب في مجال الشرك والضلال بفاس، وقريبا منه. كبير كان مجال صراع طبعا غير متكافئ بين رجلين عالم كبير مقتدروآخر ليس بكبير ولا مقتدر، وهما أبو علي اليوسي(96) المتقدم، وعبد الملك التاجموعتي الفيلالي(97) المتوفى 1118هـ والموضوع هو «علم الرسول (ص) الذي ارتفع به التاجموعتي إلى علم الله غافلا عن قوله تعالى على لسان نبيه (ص) « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله »« ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» «ومامسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يومنون» والذي يظهر مما أورده عبد المالك التاجمعتي حول موضوع علم النبي صلى الله عليه وسلم هو ما وقع لغيره من الذين لم يستوعبوا رسالة الإسلام بل وما جاء به الرسول نفسه، فالذين يؤمنون بأن اللوح والقلم من علم الرسول الكريم، ويرون أن الدنيا والآخرة من فضل جوده صلى الله عليه وسلم، أو يعتقدون أنه كان يعلم كل ما كان وما يكون ، هؤلاء إنما يعكسون آية رسالته ويضعونه فوق الرسول ويشبهونه بالله أو يجعلونه شريكا له، وليس ذلك مما دعى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، في تحديد منزلته كما أمره ربه(98) وليس ذلك مما يستقيم مع مثل هذه الآية الكريمة « قل

(95) راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه ط الرباط 1969. والترجمانة الكبرى للزياني بتحقيق المؤلف.

(96) له رسالة في موضوع علم النبي (ص) خ.ع. 115 ص 348 – 362 وتحت رقم 1284 ص 2 – 5.

(97) وأيضا للتجموعتي رد على أبي علي اليوسي م . خ نا رقم 138 افتتحه بقوله: ".. هذا وقد اتفق وقوفي على أساطير لبعض طلبة العصر سطرها المنتقد علي ما أمليناه في علم المصطفى صلى الله وسلم... ثم ختمها بقوله: فعليك بالتعظيم جملة واعتقادا أن الله تعالى أعطى نبيه المصطفى(ص) من العلوم الشرعية والمعارف والحكم النظرية والمصالح الدنيوية والدينية والمحاسن الأدبية واللطائف الملكوتية ما يغرق في أدنى بحره علوم الأولين والأخرين، ويلتمس منه كل حبر في علمه وذي فكر في نظره، وذي صنعة في صنعته الخ الخ.

(98) راجع البداية والنهاية لابن كثير 108/8، ونهج البلاغة للإمام علي عليه السلام تحقيق الشيخ محمد عبده، وعقيدة المسلم لمحمد الغزالي ص 43 – 47ط 4عام 1956.

إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادةربه أحدا » الآية 6 من سورة فصلت.

لكن هذا الذي يتنافى مع مثل هذه الآية الكريمة آمن به بعض المسلمين في بلاد مختلفة ومنها المغرب الذي ظهر فيه وربما لأول مرة الشيخ عبد الملك التاجمعتي المعروف مع عبد الرحمن الفاسي بحسدهما للعالم المصلح أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي فالتاجموعتي مثل آل الفاسي دون بقية علماء المغرب قديما وحديثا اشّط وظهر علينا بفكرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يعلم ماكان ومايكون، مع أن قوله هذا الذي أظهر الإيمان به بشدة فيما كتب مما لا يليق بنا عرضه، وإن كانت خزانتنا وحدها هي التي تتوفر على ما كتب فهو لايزيد الرسول صلى الله عليه وسلم قدسية فحسب، بل يجعل لقوله وعمله العصمة حتى ما كان منها خارجا عن دائرة رسالة ربه، ويصبح محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بناء على ما دبجه يراع عبد الملك التاجمعتي ليس الإنسان المصطفى الذي كلف برسالة الله، بل يؤول أمره إلى ماآل إليه أمر عيسى ابن مريم حينما نظر إليه بعض أتباعه على أنه إنسان حلت به روح الإله، وأن له طبيعة فوق طبيعة الإنسان، له طبيعة الإله والإنسان معا، فصورته الظاهرة صورة إنسان وماكان وراءها يرجع إلى الله ويتفرع عنه، وكانت هذه النظرة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام سبب تقديسه فتأليهه من مسيحيي القرن الرابع الميلادي كما كانت سببا في أن عد الاتجاه المسيحي الذي ينصح بها تحريفا للمسيحية التي هي دين الله، لأن دين الله لايدعو إلى عبادة غير الله، ولايمنح العصمة إلا لله، وبالتالي ضياع رسالة النصرانية أفسد عقول المؤمنين بها، كما أفسد المشعوذون والضالون المضللون عقول المسلمين، ولقد أدرك مفكرو الغرب أمثال لوثر، وديكارت، وباسكال، وغوستاف لوبون، بل وحتى شاتوبريان. من خرافات رجال الدين ما أدركه السلفيون، يقول فولتير 1694 – 1778م قولا يستحق التدوين « رجل الدين الغبي الجاهل يثير احتقارنا، ورجل الدين الشرير الردئ يولد الرعب والجزع في نفوسنا، أما الصالح التقي المحسن المتسامح البعيد عن الخرافات فهو الرجل الجدير بحبنا واحترامنا» وهكذا فلو أن التاجموعتي تمكن قليلا لأدرك أن حياة الرسول (ص) بل ورسالته تعرضتا كثيرا لإفتراءات الدخلاء من

الإسرائليين الذين تزعم كيدهم وافتراءاتهم كعب الأحبار، ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، وغيرهم من الذين يشهد التاريخ على ماقاموا به هم ورجالات بني أمية الذين منهم المغيرة بن شعبة صاحب أبي لؤلؤة والمشير عليه بطريقة ملفوفة، مما أدى إلى قتل أعظم خليفة في الإسلام عمر بن الخطاب، وحتى يخلو الجو لعثمان ذي النورين الذي فعل به بنو أمية ما فعلوا، ذلك أن قتله غدرا ساهم في تدبيره اليهود بزعامة كعب الأحبار، لأن عمرا أجلى يهود خيبر إلى أدرعات وغيرها سنة 20هـ وأجلى يهود نجران إلى الكوفة، وقسم وادي القرى ونجران بين المسلمين، وقد فعل ذلك باليهود الذين لم يكونوا معاهدين من رسول الله ص الخ.

كان بودي في مثل هذا المجال أن أتطرق بتفصيل إلى ما كتبه أبو علي اليوسي في الموضوع، وإلى ما رد به كذلك عبد الملك التاجموعتي، لأستدل بذلك على ما آلت إليه العقيدة في بعض المستويات التي منها مستوى التاجموعتي الذي كان يكيد لليوسي في مجالس السلطان المولى الرشيد بن الشريف، المؤسس الثاني للدولة العلوية، والذي أشرنا في غير مكان إلى ما كان له من عطف والمولى إسماعيل على أبي علي اليوسي، وذلك ما دفع التاجموعتي وقبله عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب « ابتهاج القلوب» الذي يمثل قمة الشرك والضلال، إلى الحسد والكيد لأبي علي اليوسي العظيم، لكنه رحمه الله لم يكترث، ولم يلتفت لذلك قط، ولم يعتبره، لأن أبا علي اليوسي كان وحيد عصره، لم يزاحمه سياسيا قط أحد، فقد غرس الدين وسلامة المعتقد، في نفسه النبل والشرف وعزة النفس، وذلك ما عمل على نشره أيضا والتمكين له بين المواطنين، والدفاع عنهم أمام ظلم الحاكم الذي بلغ ذروته في عهد جيوش المولى إسماعيل، مما دفع إلى نشر الخرافة كمظهر من مظاهر الالتجاء إلى الدين، والاحتماء به، والتستر وراء الطقوس التي ابتدعها كثير من مرضى النفوس، الأمر الذي دفع أبا علي اليوسي(99) وقبله شيخه محمد بن ناصر الدرعي إلى الدعوة للإصلاح بواسطة الدين الذي من غاياته الرفع من قيمة المستمسك به، وتمكينه من التعلق بحقه، بحيث كان اليوسي بجولاته التي يحدثنا عنها في

(99) راجع المحاضرات تحقيق وتعليق د. محمد حجي ط الرباط 1976 ص 42 وما بعدها عن الشجرة الخضراء في سجلماسة تلك التي كانت عامل فتنة في العقيدة.

الكثير مما كتب يعلم الجهلاء، ويجعل أفكارهم تحتك بما كان يوضح ويثير من المسائل الكبرى في الحياة والاجتماع، بل كان يدفع من يحل بينهم إلى الشعور بالمسؤولية، ويبغض لهم سفاسف الحياة وحقيرها، فقد رأيناه سواء في كتابه المحاضرات أو القانون، أو حول سورة الإخلاص يسعى لتكوين مجتمع إسلامي يعطي لكل شيء قيمة، ويجعل إلتماس الأسباب أساسا لاتجاهاتها وتعليلات شؤونها، وكم يعجبني الانسياق وراء أفكار أبي علي اليوسي المسلم النظيف الأمين الذي لم يكن من المؤغلين في التصورات الدخيلة على الإسلام باسم التصوف، ولا من ذوي الجموح المندفعين للإرتواء من مباهج الدنيا ونعيم الحياة بلاحساب ولا تبصر، وهو الذي ردد كثيرا في محاضراته « إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله».

كان أبو علي زاهدا، لكنه لم يكن زهد المتصوفة غير الواعين الذي هو ترك الطيبات، بل زهده كان يتمثل في الإدراك الكامل لزوالها وفنائها حالة استمتاعه بها، أي عدم الإغترار والركون إليها وليس، معنى ذلك التشاؤم وعدم الاستمتاع بما تحبه النفس من الطيبات والتلذذ بها، بل وليس أيضا عن طريق التسلط على الآخرين باسم سلطان الدين وتسخيرهم واستغلالهم باسم مكارم الأخلاق العلمية، وتصنع الاستغراقات الذاتية الضيقة، المعرضة عن الحياة، كان أبو علي وكأني به من المفكرين المعاصرين الأقوياء بالإستقراء، وهو ما يستمده المرء من كتاباته التي منها القانون، مومنا بالإنسانية وما يتحكم فيها من منطق عملي مستمد من الطبيعة التي جبل عليها الإنسان، ومدرك للنفس وتطلعاتها في هذه الحياة إدراكا علميا، بحيث أنه وكما أشرنا يحترم « المتصوفة» العاملين بالكتاب والسنة ولم يساير المتصوفة المتشائمين المغرقين أمثال ابن عربي وابن القارض وعبد الكريم الجيلي، وريم البغدادي وغيرهم من الذين سودوا بترهاتهم كالشعراني وسليمان بن علي المعروف بـ «العفيف التلمساني – 610 – 690 وغيرهم من أصحاب البدع التي بدأها ابن عربي بالفصوص والفتوحات فصار على منواله جل الذين تأثروا به من الذين جاؤوا بعده ثم ركزوا لما ابتدعه مما أطلق عليه وحدة الوجود ومعناها أن الله يحل بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله بل يتحول إلى صور مادية حيوانا وجمادا وإنسانا وجنا أصناما و أوثانا ووهما وخيالا. وأن لأسمائه وأفعاله ما لتلك الأشياء من

صفات وأسماء وأفعال لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المطلق أو المقيد إلى غير ما في تلك الكتب التي أضرت مثل كتب ابن عربي، أولئك الذين لم يكترث بآرائهم اليوسي في الحياة، لأنهم في نظره لايحققون المرجو من الاستخلاف الذي وعد الله به الإنسان في هذه الأرض، والواقع أن هناك جماعة من رجالات الفكر والإصلاح، عرفهم القرن 12هـ و18م في المغرب لم تخصص لهم من الدراسات ما يرفع الستار عن أفكارهم النيرة وآثارهم التي يعتز بها الفكر الإسلامي في هذه المرحلة، وإن كانت التربة التي زرعوا فيها قد أصيبت بعد بالعقم بسبب ما عرفته من كوارث الطوائف الضالة وتناحرها على السلطان والمال، بالافتراء على الدين. ومهما يكن فإن عالم المسلمين عموما ومنه المغرب، لم يعرف التدهور والانحطاط إلا في الأزمنة التي تدهورت فيها العقيدة ثم تعرضت للعلة والتضليل والشرك الوثني، وإذا نحن أمعنا الفكر نجد الدافع الأول والأخير هو الشره والنهم وتطلع الأغبياء للإرتواء أكثر من لذات الحياة جسمانية وغير جسمانية، وبعضهم لم يجد طريقا أسهل لتحقيق أغراضه غير التظاهر بالتصوف، حتى إن بعضهم إتخذ الدعارة والزنا وسيلة من وسائل التصوف كما حصل لأبي بكر أمهيوش المعاصر للمولى إسماعيل الذي انتشرت طائفته بين القبائل التي لايزال الفساد ساريا فيها حتى اليوم، وهي قبائل ايت امجليد وزايان وزمور، وأبو الجعد، والشاوية، وعبدة، حيث لاتزال أعمال طائفة (العكاكزة) باقية بتلك الديار واضحة في التفسخ الذي تتسم به تلك المناطق التي جال فيها كبيرهم وصال، والذي اتخذ المرأة وسيلة لهواه فكان يقول في حقها «إنها كالسجاد صلي وأعطي أخاك يصلي(100) وأسوأ من هذا طائفة محمد بن عبد الكبير الكتاني كما سنرى والتي انتهت إلى عبد الحي الذي اكتشفت موبقاته في الجزائر وفي دار العشعاشي بتلمسان كما عند الشيخ البشير الإبراهيمي الذي ألف فيه كتابا لم ينشر سماه «نفح الطي في أخبار عبد الحي» ويكفي أن يذكر اسمه في مدينة فاس ليثير المقت والكراهية في النفوس، لأنه اشتهر فيها بمراودة زوجة ولده، كما عرف هو وسلفه والخلف

(100) راجع مخطوط العكاكزة لابي علي اليوسي خ . ع 2224 وهو الذي دفع المولى إسماعيل لاستئصالهم إلى أن قطع من رؤوسهم أكثر من مائة ثم علقها على أسوار مدينة مكناس ثم راجع عبقرية اليوسي د. عباس الجراري 1979.

بالانحراف الذي لم يصرح به ابن الموقت في رحلته التي سجل فيها قوله «هذا وحال هذه الطائفة في العمارة واستغراقها جل الأوقات الليلية والنهارية غريب جدا، لايكاد يصدقه العقل لولا وجوده، فلا تسمع منهم حال الاستغراق والتخبط وقوة الجنون السارية في تلك الأجساد سريان الدم في العروق التي اقتضت أن ترفع بها الأقدام على الأرض نحو الذراع إلا لفظ أح أأأح أح أح أأأح . أو لفظة كخ كخ كخ فلا تسمع غير هذين اللفظين وقد استوى في هذا الذكر الغريب العالم والجاهل، والعالم والغافل، فانظر لهذه الأسرار التي أدخرت لهؤلاء المتصوفة من أهل القرن الرابع عشر حتى ظنوا أن الاشتغال بهذه العمارة من أعظم القربات التي توصلتهم لحضرة الحق »(101) وقد تعرضنا بما فيه الكفاية للكلام حول كبير هذه الطائفة الضالة المنحرفة زيادة على ما أشرنا إليه قبل حين كلامنا عن مرحلة ما قبيل الحماية والدستور المفترى عليه زمن المولى عبد الحفيظ.

ومهما يكن فمن الدعوة إلى الخير التي طلبها القرآن الكريم أن يكون في كل جيل مصلح من بين الخاصة من المؤمنين قبل عامتهم، له أهداف سامية، يتزعم الصفوف ليوضح بواسطة الكتاب والسنة أهداف الإسلام الرئيسية، وفي مقدمتها علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالله جل جلاله، وتحديد هذه العلاقة بالذات، كما جاء بها القرآن، وأن الإسلام دين الله الحق، لادخل للإنسان فيه، ووجود المصلح المطلوب في كل جيل كما عرفه المغرب في أجياله الماضية، دليل على أن المغاربة لم ينحرفوا عن الإسلام دين الله الحق، كما أن وجودها أي علاقة الرسول بربه مشوهة في جيل من الأجيال علامة على أن هذا الجيل ما له من الإسلام إلا اسمه فحسب، وهذا ما انتهى إليه الأمر بالمغرب في نهاية القرن 19 وبداية العشرين، مما أوجد مصلحين متعددين ذكرناهم، لكنهم جميعا لم

(101) راجع الرحلة المراكشية ج 1 / 173 ط مصر 1351هـ 1932، ونشير هنا إلى أن المولى عبد الحفيظ السلطان كان قد اكتشف ما كان عليه محمد بن عبد الكبير من الانحراف الجنسي الذي تعرف عليه أبو شعيب الدكالي ثم أبدى للسلطان رأيه في صاحبه، ومما يؤكد ذلك ما عرف به ولده إبراهيم ساكن مدينة سلا والمعروف بين أهلها ب «امسيكه» ولدى الكبير والصغير من سكان المدينة المذكورة بما ورثه وورثه والذي بسبب ذلك لما زهقت روحه ثم دفن بالزاوية الطالبية أقام أهلها ضجة وطالبوا بنقله منها ولما لم يستجب لهم أغلقوها كلية تم رفعوا شكايتهم إلى الجهات المسؤولة ولا تزال الزاوية حتى اليوم (1990) مغلقة.

يلتزموا بالطريقة والمجاهدة التي التزم بها شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، الذي تنبه إلى أن فساد العقيدة وانتشار الشعوذة هما السبب في ضلال الشعب، فهب لاصلاحها بطريقة أعطت من النتائج ما سنتعرف عليها بعد، بل هي التي كانت السبب في وجود خرنة استهتروا بكل القيم، وتطاولوا على السلطان افتراء على الله والناس، فكان لتصرفهم المشين، ما كان له من أثر سيء إلى جانب الحكم انتهى بالبلاد إلى الوقوع في قبضة المستعمر الذي كان من أهدافه وبواسطة دراسات مركزة لمحاربة الإسلام كعقيدة بل وتضليل المسلمين والبعد بهم عن الخلق الإسلامي القويم الذي كان العامل الأقوى والأساس الذي شيدت عليه الحضارة التي لولاها ما كان في الأرض ما نرى ونعيش من تقدم الإنسانية وتحضرها ، وهذا رأي يقول به عظماء الغرب الأوروبي ومفكروه، قبل أن نقول به نحن كعرب مسلمين ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب الذل يوم القيامة» وقال صلى الله عليه وسلم» عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة» والبدعة بلاشك إنما تكون من متطاول يبالغ في الفهم المتطفل، أو من جاهل يقصد خيرا فيقع في محظور، وهذا ما حاربه شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي بما علم ونشر من أن الإسلام دين يحبب الحياة ولا يزهد فيها، ينشط للعمل ويحرص على استخلاص المعيشة، يحث لطلب العلم ويدعو لاحترامه واستثماره يبيح مجال الفكر ويفسح مجال النظر، يسمح بالتمتع باللذائذ البدنية المعتدلة ولايحرم إلا الإفراط فيها، يفيض على النفس روح الحرية ويبث فيها حرارة الشمم والحمية، يوجه الروح إلى الاتصال والتعلق بخالقها بلا وساطة، بل يحرم الواسطة ويعتبرها شرك، رحيم ببشرية الإنسان لايطلب منه فوق طاقته الخ.

ذلكم هو دين الرسلام الحق الذي لو تعرف الناس عليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بغيره، لكن ما أصاب بلاد الإسلام عموما والمشرق العربي في الطليعة من مصائب كان من أشباه المتصوفة الذين حولوا التوحيد إلى شرك بعد بهم عن الإيمان واليقين، بل أفسد حياتهم وكدر صفوهم ثم جعلهم عرضة للتفكك والتدهور والانحطاط، وأشباه المثقفين فيهم إلى الشك والريب وعدم الإطمئنان إلى ما يسمع ويرى بل ينشر ويذاع بين جموع الجاهلية من الضالين المضللين باسم وعد بأجر ونعيم وحيلولة دون نار

الجحيم لمن سعى في مرضاة مدّع أثيم، يزعم لنفسه القدرة على النفع والتعويض بدار النعيم، وذلك كل ما عرفت به الطوائف الضالة التي انتشرت باسم الإسلام المفترى عليه في مختلف بلاد الإسلام وفي المغرب الإسلامي العربي الكبير، حيث لاحصر لأضرحة وقباب الصالحين وغير الصالحين، بل الكلاب والحمير لهم أضرحة اعتني بها وجددت باسم الفولكلور كما سنرى حتى تجرأ المتطاولون المندسون على التطاول وهدم الدين في عهد الاستقلال رغم ما أصدره محمد الخامس رحمه الله من تشريع يمنع التظاهر حولها.

مدخل ضريح أبي العباس السبتي بمدينة مراكش

إذا ضلت المرأة ضللت الأسرة

موسم علي ضريح

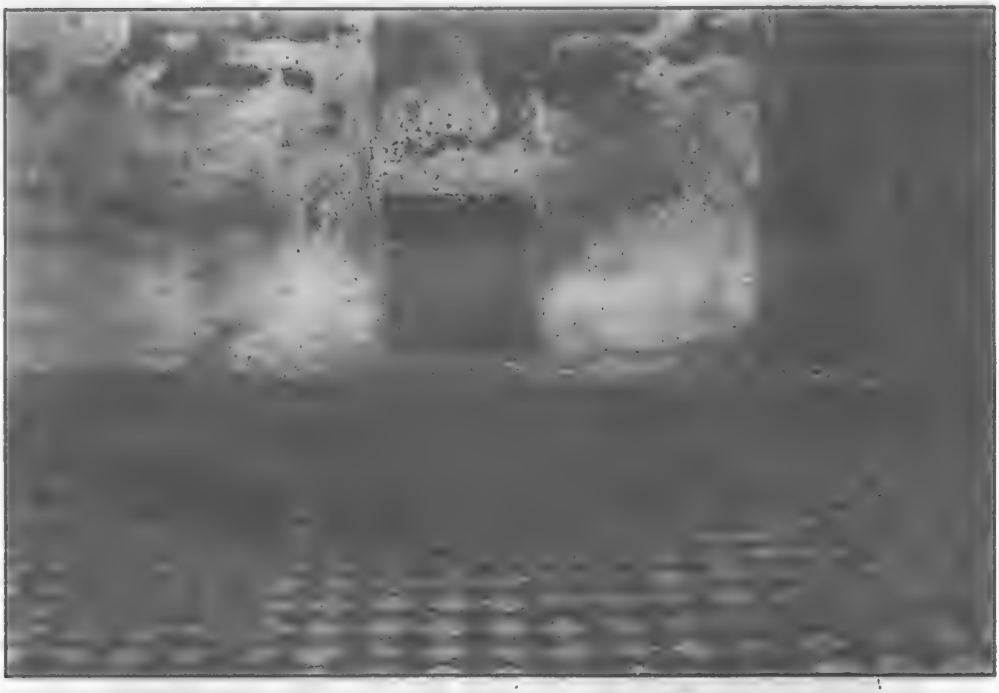

قبر التهامي المدغري بضريح أبو نافع فاس الجديد

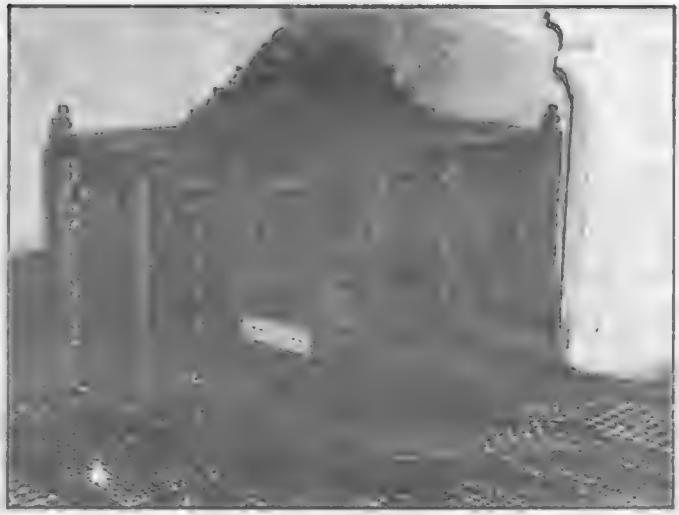

ضريح أبو نافع دفين فاس الجديد هو احمد بن محمد بن عبد القادر نافع المتوفي عام 1260هـ 1844م كان رحمه الله له نظم في الانساب من كتبه

1) الفهرس: الكبرى ضمنها شيوخه الذين أخذ عنهم

2) شروح الألفية في مجلدين

راجع فهرس الفهارس 84/1 وشجرة النور 398 والزركلي 233/1.

بربك ما الدافع لهذا البهتان أو ليس هو روح الاستغلال

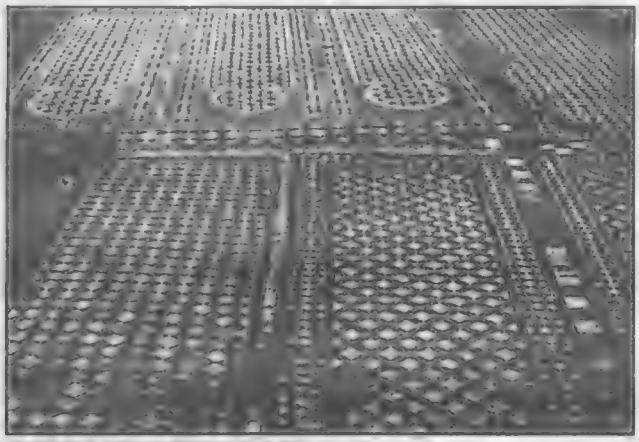

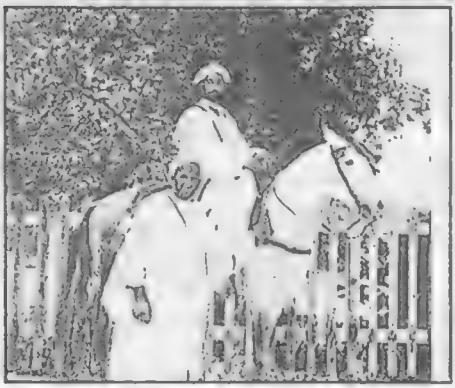

إنه الاستغلال والانتهازية باسم الدين تتمثل في مقدم الزاوية العيساوية

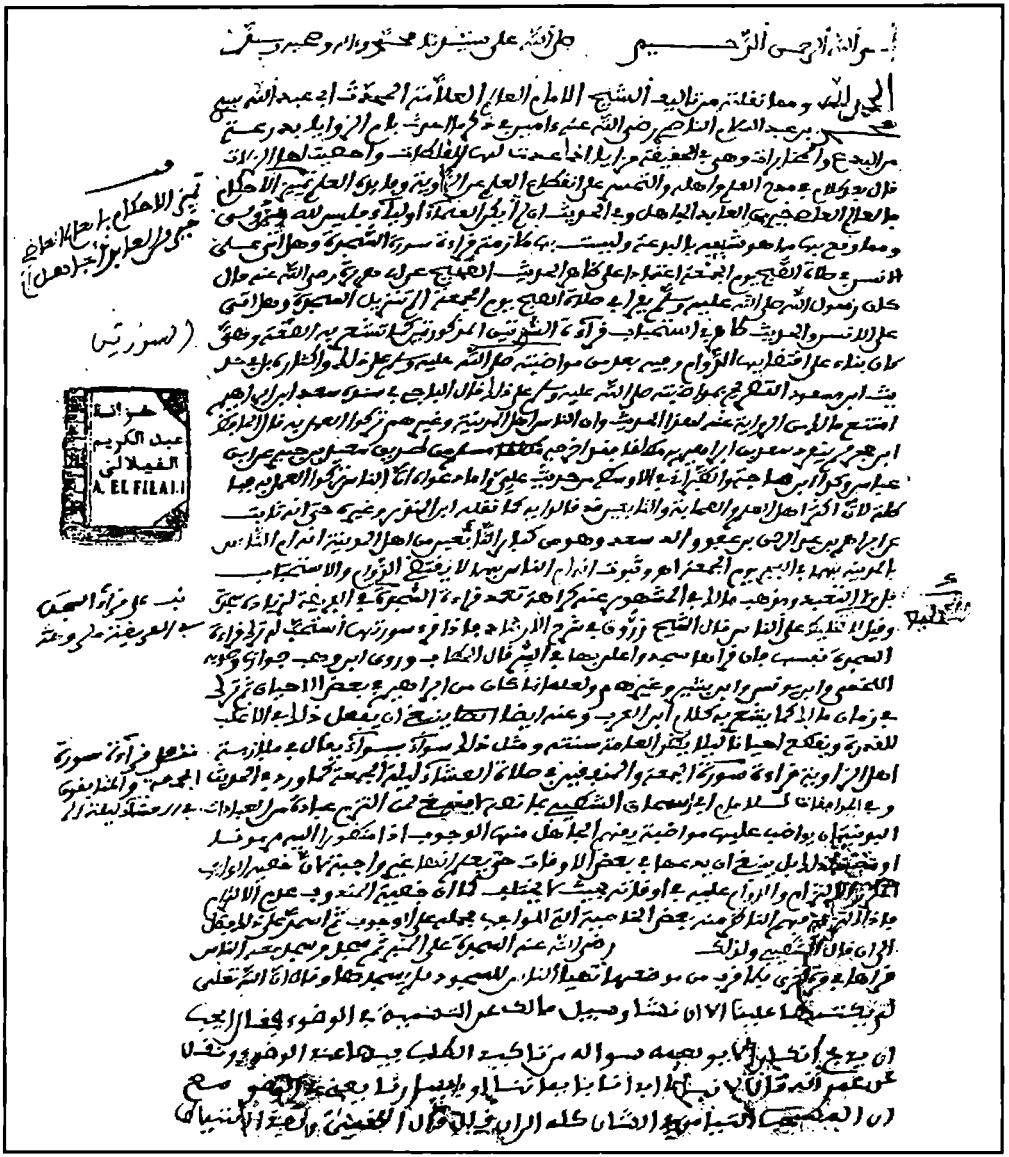

"كتاب المزايا فيما حدث من البدع في أم الزوايا" يقصد الزاوية الناصرية بتامجروت وهو لمحمد بن عبد السلام الناصري المتوفى 1233هـ 1823 ترجم له التعارجي في أعلامه والكايتاني في فهرس الفهارس 219/2-23 إنه من مذكرات الدّين المفترى عليه في المغرب والتي تنبه لها المولف رحمه الله. لكن كيف والعهد عهد أعظم الملوك العلويين علما وعملا وهو المولى سليمان 1206-1239هـ 1791-1823م

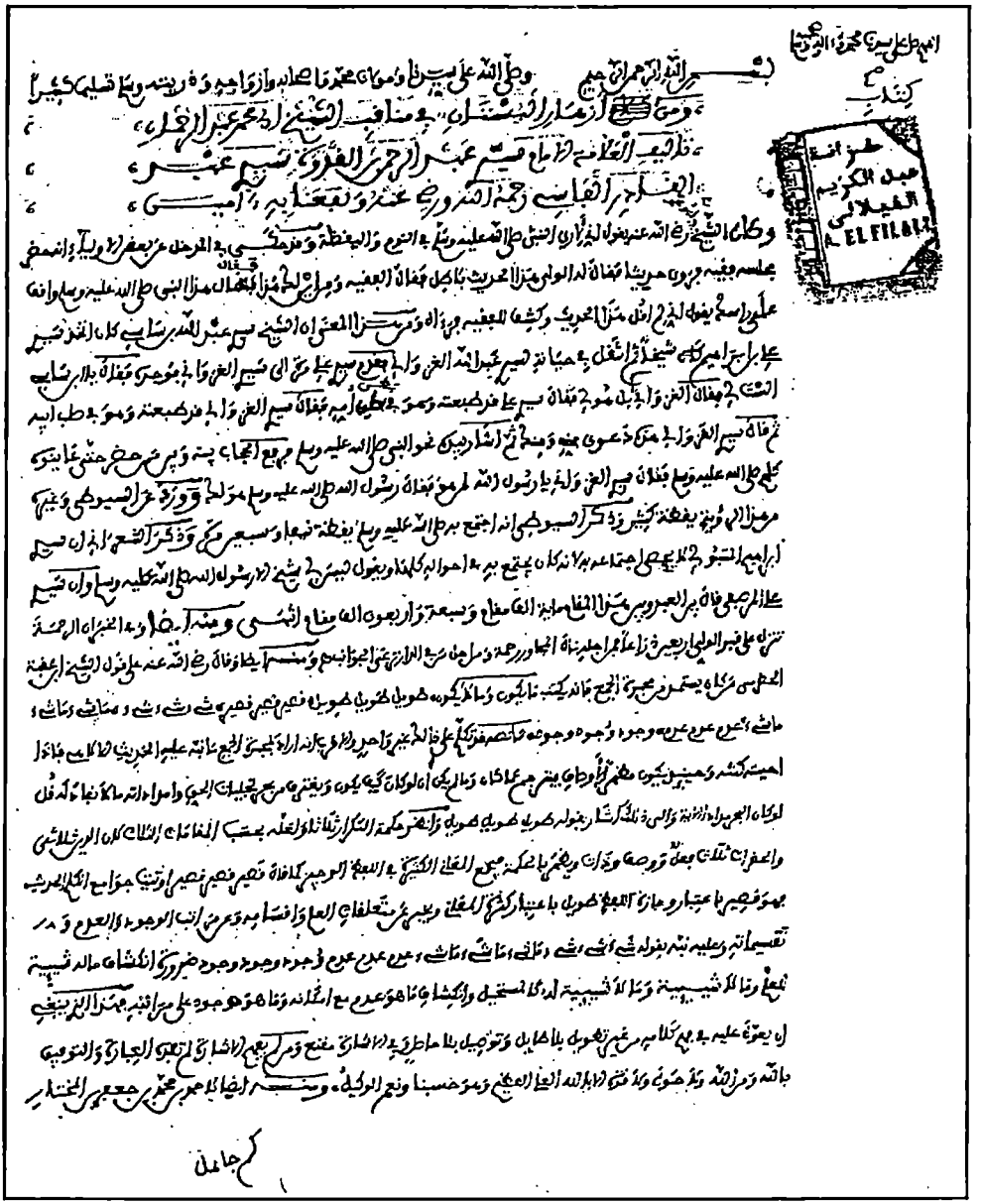

الصفحة الأولى من كتاب أزهار البستان تأليف عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي

وهو من مفتريات آل الفاسي على الدّين الحنيف، مما كان له أكبر الأثر في نشر البدع والضلال راجع للمؤلف كتاب التاريخ المفترى عليه في المغرب ط1969. إقرأ هذه الصفحة ثم تمعن ما فيها من افتراء على رسول الله (ص)

ما كتبه عبد الملك التاجموعتي من ضلال مفتريا على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم زاعما به الرد على أبي علي اليوسي رحمه الله وعن مثل هذه المفتريات انتشرت البدع التي قاومها عهد المولى سليمان يوجد ما كتبه التاجموعتي في خزانة المؤلف وهي النسخة الوحيدة والتي توجد بخزانة المؤلف ما رد به عبد الملك التاجموعتي على الشيخ أبي علي اليوسي رحمه الله وعبد الملك هذا من قصر أولاد اجْميع بتافيلالت زاعما في رده ومفتريا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم علم الله ما كان وما يكون ونسي قول الله عز وجل على لسان رسول:

ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير

وقوله تعالى: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب.... (الآية 6-50.)

الفهرس

الجزء الثامن

* تتمة الباب الثالث والعشرون

الفصل الثامن والعشرون بعد المائتين: قتل التزونوني وقيام العميل الفرنسي ابن أبي القاسم النگادي الزروالي خادم أبي حمارة ——— 7

الفصل التاسع والعشرون بعد المائتين: الحقائق الضائعة من تاريخ ثورات قبائل الشمال في المغرب من ثورة قبائل اجبالة الى ثورة قبائل الريف ——— 23

الفصل الثلاثون بعد المائتين: التحقيق في ترجمة الثائر قبل الثورة وتعدد المفتريات عليه ——— 57

الفصل الواحد والثلاثون بعد المائتين: المحيط الذي صنع حرب الريف والأسرار الضائعة حول معركة أنوال 1921/06/22 وهي بداية صغيرة لنهاية كبيرة ——— 77

* الباب الرابع والعشرون

الفصل الثاني والثلاثون بعد المائتين: شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي والانتصار لحرب الريف وكيف صنع النصر في معركة أنوال ——— 91

الفصل الثالث والثلاثون بعد المائتين: المجندون الذين حققوا النصر في معركة أنوال وبعدها ——— 99

الفصل الرابع والثلاثون بعد المائتين: صدى ثورة الريف في الداخل والخارج وأسباب متاعبها ——— 125

الفصل الخامس والثلاثون بعد المائتين: عبد الكريم وإخوان مانسمان لتحقيق أهداف الألمان ——— 147

الفصل السادس والثلاثون بعد المائتين: فضيحة الدولتين في اتحاد القوتين ـــــ 171
الفصل السابع والثلاثون بعد المائتين: محمد بن عبد الكريم وظروف الاستسلام ـــ 185
الفصل الثامن والثلاثون بعد المائتين: الجيوب الدامية والمجهولة في تاريخ المقاومة ـــ 201
الفصل التاسع والثلاثون بعد المائتين: آخر غزو لتافيلالت وآيت احديدو
وآيت مرغاد ـــــ 219
الفصل الأربعون بعد المائتين: عروبة آيت عطا بين أصول وفروع ـــــ 237
الفصل الواحد والأربعون بعد المائتين: آخر معارك المقاومة في جبال بوكافر
وصاغرو وبوحمدون وسوس ثم آيت بوعمران ـــــ 263
الفصل الثاني والأربعون بعد المائتين: فرنسا وأهداف السياسة البربرية ـــ 283
الفصل الثالث والأربعون بعد المائتين: من مصادر الاقتباس بريطانيا وشبه
الظهير البربري في مصر ـــــ 295
الفصل الرابع والأربعون بعد المائتين: التجربة الأولى للظهير البربري في
المغرب الأقصى ـــــ 301
الفصل الخامس والأربعون بعد المائتين: المشير اليوطي والهدم الصريح
للدولة والدين ـــــ 309
الفصل السادس والأربعون بعد المائتين: استعمال العرف البربري وسيلة
للتنصير والفرنسة ـــــ 321
الفصل السابع والأربعون بعد المائتين: من أنواع العرف البربري أزرف ـــــ 333
الفصل الثامن والأربعون بعد المائتين: الشهادة عند قبيلة إيغزران البربرية
ناحية تازة ـــــ 343
الفصل التاسع والأربعون بعد المائتين: أحكام محاكم العرف البربري ـــــ 349
الفصل الخمسون بعد المائتين: موقف السلطان المولى يوسف من
الظهير البربري ـــــ 361
الفصل الواحد والخمسون بعد المائتين: جهاد شيخ الإسلام وأثر الفكر
السلفي في هدم الظهير البربري ـــــ 373

الفصل الثاني والخمسون بعد المائتين: من آثار شيخ الإسلام في مدينة سلا وأثرها في تحطيم الظهير البربري 387

* **الباب الخامس والعشرون**

المغرب والضلال وجهاد شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي

الفصل الثالث والخمسون بعد المائتين: الدين المفترى عليه في المغرب ومجال جهاد رائد الفكر المغربي 403